الأدب بتونس في العهد الحفصي

(625 - 981هـ/1227- 1574م)



جمع وتحقيق

الدكتور أحمد الطويلي

مركز النشر الجامعي

ص.ب 255 ـ تونس ـ ر.أ.ب. 1080 ـ
الهاتف : 000 874 71 (216) الفاكس : 677 871 71 (216)

الأدب بتونس
في العهد الحفصي

(625 ـ 981 هـ / 1227 ـ 1574 م)

جمع وتحقيق
الدكتور أحمد الطويلي

مركز النشر الجامعي
2004

بسم الله الرحمن الرحيم

ابتدأ العهد الحفصي من سنة 625 هـ وهي سنة دخول أبي زكرياء الحفصي لتونس و بعد وفاته سنة 647 هـ خلفه ابنه المستنصر بالله وسرعان ما أعلن نفسه خليفة و أميرا للمؤمنين. و قدمت البيعة له من مكة والشام و الأندلس. و قد استقطبت تونس الخلافة الموحدية و اعتبرت نفسها وريثة لدعوة المهدي و عبد المؤمن بن علي بعد تدهور الحكم في المغرب الأقصى، بل استقطبت تونس الخلافة الإسلامية بعد تساقط المُدن الأندلسية الإسلامية الواحدة بعد الأخرى تحت حكم النصارى و سقوط الخلافة العباسية ببغداد إثر هجوم التتر عليها و قتل الخليفة العباسي سنة 656 هـ.

ويعتبر العهد الحفصي فترة ازدهار حضاري و أدبي و فكري كبير له مميزاته و خصوصياته من حيث العمران و الأدب و الفكر.وهي مميزات وخصوصيات ستستمر طيلة العهد الحفصي خاصة في عهد السلطان إبراهيم بن أبي بكر الحفصي المتولي الحكم سنة 751هـ و الذي انتدب عبد الرحمان بن خلدون كاتبا له في ديوان الإنشاء على صغر سنه، ثم في عهود أبي العباس أحمد الذي أهدى إليه ابن خلدون كتاب "العبر"، وعهد أبي فارس عزوز، و عهد أبي عمرو عثمان الذي حكم طويلا وتميز عهده وعهد أبي العباس أحمد بوفرة الأدباء و المؤرخين و الفقهاء، و ينتهي العهد

الحفصي سنة 981 هـ باحتلال الأسبان لتونس. فيكون العهد الحفصي قد دام 356 سنة أي أكثر من ثلاثة قرون و نصف قرن.

لقد عاش في هذا العهد بتونس أدباء علماء أثروا في الأدب العربي و ترجمت آثار بعضهم إلى لغات أجنبية، و حصل بعض منهم على شهرة عالمية، مثل أحمد التيفاشي صاحب" نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب" و"أزهار الأفكار في جواهر الأحجار" و كلاهما طبع و ترجم إلى لغات عديدة، و كذلك القاضي النفزاوي صاحب" الروض العاطر في نزهة الخاطر"، و نذكر أحمد الغساني الشاعر الكبير و محمد بن شباط صاحب تقسيم المياه بالجريد و مؤلف كتاب "صلة السمط و سمة المرط" و محمد بن أبي تميم الشاعر الكبير أيضا و عبد الرحمان بن الدباغ صاحب كتاب"معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان" و كتاب "مشارق أنوار القلوب و فاتح أسرار الغيوب" في العشق الإلهي، كما نذكر عبد الرحمان بن خلدون صاحب المقدمة وأحمد الخلوف صاحب الدواوين في مختلف الأغراض.

إلى جانب هؤلاء نذكر الأدباء الأندلسيين الذين أقاموا بتونس طويلا وأنتجوا فيها روائعهم، نذكر منهم حازم القرطاجني صاحب كتاب "منهاج البلغاء وسراج الأدباء" الذي درسه في جامع الزيتونة، و محمد بن الأبار صاحب "الحلة السيراء في أشعار الأمراء"، بدأه بأشعار أبي زكرياء الحفصي وثناها بأشعار الأغالبة، و كذلك "إعتاب الكتاب" الذي ألفه للمستنصر بالله ملتمسا منه العفو عن زلة اقترفها. و نذكر ابن سعيد صاحب كتب تحدث فيها عن المجالس الأدبية بتونس و ترجم فيها لبعض أدبائها من أصدقائه ومسامريه، من هذه الكتب نذكر" القدح المعلى في التاريخ المحلى"

و " رايات المبرزين وغايات المميزين " و " المقتطف من أزهار الظرف". ونذكر من الأدباء الأندلسيين المقيمين بتونس أيضا أبا المطرف بن عميرة ومحمد بن أبي الحسين و أبا بكر بن حبيش و أحمد بن الغماز.

و نلمس في الأدب بتونس في العهد الحفصي اتجاهات ثلاثة، يتمثل الاتجاه الأول في الاعتداد بالنفس و الافتخار و التعالي و الشعور بالمجد وتصوير الأبهة في المظاهر العمرانية و المعمارية و الحضارية الجديدة في العاصمة التونسية.

أما الاتجاه الثاني فهو يتعلق بالدعوة إلى التمتع بالحياة و بروز نزعة أبيقورية عند الكثير من الأدباء كشفت عنها الأشعار و التراجم و كتب التاريخ و المؤلفات النثرية.

وأخيرا يتعلق الاتجاه الثالث بالبحث عن الحقيقة العلمية في الأدب والفنون من جهة، و عن الحقيقة الاشراقية في الالتحام بالذات الإلهية وتصوير وحدة الوجود من جهة أخرى.

و لقد أصبحت تونس خلال العهد الحفصي مركزا نشيطا من مراكز الأدب، و حفلت فيها الحياة الفكرية و الأدبية بتآليف مهمة اتسمت بطابع الخلود، و بإنتاج شعري و نثري مهم. و قد وصل الكثير من الآثار الشعرية إلى القمة الفنية في الأداء و الأغراض خاصة عند شعراء أمثال ابن الأبار وحازم القرطاجني و أحمد الغساني و ابن القوبع و ابن الخلوف و أبي الفتح بن عبد السلام، فكل هؤلاء و غيرهم تميزوا بطريقتهم الشخصية في التعبير

عن أغراضهم الفنية، وكل منهم صار نموذجا لطريقة فنية خاصة بالأدب.

وهذه مدونة لواحد و خمسين شاعرا و أديبا. حاولنا أن نستقصي النصوص و أن نجمع شعرهم و نقدم نماذج من نثرهم إن كانت، و اكتفينا لمن نشرت لهم دواوين و هم حازم القرطاجني و ابن الأبار و أحمد الخلوف أن نقتصر على عينات من قصائدهم، و قد تميزوا غالبا برتبتهم العالية في البلاغة و البيان و ترصيف الكلام، وجلهم أصيلو إفريقية، و بعضهم نزح إلى تونس في صدر الدولة الحفصية واختار الإقامة بالحاضرة طيلة سنوات عديدة، و اضطلع فيها بدور أدبي وعلمي نشيط.

- و تدل هذه النصوص على ما بلغت إليه الحياة الأدبية في تونس الحفصية من ازدهار و تألق و إشعاع كبير صارت بها من أهم مراكز الأدب العربي مشرقا و مغربا. و قد وصفنا في كتابنا "الحياة الأدبية في تونس في العهد الحفصي" مظاهر هذه الحركة و هذا الازدهار الأدبي. و قد بوبنا هؤلاء الأدباء وفق وفياتهم، و بوبنا النصوص حسب القوافي. أما النصوص النثرية فتلي الشعر، و أوجزنا تراجم أصحابها، و نحيل للتوسع إلى كتابنا المذكور و ما يحتويه من قوائم ببليوغرافية عريضة تخص حياة كل أديب منهم. و قد ذكرنا مواضع هذه النصوص من الدواوين أو بعض المصادر الأخرى ليرجع إليها من شاء، و وضعنا عناوين لها ليسهل الرجوع إليها.

عبد الرحمان الأصولي

(ت. بعد 639 هـ)

أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن ابراهيم الأصولي، من شعراء أبي زكرياء الحفصي وصاحب كتاب "تبكيت الناقد" في الأدب والنقد دفاعا عن ابن الابّار ومناصرة له حين أنشد السّينية أمام السلطان. كان يؤازر أبا زكرياء بشعره في غزواته ويتغنّى فيه بانتصاراته الحربية.

فطــام

قال يمدح أبا زكرياء الحفصي ويذكر ثورة ابن أبي يعقوب الذي سمّى نفسه بالإمام الفاطمي وقد انتصر أبو زكرياء عليه:

(الطويل)

لقــدْ عجلّــتَ للفاطـمــيّ فطامــهُ ... وما سوّغتْه دَرُّهَا البيضُ والسُّمْرُ

رجَا رفعة فاعتاض منها بمنصِبٍ ... نماه به للجِذْع مَنْصبك الحُـرُّ

يـرى شرفَات السور قد قُمْنَ حوله ... يَصحْنَ لأمـر منـه أكذبه الأمـرُ

ضُحًى فلحرّ الشمس لغْجُ إهابه ... وللرِّيح لا للرُّوح في جسمه كـرُّ

وكم رام تشييدَ القُصور فَحَلَّهَا ... وأعظم ما يرجوه لو أُسْعِفَ، القبرُ

أتـى رهـبـة لمّـا دعــوتَ إجابةً ... فجرّده من ثوبِ نعمتِك الكُفْر

وجـاءك منـه بعضُــه متنصّــلا ... وخُلِّف بعضٌ حيث لا جَادَه قطرُ

يناجـي أخَـاه لا بقـول يبثّـه ... وهيهات عـزّ السـرّ فَحْواه والجهرُ

تبـرّأ منـه وانتحَـاكَ لسانــه ... فلو رام نُطقا لم يرمْه لك الشكرُ

فدونـك يـا يعقـوب عُقْبَـى منافـقٍ ... إلى النَّار عُقبَاهَا إذا ضمّك الحشْرُ

المصدر: رحلة التجاني: ص 269 ـ 270، وعنوان الأريب ج 1 ـ ص 67

عنان بن جابر

(ت حوالي سنة 645 هـ)

عنان بن جابر بن جامع المرداسي من بني سليم زعيم قبيلة مرداس وشاعرها الفحل، ثار على أبي زكرياء الحفصي ورحل مع قومه الى المغرب الأوسط فكاتبه صديقه وزير أبي زكرياء الشّاعر ابن أبي الحسين بقصيدة يحاول فيها ارجاعه الى طاعة الأمير أبي زكرياء لكن لم يقتنع وواصل ثورته. توفّي بسلا في المغرب الأقصى وكان ينوي حثّ الأمراء الموحّدين بالمغرب على غزو تونس.

وفي الأرض أوطان

كتب مجيبا محمد بن أبي الحسين على قصيدته التي حثّهُ فيها على الرّجوع الى الطاعة ويذكّره فيها بالماضي:

(الطويل)

خليليَّ عوجا بين سَلْع وحاجرٍ بعوجٍ[1] عناجيج نواجٍ ضوامر
قلاصٍ خماصٍ شازبات عرامس مواضٍ نواض مرقلاتٍ عوابرِ[2]
طِوال الهوادي لا يَخِفْن تَنُوفةً هملَّعة الأطرافِ هُدْل المشافر[3]
وعوجَا على دارٍ لنا في جنابها أفانينُ لهوٍ دائمٍ غيرِ داثرِ
بحدَّ وشيجٍ واختلاف سَلاهبٍ ومجمع غاداتٍ وغانٍ وسامر[4]
وقولاَ لسُعْدى والرَّباب هلَ انتما على العهد أم ساعدتما زَجْرَ زاجر
وهل فيكما مُوفٍ بوعدي وقلّما يكون الوفا من صَامِتَاتِ الأساور
خليليَّ مالي كلَّما رمتُ سلوةً دعاني منادي الشَّوق دعوة جابر
ولما رأيت الودُّ قد بان وانقضى دعوتُ ونارُ الشوق تغزو ضمائري

---

(1) العوج: ج عوجاء. الناقة المضمرة، والعناجيج: الإبل المختارة، ج عنجوج والنواجي: السريعة السير الناجية براكبها. وسلع: جبل متصل بالمدينة. وحاجر: موضع في ديار بني تميم.

(2) القلاص ج قلوص. الصغيرة من الإبل ـ الخماص: الضوامر، وفي الحديث: «الطير تغدو خماصا وتروح بطانا» ـ والشازبات: ج شازبة وهي الضامرة أيضا ـ والعرامس ج عرمس: الناقة الشديدة الصلبة ـ والمواضي: المسرعات في سيرها ـ ومثلها النواضي ـ والمرقلات: التي ترقل إذا مشت، والإرقال: ضرب من السير الحثيث ـ والعوابر: النوق التي تعبر براكبها البر كما تعبر السفن في البحر.

(3) الهوادي. الأعناق ـ والتنوفة: المفازة ـ وهملعة الأطراف: أي سريعة حركة الأطراف، يريد يديها ورجليها ـ هدل المشافر: أي مسترخيات الشفاه، وهو ما تمدح به الابل عند العرب.

(4) الوشيج: المختلط من الرماح بعضها ببعض ـ السلاهب: ج سلهب. الفرس الطويل ـ السامر: القوم يسمرون.

ألاَ أيها الغادي على متن ضامرٍ سليم القرى عبل الذِّراعين فاطر[5]
يـزف زفيـف الخاضبـات وينثني كحقف لَحَتْها لافحاتُ الهواجر[6]
عليـه غـلام لا يَمَـلُّ من السُّرَى عليـمٌ خبيرٌ بالصُّوى[7] والمخاطر
تحمَّـل الى تَرْشيـشَ[8] عنّـي تحيّةً كمـا سلّـم الأحبـابُ عند التَّزاور
بـلاد بهـا نيطـت علـيَّ تمائمـي وفيهـا نما عقلي ولبِّي وخاطري[9]
وبلِّـغ لنـدب أرْيَـحِيِّ سُـمَيْـدَعٍ سلامًا يؤدَّى عن عنان بن جابر[10]
إلى الماجد الأسنى الى فارس الوغى مـرويِّ القنـا يـوم التقـاء العساكر
أبِـي عابـدِ اللّـهِ الكريم نجـارُه حليـفِ الأيـادي والنّدى والمآثـر
بعثتَ أبـا عبـد الالـه بدائعًـا محبّـــرة منظــومــةً كالجـواهـرِ
تذكّرنِـي الـوُدّ الـذي كـان بيننا وتزعـم أنّـي سالـيٌ غيـرُ ذاكـر
ليـالٍ وأيّـامٍ نَعِمْنَـا بـوصـلهـا علـى كـرم منّــا وحفـظ سرائـر
وكنّـا إذا مـا الجيش صفَّت جُنُوده ترانــا علـى خيـلٍ عتاقٍ ضوامر
عـرابٍ طـرابٍ صافِنَـاتٍ سلاهبٍ خفاف التَّوالي مدمجات الحوافر[11]
نَجُـر القنا المرَّانَ فـوق خدودهـا ونقدّهـا للطّعـن لا عَـنْ تشاجـر
نخوض وغاها والقنا تقرع القنا بِكُـلِّ حُسَـامٍ مَشْرفـيِّ وبَاتِـر

---

(5) القرى: الظهر ـ الفاطر: البعير الذي فطرنا به أي طلع.

(6) يزف: يسرع، وفي القرآن: فاقبلوا إليه يزفون ـ الخاضبات: ذكور النعام التي أكلت الربيع فاحمرت سوقها ـ الحقف: ج أحقف وهو حمار الوحش ـ لحتها لافحات: أي إن الهواجر قشرت جلدها، ولحا بمعنى قشر، والهاجرة وجمعها هواجر: شدة الحر في منتصف النهار.

(7) الصوى: ج صوة، الاعلام من الحجارة العالية.

(8) ترشيش: اسم لمدينة تونس قديما .

(9) هذا البيت لابن ميادة الشاعر تمثل به هنا عنان بن جابر

(10) الندب: السريع الاجابة لما يندب اليه ـ الأريحي: الذي يرتاح الى المعروف ـ السميدع. السيد الوطيء الأكناف.

(11) العراب: من الخيل العتيقة غير الهجينة، والطراب: التي في سيرها خفة ونشاط، وفي صحاح الجوهري: إبل طراب، نازعة الى أوطانها والصافنات: التي تقف على ثلاث من قوائمها وتثني الرابعة.

فلما بدا لي بعض ما كنتُ أتَّقِي ... وحانت أمور ضيّقات المصادر
وعادت عليَّ الأرضُ حلقة خاتَمٍ ... بلا ذلَّةٍ منِّي سوى طَوْعِ آمر
رأيتُ رجالاً من رياحٍ ومالكٍ ... وعوفٍ ودبَّابٍ وزُغْب وماجر[12]
لهم مرقب دوني وقد كنت قبلهم ... بسيفي ورمحي في الوغى وعشائري
تبيّنتُ حالا لا أُطِيقُ احتمالها ... فحِدْتُ بنفسي عن عدوٍّ وجائر
وسلّمت أرض الشرق لا عن مذلّة ... ويمّمت أرض الغرب لا عن تخائر
إلى بلدٍ لا يعرف الذّلَّ، أهلهُ ... كرامُ الحشايا من هلال بن عامر
فسقيًا لها من بلدة جادها الحيا ... ولا زال فيها واكفاتُ المواطر
بلادٌ بها للغانيات مراتع ... مُنَمْنَمَةٌ أكنافُها بالأزاهر
وعزٌّ يصون النفسَ عن طارقِ الأذى ... ويحمِي الفتى عن جوْر بادٍ وحاضر
تُوَافي إلينا كلَّ يومٍ قبائلُ ... موشّحةٌ بالماضيات البواتر
فمنها صديق صادق الودّ منصفٌ ... ومنها عدوّ كاشحٌ غيرُ ناصر
فمن كان منّا نال عزّا ورفعة ... ومن حاد دُسْنَا أرضه بالحوافر
فلا لوم إنّ الجود فيما فعلته ... فَلَلْموت أحلى في الحشا والحناجر
من الذلّ، إن الذلّ عنّا بمعزل ... وما شأننا غيرُ اكتسابِ المفاخر
وفي الأرض أوطان ومأوى ومسرح ... وفي الناس من يُرْجَى لدفع الضَّرائر
وسيفي ورمحي واعترائي[13] وسابِقِي ... ودُرْعي وقومي كالأسود الهزابر
حُمِيتَ ـ أبا عبد الإله ـ من الأذى ... ولا زلت تسمو في جميع المآثر

المصدر: تحقيق حسن حسني عبد الوهاب للقصيدة عن مخطوطة خاصة. انظر: مجلة الفكر: السنة 8 ،العدد 10 ، جويلية 1963.

---

(12) قبائل من بني هلال كانت في خدمة أبي زكرياء الحفصي.

(13) مصدر اعترى: غشيه طالبا معروفه.

السلطان أبو زكرياء الحفصي

(647 _ 597)

أبو زكرياء يحيى بن أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص عمر الهنتاتي، ولد بمراكش سنة 597 ودخل تونس في 24 رجب 625 ، قضى على ثورة ابن غانية سنة 631 وانتصر على أعدائه فاتّسعت مملكته شرقا وغربا ووطد دعائم الدّولة الحفصية بتونس، قصده الشّعراء والأدباء من الأندلس والمغرب خاصة ابن الأبّار وحازم القرطاجنّي وأبا المطرف بن عميرة وأقاموا عنده ومثلوا مع شعراء تونس العنصر الأساسي لتنشيط حياة أدبية زاخرة بالابداع والعطاء، وكان أبو زكرياء يشجّع الأدباء والشعراء بما يسنِي لهم من الجوائز. له ديوان شعر لم تبق منه إلا هذه الأشعار التي جمعناها له، وكان شاعرا فحلا، طرق جميع الأغراض الشعرية. توفّي ليلة الجمعة 22 جمادى الثانية في بونة ودفن بها ثم نقل جثمانه الى قسنطينة.

1 ـ طلب العلياء

(الطويل)

أجبْ داعِيَيْهَا فالنَّجيب يُجيبُ   وشُبَّ لظاها فالنَّخيب[1] يخيبُ
وشِمْ عزمةً لا يغمزُ العجزُ متنها   فذو العزم في اليوم الصَّعيب يُصيبُ
ولا تبتغِ العلياء الا بأبيضٍ   لغربيّه في هام الكُمَاة غُروب
وأسمرَ غرٍّ شيَّبَ الوقعُ رأسهُ   ألا إنما بعد القشيب[2] مشيبُ
وإن شئت قلتَ النجمُ توّج رأسه   فلاح له بين القلوب ثُقُوب
ينضنضُ صِلاًّ[3] ثم يهوي كأنه   رشاءٌ له قلبُ الكمي قَلِيب
وصفراء ربّتها الجيوب[4] وراوحت   ذوائبَها فَوق الجَبوب[5] جَنُوب
إذا عِيجَ متناها أقيمت شباتها   فمنها سَرُوبٌ لا يُرَى وَرسُوبُ
فان سدِكت بالكفّ[6] أو قَلَّ خَطْوُها   فخطوُ بنيها في الحروبِ رحِيبُ
وأجرد يستجلى بأوضاحه الوغى   وقد جنَّهَا يوم الركوب عكُوب[7]
له من سعالِي الجنّ خلق مطهّرٌ   يروع ومن هوج الرياح[8] هبوب
بتلك يُنال الوترُ لو حال دونه   سُهُوبٌ وحالت عن مداه لُهُوب[9]
فدعْ عنك أبناء الزمان فكلّهم   لهُ عند تمحيص الغيوب عيوب
فلا توردنّه وردك الصفوَ إنهُ   شروبٌ وعند الحادثات سَروب
ألا فاستعنْ واستغن باللّهِ   إنه لفتح بتقدير الرّقيب قريبُ

المصدر: الحلة السيراء: ص 3 ـ 5 والبيتان 4 و5 في رايات المبرزين ص 57، مجمل تاريخ الأدب: ص 187 ـ 188

---

(1) النخيب: الجبان
(2) القشيب: الجديد
(3) ينضنضُ يتحرك بسرعة، والصل: السيف القاطع جمعه أصلال، والقليب: البئر
(4) الجيوب. الصدور
(5) الجبوب: الفرس المحبّب المحجّل إلى ركبتي يديه وعرقوبي رجليه.
(6) سدكت بالكف: شدت باليد.
(7) العكوب: الغبار
(8) هوج: هوجاء الريح السريعة المضطربة في هبوبها التي تقلع البيوت. لعبت به هوج الرياح.
(9) السهوب: ج سهب هي الأرض المستوية البعيدة واللهوب ج لهب: مضيق يكون بين جبلين.

2 ـ رياض أبي فهر
(الطويل)

أعدْ نظرًا حيث الرِّياضُ كأنَّها ... خدودُ الغواني أو قدودُ الكواعبِ
تميل وليست بين كأس وقينةٍ ... ولكنَّها بين الصَّبَا والجنائب
وسال نميرُ الماء بين اخضرارها ... فجاء كمثلِ الفرق بين الذوائبِ
وإلاّ كما شقّ الكَنَهْوَرَ[1] بارقٌ ... وإلا كمثل الصُّبْحِ بين الغياهبِ
قد اطّردتْ فيه المذانِبُ دائمًا ... ولم ترَ حسنًا كاطّراد المذانِبِ[2]
وللنّرجِسِ النّضْر اصفرارٌ تخالُهُ ... كشمس أصيلٍ بين بيض السحائب
يدِبُّ إليك الحسْنُ في جنباتِهَا ... بعقْربِ أصداغٍ من الآسِ لاسِبِ
وللياسمين الغضّ في خُضْرِ بُسْطِهَا ... نثائرُ دُرٍّ أو سَبائكُ ساكبِ
وللسّوسن المبيضّ إصغاءُ آلفٍ ... يحنُّ فيحنُو خاشعًا نحو شاربِ
وقد كُلّلَتْ أغصانُ نارَنْجِهَا، فقلْ ... مجامرُ تبْرٍ جامدٍ غيرِ ذائبِ
وعطّر منها النّشْرُ ما بَلّلَ الندى ... فنمّتْ بأنفاسِ الرياح الغرائب
وللماء في الدولاب ـ إن رمت وصفَهُ ـ ... سهامُ قسيّ أو مخاريقُ لاعبِ[3]
تضمّنَ سقْيُ الرّوضِ رفهًا يعلُّهُ ... وفاءً فعدَّ القول عن قوس حاجبِ
معطّرة الأردان يفغمُ[4] نفحُهَا ... يحيّيك عَرْفُ الطيّب من كلّ جانبِ
سمَاءً، وجريُ الماء فيها مجرّةٌ ... ومن زهرها المفترّ زهرُ الكواكب
فدونكها تختال زهوًا ونضرةً ... وترفُلُ تيهًا في برودِ العجائبِ

المصدر: الحلّة السيراء: ص 7 ـ 8 والمجمل: ص 189 ـ 190 ومنها أسقطت خمسة أبيات.

---

(1) الكنهور: السحاب المتراكم. قطعة كالجبال

(2) المذانب: مجاري المياه.

(3) مخاريق: جمع مخراق. هو ما يتلاعب به الصبيان في منديل أو شبهه يفتلونه ويتضاربون به. يقال: هو مخراق حرب أو صاحب حروب.

(4) في الأصل: يَفْعم

3 ـ بطاقة

أصاب رئيس الكتاب أبا عبد الله بن أبي الحسين مرض اتّصل بسببه انقطاعه عن الخدمة، فوجّه إليه الأمير أبو زكرياء بطبقٍ مغطّى فيه ألفا دينار وبطاقة فيها هذه الأبيات:

(الوافر)

أبـا عبـدَ الإلـه وقيـتَ شَـرًا ... ولا طـارت بساحتـك الخُطُـوبُ

لقـد تاقـت إلـى رؤيتـك المآقي ... كمـا ذابـت لشكـواك القلـوب

إذا نابـت مهمّـاتٌ فمـن ذا ... يجلّيهـا سـواك ومـن ينـوبُ

عسى الكربُ الذي أمسيتَ فيه ... يكـون وراءَه فـرجٌ قريـبُ

المصدر: الشّهب اللاّمعة: ص 252.

4 ـ مقطوعة

(الخفيف)

وُضِعَتْ فـي الزُّجاجِ فالتهبتْ ... وكستْـه ثوبًـا مـن اللَّهـب

وعـلا فوقهـا الحبـابُ فلـمْ ... تُبصِـر العـينُ مثـل ذا العجـبِ

ضـرَمُ النـارِ فـوقـهُ بـردٌ ... كائـنٌ عنـهُ مِنْـهُ فـي النَّسَبِ

المصدر: رايات المبرّزين: ص 258.

5 ـ شعراء السّبق

(الطويل)

ألا إنّ مضمـار القريـض لممتـدّ ... بـه شعـراءُ السّبـقِ أربعـة لُـدُّ

فأمـا المجلّـي فهـو شاعـر جمّـة ... أتـى أوّلاً والنـاس كلُّهـمْ بعـدُ

وأمّـا المصلّـي فهو حبر قضاعة ... بآدابـه تزهـو الإمـارة والمجـدُ

وأمّـا المسلّـي فالمعـاويُّ إنّـهُ ... أتـى ثالثـا لكـن يلـين ويشتدُّ

وبعدهم الكوميُّ أقبل تاليا وكم جاء سبّاقا مسوّمةَ النهدِ
هم علماءُ الناسِ ما منْهمُ غِنًى وهمْ شعراء الملك ما منهم بدٌّ[1]

المصدر: رحلة التجاني: ص 376

6 ـ شوق الى تونس

قال وقد رجع من غزوة إلى تونس:

(الوافر)

تقرّ جفونُ عينك بالقرارِ ومن شرط الهوى رعي الذّراري
ألاحَ البرْقُ معترضًا فغارتْ نجومُ الأفقِ من ماءٍ ونارِ
خَفَى يسرِي وظلّ الدمعُ يجري فواحرباهُ من سارٍ وجارِ
وهاب البدرُ أن يفرى دجاه فمال عن الشّرار إلى السرِّار
وساءل مسندًا يرويه عني فحدّثه الزفيرُ عن ادّكار
سقى أعلام تونس فالحنايَا فمقتبِلَ العشيَّةِ والعرارِ
فواكبِدَاهُ من شوق تناءتْ نهايتُهُ على قربِ المزارِ
وأبرحُ مَا يكونُ الشوقُ يومًا إذا دنتِ الدّيارُ من الدّيارِ

المصدر: الحلّة السّيراء: ص 5.

7 ـ هديّة

أهدى أبو زكرياء خوخًا لكاتبه أبي العبّاس أحمد الغسّاني وكتب:

(الوافر)

(1) الشعراء هم: عثمان بن عربية ثم ابن الأبّار ثم ابن معاوية اليحصبي ثم أبو زكرياء يحيى بن محمد الكومي، انظر تراجمهم أرقام: 31، 27، 4، 30 في كتابنا "الحياة الادبية بتونس في العهد الحفصي" عن بيت الحكمة.

بعثتُ بها إليك بناتَ أيكٍ غذاهَا في الثَّرى دَرُّ القطار
لهُ لونانِ مخضرٌّ عظيمٌ وآخر قانئٌ كالجلَّنَارِ
ولم تَنْظُرْ أبا العباس حسنًا يروقك كاخْضِرارٍ فِي احْمِرار
كمثْلِ الخدِّ أحْجَمَهُ التّلاقِي فصرْنَا ورده أسد الغطار؟؟

المصدر: الأدلّة البيّنة: ط 2 ـ ص 55.

8 ـ سأبكيك

وله في الرّثاء:

(الطويل)

تصبّر فإنَّ الصبْر أوْلَى بذي حِجْرِ وإن كان حِجراً فالملامُ إلى الحِجرِ(1)
ومازالتِ الأيامُ تغدُو على الفتى فطوراً على بِشْرٍ وطوراً على بِسْرِ(2)
وإن سالمتْ، والظلم منها سجيَّةٌ فلا بدَّ يوماً أن تغرَّ وأن تُغْرِي
مرَى(3) الحزن دمعي أن أمرّ حباله وكان قديماً لا يُمِرُّ ولا يَمْرِي
وعهدي بهذا الدمع يا عينُ وافياً فهل لك في الغدرِ المبرِّحِ من عذرِ؟
ألا من لعينٍ لا يُنَهْنَهُ غربُهَا ألا مَنْ لسَحْرٍ لا يملُّ من السَّحْرِ؟
ألا تلك شمس الجوِّ في الدوِّ(4) فاعجبوا ألا تلكمُ إدمانةُ العفْرِ في القفْرِ
أأسلو وهذا شخصُهَا حشوُ مقلتِي وأنسى وما تنفكُّ منّي على ذكرِ؟
لئن ضمّ منكِ اللحدُ ذاتًا زكيةً لقد حُنِيَتْ منّي الضُّلُوع على جَمْرِ
سأبكيك ما أنَّتْ فقيدةُ بِكْرِهَا وحنَّتْ إلى وكرٍ مُطَوَّقَةُ النَّحْرِ
أطارحُهَا شجْوِي فيسعدُ شجوَهَا فتحسبُنا إلفي مصابٍ لدى وَكرِ
ومالي وما للعيدِ لولا تحفّلٌ يكلّفني ما لا أطيق من الصبر

(1) الحِجر الأولى والثالثة بمعنى العقل، والثّانية بمعنى حرام.
(2) بسر الرجل وجهه: كلح.
(3) مراه حقّه: جحده.
(4) الدو: المفازة.

فمن كان ذا هدْيٍ وهدْيٍ لعيده		فعندي هديٌ من مدامعيَ الحمرِ
يُغادونها قُرْبى لنحرٍ ثلاثةً		ودمعي من تسكابِهِ الدَّهْرَ في بحر
وعندي ولا ردٌّ زفيرٌ مردّدٌ		تهدُّ لظاه جانبَ البشر
وتصديقُ إيمانٍ وإقرارُ موقنٍ		وتسليمُ مربوبٍ لذي الخَلْق والأمرِ

المصدر: الحلة السيراء: ص 9-10.

9 - سيف صحابي

أهدى الملك الصّالح صاحب مصر إلى الأمير أبي زكرياء هديّة فيها سيف يذكر أنّه سيف عمّار بن ياسر رضي اللّه عنه، فوجّه به الأمير أبو زكرياء يحيى الى ابن أبي الحسين لانتسابه لعمّار بن ياسر واشتهاره بجودة الضّرب، وكتب إليه:

(الوافر)

أبا عبد الإله إليك عضْبًا		لِجدِّكَ قاطعَ الحدّين باتر
فأنت به أحقّ لذي انتساب		ويوم الحرب إذ تبلى السرائر

المصدر: الشّهب اللاّمعة: ص 215

10 - خمرة

(البسيط)

خذها كما نمَّ عَرْفُ الرَّوضِ بالسَّحَرِ		وأيقظ الطَّلُّ ريًّا نائم الزَّهَرِ
حمراءَ ترفُلُ في أثواب بهجتها		تَفْتَرُّ عن لؤلؤٍ عذبٍ وعنْ أشَرِ[1]
زففْتُهَا ورواقُ الليل منْسَدِلٌ		كأنها شفقٌ في هالةِ القمرِ

المصدر: الحلّة السّيراء: ص 9

11 - لغز في لجام

(المتقارب)

(1) تأشير الأسنان: تجزيزها وتحديد أطرافها.

وما اسمٌ له أحرفٌ أربعه وفيه غرائب مستودعه
فمن قال أوّل حَرْفٍ لمن تشكّى الخمول فقد رفعه
وإنْ زاد حَرْفًا فخلقٌ عظيمٌ كثيرُ المضرّة والمنفعه
ومقلوبُهُ اسم لشيء متينٍ إذا أبصرته قلت ما أمتعه!
ويبقى اسمُ منْ بِرُّه واجبٌ فقد اقترف الإثم من ضيّعه
ومقلوبه اسمٌ لشيء عزيزٍ يهان ولا شيء إلاّ معه

المصدر: المرتبة العليا: ج 2 ، ص 149 ـ 150 وتفسير اللغز: مراده بأول حرف اللام فإذا قال للخامل: لِ فقد أمره بالولايةِ ورفع منزلته. فإن زاد الجيم جاء منه لجْ وإن قلبه جاء منه جلٌّ.

ويبقى بعد هذه الأحرف الألف والميم فيجيء منهما أمّ وهو قوله ويبقى اسم من برّه واجبٌ. ومقلوب أم: ماء وهو يهان ولا عيش إلا معه. ومقلوب الجميع ماجل.

12 ـ جفناك

(الطويل)

وحوراء تَسْتَعْلِي بنهدين أُشْرِعا ولا غروَ أن يدْعو هواها فأتْبعه
تقول، وقد رقّت لما بي: أجازعٌ وأنت جريٌّ والأسنّةُ مُشْرعهْ؟
فقلت لها: جفناكِ عزّا تجلُّدي ونهداكِ هدّا نفسَ هيمَان موجَعَهْ
وما زلتُ ألقَى القرنَ يعسلُ[1] رمحه فمنْ لي بمن يلقَى الفؤادَ بأربعهْ؟

المصدر: الحلّة السّيراء: ص 6

(1) عسل الرمح: هزّه

13 ـ فخـر

(الوافر)

وما للنـاس منّـا غيـرُ رعْـي ... يفيدهـم رِفَـاهًـا وانتفـاعـا
فيمنعهـم ومـا شعبـوا مُضَامًـا ... ويُوسِعُهـم ومـا سَغِبـوا انتجاعا
بنـى لـيَ المـجْـدَ آبـاءٌ كـرامٌ ... ورثنا مـجدهـم بَـاعًـا فباعَـا
وهذّبنـي الإبـاء فـفـاتَ طِـرفِـي ... وَكُـلٌّ بَـعدُ يجـرِي مـا استطاعَـا

المصدر : الحلة السيراء: ص 3

14 ـ لـزوميـة

من لزومياته في الغزليات :

(الطويل)

بـدت لـك فـي ثـوب يشـفُّ منجّم ... أُزَيـرَق ـ يَاللّـه للحُسْـنِ ـ أزرقـا
ولاحتْ، وبـدر الأفق في الأفق كاملٌ ... فلـم أدْر أيٌّ راعنـي حين أشرقا
خـلا أنـه لما رأى حسـن وجهها ... تأنّى قليـلاً حـين شـام فأبْرقَا
ودونهمـا صفـوُ الغديـر مسلسلاً ... فأُقسـمُ لولا رقّـةُ الوصـل أحْرقـا
ولمّا رنـا نحـو السّجنْجَل وجهها ... أطـلَّ علـى مـتن الغديـرِ فأطرقا
وزرّت عليـه الشهـبُ ثـوب سمائـه ... فقـارب في التّشبيه منها وأغرقـا
ونـازعهـا ثوبًـا ولـونًـا ورِفعـة ... وبعدًا وإشراقًـا ووجهًـا ترقـرقـا

المصدر : الحلّة السّيراء: ص 7

15 ـ طبق

في وصف طبق مملوء نثائر زهر النارنج والخابور وهو نوع من الشجر:

(البسيط)

بعثتها وذكيُّ العرفِ ألحفها ... بردين من وضَح الإصباح والشّفق
كأنّما الزّهر والخابور جزّعه ... شَذَرٌ تناثر في دُرٍّ من العُنُقِ
راق منظره حسنًا لملتفتٍ ... ورقّ مخبرُه عَرفًا لمنتشقِ

المصدر: الحلّة السّيراء: ص 8، والمجمل: ص 190

16 ـ وصف جوز

(المتقارب)

تفضّلْ بشَيءٍ له ملبس ... صلابةَ وجهِ لئيمٍ حكَى
إذا نُزِعَتْ عنه أثْوابُه ... أتاكَ كما تمضغ المصْطَكَى

المصدر: عنوان المرقصات: ص 44.

17 ـ رثاء

قال يرثي ولي عهده أبا يحيى:

(الطويل)

ألا جازعٌ يبكي لفقد حبيبه ... فإنّي لعَمري قد أضرّ بي الثُّكل
لقد كان لي مال وأهل عدمتهم ... فها أنا لا مالٌ لديّ ولا أهل
سأبكي وأرثي حسرة لفراقهم ... بكاءَ قريح لا يَمَلُّ ولا يسلو
فلهْفي ليوم فرّق الدهر بيننا ... ألا فرَجٌ يُرْجَى فينتظمُ الشّمل
وإنّي لأرضى بالقضاء وحكمِه ... وأعلمُ ربّي أنّه حاكمٌ عدلُ

المصدر: عنوان الأريب: ج1، ص 64.

18 ـ زهدية

(الكامل)

يَعْجَلُ الإنسانُ بالشّيء، وهل ... خُلِقَ الإنسانُ إلاّ من عجل؟

ولذِي العدل قضاءٌ في الورى ... يتقاضاه كتابٌ وأجلْ

إنّ ظُفْرَ اللّيث يُدْمى من ردًى ... مثلَ خدٍّ الخَوْد يُدْمى من خجَلْ

وأخو الغفلةِ في غفْلتِهِ ... إنْ بكتْ ورقاءُ غنّى وارْتجل

المصدر: الحلّة السّيراء: ص 10.

وصية لابنه ولي العهد

كتب أبو زكرياء الى ابنه ووليّ عهده:

اعلم، سدّدك اللّه وأرشدك، وهداك لما يرضيه وأسعدك، وجعلك محمودَ السيرة، مأمون السّريرة، أنّ أوّل ما يجب على من استرعاه اللّه في خلقه، وجعله مسؤولا عن رعيّته في جلّ أمرهم ودقه، أن يقدّم رضى اللّه عزّ وجلّ في كلّ أمر يحاوله، وأن يكلَ أمره وحوله وقوّته للّه، ويكون عمله وسعيه وذبّه عن المسلمين، وحربهُ وجهاده للمؤمنين، بعد التوكّل عليه، والبراءةِ من الحولِ والقوّةِ إليه.

ومتى فجاك أمرٌ مقلق، أو وردَ عليك نبأٌ مرهِقٌ، فريِّضْ لبّك، وسكّن جأشك، وارع عواقبَ أمرٍ تأتيه، وحاولْهُ قبل أن ترد عليه وتغشيه، ولا تقدم إقدامَ الجاهل، ولا تحجمْ إحجام الأخرق المتكاسل، واعلم أن الأمر اذا ضاق مجاله، وقصّر عن مقاومته رجالُه، فمفتاحه الصّبرُ والحزامةُ والأخذُ مع عقلاءِ الجيشِ ورؤسائهم وذوي التجارب من نبهائهم ثمّ الإقدام عليه، والتوكّلُ على اللّه فيما لديه، والإحسان لكبير جيشك وصغيره. الكبير على قدره، والصغير على قدره. ولا تلحق الحقير بالكبير، فتجرّي الحقيرَ على نفسِك وتغلّطه في نفسه وتفسد نيّة الكبير، وتؤثره عليك فيكون إحسانك إليه مفسدة في كلا الوجهين ويضيع إحسانك، وتشتّت نفوس من معك.

واتخذ كبيرهم أبا، وصغيرهم ابنا، و"اخفض لهم جناح الذلّ من الرّحمة". وشاورهم في الأمر "فإذا عزمت فتوكّل على اللّه إن اللّه يحبّ المتوكّلين".

واتّخذ نفسك صغيرةً، وذاتكَ حقيرةً، وحقّر أمورك، ولا تستمع أقوال الغالطين المغلّطين بأنك أعظم الناس قدرًا، وأكثرهم بذْلاً وأحسنهم سيرةً وأجملهم صبْرًا، فذلك غرور وبهتان وزور. واعلم أن من تواضع للّه رفعه اللّه.

وعليك بتفقّد رعيّتك والبحثِ عن عمّالهم والسؤال عن سير قضاتهم فيهم. ولا تنم عن مصالحهم، ولا تسامح أحداً فيهم. ومهما دعيتَ لكشفِ ملمّةٍ، فاكشفها عنهمْ، ولا تراعِ فيهم كبيراً ولا صغيراً إذا عدل عن الحقّ.

ولا تراعِ في فاجرٍ ولا متصرّفٍ إلاّ ولا ذمّة. ولا تقتصر على شخص واحدٍ في رفع مسائل الرعيّة والمتظلّمين، ولا تقف عند مراده في أحوالهم. واتّخذ لنفسك ثقاةً صادقين مصدّقين، لهم في جانب الله أوفر نصيب، وفي رفع مسائل خلقه إليك أسرع مجيب، وليكن سؤالك لهم أفذاذ، فإنك متى اقتصرت على شخصٍ واحد في نقلهِ ونصحه حمله الهوى على الميل، ودعته الحميّة إلى تجنّبِ الحق، وترك قولِ الصدق.

وإذا رفع إليك أحدٌ مظلمة وأنت على طريقٍ، فادعه إليك وسَلْه حتى يوضّح قصّته لك وجاوبه جواب مشفقٍ مصغٍ الى قوله، مصيخ إلى نازلته ونقله، ففي إصاختك له وحنوّك عليه أكبر تأنيس، وللسّياسة والرّئاسة في نفوس الخاصّة والعامة والجمهور أعظم تأسيس.

واعلم أن دماء المسلمين وأموالهم حرام على كلّ مؤمن بالله واليوم الآخر، إلا في حقٍّ أوجبه الكتابُ والسنّة، وعضدتْهالأقاويل الشرعية والحجّة. أو في مفسد عائثٍ في طرقاتِ المسلمينَ وأموالهم جارٍ على غيّه في فساد صلاحهم وأحوالهم، فليس إلا السّيف. فإنّ أثره عفاء ووقعه لداء الأدمغة الفاسدة دواء.

ولا تقل عثرة حسودٍ على النِّعم عاجزٍ عن السعيِ فإنّ إقالته تحمله على القول والقول يحمله على الفعل، ووبال عمله عائدٌ عليك فاحسم داءه قبل انتشاره، وتدارك أمره قبل إظهاره.

واجعل الموت نصب عينيك، ولا تغتر بالدّنيا وإن كانت في يديك. لا تنقلب إلى ربّك إلا بما قدّمته من عمل صالح، ومتجر في مرضاته رابحٍ. واعلم أن الإيثار أربح المكاسب، وأنجح المطالب. والقناعة مالٌ لا ينفد. وقد قال بعض المفسّرين في قوله عزّ من قائل "وتركنا عليه في الآخرين". إنه النّبأ الحسن في الدنيا على

ما خلّد فيها من الأعمال المشكورة، والفعلات الصالحة المذكورة. فليكفك من دنياك ثوبٌ تلبسه وفرسٌ تذبّ به عن عباده. وأرجو بك متى جعلت وصيّتي هذه نصب عينيك، لم تعدم من ربّك فتحا ييسّره على يديك، وتأييدا ملازما لا يبرح عنك إلا إليك، بمنّ الله وحوله وطوله. والله يجعلك ممّن سمع فوعى، ولبّى داعيَ الرشد إذا دعا إنّه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

المصدر: تاريخ ابن خلدون، ج 12، ص 620 ـ 623 . ط. دار الكتاب اللبناني، د. ت.

أحمد التّيفاشي

(651 ـ 580)

شرف الدّين أبو الفضل وأبو العباس أحمد بن أبي يعقوب يوسف بن أحمد التّيفاشي القفصي، ولد بقفصة ودرس بها ثم انتقل إلى تونس حيث درس بجامع الزيتونة ثم ارتحل إلى مصر ودمشق وأخذ عن العلماء فيهما ثم رجع الى قفصة وتولى قضاءها ثم عزل عنه وهاجر إلى المشرق وتنقّل بين مدن مصر والشّام والعراق وفارس ثم رجع الى مصر وانتصب بها للتّدريس وتخرّج على يديه فطاحل من العلماء.

توفّي بمصر ودفن بها. من مؤلفاته:

ـ فصل الخطاب في مدارك الحواس الخمس لأولي الألباب، طبع منه جزآن.

ـ أزهار الأفكار في جواهر الأحجار: في وصف الأحجار الكريمة، طبع وترجم إلى عدد من لغات العالم.

ـ متعة الأسماع في علم السماع: في الموسيقى

ـ رجوع الشّيخ الى صباه في القوّة على الباه: طبع بالمغرب

ـ نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب: مخطوط باسطنبول وترجم الى الفرنسية. ونشر عن دار الرّيس بلندن سنة 1993.

ـ قادمة الجناح في آداب النّكاح.

ـ رسالة فيما يحتاج إليه الرّجال والنّساء في استعمال الباه مما يضرّ وينفع.

ـ الشفاء في الطب المسند عن السيد المصطفى: نشر بتحقيق عبد المعطي أمين قلعجي. دار المعرفة، بيروت 1988.

ـ الوافي في الطب الشافي: لعله غير السابق

ـ الدرّة الفائقة في محاسن الأفارقة.

ـ سجع الهديل في أخبار النّيل.

ـ تفسير القرآن الكريم.

ـ كتاب البديع.

. كتاب في المسالك

1 ـ ليل

(الكامل)

لا أظلمُ اللَّيلَ الطويلَ وأشتكي
منه ومالي في الصّباح رجاءُ
من كان يَطْمَعُ في الصّباح براحةٍ
ويسرّه إن لاح منه ضياء
فَجوَاي متّصلُ الظّلام بضوئه
الليلُ عندي والنّهار سَوَاءٌ

المصدر: سرور النّفس: ص 22 ـ 23 ، الفقرة 42.

2 ـ فانوس

(الكامل)

أو ما ترى الفانوسَ يجمع شَكْلُهُ
إلْفَيْ هوًى من شمعهِ وضيائه
وجهَ الحبيب يلوح تحت نقابه
وحشَا المحبٍّ يذوب من بُرَحائه

المصدر: سرور النّفس: ص 391 الفقرة 1180.

3 ـ نبّه نديمك

(البسيط)

نبّه نديمك إن الدِّيكَ قـد صخِبا   واللّيلُ قَوَّضَ مِنْ تخييمه الطُّنُبَا
والفجرُ فـي كبِدِ اللّيل السّقيمِ حكى   سِـرَّ المتيَّـم عـن إخفـائـه غُلِبا
كائنّـه بِظَـلامِ اللّيــل ممتزجًــا   سمـراءُ تفتـرُّ أبـدت مبسِمًا شنبَا
كأنّمـا الفجـرُ زنْـد قـادحٌ شررًا   في فحمة اللّيل لاقَى الفحْمَ والتهبَا
كـأنّ أولَ فجـرٍ فـارسٌ حُمِلـتْ   راياتُهُ البيضُ في إثرِ الدّجَى فكَبَا
كـأنّ ثانــيَ فجـرٍ غـرّةٌ وضحـتْ   تسِيلُ فـي وجـهِ طِـرْفٍ أدهـم وثَبَــا

المصدر: الوافي: ج 8، ح 288 ـ 291 والمجمل 207 ومقدّمة سرور النفس: ص 42

4 ـ تشبيه

قال في الهلال والليل:

(البسيط)

أمــا تــرى مستــهـــَلّ الشّهـرِ حيــن بــدا
هــلالُــهُ والــدُّجــى تسطــو غياهبُــهُ
كـأنّما الدُّجْــن فيــه والهــلالُ معًــا
"شيــخٌ مــن الزّنــجِ قد شابـتْ حواجبـهُ"

المصدر: سرور النّفس: ص 65، الفقرة: 191، ونصف البيت الأخير لمحمد بن أبي بكر الأرموي.

5 ـ نار النفط

قال في نار النَّفط على الماء:

(الطويل)

رأيتُ من الضدَّين لمَّا تآلفا
على البحر للرَّحمان أكبرَ آياتِ
وللنَّفط نارٌ يُحرق الماءَ نورُها
كمثلِ شعاعِ الشَّمسِ في سَطْحِ مرآة

المصدر: سرور النَّفس: ص 368، الفقرة: 1079

6 ـ مسرجة

قال في سراج ومسرجة:

(السريع)

مِسرجة تُسْرَجُ من فوقها ذبالةٌ في جوف مصباحِ
كأنها مسرجةٌ فوقها تفاحةٌ في غصن تفّاح

المصدر: سرور النَّفس 397، الفقرة: 1203

7 ـ كتاب "المغرب"

قال بالقاهرة في أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد الغرناطي وكتابه الذي جمعه في محاسن المغرب وسمّاه "المغرب":

(الخفيف)

سَعِدَ الغربُ وازدهى الشَّرقُ عُجباً ... وابتهاجًا بمغربِ ابن سعيد
طلعتْ شمسُهُ من الغربِ تُجلَى ... فأقامت قيامةَ التقييدِ
لم يدعْ للمؤرخين مقالاً ... لا ولا للرُّواةِ بيتَ نشيدِ
إن تلاهُ على الحَمامِ تغنَّت ... ما على ذا في حُسنِهِ من مزيدِ

المصدر: نفح الطّيب: ج 2 ، ص 325

8 ـ نار كانون

قال في كانون ونار فحمه:

(الطويل)

أتانا بكانونٍ يُشَبُّ اضْطِرَامُهُ
كَقَلْبِ مُحِبٍّ أو كَصَدْرِ حَسُودِ
كَأَنَّ احْمِرَارَ النّارِ مِنْ تَحْتِ فَحْمِهَا
خُدُودُ عَذَارَى فِي مَحَاجِرَ سُودِ

المصدر: سرور النّفس: ص 374، الفقرة: 1112

9 ـ شكر

قال لأبي الحسن بن سعيد منوّها بكتابه "المغرب":

(البسيط)

يَا طيِّب الأصلِ والفرعِ الزكيِّ كما ... يبدو جنى ثَمرٍ من أطيب الشَّجرِ
ومَنْ خلائقُهُ مثلَ النَّسيمِ إذا ... يهفو على الزَّهرِ حول النَّهرِ في السَّحرِ
ومَن محيّاه واللهُ الشّهيدُ إذا ... يبدو إلى بصري أبهى من القمرِ
أثْقَلْتَ ظَهْرِي ببرٍّ لا أقومُ به ... لو كنتُ أتلوهُ قرآنًا مع السُّورِ
أهديتَ لي الغرْبَ مجموعًا بعالمِه ... في قابِ قوسينِ بين السّمعِ والبصرِ
كأنّني الآن قد شاهدتُ أجمَعَهُ ... بكلِّ من فيه من بدْوٍ ومن حَضَرِ
نعم ولاقيتُ أهلَ الفضْلِ كلَّهُمُ ... في مدّتِي هذه والأعصرِ الأُخَرِ
إن كنتُ لمْ أرهمْ في الصدر من عمُريِ ... فقد رددتَ عليَّ الصدرَ من عُمُري
وكنتَ لي واحدًا فيهم جميعهمُ ... ما يُعجزُ اللّهَ جمعُ الخلق في بشرِ
جُزِيتَ أفضلَ ما يُجْزَى به بَشَرٌ ... مفيدَ عُمْرٍ جديدِ الفضل مبتكرِ

المصدر: نفح الطّيب: ج 2 ، ص 325

10 ـ هجو الشمس

(السريع)

فـي خَلْقَـةِ الشمـس وأخلاقها ... شتّـى عيـوبٍ جمّـة تُـذْكَـرُ
رمـداءُ عمشـاءُ إذا أصبحـتْ ... عميـاءُ عنـد اللّيـل لا تبصـر

وهـي رقيـبٌ فـي الهـوى كاشـحٌ تنـمّ بالإلفـين لا تَسْـتُر
وخُلْقها خُلْقُ الملول الذي ينكثُ في العهد ولا يَصْبِر
من صبحها النور لإمسائها مغايِرُ الأشكال لا تَفْتُر
والظلُّ منها زائلٌ دائمًا شبْهُ خليلِ السوء إذ يغدر
ويغتدي البدرُ لها كاسفًا وجرمه من جرمها أصغر
حَرورها في القيظ لا يُتَّقى ودفؤها في القرّ مستنزر
ليست بحسناءَ وما حُسْنُ مَنْ تنبو لحاظٌ عنه إذا تنْظُر
لا تملأ العينين من وجهها فالشمس مرأى ساقط يحقر
البدرُ يهدي وهي من شؤمها تُضِلُّ فالخَلْقُ بها كفروا
وعُمْرها يومٌ وفي ليله تقبرُ في مالحة تنشر
تبيت في الحَمأةِ من خِسّةٍ وتغتدي منها لنا تَظهر

المصدر: سرور النفس: ص 54 ـ 55، القطعة 163.

11 ـ نار كانون

(المنسرح)

كأنّما نارنا وقد خَمَدَتْ وجمرُهَا بالرّمادِ مستورُ
دمٌ جرى من فواختٍ ذُبِحتْ مِنْ فوقه ريشُهنّ منثور

المصدر: الوافي: ج 8 ص 288 ـ 291، وسرور النّفس: ص 375، الفقرة 1116 والمجمل: ص 207

12 ـ وصف زلزال

(البسيط)

أما ترى الأرضَ في زلزالها عجباً   تدعو إلى طاعة الرحمان كلَّ تقي
أضحت كوالدةٍ خرقاء مرضعةٍ   أولادها دَرَّ ثدي حافلٍ غدقِ
قد مهّدتهم مهاداً غير مضطربٍ   وأفرشتهم فراشاً غير ما قلِقِ
حتى إذا أبصرتْ بعض الذي كرهتْ   مما يشقُّ من الأولادِ في خُلُقِ
هزّت بهم مهدهم شيئا تنهنههم[1]   ثم استشاطت وآلَ الطَّبْعُ للخَرَقِ
فصكّت المهدَ غضبَى فهي لافظة   بعضاً على بعضهم من شدّة النَّزَقِ

المصدر: الوافي: ج 8 ص 288 ـ 291 ، سرور النفس: ص 328 والفقرة 1001، والمجمل: ص 207 (باختلاف).

13 ـ نجوم

قال في اللّيل والنّجوم:

(الطويل)

وليلٍ سَهِرْناه كأنّ سماءه   بساطٌ من الدّيباج يُنْشَرُ أزرقُ
تلوح به غُرُّ النّجوم كأنّما   تبدّد في تلك البسائط زئبق

المصدر: سرور النّفس: ص 165 الفقرة 570.

---

(1) في روايات أخرى: تنبههم، أو تنهضهم.

14 ـ برّادة

وقال في برّادة يتّخذها أهل مصر لتبريد الماء:

(الطويل)

وكالنّـار مـن سـرّ التُّرابِ كيانُها ... تُعَـدُّ لمـاءٍ فـي هــواءٍ معـدّلِ[1]
تجمّعـت الأضـدادُ أربعـةً بهـا ... بأعـدَلَ من جمـعِ الطِّبـاع وأكمـلِ
ينـاطُ إليهـا مـن بنيهـا أصاغرٌ ... كمثـل مهاةِ الرّمـلِ تُرْضِعُ مُطْفِلِ[2]
تـرى كـلَّ خِلـفٍ لا تـدُرُّ وطفلةٍ ... تدرُّ عليـه بالرّحيـق المسلسلِ[3]
إذا أبصرتْها العينُ في حسن شكلها ... ورِفْعَتِهـا والمنظـر المتجمّـل
رأيتَ الثُّريا علِّقت في مصامها ... بأمراسِ كتّانٍ إلى صمِّ جَنْدلِ[4]
وإن أُرسلت جاءت معًا بنجومها ... كما انقضّتِ الجـوزاءُ للمتأمّـل

المصدر: رايات المبرّزين: ص 267 ـ 268.

---

(1) كالنار في لونها لأنها من الخزف فلونها أحمر كالنار.
سرّ: خالص أو جوهر
(2) المهاة: البقرة الوحشيّة. مطفل: ذات أطفال.
(3) يريد أنها ترى أولاد غيرها فلا تدرّهم بينما تدر على طفلها.
(4) البيت لامرئ القيس من معلقته، ويروى فيها هكذا:
كأنّ الثريّا علّقت في مصامها ... بأمراس كتان إلى صم جندل

15 . مروحة

ممّا يكتب على مروحة:

(مجزوء الخفيف)

أنا في الكفّ راحة ... لصحيح وذي علَلْ
أنا ستر لعاشق ... عندما يَخلِسُ القُبَل
أنا مُخفٍ لِوَجْنَة ... خَجِلت أيسرَ الخجَل
أنا أهدِي إليكمُ ... أرَجَ الزّهر إن ذبل
أنا وحدي كروضة ... جادها واكفٌ هطِل
أنا بي يُبعَثُ النّديـ ... مُ على الكأسِ إن غفل
مجلسٌ لا أزوره ... ليس في قربه أملْ

المصدر: سرور النّفس: ص 226 ، الفقرة: 636

16 . يوم فريد

(الطويل)

وَيَومٍ سَرقْناهُ مِنَ الدّهْرِ خِلسَةً ... بَلِ الدّهرُ أهْداهُ لَنَا متفضّلاَ
أُشَبِّهُهُ بينَ الظّلامَينِ غُرّةً ... لحسْنَاء لاحتْ بين فَرْعَيْنِ أرْسِلاَ

المصدر: الوافي: ج 8 ، ص 288 ، المجمل: 206 ومقدّمة سرور النفس: 43.

17 . مصر

قد كان للماضين من ... أربابِ مصر هِمَمُ
فالفضل عنهم فضلةٌ ... والعلمُ فيهم عَلَمُ

إن انقــضـــت أعـــــــلامهـــم وعــلمـــــهــــم وانــصـــرمـــــوا
فاليــــوم مـــــصـــــرٌ عــــــدم إن كــــان يُــرجَــى العـــدم
وانظــر تــراهـــا ظــاهـــراً بـــادٍ عليهـــا الـــهَـــرَم

(مجزوء الكامل)

المصدر: الوافي: ج 8، ص 288 ـ 291، ومقدّمة سرور النّفس: ص 43 ـ 44

18 ـ مغناك

(البسيط)

مَغْنَاك أَغْنَاكَ من أرضٍ تيمّمُهـا لكسْـبِ مـالٍ فـلا تفرحْ بهِ ونَـم
فـسـوف تـأكل فـيـه زرق كلّ فـتـى من سائر النَّاسِ من عُرْبٍ ومن عجم
رُبْع تعـدَى لمـا يلْقَى بساحته مـن لـذّة وانبسـاط سـائـرَ الأمَـم
وكلٌّ ما فيـه ممنـوعٌ ومحتـرَم فـلا سبيلَ بهِ إلا إلى الحَـرَم

المصدر: مقدّمة سرور النَفس: ص 43

19 ـ هرما مصر

(الطويل)

خليليّ لا بـاقٍ علـى الحدثان مـنِ الأوّلُ الباقـي فَيَحْدُثُ ثان؟
إلى هرمي مصر تناهت قُوى الورى وقـد هَرِمـت فـي دهرهـا الهرمان
فلا تعجبـا أن قـد هرِمْتُ فإنما رماني بفقدان الشّبـاب زمانـي
وعوجـا بقرطاجنّـةَ فانظـرا بهـا جنَـايتـيّ الغاديـن تنتحبـان
وإيـوان كسـرى فانظـراه فإنّـه يخبـرْكُمَـا بالصِّدْق كـلّ أوان
فـلا تحسِبـا أن الفنـاء يخصُّنـي ألاَ كُـلُّ مـا فـوق البسيطة فان

المصدر: مقدّمة سرور النَفس: ص 44

20 ـ غــلام

(الوافر)

ومكحـولِ اللّحـاظ كغُصْـنِ بـانِ　　مـن الولـدانِ فَـرَّ مـن الجِنـان
تنـاول شمعـة ليقُـطَّ منهـا　　بمثـل الـدّرّ مـن رَخْـصِ البنـان
فقمـتُ إليـه أنهـاه فولّـى　　وقـال: إليـك يـا مـن قـد نهانـي
ألسـتُ ربّيـتُ فـي جنّـاتِ عدنٍ　　فجسمـي مـن سعيـرٍ فـي أمـان؟

المصدر: سرور النّفس: ص 389 القطعة: 1171

21 ـ وصف الأهرام

(الطويل)

ألستَ ترى الأهرام دام بناؤها　　ويفنى لدينا العالَمُ الإنسُ والجنُّ
كأنّ رَحَى الأفلاك أكوارُهَا عَلَى　　قواعدها الأهرامُ والعالم الطَّحْن

المصدر: مقدّمة سرور النّفس: ص 44

22 ـ فصل الخريف

قال في الخريف والأشجار المتعرية عن أوراقها:

(البسيط)

أَبْدَى الخريفُ لنا حُسْنًا وإِحْسَانا

إِذَا بَزَّ مِنْ كِسْوَةِ الأَوْرَاقِ أَغْصَانَا

فَأَصْبَحَتْ كَرَشِيقِ القَدِّ ذِي هَيَفٍ

نَشْوَانَ أَمْلَحَ مَا يَأْتِيكَ عُرْيَانَا

المصدر: سرور النّفس: ص 236، الفقرة 669

نصوص نثرية

1 ـ في جواهر الأحجار

قدم التيفاشي كتابه "**أزهار الأفكار**" بقوله: هذا كتاب غريب عجيب الجمع، عظيم النفع، ضمنته ذكر الأحجار الملوكية التي توجد معظمها في خزائن الملوك وذخائر الرؤساء مما لا يستغنى عن اقتنائه ملك كبير ولا رئيس خطير لما يشتمل عليه من عظيم المنافع وعجايب الخواص. ولم أشرك بها ذكر شيء من الأحجار القديمة المنافع ولا أذكر شيئا من الأحجار الشاذة المتداولة في أيدي العوام العرية من الخواص الجسام والمنافع العظام. ولا أشرك بها ذكر شيء من الأحجار الشاذة الأسماء النادرة الوقوع المتعذّرة الوجود إذ كان ذلك مما لا طائل في ذكره وإنما ينتفع بذكر الحاصل في الوجود، لا الدّاخل في خبر المعدوم المفقود، وترجمته بأزهار الأفكار في جواهر الأحجار.

وجملة عدد الأحجار المثبتة فيه خمسة وعشرون حجرا وهي:

الجوهر، الياقوت، الزمرد، الزبرجد، البلخش، البنفش، البجادي، الماس، عين الهر، البازهر، الفيزوزج، العقيق، الجزع، المغناطيس، السبناذج، الدهنج، اللازورد، المرجان، السبج، الجمشت، الخماهان، اليشم، اليشب، البلور، الطلق.

وسبيلنا أن نتكلم على كل واحد من هذه الأحجار المعدودة بعد الإلمام بشرح لغة ماله لغة منها في لسان العرب من خمسة أوجه: الأول: علّة تكوّنه في معدنه، الثاني: ذكر معدنه الذي تكوّن فيه، والثّالث: ذكر جيّده ورديئه وخالصه ومغشوشه، الرابع: ذكر خواصه ومنافعه، الخامس: ذكر قيمته وثمنه على أغلب الأمور وأوسط وأتم الأحوال.

فيكون هذا الكتاب بذلك زائدا مزيداً على الكتب الموضوعة في هذا الفن من عدّة وجوه إذ الكتب الموضوعة فيه إما أن تذكر فيها علّة تكوّن الأحجار ككتب المعادن، وإما تذكر فيها منافع الأحجار ككتب الخواص، وإما أن تذكر الأمرين معا ولا تتعرّض لذكر علل تكوّنها وقيمتها وأثمانها. فلأجل ذلك كان هذا الكتاب أعمّ فائدة وأجلّ غاية من سائر الكتب الموضوعة في هذا الفنّ والله أعلم بالصّواب. ومع ذلك فمعظم الخواص المذكورة فيه مما جَرّبتُه بنفسي أو وثقت بصحّة النقل فيه عن غيري من المقتدرين فأحلت عليه مسندا قوله إليه، وهذا حين ابتدأ الكتاب والله ولي التّوفيق.

المصدر: أزهار الأفكار: ص 37 ـ 39.

2 ـ الزّوجة الفطنة

المرأة الفطنة الحسنة التبعُّل تُراعي جميع هذه الأحوال وما سواها ممَّا يَتِمُّ به متعة الزوج وتتفقَّدُ من أحوال ظاهرها وباطنها وشاهدها وغائبها ما تأمن معه أن يسبق إلى طَرَف بعلها أو أنفه حالة يذمّها أو يكرهها من أجلها. وترى مع ذلك أنَّ نظرها إنما هو لنفسها، وأنَّ الحظَّ في تَصنُّعِهَا عائد عليها خشية أن يَتَبَيَّنَ لبعلها التقصير منها فتطمح نفسُه إلى غيرها.

وأعظم محافظة الفطنة على أحوال خلوتها وأكثر احتفالها واستعدادها للأوقات التي يعتاد فيها قربه منها، وهي في غالب الأوقات التي ذكرها اللّه تعالى في كتابه ونهى المماليك والولدان عن الدخول عليهم فيها إلا بعد الاستئذان قال اللّه سبحانه وتعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلاَةِ الفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاَةِ العِشَاءِ ثَلاَثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلاَ عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ**".

المصدر: قادمة الجناح: عن تحفة العروس: ص 48 ـ 49.

3 ـ وصيــة أمّ لابنتـها عنـد زواجــهـا

كانت أسامة بنت الحارث الثعلبية عند عوف بن محلم بن زهل بن شيبان، فولدت له أم إياس بنت عوف فتزوّجها الحارث بن عمرو الكندي فلما أرادت أمها إهداءها إليه قالت لها:

"أي بنيّة: إن الوصيّة لو كانت تترك لفضل أدب أو مكرمة حسب لتركت ذلك معك ولكنها تذكرة للعاقل ومنبّهة للغافل.

أي بنية: لو استغنت ابنة عن زوج لغِنَى أبويها لكنتِ أغنى النّاس عنه، ولكنا خلقنا للرِّجال كما خلق الرِّجال لنا.

أي بنية: إنك قد فارقت الوكْرَ الذي منه خرجت، والعُشَّ الذي فيه درجت، إلى وَكْرٍ لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، أصبح بملكه إياك ملكا عليك (ملكا عليك) فكوني له أمة يكن لك عبداً، واحفظي له خلالاً عشراً:

أما الأولى والثانية: فالصُّحبة بالقناعة، والمعاشرة بالسّمع والطّاعة، فإنّ في القناعة راحة القلب وفي المعاشرة بحسن السّمع والطّاعة رضى الربّ.

وأما الثالثة والرابعة: فالتّعهّد لموقع عينه والتّفقّد لموقع أنفه فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشمّ أنفه منك إلا أطيب ريح، واعلمي أن الكحل أحسن الحسن الموجود، وأن الماء أطيب الطيب المفقود.

وأما الخامسة والسّادسة: فالتّعهّد لوقت طعامه، والهُدُوُّ عند منامه، فإنّ حرارة الجوع ملهبة، وتنغيض النوم مغضبة.

وأما السّابعة والثّامنة: فالاحتفاظ ببيته وماله، والرّعاية لحشمه وعياله، فإنّ أصل حفظ المال من حسن التّقدير، والرّعاية على الحشم والعيال من حسن التّدبير.

وأما التّاسعة والعاشرة: فلا تفشينّ له سرّاً ولا تعصينّ له أمراً فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدرَه.

واتّقِي مع ذلك الفرح إذا كان ترحًا، والاكتئاب إذا كان فرحًا، فإن الخصلة الأولى من التّقصير والثّانية من التّكدير، وأشدّ ما تكونين له إعظامًا أشدّ ما يكون لك إكرامًا، وأكثر ما تكونين له موافقة أحسن ما يكون لك مرافقة.

واعلمي أنّك لا تقدرين على ذلك حتى تؤثرين هواه على هواك، ورضاه على رضاك فيما أحببت أو كرهت.

ثم ودّعتْها وصَرَفَتْها.

المصدر : قادمة الجناح: عن تحفة العروس (الطبعة الأولى): ص 66 ـ 67.

محمّد بن الأبّار

(595 ـ 658)

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الرّحمان بن أحمد بن أبي بكر القضاعي البلنسي الشهير بابن الأبّار، ولد ببلنسية ووفد الى تونس في 4 محرم سنة 636 وسنّه حوالي 40 سنة وبقي في افريقية 22 سنة الى وفاته مقتولا بالرّماح في 20 محرم سنة 658 . كان من الشّعراء الملازمين لأبي زكرياء الحفصي والمستنصر باللّه ومن مادحيهما بغرّ القصائد الطّوال. ألّف الكثير من الكتب بافريقية منها ما هو مطبوع:

ـ الحلّة السّيراء في أشعار الأمراء.

ـ إعتاب الكتّاب.

ـ مظاهرة المسعى الجميل ومحاذرة المرعى الوبيل في معارضة ملقى السبيل لأبي العلاء المعري.

ـ درر السّمط في خبر السّبط: نشر بتحقيق عز الدين عمر موسى عن دار الغرب الإسلامي، بيروت 1407.

ومما ألفه في الأندلس وطبع:

ـ تحفة القادم.

ـ تكملة الصّلة في تراجم أهل الأندلس.

1 ـ وصف رياض أبي فهر وقصور راس الطابية

(الطويل)

وَرَوْض نضير جادَه الجُود والنّدى ... فليس يُبالي بعدُ ما صنع العَهْد
نَمتْ صُعُداً في جدّة غُرُفَاتُهُ ... على عُمُد ممّا استجاد لها الجَدُّ
تُخَيَّلْنَ قامات وهُنَّ عقائل ... سوى أنّها لا ناطقَاتٌ ولا مُلْدُ
قُدُودٌ كَسَاهَا ضافِي الحُسْنِ عُرْيُهَا ... وأَمْعَنَ في تَنْعيمها النّحتُ والقَدُّ
تُذَكّرُ جنّات الخُلُود حدائقٌ ... زواهر لا الزُّهراء منها ولا الخُلد[1]
فأسْحَارُهَا تُهْدِي لها الطيبَ مَنْبجٌ[2] ... وآصالُها تهْدِي الصبًا نحوَها نَجْد
أناف علَى شُمّ القُصور فَلَمْ تزَلْ ... تَنَهَّدُ وَجْداً لِلْقُصُور وتَنْهَدُ
رَحيبُ المغَانِي لا يَضيق بِوَفْدِه ... ولَوْ أنّ أهلَ الأرض كلَّهُمُ وفْدُ
تَلاقَى لَدَيْهِ النُّورُ والنُّور فَانْجَلَتْ ... تَفَارِيقَ عن سَاحَاتِه الظلمُ الرُّبْدُ
وحُفَّ بأعْنَابٍ ونَخْلٍ نَوَاعِمٍ ... تكاد فُروعًا بالنّواسم تَنْقَدُّ
منَ البَاسقَات السابقَات بحملها ... إذَا تُعْسِرُ الأَشْجَارُ كان لها وَجْدُ
عليها من القِنوان[3] عِقْدٌ ودمْلجٌ[4] ... وإن لم يكن جيدٌ لديها ولا عضد
فتلك عُرُوشُ الياسمين وزَهْرُهُ ... كزُهرِ النجوم وسطَ أفلاكها تبدُو

(1) الخلد: قصر ببغداد بناه المنصور العباسي على شاطئ دجلة سنة 159 هـ.

(2) منبج: مدينة كبيرة واسعة في الشمال الشرقي من حلب بينهما عشر فراسخ. قيل: إن كسرى بناها وسماها. من به نبغ فيها كثير من الأعلام خلال عصورها الاسلامية.

(3) العناقيد

(4) الدملج: حلي يلبس في المعصم.

وذاك نضيدُ الطلع[5] والطلح قد جلا   محاسنه للأعين اليَنْعُ والنُّضْدُ
ولاح لنا خوخٌ كما خَجِل الخَدُّ   ويانع رمّان كما كعب النُّهدُ
وجَوْزٌ لهُ مُبْيَضٌ لبٌ وإن ضَفَا   علـى متنه جَـوْنٌ من القِشْرِ مُسْوَدٌّ
وعَنْ جَنَى العُنَّابِ غضًا كأنّما   تُلاحِظُ من أفنانه حَدَقٌ رُمدُ
وإلاّ كما أبدت بنانًا مُطَرَّفًا   من السُّندس الموْشيِّ خَمصانَة رُؤْدُ
ولوْ قَنَأَ[6] النارنج أبْصرْتَ أغصُناً   بِهَا مَاؤُها تُبدي جِماراً لها وَقْدُ
وكم لِمَّةٍ للآسِ تقطرُ جَعْدَةٍ   يُؤَمِّنُها مَسٌّ الجفوف ثرًى جعدُ
حَوَالَيْ قِبَابٍ فُجِّرَ الماءُ وسطَهَا   فأَنْحى علَى حَرِّ المَصيفِ لهُ بردُ
ومرٌّ كأَيْمٍ في مَذَانِبِ[7] مرْمَرٍ   يلِجُّ قسيباً[8] مثل ما جَلْجَلَ الرّعد
وخَاضَ حَشَا بحرٍ هنالك طافح   كما قُدَّ بالعَضْب الرّهيف الظُبَى سَرْدُ[9]
تطلّعُ منها كلُّ حسناء جسمُهَا   لُجَيْنٌ ولكنْ مِنْ نُضَارِ لها بُرْد
تناهتْ جمالاً أو جلالاً فأصبحتْ   تندُّ على الأوْصاف إذْ ما لها نِدُّ
جنينا بها الإسعاد من مغرس المنى   وحَفَّ بنا أثْنَاءَهَا الرِّفْهُ والرِّفْدُ
وذاب لنا فيها النُّعيم فلا ترى   سوى دائب[10] هزْلاً وشيمتُهُ الجِدُّ
أفانين شتى والفواكه شُفِّعت   بِأَطْعِمةٍ يَعْيَا بها الشّكر والحمد

---

(5) طلع النخل: أوّل الثمار يخرج كأنه نعلان مطبقان والحمل بينهما منضود... أي ما يبدو من أول الإثمار.

(6) أي اشتد في حمرته.

(7) الأيم: الحية والمذانب ج مذنب: الجدول ومسيل الماء.

(8) الخرير.

(9) الدرع.

(10) الداب:القصير.

طيافُرهـــا مستوسقـات[11] كأنّهــا — وسَائِقٌ تطمو[12] أوْ كراديس تشتد[13]
فبعض ضعيف يحسر الطّرف دونه — وبَعْـضٌ قديـر دُونَـه يَحْصـُر العـدّ
أتـت بجفـانٍ كالجواري تُديرُهـا — علينا طُهَاةٌ دأبها الخفْر والحفد[14]
فمـا يُشْتهـى من لحم طيرٍ كأنّنا — وما ضنمّنا الأبرار تحبُر[15] والخلدُ
علـى مائـداتٍ ضافيـاتٍ غضــارةً — تروحُ بأصناف النَّعيم كما تغدو
وقـد حَمّلوهـا كـلَّ مزدفـر بهـا — يُرَى دارما وهو السُّليك إذا يعدو[16]
وعُجّـِلَ عِجْلٌ سنَّةٌ فارضِ القِرى — حنيذٌ[17] وُعدْناه فما استأخر الوعد
تجلّـى يسـرّ النّاظريـن كأنّمـا — تَجَـلَّـل رَقْـرَاق العَبيـرِ لَـهُ جِلْـدُ
وَرُدّيَ كافـورُ الرّقـاق مصنـدلاً — لِيُونِــقَ ضــدٌّ فيـه قابلَـهُ ضـدّ
فلا وأبينـا مــا أبينـا كضيفـه — تَنَاوُلَـه، بَـلْ سابَـقَ الرّاحـةَ الزّنْدُ

المصدر: الديوان: ص 148 ـ 150

2 ـ أدرك بخيلك

أنشد ابن الأبار هذه القصيدة بين يدي أبي زكرياء الحفصي حينما أوفده ابن مردنيش الى العاصمة الحفصية للاستنجاد بالملك عند حصار بلنسية.

---

(11) منظمات.
(12) أي قافلة من الابل تشتد في السير
(13) جماعة من الخيل
(14) الحفد: الاسراع والخفة في الحركة
(15) أي تسر.
(16) الدارم: المتقارب الخطو، والسليك هو السليك بن السلكة السعدي المشهور بشدة العدو
(17) حنيذ: مشوي ناضج

(البسيط)

أَدْركَ بِخَيْلِكَ خَيْلِ اللَّهِ أندلسَا ... إنَّ السَّبِيلَ إلى مَنْجاتِها دَرَسَا
وَهَب لهَا مِنْ عَزيزِ النَّصْرِ ما التَمَسَتْ ... فَلَمْ يَزَل مِنْك عِزُّ النَّصْرِ مُلْتَمسا
وحاش ممَّا تُعانيه حُشَاشَتُهَا ... فَطَالَمَا ذَاقَتِ البَلْوَى صَبَاحَ مَسَا
يَا لَلْجَزِيرَةِ أَضْحَى أهلُها جَزَرًا ... لِلحَادِثَاتِ وَأَمْسَى جَدُّهَا تَعَسَا
فِي كُلِّ شَارِقَةٍ إِلْمَامُ بَائِقَةٍ ... يَعُودُ مَأْتَمُهَا عِنْدَ العِدَى عُرُسَا
وكلِّ غَارِبَةٍ إِجْحَافُ نَائِبَةٍ ... تَثْنِي الأَمَانَ حِذَارًا وَالسُّرُورَ أَسَى
تَقَاسَمَ الرُّومُ مَا نَالَتْ مَقَاسِمُهُمْ ... إلاَّ عَقَائِلَهَا المَحْجُوبَةَ الأُنُسَا
وَفِي بَلَنْسِيَّةٍ مِنْهَا وقُرْطُبَةٍ ... مَا يَنْسِفُ النَّفْسَ أو مَا يَنْزِفُ النَّفَسَا
مَدَائِنٌ حَلَّهَا الإِشْرَاكُ مُبْتَسِمًا ... جَذْلاَن وَارْتَحَلَ الإِيمَانُ مُبْتَئِسَا
وَصَيَّرتها العَوَادِي العَابِثَاتُ بِهَا ... يَسْتَوْحِشُ الطَّرْفُ مِنْهَا ضِعْفَ مَا أنِسَا
فَمِنْ دَسَاكِرَ كَانَتْ دُونَهَا حَرَسًا ... وَمِنْ كَنَائِسَ كَانَتْ قَبْلَهَا كُنُسَا
يَا لَلْمَسَاجِدِ عَادَتْ لِلْعِدَى بِيَعًا ... ولِلنِّدَاءِ غَدَا أَثْنَاءَهَا جَرَسَا
لَهْفِي عَلَيْهَا إِلَى استرجَاعِ فَائِتِهَا ... مَدَارِسًا لِلْمَثَانِي أَصْبَحَتْ دُرُسَا
وأَرْبعًا نَمْنَمَتْ يُمْنَى الرَّبِيعِ لَهَا ... مَا شِئْتَ مِنَ خِلَعٍ مَوْشِيَّةٍ وَكُسَى
كَانَتْ حَدَائِقَ للأَحْدَاقِ مُؤْنِقَةً ... فَصَوَّحَ النَّضْرُ مِنْ أَدْوَاحِهَا وَعَسَا
وَحَالَ مَا حَوْلَهَا مِنَ مَنْظَرٍ عَجَبٍ ... يَسْتَجْلِسُ الرَّكْبَ أَوْ يَسْتَرْكِبُ الجُلُسَا
سُرْعَانَ مَا عَاثَ جَيْشُ الكُفْرِ وَاحَرَبَا ... عَيْثَ الدَّبى فِي مَغَانِيهَا الَّتِي كَبَسَا
وابْتَزَّ بِزَّتَهَا مِمَّا تَحَيَّفَهَا ... تَحَيُّفَ الأَسَدِ الضَّارِي لِمَا افْتَرَسَا

فَأَيْـنَ عَيْـشٌ جَنَيْنَـاهُ بِهَا خَضِرًا وَأَيْنَ غُصْنٌ جَنَيْنَاهُ بِهَا سَلِسَا
مَحَـا مَحَاسِنَهَـا طَاغٍ أُتِيحَ لَهَا مَا نَامَ عَنْ هَضْمِهَا حِينًا وَلاَ نَعِسَا
وَرَجَّ أَرْجَاءَهَـا لَمَّا أَحَـاطَ بِهَـا فَغَادَرَ الشُّـمَّ مِنْ أَعْلاَمِهَا خُنُسَا
خَـلاَلَهُ الجَـوُّ فَامْتَـدَّتْ يَدَاهُ إِلَى إِدْرَاك مَا لَمْ تَطَأْ رِجْلاَهُ مُخْتَلِسَا
وَأَكْثَـرَ الزَّعْـمَ بِالتَّثْلِيـثِ مُنْفَـرِدًا وَلَوْ رَأَى رَايَـةَ التَّوْحِيـدِ مَـا نَبَسَـا
صِلْ حَبْلَهَا أَيُّهَا المَوْلَى الرَّحِيمُ فَمَا أَبْـقَـى المِرَاسُ لَهَا حَبْلاً وَلاَ مَرَسَا
وَأَحْيِ مَا طَمَسَتْ مِنْهُ العِـدَاةُ كَمَا أَحْيَيْتَ مِنْ دَعْوَةِ المَهْدِيِّ مَا طُـمِسَـا
أَيَّامَ سِرْتَ لِنَصْرِ الحَقِّ مُسْتَبِقًا وَبِتَّ مِنْ نُورِ ذَاكَ الهَدْيِ مُقْتَبِسَا
وَقُمْتَ فِيهَا بِأَمْرِ اللَّهِ مُنْتَصِرًا كَالصَّارِمِ اهْتَزَّ أَوْ كَالعَارِضِ انْبَجَسَا
تَمْحُو الَّذِي كَتَبَ التَّجْسِيمُ مِنْ ظُلَمٍ وَالصُّبْحُ مَاحِيَةٌ أَنْوَارُهُ الغَلَسَا
وَتَقْتَضِي المَلِكَ الجَبَّارَ مُهْجَتَهُ يَوْمَ الوَغَى جَهْرَةً لاَ تَرْقُبُ الخلسَا
هَذِي رَسَائِلُهَا تَدْعُوك مِنْ كَثَبٍ وَأَنْتَ أَفْضَلُ مَرْجُوٍّ لِمَنْ يَئِسَا
وافَتْكَ جَارِيَةً بِالنُّجْحِ رَاجِيَةً مِنْكَ الأَمِيرِ الرِّضَى وَالسَّيِّدِ النَّدِسَا
خَاضَتْ خُضَارَةَ يُعْلِيهَا وَيُخْفِضُهَا عُبَابُهُ فَتُعَانِي اللِّينَ وَالشَّرَسَا
وَرُبَّمَـا سَبَحَـتْ وَالرِّيـحُ عَاتِيَـةٌ كَمَا طَلَبت بِأَقْصَى شَدِّهِ الفَرَسَا
تَؤُمُّ يَحْيَـى بْنَ عَبْدِ الوَاحِدِ بْنِ أَبِي حَفْص مقبلَةً مِنْ تُربِهِ القُدُسَا
مَلْـكٌ تَقَلَّـدَتْ الأَمْـلاَكُ طَاعَتَـهُ دِينًا ودُنْيَا فَغَشَّاهَا الرِّضَى لبِساً
مِـنْ كُـلِّ غَـادٍ عَلَـى يُمْنَاهُ مُسْتَلِمًا وَكُلِّ صَادٍ الَى نُعْمَاهُ مُلْتَمِسَا
مُـؤَيَّـدٌ لَـوْ رَمَـى نَجْـمًـا لَأَثْبَتَـهُ وَلَوْ دَعَا أُفُقًا لَبَّى وَمَا احْتَبَسَا
تَاللَّـهِ إِنَّ الَّذِي تُرْجَـى السعُـودُ لَـهُ مَا جَالَ فِي خَـلَـدٍ يَوْمًا وَلاَ هَجَسَا

إِمَارَةٌ يَحْمِلُ المِقْدَارُ رَايَتَهَا وَدَوْلَةٌ عِزُّهَا يَسْتَصْحِبُ القَعسَا
يُبْدِي النَّهَارُ بِهَا مِنْ ضَوْئِهِ شَنَبًا وَيُطْلِعُ اللَّيْلُ مِنْ ظَلْمَائِهِ لَعَسَا
مَاضِي العَزِيمَةِ وَالأَيَّامُ قَدْ نَكَلَتْ طَلْقُ الْمُحَيَّا وَوَجْهُ الدَّهْرِ قَدْ عَبَسَا
كَأَنَّهُ البَدْرُ وَالعَلْيَاءُ هَالَتُهُ تَحُفُّ مِنْ حَوْلِهِ شُهْبُ القَنَا حَرَسَا
تَدْبِيرُهُ وَسِعَ الدُّنْيَا وَمَا وَسِعَتْ وَعَرْفُ مَعْرُوفِهِ وَاسَى الوَرَى وَأَسَا
قَامَتْ عَلَى العَدْلِ وَالإِحْسَانِ دَعْوَتُهُ وَأَنْشَرَتْ مِنْ وُجُودِ الجُودِ مَا رُمِسَا
مُبَارَكٌ هَدْيُهُ بَادٍ سَكِينَتُهُ مَا قَامَ إِلاَّ الَى حُسْنَى وَلاَ جَلَسَا
قَدْ نَوَّرَ اللَّهُ بِالتَّقْوَى بَصِيرَتَهُ فَمَا يُبَالِي طُرُوقَ الخَطْبِ مُلْتَبِسَا
بَرَى العُصَاةَ وَرَاشَ الطَّائِعِينَ فَقُلْ فِي اللَّيْثِ مُفْتَرِسًا وَالغَيْثِ مُرْتَجِسَا
وَلَمْ يُغَادِرْ عَلَى سَهْلٍ وَلاَ جَبَلٍ حَيًّا لَقَاحًا إِذَا وَفَّيْتَهُ بَخَسَا
فَرُبَّ أَصْيَدَ لاَ تُلْفِي بِهِ صَيَدًا وَرُبَّ أَشْوَسَ لاَ تُلْقَى لَهُ شَوَسَا
إِلَى المَلاَئِكِ يُنْمَى وَالمُلُوكِ مَعًا فِي نَبْعَةٍ أَثْمَرَتْ لِلْمَجْدِ مَا غَرَسَا
مِنْ سَاطِعِ النُّورِ صَاغَ اللَّهُ جَوْهَرَهُ وَصَانَ صِيغَتَهُ أَنْ تَقْرُبَ الدَّنَسَا
لَهُ الثَّرَى وَالثُّرَيَّا خُطَّتَانِ فَلاَ أَعَزَّ مِنْ خُطَّتَيْهِ مَا سَمَا وَرَسَا
حَسْبُ الَّذِي بَاعَ فِي الأَخْطَارِ يَرْكَبُهَا إِلَيْهِ مَحْيَاهُ أَنَّ البَيْعَ مَا وَكِسَا
إِنَّ السَّعِيدَ امْرُؤٌ أَلْقَى بِحَضْرَتِهِ عَصَاهُ مُحْتَزِمًا بِالعَدْلِ مُحْتَرِسًا
فَظَلَّ يُوطِنُ مِنْ أَرْجَائِهَا حَرَمًا وَبَاتَ يُوقِدُ مِنْ أَضْوَائِهَا قَبَسَا
بُشْرَى لِعَبْدٍ إِلَى البَابِ الكَرِيمِ حدَا آمَالَهُ وَمِنَ العَذْبِ المَعِينِ حَسَا
كَأَنَّمَا يَمْتَطِي وَاليُمْنُ يَصْحَبُهُ مِنَ البِحَارِ طَرِيقًا نَحْوَهُ يَبِسَا
فَاسْتَقْبِلِ السَّعْدَ وَضَّاحًا أَسِرَّتُهُ مِنْ صَفْحَةٍ غَاضَ مِنْهَا النُّورُ فَانْعَكَسَا

وَقَبِّـلَ الجُـودَ طَفَّاحًـا غَوَارِبُـهُ ... مِنْ رَاحَةٍ غَاصَ فيهَا البَحْرُ فَانْغَمَسَا
يَـا أَيُّهَا المَلِكُ المَنْصُورُ أَنْتَ لَهَا ... عَلْيَاءُ تُوسِعُ أَعْدَاءَ الهُدَى تَعَسَا
وَقَدْ تَوَاتَـرَت الأَنْبَـاءُ أَنَّـكَ مَـنْ ... يُحْيِي بِقَتْلِ مُلُوكِ الصُّفْرِ أَنْدَلُسَا
طَـهِّرْ بِـلاَدَكَ مِنْهُـم إِنَّهُـمْ نَجَـسٌ ... وَلاَ طَهَارَةَ مَا لَمْ تَغْسِلِ النَّجِسَا
وَأَوْطِـئِ الفَيْلَـقَ الجَـرَّارَ أَرْضَهُـمُ ... حَتَّى يُطَأْطِئَ رَأْسًا كُلُّ مَنْ رَأَسَا
وَانْصُـرْ عَبِيدًا بِأَقْصَى شَرْقِهَا شَرِقَتْ ... عُيُونُهُم أَدْمُعًا تَهْمِي زَكًا وخَسَا
هُمْ شِيعَةُ الأَمْرِ وَهْيَ الدَّارُ قَدْ نُـهِكَتْ ... دَاءً وَمَا لَمْ تُبَاشِرْ حَسْمَهُ انْتَكَسَا
فاملأ هنيئًا لك التمكينُ ساحتهَا ... جُـرْدًا سلاهـبَ أو خطيّـةً دُعُسَـا
واضربْ لها موعدًا بالفتح ترقبهُ ... لعلّ يوم الأعادي قد أتى وعسَى

المصدر: الديوان: ص 395 ـ 400

3 ـ طنّب قبابك هذا العزّ والشـرف

قال يمدح أبا زكرياء الحفصي ويصف بستان أبي فهر:

(البسيط)

طَنِّبْ قِبَابَكَ هَذَا العِزُّ وَالشَّرَفُ ... وَاصْحَبْ شَبَابَكَ لاَ شَيْبٌ وَلاَ خَرَفُ
رَيْعَانُ مُلْكٍ لِرَيْعَانِ الحَيَاةِ بِهِ ... إِقَامَةٌ وَلِمَاضِي العُمْرِ مُنْصَرَفُ
وَطِيبُ عَصْرٍ، جَنَاهُ الغَضُّ مُهْتَصَرًا ... كَمَا حَلاَ مِنْ ثُغُورِ الحُورِ مُرْتَشَفُ
رَقَّتْ وَرَاقَتْ حَوَاشِيهِ وَغُرَّتُهُ ... فَـلَـيْلُـهُ بِالصَّبَاحِ الطَّلْقِ مُلْتَحِفُ
أَمَا تَرَى دَوْلَةَ الإِقْبَالِ مُقْبِلَةً ... خِصْبٌ، وَلاَ عَجَبٌ، عَدْلٌ، وَلاَ جَنَفُ

وَحَضْرَةُ السَّعْدِ فِي أَبْهَى مَنَاظِرِهَا   رَاحَتْ بِخِدْمَتِهَا الأَقْدَارُ تَزْدَلِفُ
تُزْهَى بِمَا أَخَذَتْ مِنْ زِينَةٍ صَلَفًا   وَمَا لِرَاعِدَةٍ فِي جَوِّهَا صَلَفُ
كَأَنَّ يَحْيَى الرِّضَى آلَتْ إِيَالَتُهُ   أَنْ يَشْمَلَ الخَلْقَ مِنْهَا الرِّفْقُ وَاللُّطْفُ
مَلْكُ المُلُوكِ الَّذِي دَانَتْ بِطَاعَتِهِ   زُلْفَى تَقَاصَرَ عَنْ إِدْرَاكِهَا الزُّلَفُ
وَاسْتَشْرَفَتْ طُمَّحًا مِنْ لَثْمِ رَاحَتِهِ   إِلَى أَمَانِيَّ فِيهَا المَجْدُ وَالشَّرَفُ
مُقِــرَّةٌ بِمَعَــالِيــهِ الَّتِـي بَهَـرَتْ   وَالحَقُّ أَبْلَجُ لِلْأَلْبَابِ مُنْكَشِفُ
إِمَــامُ دِيــنٍ وَدُنْيَــا قَــامَ دُونَهُمَــا   والأرض تُنْقَصُ والأَطْـوَادُ تُـنتسفُ
وَشَــدَّ أَزْرَهُــمَــا طَلْــقًــا أَســرَّتُــهُ   وَالنَّاسُ قَدْ وَهَنُوا طُرًّا وَقَدْ ضَعُفُوا
فِي عَسْكَرٍ لَجِبٍ مِنْ مَعْشَرٍ نُجُبٍ   قَامَاتُهُمْ كَعَوَالِيهِمْ بِهَا قَضَفُ[1]
لاَ يَسْلُفُونَ[2] سِوَى مَجْدٍ إِلَى كَرَمٍ   صِيدًا كِرَامًا أَبُو حَفْصٍ لَهُمْ سَلَفُ
عِصَابَةٌ تَطْلَعُ الأَقْمَارُ إِنْ طَلَعُوا   وَتَدْلِفُ الضَّارِيَاتُ الغُلْبُ إِنْ دَلَفُوا
تَـدَارَكَ الأَمْـرُ مِنْـهُ وَالأُمُورُ سُدًى   جَذْلاَنُ يَبْسَمُ وَالأَرْوَاحُ تُخْتَطَفُ
بِمَظْهَــرِ العَالَــمِ العَلْــوِيِّ مُتَّصِلٌ   وَبِاتِّبَاعِ هُــدَى المَهْدِيِّ[3] مُتَّصِـفُ
لِلْحَقِّ مُمْتَعِضٌ فِي اللهِ مُرْتَمِضٌ   بِاللَّــهِ مُنْتَصِــرٌ لِلَّــهِ مُنْصَــــرِفُ
وَجْـهُ الحَنِيفِيَّـةِ البَيْضَـاءِ مُؤْتَلِـقٌ   بِـهِ وَشَمْلُ النَّدَى وَالبَأْسِ مُؤْتَلِفُ
مَا بَيْنَ سِيرَتِهِ الحُسْنَى وَسَوْرَتِهِ   يُرْجَى وَيُخْشَى التَّلاَفِي المَحْضُ وَالتَّلَفُ
مُبَــارَكٌ عَصْــرُهُ المَيْمُــونُ مُعْتَــدِلٌ   وَعَنْ سِوَى العَدْلِ وَالإِحْسَانِ مُنْحَرِفُ

(1) القضف: النحافة والدقة.
(2) سلف يسلف: يطلب
(3) يقصد المهدي بن تومرت

مِنْ جَأْشِهِ يَسْتَمِدُّ الجَيْشُ مُحْتَفِلاً ... ثَبَاتَــهُ وَمُتُونُ السُّمرِ تَنْقَصِفُ
وَعَنْ سَعَادَتِهِ تَمْضِي السُّيُوفُ إِذَا ... كَلَّتْ وَتُدْرِكُ شَأْوَ السَّابِقِ العُطُفُ[4]
يُمْـنُ النَّقِيبَـةِ فِـي أُولَـى مَنَاقِبِهِ ... يَرْمِي فَيُصْمِي وَغَايَاتُ المُنَى هَدَفُ
حَتَّـى الرِّيَـاحُ إِذَا هَبَّـتْ بِأَسْعُـدِهِ ... هَبَّتْ سَوَاجِيَ لاَ هُوجٌ وَلاَ عُصُفُ
مُحَـمِّـلاً وَقْـدَهَـا مِنْ عُرْفِهِ بَـرَدًا ... مَـا لاَ تَـزَالُ بِـهِ الآصَـالُ تَعْتَـرِفُ
قَدْ شَـادَ سُلْطَانُهُ مَا شَاءَ مُخْتَرِعًا ... وَالـدَّهْـرُ ثَـاوٍ عَلَـى الإِسْعَـادِ مُعْتَكِفُ
مَصَانِعًـا ضَـلَّتْ الأَمْـلاَكُ صَنْعَتَـهَا ... لاَ القَصْدُ وَافٍ بِهَا وَصْفًا وَلاَ السَّرَفُ
وَضَّاحَةً حَـلَّـتِ الأَنْـوَارُ سَـاحَتَهَـا ... فَأَوْضَعَتْ رِحْلَـةً عَنْ أُفْقِهَا السُّدُفُ
كَـأَنَّ رَأْدَ الضُّـحَى مِمَّـا يُغَازِلُهَـا ... عَنِ الغَزَالَةِ هَيْمَـانٌ بِهَـا كَلِـفُ
تَجَمَّعَتْ وَهْـيَ أَشْتَـاتٌ مَحَاسِنُهَا ... هَذَا الغَدِيرُ وَهَذِي الرَّوْضَةُ الأُنُفُ
حَيْثُ القُصُورُ عَلَيْهَا الحُسْنُ مُقْتَصِر ... فَوْقَ البُحَيْرَةِ مِنْهَا البَحْرُ مُغْتَرِفُ
وَحَيْثُ حَفَّتْ سُقَاةُ المُزْنِ أَكْؤُسَهَا ... لِلطيرِ تَشْدُو وَلِلْأَغْصَانِ تَنْعَطِفُ
وَالزَّهْـرُ مُنْشَقَّــةٌ عَنْــهُ كَمَائِمُــهُ ... كَالْجَوْهَرِ انْشَقَّ عَنْ شَفَّافِهِ الصدَفُ
يُضَاحِكُ النُّورَ فِيهَا النَّوْرُ عَنْ كَثَبٍ ... مَهْمَا بَكَتْ لِلغَوَادِي أَعْيُنٌ ذُرُفُ
خُضْــرٌ خَمَائِلُـهَـا زُرْقٌ جَدَاوِلُهَـا ... فَالحُسْنُ مُؤْتَلِفٌ فِيهَا وَمُخْتَلِفُ
دَوْحٌ وَظِـلٌّ يَلَــذُّ العَيْشُ بَيْنَهُمَا ... هَذَا يَرِفُّ كَمَا تَهْوَى وَذَا يَرِفُ
يَجْرِي النَّسِيمُ عَلَى أَرْجَائِهَا دَنِفًا ... وَمِلْؤُهُ أَرَجٌ يُشْفَى بِهِ الدَّنِفُ
حَاكَ الرَّبِيعُ لَهَا مِنْ صَوْبِهِ حِـبَرًا ... كَأَنَّهَا الحُلَلُ الأَفْـوَافُ وَالصُّحُفُ

4) العطف: ج عاطف، السادس من خيل السباق

غَرِيرَةٌ مِنْ بَنَاتِ الرَّوْضِ نَاعِمَةٌ ... يَثْنِي مَعَاطِفَهَا فِي السُّنْدُسِ التَّرَفُ

صَافَ الجَنَى الغَضُّ فِي أَدْوَاحِهَا وَشَتَا ... فَتَجْتَنِي اليَدُ مَا شَاءَتْ وَتَقْتَطِفُ

بِكْرُ الحَدَائِقِ وَالأَحْدَاقُ شَاهِدَةٌ ... لاَ عَانِسٌ جَهْمَةُ المَرْأَى وَلَا نَصَفُ[5]

تَنْدَى أَصَائِلُهَا صُفْرًا غَلاَئِلُهَا ... كَأَنَّ مَاءَ نُضَارٍ فَوْقَهَا يَكِفُ

فِي حَبْرَةٍ وَأَمَانٍ مَنْ تَبَوَّأَهَا ... كَجَنَّةِ الخُلْدِ لاَ رَوْعٌ وَلاَ أَسَفُ

تَظَلُّ مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ جَارِيَةً ... يَرُوقُ مُنْعَرَجٌ مِنْهَا وَمُنْعَطَفُ

أَضْحَتْ إِلَى غُرَفِ الرِّضْوَانِ دَاعِيَةً ... تِلْكَ المَحَارِيبُ وَالأَبْيَاتُ وَالغُرَفُ

تُلْهِيكَ عَنْ زُخْرُفِ الدُّنْيَا زَخَارِفُهَا ... وَعَنْ أَغَانِي الغَوَانِي وُرقها الهُتُفُ

يَا حَبَّذَا المَجْلِسُ الوَضَّاحُ مَبْسَمُهُ ... كَأَنَّهُ عَلَمٌ يَسْمُو بِهِ شَغَفُ

يَجُولُ مَاجِلُه كَالطِّرْفِ[6] مِنْ فَلَقٍ[7] ... فَمَا لَهُ وَسْطُهُ سَاجٍ وَلاَ طَرِفُ[8]

يَرْتَاحُ لِلرِّيحِ أَعْطَافًا إِذَا نَسَمَتْ ... كَأَنَّهُ مُسْتَهَامٌ قَلْبُهُ يَجِفُ

مِلْءَ الفَضَاءِ طَمُوحُ المَوْجِ مُزْبِدُهُ ... يَعُبُّ مُنْفَرِدٌ مِنْهُ وَمُرْتَدِفُ

يَمُدُّهُ لِلْفُرَاتِ العَذْبِ مُطَّرِدٌ ... خُضْرُ البِحَارِ إِذَا قِيسَتْ بِهِ نُطَفُ

كَأَنَّ أَمْوَاجَهُ الأَبْطَالُ دَارِعَةٌ ... كَرَّتْ تُلاَقِي وَلاَ بِيضٌ وَلاَ جَحَفُ[9]

وَحَبَّذَا القُبَّةُ العَلْيَاءُ شَامِخَةً ... بِأَنْفِهَا يَزْدَهِيهَا العِزُّ وَالأَنَفُ

حَفَّتْ بِحَافَتِهَا الأَشْجَارُ تَكْلَؤُهَا ... كَمَا تَقُومُ عَلَى سَادَاتِهَا الوُصُفُ

---

5) النصف: المرأة المتوسّطة العمر.

6) الطرف: العتيق من الخيل

7) الفلق: المطمئنة من الأرض

8) طرف: متحرّك

9) الجحف: الموت والقتال

كَـأَنَّ مِنْ وَشْـيِ صَنْعَـاءَ بِهَـا شِيَـةٌ ... فَلِلْعُيُونِ بِصُنْعٍ زَانَهَا شَغَفُ

قَعِيـدَةٌ لِلْعُلَـى قَامَـتْ عَلَى عَمَـدٍ ... مَصْفُوفَةٍ حُسْنُهَا يُزْرِي بِمَنْ يَصِفُ

كَأَنَّهُـنَّ العَـذَارَى الغِيـدُ نَاصِيَـةٌ ... شُفُوفُهَا عَنْ قُدُودٍ كُلُّهَا هَيَفُ

مَطَالِـعُ لِلنُّجُـومِ السَّعْـدِ يَكْنُفُهَا ... قَصْرُ الإِمَارَةِ نِعْمَ القَصْرُ وَالكَنَفُ

لَوْ تَهْتَدِي الشَّمْسُ أَنْ تَخْتَارَهَا فَلَكًا ... لِسَيْرِهَا لَمْ تَكُنْ تَخْفَى وَتَنْكَشِفُ

مَـا خُلْـدُ بَغْـدَادَ أَوْ زَهْرَاءُ أَنْدَلُسٍ ... وَالمُلْـكُ مُقْتَبِـلٌ فِيهَـا وَمُؤْتَـنِـفُ

وَأَيْنَ إِيوَانُ كِسْرَى مِنْ سَرَارَتِهَا ... وَكَالأَكَالِيلِ فِي هَامَاتِهِ الشُّرَفُ

تَحَدَّثُوا بُرْهَةً عَنْهَا وَلَوْ عَرَفُوا ... مَبَانِيَ المُرْتَضَى يَحْيَى لَمَا هَرَفُوا

وَهَـذِهِ خَلَفَتْ تِلْكَ الَّتِـي سَلَفَـتْ ... وَلَيْسَ مِنْهَا وَلاَ مِنْ حُسْنِهَا خَلَفُ

بُشْرَايَ فُزْتُ بِهَا أُمْنِيَةً أَمَمًا[10] ... لَمَّـا حَدَتْنِـي إِلَيْهَـا نِيَّـةٌ قُذُفُ

أَوَتْنِيَ الحَضْرَةُ العُظْمَى وَقَدْ كَلِفَتْ ... بِيَ الخُطُـوبُ وَأَدَتْنِـي لَهَـا كُلَـفُ

وَأَوْسَعَتْـنِـيَ تَشْرِيفًـا بِخِدْمَتِهَـا ... فَخَيْـرُهَا مُتْلَـدٌ عِنْـدِي وَمُطَّرَفُ

حَسْبِي مِنَ الفَخْرِ أَنِّي عِنْدَهَا، وَكَفَى ... بِمُثْبِتٍ لِيَ حِينًا لَيْسَ يَنْحَذِفُ

لِي عَائِدٌ مِنْ عَطَايَاهَا وَلِي صِلَـةٌ ... سَحَّتْ سَحَابًا فَلاَ مَحْلٌ وَلاَ شَظَفُ

فَرَوْضَةُ الأَمْنِ فِي أَفْنَانِهَا غَضَفٌ ... وَدِيمَةُ المَنِّ فِي أَثْنَائِهَا وَطَفُ

مَكَارِمٌ عَاقَنِي عَنْ حَصْرِهَا حَصَرٌ ... وَاقْتَادَنِي لَهَجٌ وَاعْتَادَنِي لَهَفُ

جَلَّتْ وَدَقَّ بَيَانٌ أَنْ يُعَدِّدَهَا ... وَالبَحْرُ لَيْسَ مِنَ الأَوْشَالِ يُنْتَزَفُ

أَيْنَ الإِجَادَةُ إِلاَّ أَنْ يُجَادَ بِهَا ... مِنْ مُعْجِمَاتٍ قَوَافٍ دُونَهَا تَـقِـفُ

المصدر: الديوان: ص 373ـ 378.

---

10) أمم: قريب

4 ـ رثاء يحيى بن أبي زكرياء

(الكامل)

بِبنِـي ثَلاَثًــا سَــلْــوَةَ الأيَّـامِ أوْدَى الحِمَــامُ بِنَاصِـرِ الإسْـلاَمِ
وَدَعَــا دعَامَتَــهُ إلَــى تَعْوِيضِهَا تَأسِيسُــهُ بِالتُّــرْبِ دَارَ مُقَـامِ
وَدَهَى الوَرَى مِنْ ثُكْلِ هَادِيهِمِ بِمَا أعْيَــا عَلَــى الأفْهَـامِ وَالأوْهَـامِ
هَذِي الشُّجُونُ الجُونُ قَدْ أخَذَتْ عَلَى وَفْـدِ العَــزَاءِ مَطَالِــعَ الإلْمَـامِ
وَتَقَاضَــتِ الأجْفَــانَ حُمْرُ دُمُوعِهَا فَمِنَ القُلُوبِ عَلَى الخُدُودِ دَوَامِ
مَـا رَاعَهُـمْ إلاَّ نَعِـيَّ وُجُودِهِ فِــي حَيْـثُ لاَ أمْـنٌ مِنَ الاعْدَامِ
فَلَــوِ الْتَفَــتَّ لَقُلْـتَ: شُــرْبُ مُدَامِ وَلَوْ اسْتَمَعْتَ لَقُلْتَ: سِــرْبُ حَمَـامِ
أنْــوَارُهُ هَامُــوا لَهَــا فَذَكَـرْتُ مَا نَسِيَتْ "نَـوَار مِــنْ هَوًى وَهُيَـامِ[1]
تَاللَّــهِ لَــوْ قَتَلُــوا عَلَيْــهِ نُفُوسَهُمْ أسَفًــا لَمَــا وَفَّــوْا قَضَــاءَ ذِمَـامِ
خَطْبُ الخُطُوبِ أبَاحَ مُحْتَكمًا حِمَى مَلِـكِ المُلُـوكِ فَطَاحَ دُونَ مُحَامِ
أنَّى وَمِنْ أيْنَ اسْتَدَارَ لَهُ الرَّدَى وَالجَيْشُ مِلْءُ عَمَائِرٍ وَمَوَامِ[2]
فِيهِ الكُمَاةُ إذَا هُمُ اعْتَقَلُوا القَنَا وَافَــوْكَ بِالآسَــادِ وَالآجَــامِ
أصْمَاهُ رَامٍ كَمْ ثَنَى عَنْهُ العِدَى صَرْعَى يُنَاضِلُ دُونَهُ وَيُرَامِي
نُورُ الوُجُودِ أُتِيحَ مِنْ إطْفَائِهِ مَا ألْبَسَ الدُّنْيَا مُسُوحَ ظَلاَمِ
سَيْفُ الهُدَى أوْدَى بِهِ سَيْفُ الرَّدَى قَدْ يَفْتِكُ الصَّمْصَامُ بِالصَّمْصَامِ
مَا لِلنُّجُومِ طَوَالِعًا؟ مَا لِلْجِبَا لِ رَوَاسِيًا؟ مَا لِلْبِحَارِ طَوَامِي؟

---

(1) نوار: زوج الفرزدق

(2) موام: ج موماة وهي الصحراء

لِمْ لَمْ تَغُرْ لِمْ لَمْ تَزُلْ لِمْ لَمْ تَغُضْ مِنْ شِــدَّةِ الحَسَــرَاتِ وَالآلاَمِ؟

فِي بُونَة بَانَتْ حَيَاةُ المُرْتَضَى يحيى وَقِيـدَ إِلَـى الثَّرَى بِزِمَــام

وَهُنَاكَ خُطَّ ضَرِيحُه سَقْيًا لَهُ هَلاًّ[3] بِأَفْئِـدَةٍ عَلَيْــهِ حِيَــام

لَمَّا ثَوَى دَارَ السَّلاَمِ تَرَحَّلَتْ عَنَّا مَحَاسِــنُ دَهْرِنَــا بِسَــلاَم

لاَ طِيبَ فِي الأَسْحَارِ وَالآصَالِ مُذْ طَابَ الثَّــرَى مِنْــهُ بِخَيْــرِ إِمَام

عَطِلَتْ ظُهُورُ الأَرْضِ مِنْ تِلْكَ الحُلَى إِذْ حُلِّيَــتْ مِنْهَا بُطُــونُ رِجَــام

كَانَ الزَّمَانُ يَضِيقُ عَنْهُ جَلاَلَةً فَــإِذَا بِــهِ فِــي تُرْبَــةٍ وَسَلاَم

سَلْ عَنْ ظُبَاهُ مشَارِقًا وَمَغَارِبًا تُنْبِئْــكَ عَــنْ إِغْمَادِهَا فِي الْهَام

وَانْظُــرْ إِلَيْــهِ مُسَالِمًــا وَمُحَارِبًا تَجِــدِ الهِدَايَةَ أُسْوَةَ الإِلْهَــام

غَلَبَتْهُ صَادِمَــةُ المَنُــونِ وَطَالَمَا هَابَتْهُ أَغْلَــبَ مَاضِــيَ الإِقْدَام

وَانْجَابَتِ الحَرَكَــاتُ عَنْ إِسْكَانِــهِ مَا بَيْــنَ أَجْــدَاثٍ وَبَيْنَ رِمَــام

وَاهًا وَآهًــا لَــوْ شَفَى تَرْدَادُهَا مِــنْ زَفْــرَةٍ مَشْبُوبَــةٍ كَضِرَام

أَتْهِمْ وَأَنْجِدْ يَا نَجِيــبُ فَقَدْ قَضَى نَحْبًا أَخُــو الإِنْجَـادِ وَالإِتْــهَـام

كَيْفَ احْتِسَابِي مَــا أَلَــمَّ وَإِنَّمَــا حَسَنَــاتُ صَبْــرٍ فِيــهِ كَالآثَــام

لاَ تَحْسَبُونِي صَاحِيًــا مِنْ خَمْرَةٍ لِلْحُــزْنِ فِيهَــا العَالَمُــونَ نَدَامِي

أَمِــنَ الوَفَــاءِ وَفَاتُــهُ وَحَيَاتُنَا أُفٍّ لِكُــفَّــارٍ يَــدَ الإِنْعَــام

سَوْأَى مِنْ الأَحْدَاثِ وَافَتْ بَعْدَهَا حُسْنَــى لَهَا فِي اللهِ حُسْنُ مُقَام

لَمَّا انْتَأَى مَــلأَ الهُدَى أَثْنَاءَهَا فَكَفَى عَظَائِمَهَا اكْتِفَاءِ عِظَام

يَــا فَوْزَهُــمْ بِخِلاَفَــةٍ تَعْنُو لَهَا خُلَفَــاءُ بَــيْــتَــيْ هَاشِــمٍ وَهِشَام

(3) هلاًّ: هلّ السحاب هلا أي: أمطر بشدّة.

وَتَدُومُ فِي الأَعْقَابِ لَيْسَ لِحُكْمِهَا ... نَسْخٌ مَـدَى الأَحْقَـابِ وَالأَعْوَامِ

أَرْضَـوْا إِمَامَهُمُ فَأَمْضوا عَهْدَهُ ... وَوَفَوْا لِأَنْـفِ البَغْـيِ بِالإِرْغَامِ

قَسَمًـا بِـهِ لَـوْلاَ إِمَـارَةُ نَجْلِهِ ... لَغَدَا الهُدَى نَثْرًا بِغَيْرِ نِظَامِ

أَتَـاهُ كُوشِـفَ بِالَّذِي هُـوَ كَائِـنٌ ... فَـاعْتَامَـهُ(4) مَـنْ جَـوْهَـرٍ مُـعْتَـامِ

وَأَقَامَـهُ لِلنَّـاسِ يَجْمَعُهُـمْ عَلَى ... سُلْطَانِهِ وَرَآهُ خَيْرَ قِوَامِ

دَهَمَتْهُمُ دُهْمُ الخُطُوبِ فَشَدَّ مَا ... جَلَّـى دُجَاهَـا مِنْـهُ بَـدْرُ تَمَامِ

لَمَّا ارْتَضَاهُ نَضَاهُ عَضْبًا حَاسِمًا ... غُـدَرَ العِـدَى مِـنْ رَأْيِهِ بِحُسَامِ

أَوْلَـى ذِمَـامٍ بِالرِّعَايَـةِ عِنْـدَهُ ... مَا لَمْ يُجَـاوِزْهُ، سُـؤَالُ مُضَامِ

لِلَّهِ زَحْـفُ خَمِيسِـهِ بِزَعِيمِـهِ ... تَحْـتَ اللِّـوَاءِ لِعُبَّـدِ الأَصْنَـامِ

مِـنْ كُلِّ مُورِدٍ رُمْحَهُ أَدْرَاعَهُمْ ... فَتَـرَى بِـهِ أَلِفًـا مُخَالِـطَ لاَمِ

رَجَفَـتْ بِلاَدُهُـمُ لِبَيْعَتِـهِ الَّتِي ... مَرَّتْ بِهَـا الأَرْوَاحُ فِي الأَجْسَامِ

وَعَـنِ القُلُـوبِ تَفَقَّأَتْ أَضْلاَعُهُمْ ... فَكَأَنَّهَا الأَزْهَـارُ دُونَ كِمَـامِ

لِمُحَمَّدٍ وُعِـدَتْ رَعَايَـا أَحْمَـدٍ ... أَلاَّ تَـزَالَ زَوَاهِـرَ الأَيَّـامِ

وَكَأَنَّ بِشْـرًا سَاطِعًـا إِشْرَاقُـهُ ... فِي وَجْهِهَـا مِنْ وَجْهِـهِ البَسَّامِ

مَلِـكٌ نَمَتْـهُ فِـي المُلُـوكِ عِصَابَةٌ ... هِـيَ مَفْخَـرُ الأَسْيَـافِ وَالأَقْلاَمِ

بُشْـرَى الأَنَـامِ بِدَوْلَـةٍ حَفْصِيَّةٍ ... مَنْصُـورَةِ الرَّايَـاتِ وَالأَعْـلاَمِ

أَبَـدًا تُوَافِـي مِنْهُـمُ بِأَئِمَّـةٍ ... زُهْـرِ المَنَاقِـبِ رُجَّـحِ الأَحْلاَمِ

فِـي يَوْمِهِمْ أَحْيَـوْا خَلِيفَةَ أَمْسِهِمْ ... شَبَهًا بِهِ فِـي النَّقْضِ وَالإِبْـرَامِ

(4) اعتامه: اختاره

تِلْكَ الشَّمَائِلُ كَالشَّمَائِلِ[5] قَدْ سَمَتْ بِأَبِـي غَمَـامٌ مُقْلِـعٌ بِغَمَـامِ
يَا خَجْلَتِـي لِلفِكْرِ أَقْعَدَهُ الأَسَى عَـنْ نَهْضَـةٍ بِحُقُوقِهَـا وَقِيَـام
كُنْتُ المُطِيـلَ مُهَنِّئًـا وَمُعَزِّيًـا لَكِـنْ كَفَانِيهَـا أَبُـو تَمَّـامِ[6]
«تِلْـكَ الرَّزِيَّـةُ لاَ رَزِيَّةَ مِثْلُهَـا وَالقِسْـمُ لَيْـسَ كَسَائِرِ الأَقْسَامِ»

المصدر: الديوان: ص 262 ـ 265

5 ـ بستان أبي زكرياء الحفصي

قال يصف حدائق أبي فهر:

(الكامل)

زَارَ الحَيَـا بِمَـزَارِهِ البُسْتَانَـا وَأَثَـارَ مِـنْ أَزْهَـارِهِ أَلْوَانَا
فَغَـدَا بِـهِ وَبِصِنْوِهِ يَخْتَـالُ فِي حُلَـلِ النَّضَـارَةِ مُونِقًا رَيَّانَا
وَيَمِيـسُ أَفْنَانًـا فَتُبْصِـرُ خُرَّدًا تَثْنِـي القُـدُودَ لَطَافَـةً وَلِيَانَـا
وَكَأَنَّمَـا الأَدْوَاحُ فِيـهِ مَفَـارِقٌ بِلِبَاسِهَـا قَطْـرُ النَّـدَى تِيجَانَا
وَكَأَنَّمَـا رَامَ الثَّنَـاءَ فَلَمْ يُطِقْ فَشَـدَتْ بِـهِ أَطْيَـارُهُ أَلْحَانَـا
مِنْ كُلِّ مُفْتَنِّ الصَّفِيرِ قَدِ ارْتَقَى فَنَنًـا فَأَفْحَـمَ، خَاطِبًا، سُحْبَانَـا
هِيَ عَادَةٌ لِلْمُزْنِ يَحْفَظُ رَسْمَهَا حِفْـظَ الأَمِيرِ العَـدْلَ وَالإِحْسَانَا
أَسْرَى إِلَى النِّسْرِينِ يُرْضِعُهُ النَّدَى وَيُهِبُّ طَـرْفَ النَّرْجِسِ الوَسْنَانَا
وَحَبَـا العَـرَارَ بِصُفْـرَةٍ ذَهَبِيَّةٍ رَاعَـتْ فَتَـاهُ بِكُمِّهَـا فَتَّانَـا

(5) "الشمائل" الثانية: الرياح التي تهب من ناحية القطب، مفردها شمال وشمال.
(6) يشير الى قصيدة أبي تمام يمدح فيها الواثق ويهنئه بالخلافة ويعزيه في أبيه المعتصم.

وَدْقٌ تَوَلَّـدَ عَنْـهُ وَقْـدٌ فِي الرُّبَى لِأزَاهِـــرٍ طَلَعَـــتْ بِهَـــا شُهْبَانَا
تِلْكَ الأَهَاضِيـــبُ اسْتَهَلَّتْ دِيمَةً فَكَسَـــا الهِضَـــابَ النَّوْرُ وَالغيطَانَا
شَرِقَـــتْ بِعَارِضِهَا المُلِثِّ وَأَشْرَقَتْ لِلَّـــهِ أَمْـــوَاهٌ غَـــدَتْ نِيرَانَـــــا
يَا حَبَّـذَا خَضِلِ البَهَارِ مُنَافِحًا بِأَرِيجِـــهِ الخَيْـــرِيَّ وَالرَّيْحَانَـــا
وَالآسُ يَلْتَثِمُ البَنَفْسَجَ عَارِضًا وَاليَاسَمِـــينُ يُغَـــازِلُ السَّوْسَانَـــا
وَالرِّيحُ تُرْكِضُ سُبَّقًا مِنْ خَيْلِهَا فِـــي رَوْضَـــةٍ رَحُبَـتْ لَهَا مَيْدَانَا
هَوْجَاءُ تَسْتَشْرِي فَيُلْقِحُ مَدُّهَا هَيْجَاءَ تُنْتِـــجُ حَبْـــرَةً وَأَمَانَـــا
حَرْبًا عَهِدْتُ أَزَاهِرًا وَمَزَاهِرًا أَوْزَارَهَـــا لاَ صَارِمًـــا وَسِنَانَـــا
يَغْدُو الحَلِيمُ يُجَرِّرُ الأَذْيَالَ مِنْ طَـــرَبٍ هُنَـــاكَ وَيُسْبِلُ الأَرْدَانَا
وَكَأَنَّمَا هَابَ الغَدِيرُ هُبُوبَهَا فَاهْتَـــاجَ مِقْدَامًـــا وَكَـــعَّ[1] جَبَانَا
يُـبْـدِي مُعَنَّاهَا الثَّبَاتَ وَإِنَّمَا يُخْفِي جَنَانًا يَصْحَبُ الرَّجْفَانَا
وَاهًا لَهُ لَبِسَ الدِّلاَصَ كَأَنَّمَا يَخْشَى مِـنَ القَصَبِ اللِّدَانِ طِعَانَا
وَاسْتَلَّ مِنْ زُرُقِ المَذَانِبِ حَوْلَهُ قُضُبًـــا تَرَقْـــرَقُ كَالظُّـــبَـــى لَمَعَانَا
سَـــالَتْ تَقُـــذُّ[2] الهَمَّ لَيْسَـــتْ كَالَّتِي صَالَـــتْ تَقُـــدُّ الهَامَ وَالأَبْدَانَا
وَكَأَنَّمَا كَانُونُ[3] مِمَّا صَفَّ مِنْ نُـــورٍ وَنَـــوْرٍ وَاصِـــفٌ نِيسَانَا
قَدْ حَلَّـتِ الحَمَلَ[4] الغَزَالَةُ عَادَةً خَرَقَـــتْ وَإِنْ لَمْ تَبْرَحِ المِيزَانَا
فِي دَوْلَةٍ أَنَّـتْ وَفَتَّـتْ مِنْ جَنَى مَعْرُوفِهَا مَـــــــا نَاسَبَ العِرْفَانَا

---

(1) كع: أي جبن وضعف
(2) تطرد بشدة
(3) كانون الأول: ديسمبر - كانون الثاني: جانفي
(4) الحمل: برج من بروج السماء، وكذلك الميزان

غَرَّاءُ تُطْلِـعُ لِلْبَسَالَةِ وَالنَّدَى وَجْهَيْنِ ذَا جَهْمًـــا وَذَا جَذْلاَنَا
لاَ غَـرْوَ أَنْ حَسُنَ الوُجُودُ فَإِنَّهُ لَمَّا أَطَـاعَ لَهَا وَخَفَّ ازْدَانَا
يَا مَصْنَعًا بَهَرَتْ مَحَاسِنُهُ النُّهَى فَسَمَـا ذَوَائِبَ إِذْ رَسَـا أَرْكَانَا
لَمَّا بَنَوْا شُـرُفَاتِهِ مِنْ فِضَّةٍ جَعَلُـوا أَدِيمَ قِبَابِـهِ عِقْيَانَا
سَدِرَ الخَوَرْنَق وَالسَّدِيرُ(5) لِحُسْنِهِ أَنَّـى لَهُ أَنْ يُنْسِيَ الإِيوَانَا(6)
إِنِّي لأَحْسَبُهُ مِنَ الفِرْدَوْسِ مُذْ أَبْصَـرْتُهُ لِلْمُتَّقِـينَ مَكَانَـا
وَكَأَنَّ سَيِّدَنَا الإِمَامَ أَتَـى بِهَا عَمْدًا لِيُرْغِبَ فِي الجِنَانِ جَنَانـا
فَمَقَالُـهُ أَرْشِـدْ بِهِ وَفِعَالُهُ مِمَّا يَزِيـدُ قُلُوبَنَـا إِيمَانًا
وَلَطَالَمَا اعْتَمَـدَ المَرَاضِيَ دَائِبًا فَاشْتَدَّ فِـي ذَاتِ الإِلَهِ وَلاَنَا
إِنَّ الإِمَامَةَ صُورَةٌ أَضْحَى لَهَا يَحْيَى لِسَانًـا صَادِقًا وَجِنَانًا
مَلِكٌ بِيُمْنَاهُ الخَلاَصُ عَلَى الوَرَى أَنْ يُخْلِصُوا الإِسْـرَارَ وَالإِعْلاَنَا
آلاَؤُهُ كَالرَّوْضِ حَيَّتْـهُ الصَّبَا لاَ يَسْتَطِيعُ لِنَشْـرِهِ كِتْمَانَا
وَإِذَا يَلُوذُ بِظِلِّهِ الجَبَّـار لم تُحْرِقْهُ شُهْبُ رِمَاحِـهِ شَيْطَانَا
مَيمونةٌ أَيَّامُهُ مِـن شَأنِهَـا أَنْ تُذْهِبَ البَغْضَـاءَ وَالشَّنْآنَا
عمَّ الصباحُ العالمين فأصبحوا طُرًّا بِنِعْمَـةِ رَبِّهِـمْ إِخْوَانَا
لَمَّـا اسْتَعَـانَ بِهِ الهُدَى فَأَعَانَهُ لاَنَـتْ لَـهُ أَزْمَانُـهُ أَعْوَانًا
خَضَعَـتْ لَهُ صِيدُ المُلُوكِ وَشُوسُهَا وَتَعَوَّضَـتْ مِـنْ بَأْوِهَا الإِذْعَانَا
هَـذِي الطُّغَـاةُ لِأَمْـرِهِ مُنْقَـادَةٌ فَكَأَنَّهَـا لَـمْ تَعْـرِفِ الطُّغْيَانَا

(5) الخورنق: قصر النعمان بظهر الحيرة.
السدير: قصر عظيم من انشاء ملوك لخم في القديم.
(6) الإيوان: إيوان كسرى بالمدائن من العراق.

عـــربٌ وَعُجْــمٌ يَلْثِمُونَ بِسَاطَهُ   وَكَفَـــى عَلَـــى تَمْكِينِـــهِ بُرْهَانَا
يَهْنِي الإِمَامَ المُرْتَضَــــى سُلْطَانُهُ   أَنْ فَاتَ أَمْــلاَكَ الدُنَــى سُلْطَانَا

المصدر: الديوان: ص 312_ 315.

سقاية جامع الزيتونة

وصف سقاية بجامع الزيتونة أنشأها الخليفة المستنصر بالله الحفصي:

الحمد لله حمدا لا نقلّه، هذا الزّمان الذي كنّا نؤمّله، بلدة طيبة وربٌّ غفور، ودولة مباركة محفوفة بالسُّرور والحبور، نهض بها آل أبي حفص فما آلوا، ولا جالت النُّجوم حيث جالوا، ولا نالت الملوك إلا بعض ما نالوا. ملك يشمل الإقبال، وعزّ يقلقل الأجبال، وكرم صريح الانتماء في النّماء، وشرفٍ سمت نوائبه على السّماء، إلى عدل وإحسان، هما قِوام نوع الإنسان، مع رفق وإسجاح، ضَمِنَا كلَّ فوز وإنجاح، فقد أضت الظُّلمات أنوارا، وفاضت البركات أنجادا وأغوارا، أليس العام ربيعا، والعالم جميعا، والسُّعود طالعة، والعصور طائعة، بصالح الأعمال تحلّيها، وعلى منصّة الكمال تجلّيها، فمن ذا أيها المولى يجاريك، إلى هذا أو يباريك، في إقدام صادق، وترى راياتك للأبصار هدى، وحياتك للكفار ردى، بسيرتك عدل الدّهْرُ فما جار، ولولا غُرّتُكَ ما أنار:

(الوافر)

لقد حسُنت بك الأوقاتُ حتّى   كأنك في فم الزَّمَنِ ابتسامُ

(1) اللاّبة: الحرة، وهي الأرض فيها مجارة سور.

غلبهم على صفتي النَّدى والباس، وسلبهم منقبتي حمزة والعباس، فلا غرو أن أمَّنَ ووَقَى، ثم لمَّا كسا وأطعم سقى، إنها نُعمى وَفَتْ بالميعاد، وحسنى مثلها يُعَدُّ للمَعاد. أتت بماء معين قد أصبح غَوْرًا، وملأت ما بين لابتيها[1] حنانا يرفُ ظلاً ويرفّ نَوْرا، فيا بشرى لتونس أخصب جريبها[2]، وأحسن وصفَ الرَّوض والغديرَ أديبها، وطالما أطلعت صحراء بل رمضاء. فكم للإمارة قبلها من يد بيضاء، غُشِّيت حبَرَ الحُبور والسُّرور، وعُوِّضت بُرد الظلِّ من وهج الحرور، خمائل وجداول، تزاول منها العين ما تزاول، تلك تضل من أحصاها، وهذه يضل فيها حصاها، ويا لقصرها السعيد نعمت أدواحه، وهبّت على خضر الأغصان وزُرق الغدران أرواحه، هذا وإن بات السَّماح المفاض يسقيه، وبات الجود الفضفاض ينقع جُوَادَه[3]ويشفيه، وهنيئًا للمسجد الجامع أن رويت جوانحه الصادية، وجمعت في شرعته السَّارية والغادية، فها هو بادي الغُرر والأوضاح، منبجس بالزّلال القَراح، وللجمهور بصفوه المنساب، لهج الغُيَّاب بالإياب، وطرب الشّيب بذكر الشباب، أمسَوا قد سوّغوا مآربهم، وأضحوا وقد علم كل أناس مشربهم، فهم يَرِدُون على العذب النّمير، ويجدون بركة الأمير مكرّمة ذكرها لسلطانه الزّمان، وكرامة هنّأه بها الإيمان، وسلمت ليمينه فيها الأيمان، وقضية إن حُجبت عن داود فما حجبت عن سليمان:

(البسيط)

جمعـــت للنّاس بين الرِّيّ والشِّبع ... فهم بأخصـــب مُصطـاف ومُرْتَبع

ولم تـــدع كرمـــا إلا أتيـــت به ... تُضيـــف مبتدعًـــا منـــه لمبتدع

لمّا وَلِـيـــتَ جعلـــت الخيرَ أجمعــه ... عليهـمُ فبـــدَوْا في أجمـل الخلِع

---

(2) الجريب: مقدار معلوم من الأرض

(3) الجواد: العطش.

وحسـب مجدك ما أولاه جُودك من | رفع الدُّعاء لــه فـــي كل مُجتمع
للّه أيامُــك استوفــت محاسنهـا | فلا مزيّــة للأعيــاد والجُمَــعِ
دامت مساعيك والأقدارُ تُسْعِدُها | تُولى المساجـد أنصابًا من البِيَع

المصدر: القدح: ص 194 ـ 195.

أبو المطرّف بن عميرة

(582 ـ 658)

أبو المطرف أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي من ألمع الوجوه الأدبية بالبلاط الحفصي. هاجر إلى افريقية من الأندلس وعيّن قاضيا بالأربس ثم قابس بعد سنة 643 وأقام بالحاضرة التونسيّة يختلف إلى المجالس السلطانيّة ويشارك في المجالس الأدبيّة الى جانب زملائه من الشّعراء أمثال أحمد الغسّاني ومحمد بن أبي الحسين وعلي بن سعيد ومحمد بن الأبّار،

1 ـ شاقه غبّ الخيال الوارد

كتب يمدح أبا زكرياء الحفصي:

(الرمل)

شَاقَهُ غِبُّ الخَيَالِ الوَارِدِ بَارِقٌ هَاجَ غَرامَ الهاجدِ
صَدَقَا وَعْدَ التَّلاقِي ثُمَّ مَا طرقَا إلا بِخُلْفِ الواعِدِ
وكِلا الزَّوْرَيْنِ مِنْ طَيْفٍ ومن وافِدٍ تحت الدياجي وَارِدِ
لم يَكُن بعد السُّرى مُسْتَمْتَع فيه للرَّائي ولا للرائِدِ
وشديد بثُّ قلبٍ هائمٍ يشتكيه عند رَبْعٍ هامِدِ
بالأمير المُرْتَضَى عَزّ الهُدى وثنى عِطْفَ المليّ الواجدِ
وبه أصْحَبَ ما كان يُرى حاملاً أنفَ الأبيّ الشاردِ
إنّما الفخرُ لمولانا أبي زكريّاء بن عبد الوَاحِدِ
ملك لَوْلا حُلاه الغُرُّ لمْ يَجْرِ بالحَمد لسانُ الحامِدِ
وَلَوَ انَّ العَذْبَ أبْدَى رغبةً عنهُ لم يَشْفِ غليلَ الوارِدِ
فضله مثل سنا الشّمس، وهلْ لِسَنَى الشّمس يُرى من جاحدِ
قَهَرَ البَغْيَ بجِدٍّ صادع ما تَعَدّاه وَجَدٍّ صاعِدِ
إنَّما آلُ أبي حَفْصٍ هُدًى للوَرَى من غائبٍ أو شاهدِ
قعدوا فوق النجوم الزُّهرِ عن هِمَمٍ نَبَّهن عزمَ القاعِدِ
وعن الإسلام ذادُوا عندما فلَّ طولُ العهدِ غَرْبَ الذائدِ
أيُّ فخرٍ عُمَرِيٍّ المُنْتَمى ورِثوه ماجدًا عن ماجِدِ
ما الفُتُوح الغُرُّ إلاَّ لَهُمُ بين ماضٍ بادىءٍ أو عائدِ
فِي مُحَيّا لاحقٍ من سابقٍ وعلى المولود سيما الوالدِ

وليَحْيى راجــحُ الحِــلــمِ الــذي تَــرَكَ الطَّــوْدَ بعطفــي مــائـدِ
عِقْـدُ أحسـابِـهِمُ تــمَّ بِـــهِ مثـلمــا تــمَّ حســابُ العـاقدِ
أيّهــا الجــامــعُ مــا قـد أحْــرَزُوا جَمْـــعَ مَنْ هِمّتُــه في الزائـدِ
هــذه الأمــة قـد أوْسَـعْـتَــهَا نظــرًا يكــلأ ليــلَ الـرّاقِـدِ
لم تَـزَلْ منـك بخـيرِ طـارفٍ ريشُــه تــالٍ قُــدامى تالــد
ولهُــمْ منــك ليــوم حـاضِـرٍ وغَــدٍ رأيُ البصيــر النّـاقدِ
أرشـدَ اللّـه لأولـــى نظـــر بالـوَرَى رأيَ الإمــام الرّاشــدِ
وتـــولاّه بتـــوفيـــق الألــــى سَعِــدُوا مــن عاقــد أو عاهــد
ولـــه فـــي اللّــه أوفــى كافــل بالــذي يبقــى وأكـفى عاضِـدِ

المصدر: نفح الطيب: ج 1، ص 308 ـ 309.

2 ـ أقبلت نحوك البشائر

قال يمدح أبا زكرياء الحفصي:

(الخفيف)

أقبلتْ نحوك البشائرُ تترى ووجـوهُ المُنَــى تلاقيـك غَرَّا
وتَخَطَّى مسيرَك الرُّعبُ يبدو مستطيرا أمامَ شمسِك فجرا
فإذا قُدْتَ جحفلاً قادَ ألفًا وإذا سِـرْتَ سـاعةً سار شهرا
وإذا ما طوى البلاَد مُغِذًا كان سرًا بالفتح يُبْعَثُ جَهْرا
قد درى الملك أنه سلّ عَضْبا منك يفري الطُّلَى[1]، وهزّ هِزَبرا

---

(1) الطلى: ج طلية وطلاة: العنق

ورأى نفسه عروسَ هُدَاء | من بروج السَّماء تسكن خِدْرا
فبحقٍّ أن يُرخِيَ الذيلَ عُجْبًا | يزدهيه، ويُثْنِيَ العِطْف كِبرا
ويثيرَ العجاجَ شرقًا وغربًا | ويسدَّ الفِجاج بيضًا وسمرا
ويقودَ الجِياد شُعْث النَّواصي | مشرفات الصَّلا[2] الى الطَّعن خَزْرا
مُسْمعاتٍ من الصَّهيل نداءً | يملأ الخافقيْن أمْنًا وذُعرًا
ما سَرَتْ تحت فحمة اللَّيل إلا | ألهبتها من السَّنَابك جمرا
وإذا أحضرت مع الصبح أرختْ | من دُجَى نَقْعِها على الجَوّ سُمْرا
وابتغت شأوها الرياحُ فلمّا | لم تُطِقْه جَثَتْ من الأين حَسْرَا

المصدر: المجمل: ص 194.

3 ـ عند قبر أبي لبابة

قال وقد انصرف من قبر أبي لبابة الأنصاري صاحب رسول اللّه، المدفون بقابس وهو من شهد العقبة وبدرا.

(الكامل)

خَبَرُ الأحبّة ما ألذَّ مساقَه | وجَنَى القطيعةِ ما أمرَّ مذاقَهُ
وهوى القلوب لها عليه شواهدٌ | سبقت بناطق حالها استنطاقَهُ
وَأيُ المنازل إن ذَكَرْتَ عهودَها | فتهيجُ من كلفٍ بها أشواقَه
يعتادُه منها جوًى بين الحشا | والصدرُ رقرق دمعَه وأراقَه
ويبيت منها كالسَّليم ومَالَهُ | أرَقٌ إذا مدّ الظلامُ رُواقَهُ
حَمَلَ الغَرَامَ وما استقل لحمله | قبل النَّوى فالآن كيف أطاقَهُ

(2) الصلا: ج صلوات وأصلاء. وسط الظهر من الانسان ومن كل ذي أربع.

ورمتْ به الأقدارُ كلَّ تنُوفةٍ ... لم تألُه لجمالها إغراقَه

قبرٌ تشاكينا الفراق لديه والـ ... أشهى لنا أن لا نُسَام فراقَه

ومواردٍ حملت أجنّةَ آجنٍ ... يَلْقَى بها طعمَ النَّوَى من ذاقه

خَفَقَ الجوانحُ دونه ويردّ من ... أفضى إليه مع الصَّدَى إخْفَاقَه

مازلتُ أقطعها مَهَامِهَ لم تزل ... بالصَّبْر حتى مَزَّقَتْ أخلاقَه

حتى وقفتُ وما أفقتُ بمنزل ... كالظُّـلم في صـدري أرَى آفاقَـهُ

وَقَبَسْتُ من شَوْقي لِقَابِسَ جذوةً ... شـبّت علـى قلب سِـوَاها شَاقَـه

من بلدةٍ في العين أظلم جوُّها ... مَع أنَّهَا ما أنكرت إشراقَه

قد كان منظرُها يروق بعين من ... يشكو النَّوَى لو أن شيئا راقه

لكنْ بقبر أبي لُبابة لي هوًى ... ما من هوى في النَّفْس إلاَّ فاقه

أملٌ بنفسي لو ظفرت بتُربه ... فجعلت إثمدَ نَاظِرَيْ دُقاقه

وتمثّل القبرُ الكريمُ بمقلتي ... فدنوت منه والتزمت عناقه

فوثاقُ ذنبي أرتجي لفكاكه ... من فكَّ خيرُ العالمين وثاقَه(1)

صلى الإلاه على النبيّ محمّد ... وأناله بجواره استحقاقه

وعلى صحابته وعِترته التي ... لزمتْ رضاهُ واقتفت أخلاقه

وقضى لنا من بطئنا في سيرنا ... يوم الجزاء على الصّراط لحاقَه

المصدر: رحلة التجاني ص: 92 ـ 93. والحلل السّندسية: ج 2، ص 350 - 351

(1) ربط أبو لبابة نفسه بسارية المسجد وفكّ النّبيّ وثاقه.

4 ـ تأملات

(الطويل)

أسير بأرجاءِ الرَّجاءِ وانّما
حديثُ طريقي طارق الحدثانِ
وأحضر نفسي إن تَقدَّمْتُ خيفةً
لغضّ عنانٍ أو لعضّ زمان
أَيُتْرَكُ حظّي للحضيض وقد سرى
لإمكانهِ فوق الذُّرا جبلانِ
وأخبِط في ليل الحوادث بعدما
أضاء لعيني منهما القمران
فيَحيى لآمالي حياة معادة
وإنّ عزيزا عزّةً لمكانِي
وقالوا: اقترحْ إنّ الأماني منهما
وان كنَّ فوق النجم تحت ضمانِ
فقلت: إذا ناجاهما بقضيّتي
ضميريَ لم أحفِلْ بشرْحِ لِسَانِي

المصدر: النفح ج 1 ، ص 316 ـ 317 ، والوافي: ج7، ص 135.

5 ـ فضل الماء

قال مخاطبا أبا الحسن بن سعيد صديقه:

(البسيط)

إنّ المكارم في قَعْبَيْن[1] من لبنٍ شيبا بأعذب من ماء الحيا الهَتِنِ
لو الرسولُ بِذَاكَ الرسْل[2] قابلني قبّلْتُ من منكبٍ منه إلى أُذُنِ
ولو بقرعته للباب أيقظني فَدَيْتُهُ بمحلّ[3] السُّهْدِ والوسن
من عاذ بالحرَم استحيا لنشوته من الحرام غويٌّ عاذ بالوثن
فاثْبُتْ على النُّسك واسأل ما تريد به تَنَلْهُ من غير ما إثم بلا ثمنِ

المصدر: القدح: ص 43

(1) القعب: القدح الضخم
(2) الرسل: اللّبن
(3) أي العين.

نصوص نثرية

1 ـ قابس

كتب يصف قابس من رسالة:

«بلد غوطيّ البساتين، طوريّ الزيتون والتّين، فأما النَّخلُ فجمع عظيم، وطلْع هضيم، وسككٌ مأبورة، ونواعمُ في الخدور مقصورة، وإنّ بقعته لوارفةُ الظلّ، آمنة الحرم والحلّ، جنّة لو نزع ما في صدور أهلها من الغلّ، وبالجملة فهو تام الغرابة، مدهام الغابة، مستأثر بسيّد من سادات الصحابة، ولا عيب بتربته إلا وخامة مائها، وحميّات قلّما يعرى من عدوائها».

وفي رسالة أخرى يصف شدّة الوباء بها وكثرة عقاربها:

وهذه البلدة الآن في ضلال من شرخ الشباب، وظلال من ثمرات النّخيل والأعناب، فهي بحال يقرّ بجمالها الأندلسي، ويجارى بين خلالها الدّبسي[1]، ولا عيب فيها إلا هواء و خامته تُخاف، وماء غير من خالصه الماء المضاف، ولبيوت المدينة دواجن سيئة الجوار، سريعة إلى القطّان والزوّار، كراها تنفيه، وسرّها تخفيه، وصلحها لا يطمع أحد فيه، فقبحت شائلة الأذناب، شاملة بالعذاب، كامنة بارزة، هامزة لامزة، تطرق بالبليّة، وتقسم شرّها بين البرّ والفاجر بالسَّويّة، دبّت عندنا ليلة الى من كان يرمق دبيبها، ويحاول قبل أن تصيبه أن يصيبها، فأوقعت به لدغا في القدم، ولقي أشدّ الألم، وبات وبتنا معه في ليلة أخي ذبيان[2]، وتعالى الله ما أطول ما كانت وأهول ما كان.

المصدر: رحلة التجاني: ص 90 ـ 91.

---

(1) الدبس: عسل التمر ونحوه.

(2) يعني النابغة الذبياني.

2 ـ رسالة تهنئة للمستنصر

قال من رسالة يهنئ المستنصر بالله الحفصي بإيصال ماء زغوان الى جامع الزيتونة:

"كتب العبد ـ كتب الله للمقام العليّ الكريم تأييدا يملك أمر الورى، وسعودا تعلو فوق الذّرى، وتنزل الى ما تحت الثّرى ـ من فلانة وبركات الإمارة أيّدها الله تخرق المعتاد خرقا، وتجوب البلاد غربا وشرقا، وتبشر باغي الورود، بالعذب البرود، وما رأى عارضا ولا شام برقا وإنما هي هداية ألقيت في جنانها، وآية استخرت الى زمانها، وهمة انبطت بعد طول الاكداء، وسقيت قبل قلب الرّداء، ذلك بأنّ أمرها يعلو كل أمر، ويوم منها كليلة القدر، خير من ألف شهر،...

وكان المسجد الجامع استسقى لقومه، واقتضى حقّ أمسه ليومه، ورأى ما يوعيه بسبب الخلق، من سيل الودق، ربّما نضبت ثميلته، وكذبت مخيلته فشفع للظماء في معين الماء، واستغاث يد الجود، للرّكع السّجود، ولَجأ في إسباغ الطهور، لسابغ الكرم المشهور، فلم يلبث أن سمع النّداء لبّيك، وهذه السّقيا تنتهي إليك، وتسيل حواليك لا عليك، فإن كنت دعوت بأن تروّي الضلوع الحرار، وترضي الصفوة الأبرار، فالدّعوة بحمد الله مجابة، والديمة لا مقلعة ولا منجابة، نشأت بحرية لأعظم البحار هي منسوبة، برية لأنها من جانب البرّ مجلوبة، تعدّ كونيّة عند من يعقل ويحصل، كوثريّة لأن ماءها الى الكوثر يوصل، وكيف لا ومسيله، الى شطر الإيمان وسيلة، وغرفاته للغرة والتحجيل مطيلة، والنّظر إليه كاستعماله عبادة، وخروج الخطايا مع آخر قطرة فضيلة من الخبر مستفادة، فما أعظم منه جالبه، وأجل قدر هبّته في مواهبه، وأحْراه بأن يكون له من الثّواب ما يرفعه الى الدّرجات العلى، ويزينه من شرف الذكر بأبهى الحلى، ومنها التهنئة بهذا الأثر الكريم قد سبق إليها الحقّ وهو أبلج، والدّهر

وهو الخطيب الذي لا يتلجلج، ولسان الحال واللّيل والنّهار شاهداه، والقول بمدّه البليغ لا يبلغ مداه، ولكن يقول هنيئا لمجالس الذكر والحمد، وأوّل ما ينظر فيه من عمل العبد، هذا الصّنع الذي يهنّئ فاعله عليه الإسلام، وتحطّ عنده الآثام، وتتناوب كتب حسناته الأقلام، وتتهادى خبره مصر واليمن والعراق والشام، فإن طرزت تاريخها فبتاريخ أيامه، وإن غضت من ملوكها فعند مقايسة طلّهم برهامه، والله يزيد ملكه عزّا وظهورا، ويجعل في عينيه نورا وفي قلبه نورا، ويبقيه مؤيدا منصورا، آمرا (أن) يقف الزمان أمامه مأمورا».

المصدر: رفع الحجب المستورة: ص77.

عثمان بن عربية

(600 ـ 659)

أبو عمرو عثمان بن عتيق بن عثمان القيسي بن عربية المهدوي، ولد بالمهدية وتوفّي بتبرسق قاضيا في 28 محرم 659 ودفن هنالك. نظم القصائد في الحنين إلى مسقط رأسه واشتهر في الأوّل بشعره الدّيني وكان من شعراء أبي زكرياء الحفصي الفحول وكان يعدّه في الصّدارة وأوّل شاعر له. وقد كان جلبه الى بلاطه حين قرأ تخميسه على الشقراطسية. ولابن عربية تآليف عديدة كلها مفقودة.

1 ـ تشوّق إلى المهدية

(الطويل)

أقول لركب قافلٍ عن معرّس بجُمّة تَرْدِي بالحمول مشاحجهْ[1]
لك الله أمتعْنَا عن البلد الذي أكابرُه أسلافُنَا وأبالجُه[2]
وعن وطن لولا العلى وطِلاَبُها لعزّ عَلَيَّ مثواي أنّي خارجُه
وعن رسم إيوان تداعت عرَاصُهُ ودُكّتْ حناياه وخرّت معارجُه
وما صَنَعَ القَصْرُ العبيديُّ والحِمَى وسورُ المصلَّى والكثيبُ وعالجُه[3]
وشاطئُه أنَّى تنوّع حسنه وخِضْرِمُـهُ أنَّـى تَـدفَّع مَائِجُـه[4]
سلامٌ على المهديّتين ففيهما أبٌ بِنْتُ عنه قاصرُ الخطوِ هادجُه[5]

المصدر: رحلة التجاني: ص377 ، والمجمل: ص 196 ـ 197 وعنوان الأريب: ج 1، ص 75.

2 ـ مقطوعة

وله يحنّ إلى المهديّة والمنستير يلتمس من أبي زكرياء الحفصي توليته قضاء بلده:

(البسيط)

ذكرت جُمَّةَ وَالذِّكْرَى تهيج أسًى وأين جُمَّةُ مِنِّي والمنستير؟[1]
وما مُنَاي لياليها التي سلفت وما هواي مجانيها المعاطير
لكن بها رَحِمٌ محفوفةٌ يئست من أن تقرّبني منها المقادير
فإنْ رأى من أدام اللّهُ نعمتَه عليه لي خطّة فيها فمأجورُ

(1) جمة: اسم الموضع المشيدة عليه مدينة المهدية، ومشاحج: جمع مشحج وهو هنا البغل، ومعرّس: موضع النزول آخر الليل والحمول: الهوادج

(2) أبالجه: جمع أبلج وهو الرجل الطلق الوجه.

(3) القصر العبيدي: هو القصر العظيم الشأن الذي أنشأه عبيد الله المهدي: والحمى: فضاء بين المهدية وزويلة، والمصلى كان خارج المهدية.

(4) الخضرم: البحر

(5) المهديتين: يشير بهما إلى المدينة نفسها والى زويلة كانت مدينة عامرة ذات أسواق وتجارات مجاذية للمهدية.

المصدر: رحلة التّجاني: ص 378 والمجمل: ص 198 وفيه الأبيات الثلاثة الأولى مع اختلاف في البيت الثالث، وعنوان الأريب: ج1، ص 76.

3 ـ رثاء وتهنئة

قال يرثي أبا زكرياء يحيى الحفصي ويهنّئ ابنه المستنصر محمد بتوليته الخلافة من قصيدة طويلة، وكلّ بيت جمع الرّثاء والتهنئة:

(الكامل)

يأتي الزمان الغضُّ ثمّت يربعُ ... ويضرّ هذا الدهر ثُمَّت ينفعُ

... فلئن طوى بَدْرَ الإمارة مغربٌ ... فلقـدْ جلا شمـسَ الخلافةِ مطلعُ

فأضاء بالمرحوم ذلكـم الثـرى ... وأنــار بالمنصــور ذاك المربــعُ

بسطوا لسان الشكرِ فيمن بايعوا ... وثَنَــوْا عِنَــانَ الصَّبْر عمّن ودّعوا

ورأوا خـــلال محمَّــدٍ فتباشــروا ... وتذكّروا يحيـى الرّضــى فتفجّعوا

المصدر: الفارسيّة: ص113 ، والأدلّة البيّنة: ط 1 : ص 53 ـ 54، وط 2: ص 62 وبالطبعتين في الأبيات تحريف.

4 ـ حبّ

(الطويل)

نسيم الصَّــبَا حدّثْ عن البان والحمى ... وعن ساكِنِي حُزْوى من الخرّد الدُّمى[1]

وعن معهد أقوى من العُفْرِ والمها ... وعن ركب جيران الغضا أين يمّما[2]

أيَمَّمَ ذاتَ البان أم بطنَ رامة ... أم الجزَعِ أم بالأجرع الفردِ خيّما؟[3]

ألا فرعى اللّه الحمى ونسيمَه ... وإن جلّ ما ألقاه من ساكن الحمى

---

(1) حزوى: موضع في ديار بني تميم، فيه يقول ذو الرمة:

خليلي عوجا من صدور الرواحل ... بجمهور حزوى فابكيا في المنازل

(2) العفر: ج عفراء نوع من الظباء وهو من أضعفها عدوا.

(3) هي أماكن بالحجاز.

وتيّمكم يا أهل نجد فإنّني | أراكــم تلومــون المشُــوقَ المتيّمـا
أما ولَمَى لُعْسِ الدُّمى لو لحظتُم | طـلاب الحمـى ظلّت لواحظكم دما
وذيّاكُم الثّغر الذي يستبي النُّهى | تبسّمُه مــا كنتــمُ لـــي لوّمـــا
هجعتم ومن لي بالهجوع فربّما | ألــمّ بــه منكـم خيــالٌ مسلّمـا
أيطرق جفنًا بـات منّـيَ ساهرًا | ويتـرك أجفانًــا لكــم بـتن نوّما؟
أغـرّ شنيـب مــا أعيذَب ثغرَه | وأحلــى أليفاظًــا وأنـدى وأرخمـا
هــو الظّبْـي لكـن لا أسمّيه باغمًا | إذا رشــأ ناغــاه بـل متكــلّمـــا[4]
تبـدّى لنــا والبــدر ليلــة تِمّـــهِ | فلــم أدر مَــنْ بـدرُ الدُّجنّة منهما
هل البَلِجُ الأضوا الذي استكمل السّنى | أم الغَــنِجُ الأحوى الذي راق مبسِمـا
ولمّا استطــار البرقُ قلت لصاحبي | أقلبـي هفـا أم ثَغْـرُهُ قـد تبسّما؟
أعــار وميضَ البرق حسنُ ابتسامه | ومــاذا عليــه لـو أعــار لــه اللّمـى
أو البَرَدُ العذبُ الذي لن تذيبه | حــرارةُ أنفــاسِ امـرئ قبّل الفمـا
تعلّـــم منـــه خلّـــبُ البـرق خُلْفَه | فمـن أيِّمـا بـرق تــراه تعلّمـــا
تجنّـــى فجئنــا خضّعــا لجمالـه | عسـى عَطفـة نحظـى بهـا ولعلّمـا
فهــزّ الصِّبَــى والـدلّ معطفه كما | تهـزّ الصَّـبَا الغصنَ الرطيبَ المنعّما
فأُبنَــا وخلّفنــا طيــور قلوبنــا | علـى ثغـره العـذب المقبّـل حوّما

المصدر: رحلة التّجاني. ص 378 ـ 379 ، والمجمل ص 198 ـ 199 وأسقطت منها 7 أبيات ومنها أبيات في عنوان الأريب. ج 1 ص 76.

---

(4) الباغم: والباغمة: الظبية تصوّت بأرخم ما يكون من صوتها.

عتيق بن عربيّة

(عاش أواسط القرن السابع)

أبو يحيى عتيق بن أبي عمرو عثمان بن عتيق القيسي ابن الشاعر المذكور آنفا. نشأ بتونس لكنّه لم يبق فيها طويلا وهاجر إلى مكّة وتحصّل فيها على وظيفة. وصفه التّجاني بقوله: "برع في الطلب وتقدم في حفظ مسائل الفقه".

1 ـ يا واحد الحسن

(البسيط)

يا واحد الحسن أنت السمع والبصر   عِطفاك إن فتكت، عيناك لي وزَرُ[1]
أَبعْدَ ما كان ليلي كُلُّه سَحَرًا   صيّرتَه بالتجنّي ماله سَحَرُ[2]
قد رقّ لي في الهوى كلّ الأنام سوى   من حاز رقّي ومالي عنه مصطبرُ
فإن شكوت له يَفتَرُّ مبتسما   عن عَشرة قد حواها ثغره العطر:
طلع أقاح صباح جوهرٌ بَرَدٌ   دُرٌّ حُبَابٌ لُجَيْنٌ بارقٌ زهرُ

المصدر: رحلة التجاني: ص 380

2 ـ سعادة

وكتب إلى أهله من مكّة:

(الطويل)

حَجَجْتُ وزرتُ المصطفى خاتِم الرُّسْل   نبيَّ الهدى ذا المجد والجود والفَضْلِ
ومرّغت خدّي في مواطئ نعله   وقابلتُ ذاك العزَّ منّيَ بالذلّ
ومتّعت ألحاظي برؤية سيّد   سَرِيّ كريم طاهر الذّات والأصل
وبوّأت نفسي من معادن مكّة   مكانا عن الدّنيا بأجمعها يُسْلي
أقام بها قومٌ يناجون ربّهم   وقد نبذوا كلّ العلائق والشغل
فَدَعْوتُهم مقبولة وصَلاتهم   بألف كما قد جاء عن سيّد الرّسل
ومازلت فيها داعيًا متضرّعًا   لنفسيَ والإخوان والصّحب والأهل

المصدر: رحلة التّجاني: ص 380.

(1) الوزر: الملجأ.
(2) السّحر: آخر الليل قبيل الصبح.

أحمد اللّياني

(ت 659)

أبو العباس أحمد بن ابراهيم القيسي اللّياني نسبة إلى للّيانة إحدى قرى المهدية. من أئمة اللّغة والأدب والرواية في عصره. تعلّم بالمهدية وتكوّن على أيدي علمائها وأدبائها في شتّى ميادين المعرفة الدينية والأدبيّة. قصد تونس حيث تولّى خططا عالية في أعمال الجباية وتنمية الأموال. توفّي مقتولا بتونس بمفعول الدّسائس، وكان من أبرز شعراء تونس في صدر العهد الحفصي وارتبط بعلاقات أدبية متينة مع شعراء عصره أمثال الغسّاني وابن أبي الحسين وابن الأبّار، ومنهم من تآمر على حياته فذهب ضحيّة للحسد والخيانة.

1 ـ مقطوعة

قال عازما على أمر:

(المجتث)

فـــي أمّ رأســـي حديـــثٌ لســامــع ليــس يُذْكَـــر
فـــإن تطـــاول عـــمـــري وســاعـــد الجَـــدُّ يَظْـهَـــر
أرى جمـــوعـــا صحـاحـــا ومـذهبـــي أن تكـــسّـــرْ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 371.

2 ـ حنين

(الكامل)

هـــذا العُذَيـــبُ وهـــذه نجـــدُ أيـــن الـــذي يَقْضِـــي به الوجدُ
مـــا هكـــذا حـــال المحبّ إذا أعلام ربـــعٍ حبيبـــه تبـــدو
ســـرّحْ دمـوعَ العيـــن مبتـدرًا وبذكـــر ماضـــي عهدهم فاشْدُ
والثّـــمْ علـــى شَغَـــفٍ مواطنَهم إن عـــاق عن مقصـودك البعدُ
لم أنـــس يـوم وداعهـــم سَحَـرًا والدمـعُ أسلـــم دَرَّه العِقْـــد
هـــزّ الصَّـــبـــا أغصـــانَ بانِهـــم فتعانقـــت وتواجـــد الرَّنْـــدُ
هـــذا العذيـــبُ بـــدت لـه عَذَبٌ[1] فـــي ظلّهـــا قـــد خيّـــم المجـد
لا يَخْفِـــق المسعـــى إذا خفقـت أعلامُهـــا بـــل يَنْجَـــحُ القصد
فعســـى اللّقـــاءُ يكـــون مقترنًا إن أنْجَـدَتْ كلفًـــا بهـــا نجدُ
ولعـلّ ما نرجـــو تجـــود بـــه كـــفُّ الزّمـــان ويُسْعِـد الجَـــدُّ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 372 ، المجمل: ص 195 وعنوان الأريب: ج1 ص. 74

(1) العذب: ج عذبة: أغصان الشجرة.

3 ـ كيف أنسى؟

(الخفيف)

خلّياني يــا صاحبــيّ ونجـدا ... هِجْتمَــا بالمــلام شوقًــا ووجدا
فَلِنَجْــدٍ بــين الجوانــح وُدّ ... مستجدٌ ما دام رَبْعًــا لسُعْــدى
لا تقولــوا مــرامُ سُعْــدى بعيدٌ ... ربَّ سعــدٍ أتى فقــرّب بُعْــدَا
أهلَ وُدّي ما حِلتُ عن حفظ عهدي ... وهواكــم مــا غيّــر النــأيُ عهدا
كيف أنسى عهدًا كريما وأنْسًا ... بـذلا لـي من خالص الودّ شَهْـدا
أرشفانــي مــا شفّنــي وشفاني ... مــن بَــرود(1) أحبــب بذلـك وِردا
خيــرُ عيش مصقولُ تلك اللّيالي ... حبــّذاه من طيــب عيــش مفدّى
إذ يعاطينــي المدامــةَ بــــدرٌ ... يُخْجِـل البــدرَ نــورُه إن تبدّى
إنّ دينــي ومذهبــي للتّصابي ... لا أرى غيــره مدى الدهــر رشدا
فاغتنــم رابحــا مســـرّة يــوم ... ولتبادر سير الزّمـــان مُجِـــدّا

المصدر: رحلة التّجاني: ص 373 والمجمل: ص 196 وسقط منه البيتان قبل البيت الأخير.

4 ـ يا زائرا خير بيت

قال مخاطبا أبا الحسن علي بن سعيد:

(المجتث)

يــا زائــرًا خيــرَ بيــتٍ ... ديــانـــــةٌ وريـــاضــهْ
أفِـــضْ أزاهـــر عِلْـــم ... تجلــو علينــا ريـــاضــهْ
قــد تمّ حجّــك لكـــن ... بَقِــي طــوافُ الإفـــاضــهْ(2)

المصدر: القدح: ص 9

---

(1) برود: ماء بارد. وقرأها محقّق رحلة التجاني: بُرود

(2) طواف الإفاضة بعد رمي جمرة العقبة يوم النحر: وهو واجب. والطواف ثلاثة أنواع: طواف القدوم على مكة وطواف الإفاضة وطواف الوداع، والطواف الأول والثالث سنة.

5 ـ رُدّ قلبي

(المديد)

شـــادنٌ فــــي القلـــب مرتعُـــهُ   حظّـــه فـــــي الحســـن أبدعُـــه
لامنــــي فيـــه أخـــو سَفَـــهِ   بمـــلامٍ لســـت أسْـمعـــــهُ
رُدّ قلبـــي لـــي لتعذلـــهُ   فهـــو فـــي كفّيـــه أجمعُـــه
هـــل تـــرى دهـري يجـود بـه   بعـــد مـــا قـــد كـــان يمنعه
وشقيـــق النّفـــس يُتْحِفُنـــي   بحديــــث جـــــلّ موقعـــه
لفظـــــه درٌّ يســـــاقطـــــه   ونطـــاق السَّمْــــعِ يجمعـــه

المصدر: رحلة التّجاني ص 373 ـ 374 وعنوان الأريب: ج1، ص 74 .

6 ـ شوق

كتب لأحمد الغسّاني ومجالسيه باعثا إليهم دنّا وشمعا:

(السريع)

دام لإخوانـــي بلـــوغُ المنـــى   فـــي خفض عيشٍ وحميد انتظام
وقـــرّب الدهـــرُ لهـم كـلّ مـــا   رامـوه مـن أنـسٍ بغير انصرام
فـــي لـــذّة معسولـــة المجتنـــى   وغبطـــة موصولـــةٍ بالـــدّوام
ما أشـوقَ الصّـبّ إلى أنسكـم   وأشغَـــفَ اللـــبّ بـــذاك المقام
لكنّــــه عـــاق الفتـــى عـــذرُهُ   فالشيـــخ منـــه عوَضٌ والسّلام

المصدر: رحلة التّجاني. ص 374 والمجمل، ص 196 ـ 197.

محمّد الرّعيني السّوسي

(ت 662)

أبو عبد الله محمد بن عبد الجبار الرّعيني السّوسي أستاذ أبي زكرياء الحفصي وشاعر أبيه عبد الواحد بن أبي حفص، كان يقرئ مختلف العلوم وأجاز عددا وافرا من العلماء في كل علم وفنّ. وكان مسموع الكلمة لدى الأمراء، لم يبق من شعره إلاّ نتف قليلة.

مقطوعات

ـ 1 ـ

قال يخاطب بعض الرّؤساء وقد قدّم له فرس أشهب حديدي لركوبه.

(الكامل)

اركب بإقبال السّعادة أشهبا ... مثلَ الصّباح إذا يشوب الغيهبَا
ما شابَ من مرّ السّنين وإنّما ... لاقى سناك فلاح يحكي الأشيبَا
قد ألجموه بالثريّا فانهوى ... ينقضّ في ليل العجاجة كوكبا

المصدر: رحلة التّجاني: ص 53.

ـ 2 ـ

قال في بداية قصيدة يمدح بها الشيخ أبا محمد عبد الله ابن أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص:

(الكامل)

جرّدْتَ عزمَك صارمًا مسلولا ... ماء ولكن ما يَبُلُّ غليلا

المصدر: رحلة التّجاني: ص 52.

ـ 3 ـ

(المتقارب)

عكفنا على الكأس في جَنّة ... نحاكي بها مَيْل أغصانها
ورسْل النّسيم بها سُحرة ... تُحَرّشُ ما بين رَيْحانها
أظنُّ تغاريد ألحانها ... زهتْها فَأَصْغَتْ بآذانها

المصدر: رحلة التّجاني: ص 52.

أحمد الغسّاني

(ت 668)

أبو العباس أحمد بن ابراهيم الغسّاني تولّى خطة الانشاء لأبي زكرياء الحفصي سنة 238 عوضا عن ابن الأبار. كان يحظى بمكانة أدبية رفيعة في عصره إذ كان قطب المجالس يحضرها الأدباء والشعراء من أمثال ابن سعيد وابن عميرة وابن أبي الحسين وأحمد اللياني وابن الأبار. وغدر بهذين الأخيرين وأدّى بهما الى الهلاك. له كتاب في التّاريخ لعهد المستنصر باللّه الحفصي (ضائع) وله ديوان شعر لم تبق منه الا هذه القصائد والمقطوعات المبثوثة في مصادر مختلفة جمعناها له.

ـ 1 ـ لله درّ الأنس

قال من رسالة إلى أحد أصدقائه:

(الطويل)

فللّـه دَرُّ الأُنْـس فـي كـلّ حالـةٍ / تـروق غَبوقًـا أو تَشُـوقُ صبوحًا
وهل من جُناح إن حَنَنْتَ لصبْوةٍ / وأبديتَ مـن فـرط الغرامِ جُنوحًا
فصافـحْ أكفًـا بالكـؤوس مشيرةً / وأبشِـرْ بـأنْ تَلْقَـى الإله صفُوحًا
ولا تمنعـنَّ النَّفْـسَ لـذّةَ ساعـةٍ / لِتُرضِـي عدوًا أو تُطِيـعَ نَصوحًا
ولا خَيْـر فيمـن قُدْتَـه لمسرّةٍ / فلم تُلْفِـه طلـق العِنَـان طَمُوحًـا

المصدر: القدح: ص 16

ـ 2 ـ جنّة

كتبت إلى صديقه أبي الحسن علي بن سعيد:

(السريع)

مـن قـال فـي الجنّـة غيـرَ الذي / أقولُـه فـي خَلْقهـا يفتـري
هـا إنَّهَـا زُفَّـتْ بمـا لـم يَكُنْ / لسامـعٍ يبـدو ولا مُبْصِـر
أَطْلَـعَ قُرْصُ الشَّمْسِ بَرْعُومَهَا[1] / ومُشْتَرِيهـا[2] الأسـعـدُ المشتـري
وتاجُ كِسْـرى لاح في كِسْرِها[3] / رُصِّـع باليـاقـوت والجوهـر
مـا نُظِّـمَ العِقْـدُ كتنظيمـه / مـن وِرْده الأبيضِ والأحمرِ

---

(1) البرعوم والبرعومة: ج براعيم: جسم يتفتح عن غصن أو عن زهر وهو زهر الشجرة ونور النبت قبل أن يتفتح.

(2) المشتري: نجم من السيارات، والمشترى الثانية: طائر.

(3) الكسر، بالكسر: الجانب.

مستودع في قَصَب لا يُرى ... من نَصب فيه ولم يَشْعر
وشَرَّع السوسنُ من حوله ... أجنّةً رائقةَ المنظر
وخضَّب الفستقُ أطرافَه ... بأحمرٍ قانٍ على أحمر
حكى مناقيرَ طيورٍ ثوت ... لم ترمِ الوَكْر ولم تصفر
ولو شَحَت[4] أفواهها خلتَها ... تلتقط الحَبَّ من العُصْفُر
وشذ للتّفّاح فيه شذًى ... أهْدَى فتيقَ المِسْك والعَنْبَر
ونمّ خيريٌّ بأن قد أتى ... خيارُها عن فاضلٍ خيِّر
وقطّ من أطرافها فاغتدى ... مثل جِعاب القَصَب السُّكَّر
باللّهِ لو رُمْتُ لما قد حوتْ ... حَصراً مدى الأيام لم أحصُر
وعنّ قبقاب[5] لعُنَّابها ... يحكى أبا الشقشاق[6] في المِنسر
هذا وكم من طائرٍ واقعٍ ... من مورد الورْد على كوثر
ولم يزل من وُدُّهُ صافيا ... إن تكدُّر الأمواه لم يكدر
فالحمد للّه على مِنّةٍ ... جلّت عن الشُّكر ولم تُقْدَر

المصدر: القدح: ص 13 ـ 14

(4) شحا فاه يشحوه: فتحه
(5) القبقاب: الحرز الذي تعقل به الثياب
(6) أبو الشقشاق: طائر.

3 ـ تشبيه

قال في خسوف القمر ممّا قاله ارتجالاً:

(الوافر)

كـأنّ البـدر لمّـا أن عـلاهُ خسـوفٌ لم يكـن يعتـادُ غيـرهْ
سجنجـلُ غـادةٍ قَلَبَتْـهُ لمّـا أراهـا شِبْهها حَسَـدًا وغيـرهْ(1)

المصدر: نفح الطّيب: ج 2، ص 367.

4 ـ جنان

قال بالاشتراك مع أبي الحسن بن سعيد وأبي القاسم أحمد بن يامن وقد استدعاهما إلى جنانه بالحريرية قرب باب السويقة، وفي هذه القصيدة وصف لثمار الأرض التونسيّة:

(المتقارب)

رَنَـتْ نحـوكـم مُقَـلُ النَّرجـسِ
وأمْسـت تُشـيـر إلى الأكْـؤُسِ
وقـد حـدّد الآسُ آذانَـه
ليسمَـعَ مـا دار فـي المجلـسِ
وأخجـل تفّاحنـا فاغتـدى
يـروم الكـلامَ فـلـم ينْـبِسِ
وقـد بـاح أُترجُّـنا بالهـوى
وظـاهـرُهُ بالضّنَـى مـكتسِ

(1) السجنجل: المرآة.

وماس التُّرنْجَانُ في حُلَّةٍ
تروق العيونَ من السّندسِ
وكالجمر نَارَنْجُنَا قد بدا
يروع العيونَ ولم يُقْبسِ
وزنبوعُنا بعضُه مثل ما
نظرت إلى الذَّهب الأملسِ
وتضريسُ بعضٍ كشمعٍ أسيل
ولكنه بارد الملمس
وقد ضحكت بيننا أكْؤُسٌ
فوجهُ الدُّجُنَّةِ لم يعبِسِ
فيا ربّة العود حُثّي الغنا
ويا ساقيَ الكأْسِ لا تحْبِسِ

المصدر: المقتطف من أزاهر الطّرف: ص 158 ـ 159، والقدح: ص 54.

5 ـ بكّر غدا

(مجزوء الكامل)

بكّر ـ فديتك ـ في غد ... إذ كان موعدنا الخميسْ
فالرُّوض مَوْشِيٌّ الحُلَى ... والقُضْب في حُلَلٍ تميس
وأجلُّ كافات الشتا ... ء وخيرها كأس وكيس
ما حظُّ مَنْ أسْعفْته ... بلقائك الحظُّ البخيس

لّـــــه دَرُّك لُـــقـــيـــةً بـــل لِقـــوةً وجـــدت قبيـــس[1]
قـــد أقـــرأتنـــي نعـــمـــةً مـــن بـــاب نِعـــم بغيـــر بيس
فإليـــك منّـــي لـــوعـــة وعليـــك لـــي حُـــبٌّ حبيـــس
لـــك كـــلٌّ مسمـــوعٍ غـــدا فـــي كـــلّ فـــنّ أو مَقِيـــس
تلقـــى الخَمِيـــسَ بكأسِـــه وتحُـــلّ فـــي صَـــدْر الخميـــس[2]
تحمـــى الحقيقـــةَ لا تطيـــ ـــشُ ولـــو يـــرى حمـــي الوطيس[3]
ولأنـــت مـــن قَبـــل الكتـــاب وبعـــدِه نِعْـــم الجـــليـــس

المصدر: القدح: ص 14 ـ 15.

6 ـ أيام الخميس

كتب إلى صاحب له من جنّته بجزيرة الوطن القبلي.

(مجزوء الرجز)

إنَّ لِـيَـــوْم الأخـــمـــســـة مـواثـقًـــا مـــؤسّـــســـه
نجمـــع فيهـــا شـــمـــلـــنـــا ببِكرنـــا المـــعنّـــســـه[4]
ولـم تـــزل تـضـحـــك مـــنـّـــك أوجـهـًـا مُـــعَـــبِّـــسَـــه
مـــا عَبَسَـــتْ مـــن زائـــرٍ تُقِـلُّ[5] يومًـــا مجـــلـــســـه
بـــل مـــن حُمَيّـــا قهـــوةٍ حمـــراءَ أو مـــورّســـه[6]

(1) اللقوة: الناقة السريعة اللقاح، وكذلك الفرس، والقبيس: الفحل السريع الإلقاح لا ترجع عنه أنثى.
(2) الخميس: الأول: اليوم المعروف. والثاني: الجيش.
(3) الوطيس: التنور: وبه شبه الحرب.
(4) المعنسة: التي كبرت وعجزت في بيت أبويها: يريد الخمر المعتقة.
(5) تقل: أي تستقله وتحقره.
(6) مورسة: صفراء.

يديرها الظَّبْيُ الذي صيّر قلبي مكْنِسه
عجبتُ مِنْ ساكنه أما توقّى قَبَسه
رياض حسن ليتني ممّن جنى مغْتَرسه
فمن خدودٍ ورده ومن جفون نرجسه
إنّ اللّيالي لم تزل بمؤنسٍ لي مُؤنسه
وإنّها عن بعض ما ينهضنا لمُجْلِسه
تبدي رضًى مطمعةً بعد ازورار مُؤيسه
ولَيْلُنَا يبدي لنا خنّسه وكنّسه[4]
ومن أتى فليتركنْ عنه بعيداً فَرَسَه

المصدر: القدح: ص 16 ـ 17.

7 ـ شمعة

قال بالاشتراك مع صديقيه أبي الحسن علي بن سعيد وأبي القاسم أحمد بن يامن:

(الكامل)

ما بالُ شمعتِنا كقلبي تخفقُ أبدًا تهيم كما أَهيم وأعشقُ
أم زارها سارى النَّسيم بسُحْرةٍ فغدت إلى لُقيا المُعانق تعنق
عجبًا لها فالجسم منها فضّة وجُفونها ينهلُّ منها الزّئبقُ
عُريانةٌ وثيابُها في جوفها لكنّها من حُرْقة تتحرّق
زُفَّتْ ظلامًا كالعروس بحَلْيها لكنّها عند الصّباح تُطَلَّقُ

(4) الخنس: الدراري الخمسة: زحل، والمشتري، والمريخ، والزهرة، وعطارد. والكنس: النجوم تطلع جارية.

تُـفني الدَّيـاجـي وهــي فانـيةٌ بها		وبمـائـها أيـان تُشْـرِقُ تَـشْــــرَقُ
مـا حقّـها إذ جَمَّـعَتْ شمل المنى		أن يـغـتـدى مـثـل لهـا يـتـفـرّق
قامــت خطيبًــا تشتكــي بخطوبها		وبـنـقـلـة الحـالات أمـست تـنـطــق

المصدر: القدح، ص 54.

8 ـ يا حسن ورد

(البسيط)

يـا حـسـنَ وردٍ تـبـدّى مـن تـلـوُّنـه		في أحمر قانىءٍ أو أبيضٍ يَقَق
كـأنّ مـبـيـضّـهُ زهـرُ الـنـجـومِ ولَـمْ		يعْـدلْ بمحـمـرِّهِ عن حُمْرَةِ الشّـفقِ
كـأن مــا اصـفــرّ منه في أواسطه		حبٌّ من السّمسمِ المجموعِ في طبقِ

المصدر: رايات المبرزين: ص 264 ونفح الطيب: ج 2 ص367.

9 ـ عادة الأيام

كتب إلى أبي القاسم بن يامن:

(الخفيف)

شيِمَـةُ الخُلْـف عـادةُ الأيّـام		فغريــبٌ إذا وَفَـــتْ بمـــرامِ
وعجيــبٌ مــن الليالــي رَبَــــاحٌ		وسمـــاحٌ لشملنـــا بانتظـــام
وإذا أسعفــت بنَيْــل الأمانــي		فرصَـــةٌ منـك بُـودرت باغتنـام
رُبَّ بــرق أبـدى مَخيلـة صِـدْقٍ		بتوالــي تألّــقٍ وابتســـامِ
وتصــدّى يكــرّر الومــض حتّــى		أطمــع الــرَّوْض بانسكاب الغمام
فســرى دَجْنُــه ولــم يســر عنه		ما كســا وجــهَ بِشْرِهِ من قَتَام
وعزيــز أن بــتُّ ليلــي سليمـا		ذا ارتــقــابٍ لطــارقِ الأحــلامِ

وارتقـابُ الخيـال غيـرُ مفيـدٍ لجفونٍ لم تكتحل بمنام
مِـن تمام الوعود قد خفتُ نقصًا فانتقاصُ البدور عند التَّمام
ورأيـت ائتلافنـا دون وعـدٍ هو أحلى ·كالرّي بعد الأُوامِ
فَصِلِ الآن دون ريثٍ لنقْضي ما علينا من واجب الآثاموات
إنَّمَا نَشْوَةُ النَّهـارِ افْتِضَـاحٌ ضاح السّرور عند الظلام

المصدر: القدح: ص 17 ـ 18.

10 ـ دعـوة

وكتب إلى أحمد اللياني "سبع جمة" داعيا إياه لحضور مجلسه:

(السريع)

يـا سابـقَ النّاس الى غاية في ذيلها يعثر صوبُ الغمام
إخوانـك الكتّـاب يرجـون أنْ يُـلْـفَـى بكم شملُهم ذا انتظام
فاطلعْ علـى الشّرب فهم أنجمٌ مرتقبات منك بدر التّمام
وسرُّهـم منـك بسِرّ المنـى وزُرْهم عند اختلاط الظّلام

ثم أجابه عن أبيات:

قد أقبلَ الشّيخ بعـذر الفتى فتـى المعالـي والرئيس الهُمام
وأمطرتْنـا مـن سمـاء النّـدى يـدٌ له بيضـاءُ تجلـو الظّلام
لا زال يُهْـدِي لأودِّائـه أسنـى الأيـادي وأجلّ النّظام

المصدر: رحلة التجاني، ص 374 ـ 375 والمجمل: ص 196 ـ 197.

11 ـ حمام

(المجتث)

أهــدى الحميـمُ حَمَامَــا | فهمــت فيــه غــرامَــا
أبْــدَى صباحًــا ولكــن | جَــرَّ الذُّنابــى[1] ظلامــا
ابيــضّ واحمـــرّ جفنًــا | فهــل سَقَــوْه مــداما
قــد فــارق الــدَّوْحَ لمــا | رأى الفــراق لــزاما
لِــذَاكَ ســحَّ عليــه | دمــع الغمــام سِجامــا
وقــد ثنــى الغصــنُ عِطفًــا | فمــا استطــاع قَــواما
فــإن تــهــبّ ريــاحٌ | تبــدي الغصــونُ التداما[2]
علــى فــراق حَمــام | لا ذاق يــومًــا حِماما

المصدر: القدح: ص 18.

12 ـ إخوانية

كتب إلى صديقه أبي الحسن بن سعيد من تونس حين غادره الى المشرق:

(الكامل)

يا نازحــا عنّي أجب كتبي كما
صدح الحمامُ إذا الحمام ترنّما
وأجِل جفونَكَ في سطور لم تكُنْ
لولا تصعُّدُ زفرتي أن تُفْهَمَا
وَإِذَا لَمَحْتَ فَرِيدَةً مِنْهَا فَلاَ
تَعْجَــب لناظمهــا فَمِنْــكَ تعلَّمَــا

---

(1) الذنابى: ذنب الطائر.
(2) الالتدام: الاضطراب.

بالله طارحْني الحديث فإنّني
أهوى حديثك مفصِحًا ومجمجمَا
واستبقِ بالنّجوى الخفيّة بعض ما
أبقيت لي إذ لم تَدَعْ إلا ذَمًا[1]
باق على حفظ الوداد وطالما
أمسى بأيدي الحادثات مقسَّمًا
أتراك عن نادي السّرورِ سلوتَ أم
مازلت مثلى فيه صبًا مغْرَمًا
تتجاذبُ الأشواقُ قلبي كلّما
أبصرتُ فيه مكانك المتوَهّمَا
ويطول ردّي للكؤوس تذكّرًا
فإذا شربتُ شربتُ فيها عَلقمًا
إذ ليس يعذُبُ موردٌ حُلِّئْتَ[2] عن
أرجائه ولو أن أموت من الظّما
ويحًا لهذا الدهر فوّق أسهمًا
للحادثات فكنتُ أولَ من رمَى
أغرى بنا البين المشتِّتَ والنَّوى
لما رأى شمل الجميع منظّما
ما كان يقنعنا التواصل دائمًا
فاليوم يقنعنا الخيال مسلِّما

المصدر : المقتطف: ص 162 ـ 163 ، والقدح: ص 19 (بزيادة بيتين ونقص بيت) والبيت الأول ورد في القدح كما يلي:

---

(1) الذماء: بقية النفس في الجسم.

(2) حلئت: منعت.

إيه أبا الحسَن استمع شدوي كما يصغِي الحمامُ إلى الحمام ترنّما

13 ـ جوْأنس

قال ابن سعيد: حضرت عنده (أي الغسّاني) ليلة ومعنا أبو القاسم بن يامن الشاطبي، خرجنا معه إلى الرياض بالحريرية فاقتضى الحال أن اشتركنا في نظم هذه الأبيات:

(البسيط)

منادل الشُّرب أطرافُ الرّياحين
لم يعلُها درنٌ بل مسكُ دارينِ[1]
تناولتْه يدُ النّدمان فاكتسبتْ
بالطيِّ نشرًا له مازال يُحييني
لا كان من قال أعرافُ الجياد لنا
مَنَادلٌ فهو مجنونُ المجانينِ
فللشّياطين كانت تلك في قَـدَمٍ
بين القفار وهذي للسّلاطينِ
في مجلس جمعَ الأشتات من نِعَمٍ
في دارة الملك لا في دَيْرَ عبدون
ركائبُ الأنسِ فيه من مُدَامتنا
تُحْدَى إلينا بأنواع التّلاحين

(1) دارين: قرية من بلاد فارس على شاطئ البحر وهي مرفأ سفن الهند بأنواع الطيب فيقال مسك دارين وطيب دارين.

والشمع يضحك أنسًا من تجمُّعنا
وشدّة الضّحك تبكيه إلى حين
أمست عرائس تُجلى في منابرها
من نفسها برزت في حسن تزيين
فالتاجُ من ذهبٍ والعقدُ من دُرَرٍ
والكلُّ منها بدا في كلّ تحسين

المصدر: المقتطف من أزاهر الطرف: ص153 ـ 154.

14 ـ أمنية

قال ارتجالاً:

(الوافر)

أأشياخَ الخلافة لا برحتم	على حال ائتلافٍ دون بَيْن
وإحسانُ الخليفة[1] في توالٍ	عليكم كلّ يوم مرّتين
وللكُتّاب قد وجبت عليكم	زكاةُ المالِ وهي زكاةُ عين
وقد أدّى الذي قد كان فرضًا	على إحسانه ابنُ أبي الحسين[2]

المصدر: القدح: ص 18.

---

(1) يعني: المستنصر بالله الحفصي.
(2) هو الشاعر الرئيس انظر الشاعر الموالي.

15 ـ دعوة

كتب تعقيبا على أبيات لابن أبي الحسين يحثّ أحد أصحابه على شرب المدام:

(الوافر)

أبا الفضل اغتنم شرب الحُمَيَّا يطوف بكأسها طَلْقُ المحيّا
وبادر دون ما عُذْرٍ وغدرٍ فأنت أحبُّ من وافى إليَّا

المصدر: القدح: ص 43.

16 ـ رسالة

كتب إلى الفقيه أبي القاسم بن يامن جوابًا عن هديّةٍ أهداها إليه:

(الوافر)

أدام اللّهُ وُدَّكُمُ وأبقى إخاءكمُ على مرّ الزّمانِ
فقد وصل الثّلاثُ وهن ستٌّ ولو رُبعت لجاءت بالثّمان
ولم تك قسمةٌ ضيزى وأجْرَتْ لسانِي وهو أمضى من سِنانِي
فإن ضيّعته لبنًا بصيفٍ فما بيني وبينك من لبان[1]

أسعد اللّه الأخ المبجّل المكرّم، المفضّل في حَلْبَةِ السّبْق المقدّم، ولا زالت سراياه معتولة[2] ، وصفاياه إلى محلّ الصّفا[3] منقولة، من كلّ مالئة الإناء[4]،

---

(1) اللبان: الرضاع: يشير بالشطر الأول إلى المثل: «الصيف ضيعت اللبن». وبالشطر الثاني إلى أنه ليست بينه وبينه أخوة رضاع.

(2) السّرايا: ج سرية: القطعة من الجيش، ومعتولة: أي مسبوقة مكدودة، والعتل : الدّفع والارهاق بالسوق العنيف يشير الى تشميره للكفاح.

(3) الصفايا: المختار المصطفى من الغنم. والصفا: أحد جبلين ببطحاء مكة، وثانيهما المروة، يشير إلى ما ينحر هناك للضحية.

(4) الإناء: الوعاء: يريد سمينة غير هزيلة، كثيرة الدر.

مليئة بالشُكر مدى الآناء[5]، تُرِيك ما أحار المِشْفر في البَشَر، وتكرُم في المحلِّ عن تحملّ العُشرِ[6]، وإن كان المَطْلُ أساء به الظنّ، ومثَلَ لي وحاشاه أن قد ضنّ، لكنه ادّكر بعد أمّه، وما يُنْكر عِرفانَ من أمَّه، فجاءتِ تهادى عرائس، وتغادى ظباء كَوَانس[7]، مُشعرة بأن تُشْفع بأخواتها، مُذَكِّرَة بذات الحسن وَحُوَّاتِهَا[8]، فحنينُها يأبى الغَزر، وشِكاؤها[9] يَشْكى من المُستدرّ، فيا لك من حَلَب لو كان له شَطْر[10]، وجلَب لو انفرد به زيد أو عمرو، ولا خفاء أن البغي يُثير الحسيكة[11]، ويدعو المُشَاكس أن يفارق شريكَه، على أن الرُّثيئة[12] تفثأ الغضب، وتُعيد عِدّاً[13] مورداً نَضَب، واليد البيضاء حليها لاتمام، حتى تُتبع الفرسَ اللجام، وإذا وقع الاجتراء، وكَمُلَتْ بسُورة البقرة الأجزاء، فالشُكر موصول، وخِضَاب عملك ماله نُصول[14].

المصدر: القدح: ص 13 .

---

(5) الآناء: أجمع أنى، بفتح همزته وكسرها: الوهن، والساعة من الليل.

(6) العشر: من كبار الشجر له نور حسن المنظر، ترعاه الإبل.

(7) الكوانس: الداخلة في كناسها: وهو حيث تأوي.

(8) الحوات: جمع حوة، وهي سمرة الشفة.

(9) الشكاء: جمع شكوة، وهي وعاء من أدم يحبس فيه اللبن.

(10) يشير الى المثل: احلب حلبا لك شطره.

(11) الحسيكة: الحقد.

(12) الرثيئة: اللبن الحامض يحلب عليه فيخثر. وتفثأ: تكسر وتسكن. يشير الى المثل في اليسير من البرّ: «إن الرثيئة تفثأ الغضب». وأصله أن رجلا كان غضب على قوم، وكان مع غضبه جائعا، فسقوه رثيئة فسكن غضبه.

(13) العد: الموضع يجتمع فيه الماء الكثير.

(14) النصول: الخروج من الخضاب.

محمّد بن أبي الحسين

(ت 689)

أبو عبد الله محمّد بن الحسين بن أبي الحسين الرئيس لدى خلفاء بني حفص خاصة أبي زكرياء والمستنصر بالله، أديب وشاعر وعالم لغوي، رتّب المحكم لابن سيده الأندلسي على نسق الصّحاح للجوهري واختصره. كان مستودع أسرار أبي زكرياء وكان من أبرز رجال السّياسة والأدب في عصره. قال عنه ابن خلدون في تاريخه: "كان متفنّنا في العلوم مجيدا في اللغة، يقرض الشعر فيحسن ويترسّل فيجيد.

1 ـ دولاب

(الطويل)

وَمَحنيّةِ الأصلابِ تحنُو على الثَّرَى
وتَسقِي نَبَاتَ التُّرْبِ دَرَّ التَّرائبِ

ترى نصفَها العلويّ قوسًا مرنّةً
تُرامي سهام الماءِ عن كلِّ جانبِ

تُعَدُّ من الأفلاكِ أنَّ مياهَها
نجومٌ لرجمِ المحْلِ ذاتُ نوائبِ

وأطربها رقصُ الغصونِ نوابلاً
فدارتْ بأمثال السُّيوفِ القواضبِ

وما خلتُها تشكو بتَحنانها الصدَّى
ومن فوق متْنيها اطّراد المذانب

وتحسَبُها وَالرَّوضَ ساقٍ وقَيْنَةً
فما بَرِحَا حولها ما بين شادٍ وشاربِ

كأنّ مجاريها ودُهْمَةَ لونِها
(بياضُ العطايا في سوادِ المطالبِ)[1]

المصدر: نفح الطيب: ج2، ص 287 ـ 288 (باختلاف، والبيت الثاني ناقص) رايات المبرزين ص 172، ومنها خمسة أبيات في المجمل: ص 200 باختلاف وكذلك في رحلة البلوي: "تاج المفرق": ج1 ص 180 ـ 181. ومنها أربعة أبيات في المقتطف من أزاهر الطّرف :ص 120 ـ 121

---

(1) هذا عجز بيت لأبي تمامٍ وتمامه:
وأحسن من نورٍ تفتّحه الصبا بياض العطايا في سواد المطالب
وفي المقتطف: الصدر هكذا في البيت الأخير:
"فخذ من مجاريها ودهمة لونها"
وكذلك في رحلة البلوى.

- 2 - افتخار

قال يفتخر بجدّه عمّار بن ياسر صاحب رسول اللّه صلّى عليه وسلّم:

أَبُنَيَّ ما صرفُ الزَّمانِ بغالب
كَلاّ ولا حظّي لديه بعاتب
صحبِ الخلافَةَ ما اصطفَتْه وَجَـدُّه
صحبِ النبوّةَ في الزّمان الذّاهبِ
فإذا سطا زمن عليك فقل له:
لي ذمّةٌ بالصّاحب ابن الصّاحب

المصدر: الفارسيّة : ص 133.

3 - شكر

كتب إلى ابي زكرياء الحفصي حين أهداه ألفي دينار في طبق مغطّى وبطاقة فيها أبيات:

(الوافر)

حيـيتُ بنعمتـين وذاك نثـر ... وهـذا النّظـم يعشَقـه حبيـبُ
ومولانـا الـذي مـازال قدمـا ... ينـوّع جـوده مهمـا يُثِيـب

المصدر: الشهب اللامعة: ص 252.

4 - لبن

كتب مداعبا أحد أصدقائه مهديا إليه هدايا وفي جملتها جرّة من لبن:

(الوافر)

ولمـا صـحّ زهـدُك فـي مُـدامٍ ... متـى تُلْـقَى علـى كَبـد يُحـجُّ
بعثـتُ إليكـمُ لبنًـا صريحًـا ... فمـا يَبْغـي المدامـة مـن يَحُـجُّ
فأعـرضْ عن فتى غسّان[1] فيها ... ولا يخدَعْـك ذو حُجَـج يحُـجُّ[2]

(1) فتى غسان: أبو العباس أحمد الغساني، انظر الشاعر السابق.
(2) يحجّ: يغلب بالحجج.

المصدر: القدح: ص 42.

5 ـ سلوا دمنة

كتب إلى عنان بن جابر الثائر على أبي زكرياء الحفصي يؤنّبه على الثّورة ويذكّره بصداقته له وولائه الماضي للسّلطان الحفصي ويدعوه الى الطّاعة ونفض يديه من التمرّد ويغريه بصفح السلطان عنه:

(الطويل)

سَلُوا دِمْنَةً بين الغضا والسَّواجِرِ ... هل استنّ فيها واكفاتُ المواطرِ

وإلاّ فعندي ديمةٌ مستهلَّةٌ ... تطلع ما بين الحشا والمحاجر

مساحبَ أذيالٍ ومركزَ نُبَّلٍ ... ومربض آساد وملهى جَآذِرِ

عهدت بها علياء لا السرُّ عندها ... مذاعٌ ولا جَدُّ الوصال بغابر

إذا طرق الشّوقُ المبرِّح زرتُها ... طُروقَ خيالٍ بين راعٍ وسامر

ولولا حذارى أن تُرَاعَ لزرتُها ... بأسمرَ عسّالٍ وأبيض باتر

ومُرْدٍ على جُرْدٍ إذا اشتجر القنا ... ترى الجنّ تعروري ظهور الكواسر

فديتكمُ ما الشوقُ آلٍ ولا الهوى ... ببالٍ ولا قلبي الغداةَ بصابر

دعوها فإن يسمحْ بها الدّهرُ أغتفر ... له ولها ذنبَ اللّيالي الغوابر

ودونكم يا للرّجال تحيّةً ... يُخَصُّ بها عنّي عنانُ بن جابر

فتًى ما دعته زلّةٌ فأجابها ... فكيف طوى كشحًا على نفس غادر[1]

وقد كان بيني ـ يا عنان ـ وبينكم ... بواطنُ صنّاها بحفظ الظّوَاهِرِ

وفي كلّ عام كان للجيش وقعةٌ ... نجرُّ بها أذيالنا جرّ سادر[2]

على كل خوّار القنَانِ كأنّه ... ربيبُ سعالٍ لاح في شكل طائر

---

(1) طوى كشحا: ولى معرضا

(2) السادر: الذي لا يبالي

يُريك على عِطفيه مسحةَ مؤمنٍ ويكتم في جنبيه أضغان كافر

نمدّ لها سمر القنا فتخالها كَلِين القنا ما بين أُذْنٍ وحافر

فتختال أعطاف وتُعسِلُ سمرنا وتهتزّ كالسّمر ابتغاء المفاخر

نشاوَى على خيل نشاوى كأننا وأسيافَنا لم نستفق من تساكر

تُظَلّلنا الراياتُ وهي خوافق على كلّ رئبال بخفّاقٍ خادر

وحشو القباب الحمر بيضٌ أوانس عفيفات ما تحت اشتمال المآزر

يطالعن من بين الشفوف كأنّما يطالعن خلسا من كمام الأزاهر

أذكّرك العهد الذي كان بيننا وإن كنتَ عنه ساليًا غيرَ ذاكر

ألم يعلق التّوحيدُ(3) قلبك ناشئًا ألم تتكفّل حفظَ تلك الأواصر

وكنتَ تجيرُ النّاس في خير دولة فأصبحتَ جاراً في هلال بن عامر

وكنتَ كليثِ الغاب عزّا ومنعةً فصرت كأمثال الرئال النّوافر

وكنتَ نزيلَ الملك تجني ثماره أفانينَ من أفنان ريّانَ ناضر

وكنت تلقى العزّ تحت ظلاله فها أنت تلقى الذلّ تحت الهواجر

وكنت ترى الآبال كوماً غضاضةً فأصبحت في أُتباع شاء وباقر

تبدّلتَ بالسّهلين والعطف زاغراً(4) وبالصّافنات الجردِ جُرْبَ الأباعر

كأن لم تجرّر في زَرود(5) وصبرة(5) ذُيُولَ التّصَابِي فِي حِسَانٍ غَرَائِرِ

---

(3) دعوة بني حفص ومذهبهم العقائدي.

(4) السهلين: والعطف : اسمان لمكانين غير بعيدين عن القيروان وزاعر: بلد متسع يقع بصحراء بلاد الجزائر في جنوب جبل طيرى.

(5) زرود واد كبير يأتي من ناحية تبسة وينسرح في بسائط القيروان من قبليها وصبرة وتسمى المنصورية، مدينة أحدثها اسماعيل المنصور الفاطمي في سنة 337 هـ، تقع في جنوب القيروان وتبعد عنها نحو الكيلومتر ـ وكثيرا ما يقصد بصبرة مدينة القيروان نفسها لأنه في وقت ما اختلطت المدينتان ببعضهما بعضا.

ولم تَـلْـوِ خطَّارًا بأكناف عَمْرَة[6] ولم تَثْنِ بالقصرين أعطاف ضامر
ولم تُدْرِكِ الأوتار بالقرن[7] غالبًا ولم تقض بالألواح أوطار زائر
عزيز علينا - يا عنان - ضلالة حدت بك لا تلوي على زجر زاجر
تبصَّرْ ولا تحمل على النفس غيّها أعيذك من كرّات دهرٍ جواسر
فديتك لا تشرِ الضَّلاَلَة بالهدى فديتك لا تشر العمى بالبصائر
وما العَرَبُ العرباء إلا بعهدها فمن كان أوفى كان أوَّلَ فاخر
فكم حُفِظَتْ من ذمّة قوسُ حاجب وكم مَثَلٍ أبقى السموأل[8] سائر
كذلك كان الناس يوفون فابتغوا سبيل الوفاء كابرًا إثر كابر
وفي يوسف الوافي عليهم زيادة أبي هجرس الندب الصفي المثابر
رأى الرّشد حيث العزّ ألقى جرانه فخيّم مثْوَاه عزيزَ المجاور
رأى الغيّ من يتبعه يضلل سبيله فأوى الى ظلٍّ من الحقّ باهر
غلام غذاه منذ كان يافعًا فوفّى وما وفيت يا للعشائر
وكم فتية من آل منصور أسعدوا لدى خير منصور وأكرم ناصر
لدى مَلِكٍ يعفو ويغفر دائمًا فأين الفرار من عفو غافر
ومن تنفع الذّكرى تَلاَفَى تَلاَفَه وكشَّفَ عن وجهٍ من الرُّشْدِ سَافِرِ
هَدَتْكَ الهَوَادِي - يَا عِنَانُ - وَأَمْطَرَتْ ذَراك الغوادي بين بادٍ وحاضر

المصدر: مجلة الفكر: السنة 8 العدد 10 جويلية 1963 ومنها أبيات في المجمل: ص 200 - 201. عن مخطوط خاص لحسن حسني عبد الوهاب.

---

(6) عمرة فحص متسع جدا في أواسط البلاد التونسية - والقصرين: ولاية في الجنوب الغربي من البلاد التونسيّة والخطار مبالغة في الخاطر وهو الطحان بالرمح.

(7) القرن: جبل عال في الجنوب الغربي من القيروان، أسماه موسى بن نصير الوالي الأموي بهذا الاسم، ويعرف الآن بجبل الباطن يعني باطن القرن.

(8) السموأل بن غريض بن عادياء الأزدي، شاعر جاهلي حكيم، اشتهر بالوفاء لأصدقائه، تروى عنه قصة لم يخن فيها أمرئ القيس الشاعر.

6 ـ خمرية

كتب إلى ابن عمه أبي الحسن بن سعيد مع هديّة وكان ابن أبي الحسين في حالة مرض:

(الطويل)

أكفُّ الصَّبا حَفَّتْ جنى زَهَرِ الرّبَى ... سؤالك عن نِضو يُسامِي بك الزّهْرا

بعثتَ بمثلِ الزّهرِ فِي مثْلِ صفحةٍ ... لذلك ما قَلَّدْتَها الشّذْرَ والدُّرَّا

معانٍ لها أعْنُو وأُعْنَى بِهَا فكمْ ... وقفتُ عليها العينَ والسّمعَ والفكرا

فلوْ عرضَتْ للبحْرِ لم يلفَظِ الدُّرّا ... ولو عارضتْ هاروتَ لم ينفث السحرا

أبا حسنٍ هنئتَ ما قدْ مُنِحْتَهُ ... ضروبًا من الآداب تُحْلِي بها الدهرا

وبُونَكَ بحرًا من ودادي تلاطمتْ ... به زاخراتُ المدِّ لا يعرفُ الجزرا

فإنْ خَطَرَتْ فِي جانبٍ منك هفوةٌ ... فلا تحسبنْ أنّي أضيقُ بها صدرا

يزلُّ الجوادُ عندما يبلغُ المدى ... ويعثر بالرّمث[1] النسيمُ إذا أسرى

فدعْ ذا وخذها شائبات قرونُهَا ... عروبًا لعوبًا جائزًا حكمها بكرا[2]

ولو غادروا في وصفها متردَّمًا ... لشنّفتُ من شعري بها أُذُنُ الشعرى[3]

ألا فاحجبنها عن صديقٍ معمّمٍ ... فإنَّ قصارى الغمر أن يبكيَ العمرا

ومن كان ذا حجْرٍ ونبلٍ ورقّةٍ ... فلا يخلُوَنْ إلا على الخمرة الحمرا

قرنتُ بها صفراءَ لم تعرف الهوى[4] ... ولا ألفتْ وصلاً ولا عرفتْ هجرًا

ولا ضُمِّخت نضخ العبير وإن غدتْ ... تؤخّره لونًا وَتَفْضَحُهُ نشرًا

---

(1) الرمث: شجر يشبه الغضا.

(2) العروب والعروبة من النساء: الضحاكة.

(3) الشعرى: كوكب يطلع في الجوزاء في شدة الحر. والبيت ورد باختلاف في "نفح الطيب".

(4) في رايات المبرزين: لم تدر ما الهوى.

فإن خلتها بنت الظّليم أظلّها　　فقد فرش الإذخرّ[5] من تحتها تبرا
لها نسبٌ بين الثريّا أو الثرىٰ　　وسل بربَاها المزن والغُصُن النَّضْرا
فشربًا دهاقًا وانتشاقًا ولا ترِم　　عن البيت فترًا أو تقيم به شهرا

المصدر: نفح الطّيب: ج 2، ص 321 ومنها 5 أبيات في رايات المبرّزين: ص 173.

7 ـ هدية

كتب إلى الحسن بن سعيد موجّهًا إليه ما طلبه منه:

(المتقارب)

أتــاك أبــا حســـن غائـــبٌ　　متـــى مــا أردتَ تــراه تـــرهْ
بحَــبٍّ بـــه طيبـــة تنتميـــــه　　ولكـــن بنـــارٍ أتـــتْ نيّـــره
وجــوه النّعيــم عراهــا الجحيــمُ　　فأبرزهـــا أوجهًـــا مسفِـــــره
فكُلْهــا هنيئًــا مريئًـــا ودعْ　　لسكّرهــا قهـــوةَ الدّسكـــرة[6]
وأقــدِمْ فإنِّـــي أرى جُبنهــــا　　يقـــوّي الجبـــان علـــى القَسْـوره
ومهمــا صبــرتَ لوقــت الضُّحى　　فلِلَّـــهِ قلبــك مـــا أصبــــره

المصدر: القدح: ص 10.

---

(5) الإذخر: ج إذخرة وتجمع أيضا على أذاخر. نبات طيب الرائحة. أو الحشيش الأخضر. والظليم: ذكر النعام. وفي "رايات المبرزين.. الأدحيّ: وهو مبيض النعام في الرمل.

(6) الدسكرة: القرية العظيمة أو بيوت يكون فيها الشراب والملاهي أو قصر تكون حواليه بيوت، يجتمع فيها الشطار.

8 ـ سيـف

كتب يمدح أبا زكرياء يحيى الحفصي حين أهداه سيف جدّه عمّار بن ياسر الصّحَابي:

(الوافر)

أمولانــا لئـــن أصبحـــتُ أولـى ... بسيـف الجـدّ عمّــار بـن ياسر

فــودّي لــو غــزوتُ بـه حياتي ... عِـداك ولسـت محتاجـا لناصر

فسعـدك قاتـل كـلّ الأعـادي ... وحزبـك ظاهـر أبـدا وقاهـــر

المصدر: الشّهب اللاّمعة: ص 252.

9 ـ نهـر

قال يصف نهرا نزل على جانبه الأمير يحيى أبو زكرياء:

(الطويل)

ونهـر يـرفّ النّـوْر فـي جنباته ... ويثْنـي النّسيـمُ قُضْبَـه فتأطّـر

يميل كما عَنَّ الصبّاح بأفقه ... وإلاّ كمـا شيـم الحسام المجوهر

عليـه ليحيـى قبـة هـل سمعتـم ... بقرصة شمس حلّ فيها غضنفر

فإن قلـت هـذي قبّـة لعفاتهـا ... فقل ذلك الوادي الذي سال كوثر

المصدر: ديوان الأدب التونسي: ص 229.

10 ـ شـراب ونقـل

وقال في وصف شراب غليظ أسود وخرّوب وزبيب فيه غصون:

(المتقارب)

ويــوم نزلنــا بعبــدِ العزيـــز فــلا قــدّس اللــهُ عبــد العزيـزِ
سقانــا شرابًــا كلــونِ الهِنــاء(1) ونقّلنـــا بــقـــرونِ العنـــوزِ
وجــاءت عجـوزٌ فأهــدت لنـــا زبيبًــا كخيـلانِ خــدِّ العجـوزِ!

المصدر: رايات المبرّزين: ص 173 وديوان الأدب التونسي: ص 224.

11 ـ هديـة

(المتقارب)

وناعمــةِ الأحشــاء طيّبـةِ الجنا أتتك مع الإصباح في فحمة الغَسَقْ
معذّبــةٍ بالنّــار وهــي غريقـةٌ وما أن شكت نار الحريق ولا الغَرَقْ
وأعجـبُ ما فيها إذا ما عضضتَها أرتك ابتسامَ الفجر في حُمْرَةِ الشَّفق

المصدر: القدح: ص 10.

12 ـ الخشكـلان

وله في الخشكلان وهو نوع من الخبز في شكل هلالي. والكلمة فارسية الأصل:

(المجتث)

هـــو الأهـــلّـــة لكـــن تـدعونـــه خـــشـكـــلانـــا
فـــإن تفاءلَـــت صحّـــفْ تجـدْ: حبيبـــك لانـــــا

المصدر: نفح الطّيب: ج 2 ، ص 321.

(1) الهِناء: القار.

السلطان المستنصر بالله الحفصي

(ت 675)

أبو عبد الله محمد بن أبي زكرياء يحيى الحفصي. بويع له سنة 647 وتسمى خليفة سنة 650 وتلقّب بالمستنصر بالله. جاءته البيعة من مكّة والشّام والأندلس. كان شاعرا أديبا وكانت مجالسه الأدبيّة حافلة بأبرز العلماء والأدباء من تونس والأندلس والمغرب. شيّد القصور ونضّد البساتين وبنى الجوابي وأصلح الحنايا الرومانيّة التي تأتي بالماء الى العاصمة وأوصله الى جامع الزيتونة. وكان ولوعا بالاجازة الشعرية. وقد أنشد حازم القرطاجني مقصورته الشهيرة تخليدا له. وفي عهده فشلت الحملة الصليبيّة الثامنة على تونس ممّا ساهم في ازدهار الحضارة في تونس ووصولها الى الأوج من حيث العمران والاقتصاد والفكر.

مقطوعات

- 1 -

عرض المستنصر مرّة أجناده، وقيل: بل سلّم عليه الموحّدون يوم عيد بتونس، وفيهم شاب مليح وسيم اسم جدّه النّعمان، فسأله السّلطان عن اسمه، وأعجبه حسنه، فخجل واحمرّ وجهه، وازداد حسنًا، فقال السلطان هذا المصراع:

(الكامل)

كلّمته فَكَلَمْتُ صفحة خدّه

وسأل من الحاضرين الإجازة، فلم يأتوا بشيء، فقال السلطان مجيزًا شطره:

فتفتّحت فيها شقائق جَدِّه

المصدر: نفح الطّيب: ج 2 ، ص 323

- 2 -

قال مخاطبا أبا بكر بن سيد النّاس في أحد مجالسه الأدبية:

(البسيط)

ما حالُ عينيك يا عينَ الزّمان فقد
أورثْتَني حزنًا من أجلِ عينيكَا

وليس لي حيلةٌ غيرَ الدّعاء فيا
ربٍّ براوِي الصّحيحين حنانيْكا

المصدر: نفح الطيب: ج 4، ص 110.

- 3 -

كان السّلطان المستنصر باللّه في بعض متصيداته، فكتب لأبي عبد الله بن أبي الحسين يأمره باحضار الأجناد لأخذ أرزاقهم بقوله:

(الوافر)

ليحضُــرْ كلُّ ليــثٍ ذي منــال   زكــا فرعًــا لإســداء النَّــوال
غــدًا يــومَ الخميس فما شُغِلنَا   بأُسْــدِ الوحــشِ عن أُسْـدِ الرِّجال

المصدر: نفح الطّيب: ج 2 ، ص 322 ـ 323 والوافي: ج 5، ص 203.

ـ 4 ـ

قال متغزّلا

(الكامل)

مالــي عليكَ ســوى الدُّمُوعِ مُعِينُ   إن كنت تغْدرُ فِي الهوى وتخونُ
مــنْ منْجِـدِي غير الدُّمُوعِ وإنّها   لمغيثــةٌ مهمــا استغــاثَ حزينُ
اللّهُ يعلــمُ أنّ مــا حمّلْتَنِــــي   صعــبٌ ولكِــنْ في رضــاكَ يهُونُ

المصدر: نفح الطّيب: ج 2 ، ص 323 ، والوافي: ج 5 ، ص 202.

أبو بكر بن حبيش

(ت 615 . ت بعد 679)

أبو بكر محمد بن الحسن بن يوسف بن الحسن بن حبيش اللخمي المرسي الأندلسي. ولد في جمادى الأولى سنة 615 بمرسيّة ونشأ بها وتكوّن. نزح إلى تونس حيث أقام وأكثر من مدح المستنصر بالله. وكان من أبرز الأدباء والعلماء من أفراد الجالية الأندلسيّة الذين اتصلوا بالبلاط الحفصي واضطلعوا بدور كبير في نشر المناهج والطّرق الأندلسيّة في التّعليم ورواية الأدب. وكون ابن حبيش العديد من الأدباء التونسيين والمغاربة بتونس. وهو من أهم الأدباء الذين ساهموا في بلورة المدرسة الأدبيّة التونسيّة في العهد الحفصي وارسائها على قواعد راسخة.

1 . تخميس

قال مخمسا لأبيات قالها أبو العباس بن القصير يصف مركبا قاصدا البقاع المقدّسة:

(مجزوء الرجز)

طوبـــى لوفـــد المغـــرب لمـــا سَـــرَوْا ليثـــرب
فـــازوا بأعلـــى طلـب للّـــه درُّ المـــركـــب
إذ ســار ســيرَ الكوكب

بشــرى لكــلّ مــن بــه نــال الرّضــى مــن ربّــه
مطهّـــرا مـــن ذنبـــه يــا ليتنــي مــن صحبــه
أسـري إلـى قبـر النـبـي

اللّـــه حسبـــي وكفَـــى عســاه يــدْنِــي للصّفـــا
وروضـــة فيهـــا الشّفـــا مــا غيــر قبــر المصطفــى
بــرءاً لــداء الــمــذنــب

المصدر: ملء العيبة: ج 2 ، ص 125.

2 . عينـاك

(الكامل)

لولا الحيَاءُ مِنَ الرّقِيبِ الرّاصِدِ
لجعلتُ قصدَكَ مِنْ أجلّ مقَاصِدِي
يَا مَنْ تسلّمَ مُهْجَتِي نَقْداً بِلاَ
ثمنٍ، وسوِّفَ بِاللّقَاءِ موَاعِدِي
عَيْنَاك تَقْتُلُنِي ولَسْتَ بِرَاحِمِي
وهَوَاكَ يمْرِضُنِي ولَسْتَ بِعَائِدِي

نَفْسِي فِدَاكَ! أمَا بَدَا لَكَ بَعْضُ مَا

أخْفِي وقدْ كَثُرَتْ عليَّ شَوَاهِدِي؟

حلَّيْتُ نفسِي فِيكَ حِلْيَةَ شُهْرَةٍ

شَهِدَتْ بِإِخْلَاصِي وَصِدْقِ عَقَائِدِي

السُّقْمُ حَلْيِي والصَّبَابَةُ حلَّتِي،

والعشقُ تاجِي والدُّمُوعُ قَلَائِدِي

يَا غُصْنَ بانٍ فِي انثِنَاءٍ دائِمٍ،

وهِلَالَ تمٍّ فِي اكتِمَالٍ زَائِدِ

وغَزَالَ إِنْسٍ مَا تَأَنَّسَ بِالهَوَى

صَادَ القُلُوبَ ومَالَهُ مِنْ صَائِدِ

فإِذَا تجلَّى مِنْ حجَابِ نِفَارِهِ

حجَبَتْهُ أنوارُ الشُّعَاعِ الصَّاعِدِ

وَبَدَا فَلَمْ يُمْكِنْ سَنَاهُ لِنَاظِرٍ

ومَشَى فَأَمْكَنَ خَصْرُهُ لِلْعَاقِدِ

يَا مَنْظَرًا لِلْحُسْنِ فِيهِ بَدَائِعٌ

شَهِدَتْ بِإِبْدَاعِ القَدِيرِ الوَاحِدِ

رَقْرَاقُ وجْنَتِهِ كَدَمْعٍ ذَائِبٍ

ونِظَامُ مَبْسَمِهِ كَنَظْمٍ جَامِدِ

يَا وَرْدَ خَدَّيْهِ أمَا مِنْ نَاشِقٍ!

يَا عَذْبَ مَرْشَفِهِ أمَا مِنْ وَارِدٍ!

يفترُّ عنْ ظَلْمٍ[1] لِقَلْبِي ظَالِمٍ

يَجْرِي عَلَى شَهْدٍ بِشَوْقِي شَاهِدِ

لحَبَابِهِ[2] فِي النَّفْسِ، لوْ حاَبَى بِهِ،

فِعْلُ ابن مرْيَمَ[3] فِي الرّمِيمِ البَائِدِ

مَنْ لِي بِهِ يَخْتَالُ بَيْنَ لِدَاتهِ

كالبَدْرِ بَيْنَ كَوَاكِبٍ وَفَراقِدِ!

وَيَمِيسُ فِي حُلَلِ الجَمَالِ كمَا ثنَى

نَفَسُ الصَّبَا عِطْفَ القَضِيبِ المَائِدِ

فَتَّانُ لحظٍ مَا خَلَتْ أجْفَانُهُ

عنْ سَاحِرٍ أوْ نَافِثٍ أوْ عَاقِدِ

هلْ أرْتَجِي إقبَالَهُ وقَبُولَهُ

والدّهْرُ فيهِ مُعَارِضِي ومُعَانِدِي؟

أوْ قربَهُ، والسّعدُ غيرُ مُسَاعِدِي؟

أوْ طَيفَهُ، والجَفْنُ ليْسَ بِرَاقِدِ؟

أأَلَذُّ بِالبُقْيَى وَمَا عَهْدُ الرِّضَى

بَاقٍ، ولا عصْرُ الوِصَالِ بِعَائِدِ؟

لَوْ شِئْتَ يَا حَسَنًا تَسَمَّى أحْمَدًا

لَجَمَعْتَ بَيْنَ مَحَاسِنٍ وَمَحَامِدِ

---

(1) الظلْم: بريق الأسنان .

(2) الحباب: فقاقيع على وجه الشراب .

(3) هو عيسى بن مريم عليه السلام.

مَا بَالُ مَنْ وافَى بِدِينٍ خَالِصٍ
في الحبّ يَبْقَى فِي عذَابٍ خَالِدِ؟
يَا ربّ هبْ أجْرِي لهُ فِي قتْلَتِي
عَمْدًا، وهبْ لِي عَنْهُ وِزْرَ العَامِدِ
يَا مَنْ أطَاعَ بِيَ الوشاةَ وطَالَمَا
عَاصَيْتُ فِيهِ نَصَائِحِي وَمَرَاشِدِي
يَكْفِي جمَالَكَ أن فَتَنْتَ عوَاذِلِي
وكَفَى سقَامِي أنْ تَرِقَّ حوَاسِدِي
لمْ أحْظَ مِنْكَ، وأيُّ حظٍّ فِي الهوَى
لِمُسَارِقِ اللّحَظَاتِ غيرِ مُعَاوِدِ؟
أفْنَيت أيَّامِي بِهَجْرِكَ لِي، فَصِلْ
قَبْلَ الممَاتِ ولَوْ بِيَوْمٍ وَاحِدِ
تاللّهِ ما بَالَيتُ بِالدّنْيَا وَمَنْ
فِيهَا إذَا كَانَ الحَبِيبُ مُسَاعِدِي

المصدر: مختارات من الشّعر المغربي والأندلسي: ص 125 ـ 128.

3 ـ سلوا ساحر الأجفان

(الطويل)

سلوا سَاحرَ الأجفانِ يُنعمْ بِوَعْدِهِ

ولاَ يَلْوِهِ لَيَّ التثنِّي لِقَدِّهِ

فقدْ ـ وهواهُ ـ ألهبَ الشّوقُ أضلُعِي

كما ألهبَتْ نارُ الشّبابِ بخَدِّهِ

وألبَسَ جِسْمِي السُّقْمَ مِنْ سُقْمِ طرفهِ

وعَلّمَ صبْرِي الضّعفَ من ضعفِ عَهْدِهِ

فَيَا قمرًا غَارَ الهلالُ بوجههِ

كمَا التحفَتْ زُرْقُ السَّحَابِ بِبُرْدِهِ

تطلّعْ بأفْقِي فهْيَ ليْلَةُ أسعُدِي

كمَا لاح بدْرُ التمِّ فِي أفْقِ سَعْدِهِ

تملّكتَ رُوحِي والفُؤادَ فلمْ تدعْ

سوى رمَقٍ إن كنتَ تَقْبَلُ أُهْدِهِ

بِنَفْسِي غزالٌ فاتِرُ اللّحْظِ فَاتِنٌ

غدَا الحسْنُ عقدًا وهوَ وسْطَى بِعِقْدِهِ

تحيّرَتِ الألحاظُ منهُ تعجُّبًا

متَى امتزَجَتْ خَمْرُ الرُّضَابِ بِشَهْدِهِ؟

بِفِيهِ لَمًى يَشْفِي العَلِيلَ بِرَشْفِهِ

على بَرَدٍ يُذْكِي الغَلِيلَ بِبَرْدِهِ

أمَا وعقيقٍ ذابَ فِي دُرٍّ وجنةٍ

أذابَتْ فؤادَ الصَّبِّ فِي نارِ وجْدِهِ

ونفحةِ مسكٍ إن تنسَّم يُهْدِهِ

ورَائِقِ دُرٍّ إن تبسَّمَ يُبْدِهِ

لَقَدْ خِفْتُ أن يَقْضِي السرور بقربِهِ

عليَّ ولمْ أنْعَمْ بِسَاعةِ وَعْدِهِ

فيا ربِّ أنِّسْنِي بِقُرْبِ مَزَارِهِ

وأنِّسْهُ لِي منْ نفرةِ الصدِّ واهدِهِ

المصدر: مختارات من الشعر المغربي والأندلسي: ص 128 ـ 129.

4 ـ أنعم بيوم

(البسيط)

أنعم بيوم له في الحسن آثار ... تقضى به لك آمالٌ وأوطارُ

وجه الزَّمَانِ وقد راقت محاسنُه ... له سفورٌ، وللإصباح إسفارُ

والأرضُ في بركاتٍ منكمُ، فبها ... في اللّيل والمحلِ أنوار ونوّار

والرَّوض يُهْدي نسيما ليس يُشْبِهُهُ ... في الطّيب إلا ثناءٌ منك مِعْطار

والطيرُ يفتنّ في الفتَّانِ من نَغَمٍ ... تفسيرها لك إجلالٌ وإكبار

والشّرق ذو شفق في البحر مؤتلقٍ ... كأنّما الماء شبّت فوقه النّار

والشمس تطلع كالدِّينار أخلصَ من ... محض النُّضَار، فهامت فيه نُظّار

تبدو مع الماء طورا، ثم يرفعها ... أوجٌ ويدفعها موجٌ وتيّار

ما كان للبحر إذ حاكى يديك ندى ... أن يُمْسِكَ الشّمسَ فيه وهي دينار

المصدر: ملء العيبة: ج2 ، ص 118.

5 ـ مدحية لأمير حفصي

له من قصيدة يمدح بها الأمير أبا فارس بن الأمير أبي إسحاق بن الأمير أبي زكرياء بن أبي حفص عمر. وتوفّي هذا الأمير مقتولا في حربه مع المسيلي الدّعيّ سنة 682 هـ:

(الطويل)

بِنَفْسِيَ والهيمانُ فِي الحسن يُعْذَرُ
وذنبُ التسلِّي فِي الهوَى ليسَ يُغْفَرُ

جمالٌ، أطَالَ الهائمُونَ صبابةً
بِه، ورآهُ اللاّئمونَ فأقْصروُا

محيًّا يحيًّى بالنُّفوسِ إذا بدَا
ويُتْحَفُ بالأرواحِ ساعةَ يُنْظرُ

تكامل كلُّ الحسنِ فيِهِ، فقد أرى
وعنْدِيَ كلُّ الحبِّ، أنّي مقصّرُ

وبي من ظِباء الإنس ذاتُ لواحظٍ
تعلّم هاروت بها كيفَ يسحرُ

مهفهفةُ الألحاظِ تَنْآدُ في الحلَى
كما ماسَ غصنٌ ناعمٌ وهو مُزْهِـرِ

محجّبةٌ لو طالعَ البدْرُ خدِرَهَا
رأى أنّ بدْر الأرضِ أبْهَى وأبْهرُ

تلوحُ بِهَا شمسٌ وترتاحُ خوطةٌ[1]
ويسجَعُ قُمرِيّ ويلحظُ جؤذَرُ
وتزْهرُ منهَا بِالمحاسنِ روضةٌ
ولكنّها بالوصلِ لِي ليْسَ تُثْمرُ
هلاَلٌ محيّاهَا، تخالفَ حُكْمُهُ،
بِمَرْآهُ صَامَ الخِصْرُ والرّدْفُ يُفْطِرُ
ترِيكَ غزَالَ القفْرِ، جِيدًا ومُقْلَةً،
فنفّرتهَا عَنْ عَاشِقٍ ليْسَ تُنْكرُ
لَهَا مِعطفٌ لو علّمَ اللينَ قلبَهَا
لما باتَ قلبِي لوعةً يتفطّرُ
وجسمٌ نُضَارِيٌّ[2] يكادُ نضارةً
يُؤَثِّرُ فيهِ أن أقولَ يؤثِّرُ!
وخدٌّ إذا فكّرْتُ فِي رقّةٍ بِهِ
تخوّفتُ أنْ يُدْمِيهِ ذاكَ التفكُّرُ!
وطَرْفٌ حكى في الضّعفِ حجّةَ لائمِي
على الحبّ أو صبْرِي لهَا حينَ تهجُرُ
يسهّدُ أجفَانَ الورى وهو نائمٌ
ويهْدِي لنهجِ العشقِ وهو محيَّـرُ

---

(1) الخوطة والخوط: الغصن الناعم، والقضيب عامّة.
(2) نضاريّ: نسبة الى النضار، وهو الذهب.

كحيلٌ، ولكن زاد بالكحلِ صولةً
كَمَا صقلَ الهنديُّ[3] وهو مجوهرُ

وتبسمٍ عنْ ألْمَى كأنّ نظامهُ
عقيقٌ ودرٌّ بالزَّبَرْجَدِ يَمْتُرُ[4]

تجسّــمَ فيهِ النُّــورُ نَوْرًا، يَعُــلُّهُ
زلالٌ وجِريالٌ[5] وَشَهْدٌ وَعَنْبرُ

يرُوقُ ابتِسَامًا وانْتِسَامًا، كأنّهُ
صباحٌ منيرٌ أو أقاحٌ منوِّرُ

قضتْ لذَمَائي[6] أن يذوبَ مِن الظّما
وفى المرشفِ الأحْلَى رحيقٌ وكوثرُ

وهلْ يرْتوِي منْ حامَ واللّحظ قدْ حمَى؟
أيورَدُ عذبٌ فوقهُ العَضْبُ يُشْهرُ؟

ويسْكَرُ مَنْ تُرْوِيهِ خمْرٌ، وهَا أنَا
لِخَمْرِ اللَّمَى ظَـامٍ، فما ليَ أسكَرُ؟

ولمّا تساوتْ فِي البهاءِ عقُودُهَا
وأَلْفَاظُهَا لمْ أدْرِ، والكلُّ جوهَرُ،

(3) الهندي: صفة السيف المصنوع من حديد الهند.
(4) قرأها المحقق يهتر ولا معنى لها ولعلها يمتر أي يمتدّ.
(5) الجريال: الخمر.
(6) الذّماء: بقيّة الروح في الجسد.

هل العقْدُ منْ ذاكَ الكلامِ منظّمٌ؟

أمِ اللّفظُ منْ تلكَ القلائدِ يُنْثَرُ؟

فيا عاذلي فيها التفتْ من صفاتها

إلى أربعٍ فيهَا تهيمُ وتعذِرُ:

يشُوقُكَ معسُولٌ ويَسْبِيكَ أغْيَد

ويُصْبِيكَ مَيّاسٌ ويُصْمِيكَ أحْوَرُ

المصدر: مختارات من الشعر المغربي والأندلسي: ص 122 ـ 125.

6 ـ أذلك السّراج

حضر أبو بكر بن حبيش ليلة مع بعض أصحابه وطفئ السّراج، فقال ارتجالا:

(البسيط)

أذْكِ السّراج يُرينا غرّةً سفرتْ

فباتت الشّمسُ تستحيي وتستترُ

أو خلّهِ فكفانا وجهُ سيّدنا

لا يَطْلُبُ النّجمَ من في بيته قمرُ

المصدر: نفح الطّيب: ج 3 ، ص 461.

7 ـ رثاء القائد هلال

قال يرثي القائد هلالا، وقد كان معطاء مفضالا:

(الطويل)

وقالوا: رثيتَ المجد؟ قلت لهم: نعم رثائي له حزني عليه إلى الحشر
ولو كنتُ حيّا بعده لرثيتُه ولكنّ رُوحِي سابقته إلى القبر

المصدر: ملء العيبة: ج 2 ، ص 122.

8 ـ كافات الشتاء

(الكامل)

إن قيل: كافاتُ الشِّتاء كثيرةٌ، قل أنت: بل هي واحد دون امترِا
إن صحّ كاف الكيس صحّ جميعها وكذاك كلّ الصَّيْدِ في جوفِ الفرِا

المصدر: ملء العيبة: ج 2 ، ص 122.

9 ـ وصف البهار

(مجزوء الوافر)

بــهـــار بـــاهـــر عبـــقُ إليـــه الطَّـــرْف يستـــبـــقُ
كـــأنّ القُضْـــب منـــه حيـ ـن حيّاهـــا الحيـــا الغـــدقُ
أنامـــلُ غـــادةٍ فيهـــا خضـا ب أخـــضـــر أنـــــقُ
خَوَاتِمُهَـــا مكـــلّـــلـــةٌ بـــدُرٍّ زانـــه نـــســـقُ
لـــه مـــن أصفـــرِ الياقـــوت فـــصّ وسطَهـــا شـــرِقُ
حكـــى مُصْفَـــرُّهُ جسمـــي ويحكـــي وُدِّيَ اليقَـــقُ
رُزِقـــت بـــه الغنـــى واللّـ ـــهُ يَـــرْزُقُ مـــن بـــه يثِـــقُ
فلـــي مـــن عينـــه عـــين ومـــن أوراقـــه وَرِق[1]

المصدر: ملء العيبة: ج 2، ص 121 ـ 122.

10 ـ صادات الصيام

(البسيط)

جاء الصِّيامُ ومِنْ صاداته بيدي سبع، فقد أكسبتني بالقبول ثقهْ
صوفيّتي وصفائي في صالحيتي والصبرُ والصَّونُ، ثم الصِّدْق وَالصَّدَقَهْ

المصدر: ملء العيبة: ج 2، ص 122.

(1) الورق: المال من الدراهم والماشية والورِق: الدراهم المضروبة.

11 ـ نفسي فداك

(الكامل)

نفسي فداك أما ترى صوبَ الحيـا   قـدْ رام أن يحكـي عميم نداكا
والجـوّ منسكـب الدُّمُـوعِ كأنّـه   يهـواك أو يرثـي لمن يهواكـا
واليـومُ منهـزمٌ كـأنّ ذمـــاءه   صبـري وقد عنّـت لـه عيناكا
والليـلُ يبـدي ظلمةً فـي وحشة   بِكفـؤاد صبّـك أو كيـوم نواكا

المصدر: ملء العيبة: ج 2، ص 117 ـ 118.

12 ـ العيد لي وحدي

قال أبو بكر بن حبيش، وقد زاره بعض أودّائه في يوم عيد فطر:

(الرجز)

أكلُّ ذا الإجمالِ فِي ذَا الجمالْ   اللّهَ أستحفظُ ذاك الكمالْ
يَا مالِكًا بالبرِّ رقِّي أما   يكفيك أن تملِكَني بالوصال
سرتَ الى رَبعِيَ زَورًا كما   سرى إلى المهجور طيفُ الخيالْ
العيد لي وحديَ بين الورى   حقًّا لأنّي قد رأيتُ الهلال
صوميَ مقبولٌ وبرهانُهُ   أنِّيَ أُدْخِلْتُ جنانَ الوِصالْ

المصدر: نفح الطيب: ج 4، ص 16.

13 ـ الحبّ ديني

(البسيط)

الحبُّ دينِيَ لاَ أبْغِي بهِ بَدَلاَ

والحُسْنُ ملْكٌ مطاعٌ، جَارَ أوْ عدَلاَ

يَا منْ عَذَابِي عذْبٌ فِي محبّتِهِ

لا أشتكِي منكَ إلاّ الصدَّ والمَلَلاَ

النّفسُ عزّتْ ولكِنْ فيكَ أبْذُلهَا

والذُّلُّ مُرٌّ ولكنْ فِي رضاكَ حلاَ

كأنّما القلبُ منِّي مِجْمَر عبِقٌ

يزِيدُ فِي حبّكُمْ طيبًا إذا اشْتَعَلاَ

بدْرٌ على الأرْضِ، أمْ رِضْوانُ قدْ غفلا؟

أمْ فتنةٌ تسحَرُ النسّاكَ والعُقَلاَ؟

تبارك اللّهُ! ماذَا للعقولِ جنى

منَ الفتونِ؟ وماذا للعيُونِ جلاَ؟

يا منظرًا إن بدَا كانتْ محاسنُهُ

للحبِّ عذرًا وللاّحِي لهُ خجلاَ

أمّـن فؤادِيَ مِنْ تِلْكَ الجُفُون كما

أمّنتنِي بالجمالِ اللّومَ والعذَلاَ

إنْ كنتَ للخلقِ فتّانًا فلا عجبٌ،

لكنْ عجِبْتُ لسالٍ عنكَ كيفَ سلاَ

بالله هل يُنْعِمُ العِطفُ المنعَّم لِي

بالعَطْفِ؟ أو يعدِلُ القدُّ الذي اعتدلاَ؟

منْ لِي بِهِ؟ لمْ يدَعْ فِي مهْجَتِي رمقًا

منَ الحياةِ، وَلاَ فِي وصلهِ أملا!

جعلْتُ خدِّي له أرْضًا، فوقّعَ: لاَ

أرْضى، وأتحفْتُهُ نفْسِي فمَا قبِلاَ

سطَا على الخلْقِ سلْطَانُ الجمالِ، فمنْ

زيْن السّلاطينِ أن صارُوا لهُ خوَلاَ

يا والِيَ الحسنِ تنقادُ النُّفُوسُ لهُ!

يا آمرَ الحبِّ! كلُّ العالَمِ امتثلاَ

موْلايَ! ولِّ فُؤادِي للرِّضى خُطَطًا

كمَا خَلَعْت عَلَيْهِ الضّنَى حُلَلاَ

وهبْ لقلبِي نعيمَ القربِ منكَ كمَا

حَمّلْتَهُ ألمَ الأشواقِ فاحتمَلاَ

شرِّفْ بخدْمةِ ذاكَ الحسْنِ عاشقَهُ،

وابْذُلْ رضاكَ لرُوح فيكَ قدْ بُذِلاَ

يَا مَنْ لهُ دولةٌ فِي الحسنِ باذلةٌ

مِثْلِي ومثْل فؤادِي يخْدِمُ الدّولاَ

المصدر: مختارات من الشعر المغربي والأندلسي: ص 136 ـ 138.

14 ـ قالوا

(البسيط)

قالوا تصبّر عن الدّنيا الدنيّة أو
كن عبدها واصطبر للذّلّ واحتملِ
لا بدّ من أحد الصّبرين قلت: نعم
الصّبر عنها بعون اللّه أوفقُ لي

المصدر: نفح الطّيب: ج 3 ، ص 227.

15 ـ احتجاج

(الطويل)

وأحورَ وسنانِ الجفون سقيمِها مهفهفٍ أثناءَ الوشاح هضيمِها
من الإنس لم يدرِ الفلاة، وقد سَبَى لحاظًا وجيدًا من مهاها وريِمها
ضَرَعْتُ إليه في الوصال، فردّني مَرَدَّ مليء بالحِجاج عليمِها
وقال: وصالا رمتَ، والنهيُ عنه في شريعتنا حكمٌ أتى عن حكيمها!
فقلت: اشتراكُ اللّفظ غرّك، إنما نَهَى في الليالي عن توالي مصومِها
فقال: إمامي الشّافعيُّ، وقد رأى لمشتركِ الألفاظ حكمَ عمومها

المصدر: ملء العيبة: ج 2 ص، 116.

16 ـ تعاطف

قال متعاطفا مع القائد هلال كبير علوج المستنصر في مرضه وكان يرعى أهل العلم ويحسن الى المساكين:

(البسيط)

كيف العلاَء؟ فإشفاقي كما عُلِما وإن وثقتُ بأنّ اللّه قد عَصَما
فارقتُكمْ ويد الشّكْوى تُلاعِبكم فجدّ خوفي وجاءت عَبرتي دِيمًا

شكاتُكم أوجبت أن بتُّ مشتكيا   لعلّ جسمي عنكم يحمل الألما
فإن حملت ضناكم كلّه فكفى   أوْلاَ، فصحُّوا وزيدوا عبدكم سَقَما

المصدر: ملء العيبة: ج 2 ، ص 124.

17 ـ نسيم الصّبا

(الطويل)

نَسيمَ الصبّا عَرِّجْ بأكناف نَعمانِ[1]
وَصَرِّفْ لِأَحْبَابِي غَرَامِي وَأَشْجَانِي
وَخُذْ مِنْ سَلاَمِي نَفْحَةً تَنْثَنِي بِهَا
لِلُقْيَاكَ أَعْطَافٌ مِنَ الرَّنْدِ وَالبَانِ
تَوَصَّلْ بِإِخْلاَصِ المَحَبَّةِ نَحْوَهُمْ
تُلاقِ لَدَيْهِمْ كُلَّ عَطْفٍ وَتَحْنَانِ
وَإِنْ سَأَلُوا مَاذَا النُّحُولُ؟ فَقُلْ لَهُمْ:
حَنِينِي لمَا يَلْقَى المُحِبُّونَ أَضْنَانِي
تَحَمَّلْ إِلَى تِلْكَ الأَبَاطِحِ وَالرُّبَى
تَحِيَّةَ خَفَّاقِ الجَوَانِحِ وَلْهَانِ
رِيَاضٌ كَأَنَّ الرَّوْضَ فِيهَا عَرَائِسٌ
تُحَلَّى بِأَسْمَاطٍ[2] وَتُجْلَى بِتِيجَانِ
تَدَفَّقَ فِيهَا كُلُّ أَزْرَقَ سَلْسَلٍ
وَغَنَّى عَلَيْهَا كُلُّ أَوْرَقَ[3] حَنَّانِ
أَنُوبُ لَهَا شَوْقًا وَإِنْ لَمْ أُلاَقِهَا
وَلَكِنَّ أَوْطَارِي لَدَيْهَا وَأَوْطَانِي

---

(1) نَعْمَان: هو نعمان الأراك، واد بين مكة والطائف.
(2) أسماط: ج سمط، وهو العِقْدُ.
(3) الأورق هو الحمام، مؤنثه الورْقَاءُ.

أَيَعْلَمُ سُكَّانُ الغَضَى[4] أَنَّ بُعْدَهُمْ
يَشُبُّ الغَضَى[5] فِي قَلْبِ مُكْتَئِبٍ عَانِي
وَهَلْ عِنْدَ جِيرَانِ العَقِيقِ[6] بِأَنَّنِي
لِفُرْقَتِهِمْ ذَابَ العَقِيقُ بِأَجْفَانِي؟
وَأَنَّ أَحَادِيثَ العُذَيْبِ[7] لِمَسْمَعِي
أَلَذُّ مِنَ العَذْبِ الزُّلَالِ لِظَمْآنِ؟
كَفَى شاهِداً بِالشَّوْقِ جِسْمِي وَمَدْمَعِي
فَذَا رَمَقٌ فَانٍ وَذَا غَدَقٌ[8] قانِي
وَحَسْبِي وَفَاءً أَوْ صَفَاءً بِأَنْ أَرَى
مِنَ الغَدْرِ صَبْرِي أَوْ مِنَ الإِثْمِ سُلْوَانِي
أَرَاهُمْ بِعَيْنِ الشَّوْقِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ
فَلاَ البُعْدُ أَنْسَانِي وَهُمْ وَسْطَ إِنْسَانِي
مِثَالُهُم فِي حَبَّةِ القَلْبِ مَاثِلٌ
وَرُمْتُ لِقَاءً فِي العِيَانِ فَأَعْيَانِي
وَلِي مُهْجَةٌ تَصْبُو إِلَى نَفَسِ الصَّبَا
فَلَوْ هَبَّ فِي الأَحْيَانِ مِنْهُمْ لَأَحْيَانِي

(4) سكّان الغضى: سكان نجد، سمّيت به لكثرة الغضى بها، وهو نبات من الأثل خشبه من أصلب الخشب.

(5) يشب الغضى: يوقد نار الغضى، لأن جمر الغضى يبقى زمانًا طويلاً لا ينطفىءُ.

(6) العقيق: هو اسم لأربعة أودية بالحجاز.

(7) العُذَيْب: ماء بين القادسيّة والمغيثة وهو أيضا وادٍ لبني تميم من منازل حاجّ الكوفة.

(8) الغدق: الماء الكثير.

فَباللّهِ حَيٍّ السَّفْحَ يَا سَافِحَ الحَيَا

وَقِفْ بِالمَحَانِي وَقْفَةَ المُشْفِقِ الحَانِي

وألحفْ ثراهَا فِي بساطِ زَبَرْجَدٍ

عليه نُثَار منْ لجينٍ وعِقيانِ

ليختالَ ذاكَ القصرُ فِي وشْيِ زَهرِهِ

كما اختال مأمون على فُرْشِ بورانِ(9)

المصدر : مختارات من الشعر المغربي والأندلسي:ص 131 ـ 132.

18 ـ متّع جفوني

(البسيط)

متّع جفوني بذاك المنظر الحسن،

واستبقِ روحِي فإنّ الجسم فيك فَنِي

حنّتْ للقياكَ نفسِي يا معذّبَهَا

واستعذبتْ فيكَ ما تلقَى من المِحَنِ

مولايَ علّلْ عليلاً أنت ممرضُهُ

وارفقْ بقلبٍ به سكناكَ، يا سَكَنِي

دينِي ودنيايَ في مرآكَ قد جُمِعَا

يا من تجمّع من بدرٍ ومنْ غُصُنِ

أقْبِلْ بوجهك واقبلْ مهجتِي ثمنًا

ما للوصال سوى الأرواح منْ ثَمَنِ

---

(9) بُورَان: هي خديجة بنت الحسن بن الحسن بن سهل (حوالي 191 هـ / 807 م ـ 271 هـ / 884م)، تزوّجها الخليفة المأمون سنة 209 هـ / 824 م في حفل مشهود قيل إنه فرش فيه حصيراً من الذّهب ونُثِرَتْ عليه أصنافُ الجواهر.

بما بعينيكَ من سحْرٍ قتلتَ بهِ
لبّي ومن سقمٍ أورثتهُ بدنِي
نعّم بوجهِكَ مشتاقًا لرؤيتهِ
يا منْ تنعّمتُ فيهِ حينَ عذّبنِي
يا من إذا لَـمَـحَـتْـهُ مقلتِي قدحتْ
نارًا تنيرُ بخدّيهِ وتُحرقُنِي .
عِطفاكَ تُطمِعُ فِي عَطْفٍ وقلبكَ لِي
قاسٍ على ما أقاسِي فيكَ منْ شجَنِ
قاسيتُ بعدكَ ما رقّ الجمادُ لهُ
فما لقلبكَ لم يُشفِقْ ولمْ يلِنِ
وقد وهبتك نفسي لا أمنّ بها
فإنْ تقبّلتَ كانتْ أشْرَفَ المِنَنِ
باللّه يا من جفانِي سلْ جفونكَ لِمْ
قاسمْنَنِي السُّقمَ واستأثرنَ بالوسنِ؟
حسبِي من الدّينِ والدنْيَا رضاك، ومنْ
باع الورى بك لم يُنْسبْ إلى الغبنِ
بذكركمْ يأنسُ المشتاقُ بعدكمُ
أنس الغريبِ إلى الأحبابِ والوطنِ
يُدْرَى هواك وإن أخفيتُهُ، ومتى
يَغْلِبْ على السرِّ شيءٌ كان في العلنِ

المصدر: مختارات من الشعر المغربي والأندلسي: ص 130 ـ 131.

19 ـ ولوع بالحب

كتب أبو بكر بن حبيش لمن يهواه بقوله:

(الطويل)

متى ما تَرُم شرحًا لحالي وتبْيينا فصحِّفْ على قلبِي «علومك تحيينا»

المصدر: نفح الطّيب: ج 3، ص 466، وأراد: إنّي بحبّك مولع.

20 ـ إلى الله أسلو

(الطويل)

أيقدِرُ أن يَنْسَى الغرامَ ويسلوَ
محبٌّ عصى العذّال فِي طاعةِ الهوى؟
فأجفانُهُ فِي قبضةِ السُّهدِ والبُكَا
ومِقْوَدُهُ فِي راحةِ الوجْدِ والجوى
فؤادٌ بحرِّ الشوقِ يشكُو من الظّما
ففِي طرفهِ داءٌ وفي ثغْرِهِ دوًا
بدتْ لك أسراري وأخفانِيَ الضّنى
فسرِّيَ منشورٌ وجسمِي قد انطوى
عجبْتُ لسِرِّي ضاقَ عن كتمِ سرِّهِ
فكيفَ حوى من فرطِ حبِّك ما حوى؟
إلى اللّهِ أشكُو ما أجِنُّ منَ الأسى
إذا لم تُبِحْ لِي أن أبوحَ وأشْكُوَا

أيا موسرًا يلوِي بدْينٍ لمعسرٍ

ألم تدرِ ما قدْ جاء في موسرٍ لوى[1] ؟

ويا مضْرِمًا نارَ الجوى فِي جَوانِحِي

أتحرق رَبْعًا كم أطلْتَ بهِ الثَّوى؟

ألحَّ عذُولِي بالملامِ، ولوْ رأى

حبيبيَ لاستحيى من العذْلِ وارعوى

محَيًا كما أبصرت من قمرِ الدُّجَى

وجيدٌ كما حُدِّثْتُ عن ظَبية اللِّوى[2]

وطرفٌ ضعيفٌ مثلَ حُجَّةِ لائِمِي

على حُبِّهِ، أو مثل صبريَ للنَّوَى

يسدّد من جفنيه نحويَ أسهمًا

مواقعُهَا منّي المقاتلُ لا الشَّوَى[3]

يُميتُ بلحظٍ ثمّ يُحيي برشفةٍ،

ففي طرفهِ داءٌ وفي ثغره دوا

إذا عُدَّ فرسانُ الهوى مثل عُروةٍ

وقيسٍ[4] فإنّي فيهمُ حاملُ اللِّوا

---

(1) لوى: مطل وتباطأ. جاء في القرآن الكريم: "وأما من بخل واستغنى وكذّب بالحسنى فسنيسّره للعسرى، وما يغني عنه ماله إذا تردّى" (سورة الليل) وجاء في الحديث: "ليُّ الواجد يحلّ عرضه وعقوبته".

(2) ما التوى وانقطاع من الرمل.

(3) الشوى: أطراف الجسم، واحدتها شواةٌ.

(4) يعني بعروة عروة بن حزام العذريّ، من بني عذرة، من شعراء القرن الأول للهجرة، اشتهر بحبّه لابنة عمه عفراء بنت عقال وشعره فيها. أما قيس فاسم قد اشتهر به رجلان هما: قيس بن الملوّح، مجنون بني عامر، صاحب ليلى وقيس بن ذريح صاحب لبنى.

ولمْ أنسَ فكرِي ساعة البينِ موقفِي
ومناَدُ أضلاعِي زفيرٌ قد استوى

وعينِيَ تَدْمَى ثُمَّ تدمعُ تارةً
فتنثر ياقوتًا هناكَ ولُؤْلوَا

تولَّوْا بقلبِي كيفَ بالعيشِ بعدهمْ
وخَلَّوْا فؤادِي مثْلَ ربْعِهمُ قَوَى[5]

فإنْ كانَ محبوبِي أرادَ منيّتِي
فقد نالَ منِّي بالنّوى فوقَ ما نوى

مواثِيقُهُ مرعيّة جارَ أو رعى
ومثْواهُ فِي طيٍّ الحشَى سارَ أوْ ثَوى

المصدر: مختارات من الشعر لمغربي والأندلسي: ص 138 ـ 140.

21 ـ حنايا زغوان

(الوافر)

تمتّـع مـن بقـايـا للحنايـا ... بأبـدعٍ منظـرٍ تصبـو إليـه
تأمّـل بعـض أرسمِها البواقـي ... وقـد مـدّ الفنـاء لهـا يديـه
كسطـرٍ بعـضُ أحرفـه تمحّـى ... وبعـضٌ لاح مضـروبـا عليـه

المصدر: ملء العيبة: ج 2 ، ص 122.

(5) قوى: الأصل قواء: قفر الأرض والخلاء: من قويت الدار: خلت.

محمّد بن شبَاط

(681 ـ 618)

أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عمر بن شبّاط المصري التوزري، ولد بقسنطينة في 20 شعبان سنة 618 من أصل توزري، نقله أبوه وهو ابن أربع سنوات الى توزر فنشأ بها وحفظ القرآن ودرس النّحو واللّغة والفقه والأصول على أيدي علمائها خاصة والده. تولّى قضاء توزر وأشرف على إعادة توزيع المياه على غابات الواحات بالجريد. لقب المصري لأن جدّه انتقل إلى مصر واستوطنها وولد بها أبوه علي. من مؤلفاته:

ـ تخميس الشّقراطسيّة وشرحها في كتابه "صلة السمط وسمة المرط". والشقراطسيّة في مدح خير البرية نسبة الى عبد الله بن يحيى الشقراطسي التوزري المتوفى في ربيع الأول سنة 466 والشقراطسيّة تبتدئ هكذا:

الحمد لله منّا باعث الرسل   هدى بأحمد منّا أحمد السّبل

ـ عجالة الروية في تسميط القصيدة النحوية المسماة بالمنفرجة وهي منسوبة الى العالم التوزري أبي الفضل يوسف بن النحوي (ت 513).

ـ أنيس الفريد في حلية أهل الجريد.

عجالة الروية في تسميط القصيدة النحوية

وهي تخميس لقصيدة ابن النّحوي (ت 513) "المنفرجة" وتسمى أيضا النّحوية نسبة الى قائلها:

(الخبب)

يَـا مَـنْ يَشْكُـو أَلَـمَ الحـرَجِ وَيَـرَى عسْـرَ أقـرَبِ الفَـرَجِ
أبْشِـرْ بِـشَـذَا فـرَجٍ أرِجِ اشتـدّي أزْمـة تَنْفَرِجِـي
قدْ آذنَ لَيْلُكِ بالبَلَجِ

وارتَـحْ للـرّوح فَـلاَ حـرَج فمراقِـي اللّطـفِ لهـا درُج
ومَعَانِـي الضّيـقِ لَهَـا فـرجُ وظـلامُ اللَّيْـلِ لَـهُ سُـرُج
حتّى يغْشَاهُ أبُو السُّرُج[1]

اليَـأْسُ لِـذِي البلْـوَى خَطَـرُ واليَـأْسُ مـعَ النّعمـى بَطـرُ
والقَلْـبُ لَـهُ أبَـدًا وطَـرُ وَسَحَـابُ الخَيْـرِ لَهَـا مَطَـرُ
فإذا جاء الإبّان تجِي

وَالغَافِـلُ عَـنْ هَـذَا همَـلُ والنَّفْـسُ يَمْلِكُهَـا الأمَـلُ
مَـلاَكُ الخَيْـرِ هُـوَ العَمَـلُ وفَوَائِـدُ مَوْلاَنَـا جُمَـلُ
لسُرُوحِ الأنفسِ والمهجِ[2]

عَـمَّ الأكـوان نـدًى وجـدَى فعَلَـى الآفـاقِ شمـوسُ هُـدَى
وريـاضُ الجُـودِ تصـدّ صـدى وَلَهَـا أرج محْـيي أبَـدًا
فاقصد مَحْيا ذاك الأرجِ

---

(1) السرج: يعني بها الكواكب. أبو السرج: الشمس

(2) في الأصل سروج النفس: وفيها روايات، سروح: من سرحت الدابة أي ذهبت لطلب معاش، وشروح: أي لشرح النفس بإذهاب حزنها.

للّـه نسيـمُ حـيَّ أحيَـا ومسيـرُ طـريـقٍ مـا أعْيَـا
فـالـزمـهُ فـربّـتما أغْـيَـا ولربَّتَمَـا فـاضَ المَحْيَـا
ببحورِ الموجِ منَ اللّجَجِ[3]

نوُ العقـلِ يقـومُ بسيّـده ومسـدّده ومـؤيّـده
ومـصـرّفـه ومـردّده والخلـقُ جميعًـا فـي يَـدِهِ
فذوو سعةٍ وذوو حرجِ

ونـزاعـهـمُ ونـزوعـهـمُ وقنـاعتهـمْ وقـنوعـهـمُ
وسلُـوّهُـمُ وولـوعُـهُـمُ ونزُولهـمْ وطلـوعُـهُـمُ
فإلى دركٍ وعلى درجِ

ومَطَـالِعُـهُـمْ ومـراقِـبُـهُـمْ وَطَـوَالِعُـهُـمْ وَثَـوَاقِـبُـهُـمْ
ومثـالِبُـهُـمْ ومنَـاقِبُـهـمْ وَمَعَـائِشُـهُـمْ وَعَـوَاقِـبُـهُـمْ
ليْسَتْ فِي المَشْيِ على عِوَجِ

نفـسٌ عدلـتْ، نفـسٌ ظَلَمَـتْ نفـسٌ سلِمَـتْ، نفـسٌ ألمـتْ
نفسٌ جَهِلَـتْ، نفـسٌ علِمَـتْ حِكَـمٌ نُسِجَـتْ بِيَـدٍ حَكَمَـتْ
ثمّ انتسجَتْ بالمنتسِجِ

هـذى دخلـتْ هـذي خرجـتْ هـذي بقيـت هـذي درجـت
هـذي سفلت هـذي عرجـت فـإذا اقتصـدت ثـمّ انعرجَـتْ

فبمقتصِدٍ وبمنعرِجِ

(3) المحيا: مكان الحياة.

خاضتْ بحْرًا فيهِ لُجَجُ صدّت قومًا لها انتهجُوا
وهدتْ قومًا فيها ابتهَجُوا شهِدَتْ بِعَجَائِبِهَا حُجَج
قامت بالأمرِ على الحِجَجِ[4]

اقرَعْ بَابَيْ أمَلٍ وَرَجَا واسلك هوْلاً واركبْ لُجَجَا
فرجاءُ اللّهِ هدًى وَنَجَا ورضًا بِقَضَاءِ اللّهِ حِجى
فعلَى مركُوزَتِهِ فَعُجِ

احفَظْ أنفَاسَكَ الصُّعَدَا واحذَرْ أن تَذْهَبَ عنكَ سُدَى
وانعمْ باللاّئحِ حينَ بدَا وإذَا انفتحتْ أبْوَاب هدَى
فاعْجِلْ لخزَائِنِهَا ولِجِ

وتوخَّ بقصْدِكَ آيتَهَا وارفَعْ بِالهِمَّةِ رَايَتَهَا
وانْهَضْ كيْ تُدرِكَ غَايَتَهَا وإذَا حاولْتَ نِهَايَتَهَا
فاحذَرْ إذّاكَ منَ العرجِ

واتْرُكْ أمرًا يُجنيكَ أذَى والْزَمْ ذِكْرًا يُجْدِيكَ غدَا
واهجُرْ هَجْرًا وهوًى وبَذَا لِتَكُونَ مِنَ السبَّاقِ إذَا
ما جِئْتَ إلى تلك الفُرَجِ

بُرهانُ الحقِّ وحُجَّتُهُ ولسانُ الصِّدْقِ ولهجتُهُ
وطريقُ الرُّشْدِ ونهْجَتُهُ فَهَنَاءُ العيْشِ وبَهْجَتُهُ
فلمبْتَهِجٍ ولِمُنْتَهِجِ

---

(4) الحجج: بكسر الحاء أي السنين.

نفس رضيتْ باللّه جَدَتْ — شكَرَتْ نعما مهما شكرتْ

وكذلك إن بخلت جحدتْ — فَهِج الأعمال إذا ركدَتْ

فَـإذَا ما هِجْتَ إذنْ تَهِجِ

نفسٌ، كثفتْ فزُجاجتُهَا — خبُثَتْ بالهجْرِ مُجَاجَتُهَا

وبدَتْ فِى الذَّنْبِ لُجَاجَتُهَا — وَمَعَاصِي اللّه سمَاجتُهَا

تزدان لذِي الخلُقِ السمِجِ

عرِّجْ عن سَاحِ مساحتها — واقْبَضْ راحًا عنْ رَاحتِهَا

فلتقوى اللّه وراحتِها — وَلِطَاعَتِهِ وَصَبَاحَتِهَا

أنوارُ صباحٍ منْبَلِجِ

فادخل فِي منسب منصبها — واسلُكْ فِي مسلَكِ مَكْسَبِهَا

واسمَكْ فِي مطلعِ مطلبِها — مَنْ يخْطِبْ حُورَ الخُلْدِ بِهَا

يظْفرْ بالحُورِ وبالغُنُجِ[5]

يا من بالحسن هوى علقا — جَرِّدْ عزما وانفِ العلقا

حورا عِينًا تهوَى علقا — فكن المرضيَّ لها بتقى

ترضاهُ غدا وتكونُ نَجِي

بمعاصِي اللّه القلبُ أَذِي — وبِطَاعَتِهِ عُوفِي وغُذِي

فيهـا فِي كلِّ حلاك خذ — واتْلُ القُرْآنَ بقلْبٍ ذِي

حزَنٍ وبِصَوْتٍ فيه شجِ

---

(5) الغنج: الدلّ.

فحجابُ النَّفْسِ وآفتهـا عجب توليه سلافتُها
وأمانُ الطرقِ مخافتُهَا وصلاةُ اللّيلِ مسافتُهَا

فاذْهَبْ فيهَا بِالفهْمِ وجي

واعْمُرْ بِالذّكْرِ مَحَانيَهَا واقْطِفْ بِالفِكْرِ مَجَانِيَهَا
والزَمْ مَا عِشْتَ مَغَانِيَهَا وتأمّلْهَا ومَعَانِيَهَا

تأْتِ الفِرْدَوْسَ وتفتَرِجِ

والهَجْ بِلَطَائِفِ مِجْجَرِهَا وابْهَجْ بِطَرَائِفِ متْجَرِهَا
وبِمَبْرَدِهَا ومَهْجَرِهَا واشْرَبْ تسنِيمَ مفجّرها

لا ممتَزِجًا وبِممْتَزِجِ(6)

مَا مِنْ خَلْقٍ أَنْشَاهُ سُدًى كُلٌّ بِالأمرِ بدَا وَغَدَا
أعْمَى مَنْ شَا أزلاً وَهَدَا مُدحَ العَقْلُ الآتِيه هُدى

وَهَوًى متولٍّ عنه هُجِي

هَذَا بَحْرٌ وإِفَاضَتُهُ مَا غَصَّتْ عنْهُ إغاضتُهُ
والصَّعْبُ تقدَّم راضتُهُ وَكِتَابُ اللَّهِ رِيَاضَتُهُ

لِعُقُولِ الخَلْقِ بِمُنْدَرِجِ

أسبابُ الخوفِ حُداتُهُمُ وأولُو التّثبيط عداتُهُمُ
ولَهُ لا تَكْسَلُ ذاتُهُمُ وخِيَارُ الخَلْقِ هُدَاتُهُمُ

وسواهم من همج الهمَجِ

---

(6) مفجّرها: بفتح الجيم أي الماء المجرى.

والتسنيم: عين في الجنّة يشرب منها المقرّبون أي هذا الماء من نوعين غير ممتزج وممتزج.

(7) في الأصل: الهرج: والرهج هو الغبار.

جنِّب عبدا جهلا غفَلا واترك بدرا إمَّا أفلا

وحُزِ الإقدام تَحُزْ نَفَلاَ فإذا كنت المقدامَ فلا

تجْزَعْ فِي الحرْبِ منَ الرَّهَجِ(7)

وارقبْ برقًا للسِّرِّ بدَا وامْددْ لكريمِ الوعدِ يدًا

واعمُرْ أوقاتَكَ مُجْتَهِدًا وإذا أبْصَرْتَ منارَ هُدَى

فاظهر فردًا فوق الثَّبَجِ(8)

لِلّه جباهٌ قَدْ سَجَدَتْ فِي جُنحِ اللَّيلِ مَا هَجَدَتْ

أضْنَاهَا الشَّوقُ وما وجدتْ وإذَا اشتاقَتْ نفْسٌ وَجَدَتْ

أَلمًا بِالشَّوْقِ المُعْتَلِجِ

أهواءُ النَّفْسِ مماحِكَةٌ وَرِيَاضُ الأنسِ ملاحكةٌ

وشُمُوسُ الفَضْلِ مُضَاحكَةٌ وَثَنَايَا الحَسْنَا ضَاحِكَةٌ

وَتَمَام الضِّحْكِ عَلَى الفَلَجِ(9)

وبُرُوقُ الرَّحْمَةِ قدْ لَمَعَتْ وَغُيُوث النِّعمةِ قدْ همَعَتْ

وَمَعَانِي الحِكْمَةِ قدْ جُمِعَتْ وَعِيَابُ الأسرارِ قد اجتمعَتْ

بأمَانَتِها تَحْتَ الشَّرَجِ(10)

شمِّرْ بطرِيقِكَ لاحِبِهِ واسلك قصدًا بِمَصَاعِبِهِ

فالقصدُ هدًى لِمُصَاحبِهِ وَالرِّفْق يَدُومُ لِصَاحِبِهِ

والخرقُ يَصيرُ إلى الهَرَجِ(11)

---

(8) الثبج: الوسط أو معظم الشيء. يقال: يركبون ثبج هذا البحر أي معظمه وأعلاه.

(9) ماحك: خاصم ولجَّ في الخصومة.

لاحك الشيء بالشيء: ألزقه به، تداخله، تلاحم معه. والفلج في الأسنان: الانفراج.

(10) عياب: ج عيبة: وعاء من جلد تصان فيه الأمتعة كالثياب

والشّرج: في الأصل السرج. والشرج: عرى العياب.

(11) الهرج: بسكون الراء: الفتنة وكثرة الفساد، والهرج: بفتح الراء تحير البصر.

(12) سارية الخلج: سارية بن حصن أو الحصين الديلمي: كان عمر بن الخطاب يخطب بالمدينة فرأى

واقْمَعْ شَهَوَاتِكَ بِالزّهْدِ واكحلْ أجفانَكَ بِالسَّهْدِ
وَصَلِّ الصلواتِ لِمَنْ يَهْدِي صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَى المَهْدِي

الهادي النَّاس إلى النَّهَج

إمامِ الخلقِ وخيرتِهِ ووسيلتِهِ وذَخيرَتِهِ
وعَلَى خُلْصَانِ عَشِيرَتِهِ وَأَبي بكْرٍ فِي سِيرَتِهِ

ولِسَانِ مقَالَتِهِ اللُّهجِ

الشَّاهِرِ سَيْفَ صَرَامَتِهِ ومُجَهِّزِ جيش عَزَامَتِهِ
لِمُسَيْلَمَةٍ ويَمَامَتِهِ وأبي حفْصٍ وكَرَامَتِهِ

فِي قصَّةِ سارِيَةَ الخُلُجِ(12)

قَالِي الدُّنْيَا ذِي الطُّمْرَيْنِ ومُزِيلِ الرّيبِ مَعَ الرَّيْنِ
وَمذِيقِ الكُفْرِ المُرَّيْنِ وأبى عمرو ذي النُّورَيْنِ

المستَحْيَى المسْتَحْيِي البَهِجِ

جَلاَ عَنْ جَيْشِ العُسْرِ أذَى وحمى عن عينِ الحقّ قَذَى
وأخَا عيْنٍ رَمَقَتْ وَقَذَا وأبي حسنٍ فِي العلمِ إذَا

وَافَى بِسَحَائِبِهِ الخُلُجِ

المصدر : رحلة العبدري: ص 52 ـ 59.

العسكر بنهاوند وجعل يصيح: يا سارية الجبل الجبل فصعد سارية وجنده الجبل وقاتلوا الكفار فهزموهم وكتبوا بذلك إلى عمر.

والخلج: قوم من العرب الحقهم عمر بن الخطاب بالحارث بن مالك.

مسيلمة ويمامته: هو مسيلمة بن ثمامة الكذاب متنبئ ولد ونشأ باليمامة في نجد توفي سنة 12 هـ مقتولا على يدي خالد بن الوليد .

الحسن بن معمر

(682 ـ 609)

أبو علي الحسن بن موسى بن معمر الهواري الطرابلسي، ولد بطرابلس وتوجّه الى المهديّة وأخذ فيها عن أساتذتها وكانت مركزا تعليميا وأدبيا مزدهرا زاخرا بالعلماء والأدباء. تولّى القضاء بباجة ثم بجاية، وقلّد بتونس منصب العلامة الكبرى بعد أحمد الغسّاني، وكلّف بالاشراف على المكتبة الحفصيّة في عهد المستنصر ثم أقصي عنها وأرجع إليها في عهد الواثق بالله فوجدها تالفة. وكان نديما للمستنصر وامتحن عديد المرّات في حياته وعرف السّجن والتّعذيب ما نجد منه صورا في شعره. توفّي في 2 جمادى الأولى سنة 682.

1 ـ شجــون

(البسيط)

آهًا نُردّدُ لوْ تشفِي لنَا كرَبا	وبِالتّعلاّتِ نَحْيَا لَوْ قَضتْ أرَبَا
وَبِالأمَانِي يَنَالُ القَلْبُ بُغْيَتَهُ	وقَدْ تَحقَّقَ مِنْ مُعْتَادِهَا كَذِبَا
يَرْتَاحُ إِنْ لاَحَ بَرْقٌ مِنْ جَهَامَتِهَا	ومَا تَرَاءى لَهُ إلاَّ وقَدْ ذَهَبَا
يُسَرُّ إن مُدَّ يَوْمًا حبْلُ مُنْيَتِهُ	ومَا تَطَاوَلَ إلاَّ جُذَّ وانْقَضَبَا
إنْ عزّ ما يبْتَغِيهِ فَهْوَ فِي هَرَجٍ	وَيَخْتَشِي الفَقْدَ إنْ مَا يَبْتَغِي قَرُبَا
وَارَحْمَتَاهُ لِقَلْبِي كَمْ أجَشِّمُهُ	أمرًا يذِيبُ مِنَ الأصْلاَدِ مَا صَلُبَا
وكم يعانِي ملمّات بأيْسَرِهَا	يهوّن المَرْءُ منْ دُنْيَاهُ ما صَعُبَا
وَكَمْ يُلَجْلِجُ فِي أفْكَارِهِ لُجَجًا	سودًا توَجّج فِي أحشائهِ لهبَا
وكَمْ تهبّ سمومٌ من تنفّسهِ	لو استمرّتْ لما هبّت نسيمُ صبَا
أستَغْفِرُ اللّهَ لاَ أشكُو الزّمانَ ولا	أبدي إذا طرقت أحداثُهُ رَهَبَا
ولا أئِنُّ لحظٍّ منهُ أعْوَزَنِي	ولا أُسَرُّ إذَا ماءُ المُنَى انسكَبَا
أنَّى يُسَرُّ لَبِيبٌ إن رأَى حلُمًا	وَكَيْفَ يَطْرَبُ مَنْ خَمْرِ الفنَا شربَا

المصدر: رحلة التّجاني: ص 279 ـ 280.

2 ـ تهنئة الخليفة

أنشد وقد أبلّ الخليفة المستنصر من مرضه:

(البسيط)

اللّه أنعم بعد اليأس بالفرج ... يا أزمة الدّهر عند الشدّة انفرجي
شُكْرُ الخلائقِ لا يكفي لأيسر ما ... كفى وسكّن من هَرْجٍ ومن رهَجِ
أبقى الأنامَ بإبقاء الإمامِ فكمْ ... بِصَوْنِهِ صَانَ مِنْ مال ومنْ مُهَجِ
إذا رعى اللّه للإسلام رَاعِيَهُمْ ... لمْ نأسَ منْ فَقْدِ ذِي قدْرٍ ولاَ هَمَجِ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 278، وعنوان الأريب: ج 1 ، ص 71.

3 ـ إخوانية

قال عبد اللّه التّجاني:

"وفي مدة لزومه داره للجفوة التي كانت عرضت له قبل نفيه الى المهدية قدم من السفر صديق له ممن تلزمه زيارته فلم يمكنه ذلك فكتب إليه:

(الطويل)

كتبتُ ولولا الحكمُ كنت إليكمُ ... من الشّوق في متْنِ الرّياح أطيرُ
وإنّ يسيراً أن أسيرَ مسلِّمًا ... عليكمْ على وجهي وذاك يسيرُ
وما فِي صميمِ القلبِ منْ خَالِصِ الوَفَا ... فسيّان فيهِ غيبة وحضور

المصدر: رحلة التجاني: ص 277.

4 ـ مداعبة

وقال مخاطبا أبا المجد الصّوفي المهدوي يداعبه لولوعه بتزوّج العجائز وقال البيتين بالاشتراك مع أحد أصحابه:

(الطويل)

أبا المجد كم تُغْرَى بحبّ العجائز   وذلك في شرعِ النُّهَى غيرُ جائزِ
كلفتَ بأطلالٍ محا الدّهرُ رسْمَهَا   فَأَصْبَحْتَ تبغي الفوز بين المفاوزِ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 279.

5 ـ أسف

أنشد مرتجلا مخاطبا صديقا له سجِنَ معه وكان ابن معمّر أطلق سراحه قبله:

(الطويل)

لئنْ سرَّنِي فَكُّ الإسارِ من الحبسِ   لقد ساءني فقدي لما فيه من أنْسِي
ولو أنّنِي خُيِّرْتُ فيما أرِيدُه   لآثرتُ تقديمِي سراحك عن نفسِي

المصدر: رحلة التّجاني: ص 277 وعنوان الأريب: ج 1، ص 71.

6 ـ ذمّ الدّنيا

قال متمّما بيتين لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي وهما الأوّلان في ذمّ الدنيا:

(الوافر)

«مَضى زمـن المكـارم والكـرام سقـاه اللّــهُ من صـوب الغمــامِ
وكـان البِــرُّ فعـلا دون قــول فصـــار البــرُّ نطقًـــا بالكـــلامِ»
وزال النّطـق حتى ليس تَلْقَـــى فتـــى يسخـــو بمرجـــوع السّـــلامِ
وزاد الأمـــر حتّـــى ليـــس إلاّ سخـــيٌّ بِالأذى أو بالمــــلامِ

المصدر : رحلة التّجاني: ص 276 وعنوان الأريب: ج 1 ، ص 71.

7 ـ أرق

(البسيط)

لولا احورار جفُونٍ أودعتْ سَقَمَا ما أمطرت سحْبُ أجفاني الدّموع دَمَا
ولا وقفتُ أصيلاَنا بربعكمُ ولا سقيت رباه من دمي ديَمَا
ولاَ نثَرْتُ عَقِيقَ الدّمعِ فِي طللٍ منْهُ أُذِيعَ الذي قدْ كَانَ مُكْتَتَما
شَمْلُ السّلوّ شتيتٌ بعد بعدكمُ وطالما كان قبل اليومِ ملتئمَا
البينُ يقطعُ منهُ كلّ متّصلٍ والشّوقُ ينثر منه كلّ ما انتظما
والوجد شاد بجسمي ما يُهَدِّمُهُ آه على ما بنى فيه وما هدمَا
يا منْ يلوم على ما جلّ منْ أَسَفِي هذا اليسيرُ من الأمرِ الذِي كتمَا
ما خَطَّطَ النَّومُ فِي جَفْنَيَّ رَسْم كرَى إلاّ محا السّهدُ ما قد خُطّ أو رُسِمَا
أنبيكُمْ أنّنِي منْ يومِ بينكُمُ مازلتُ للسّهدِ والتّذكارِ ملتزِمَا

أرْتاحُ إنْ هبّ ريحٌ منْ جنابِكُمُ   أو لاح برقٌ بذاك الأفقِ وابتَسَمَا
أما ومَنْ قدَّرَ الأشْيَاء مقتدراً   وحبِّكُمْ وكفى بالحـبِّ لِي قَسَمَـا
ما رامَ قلبِي اصطباراً بعدَ بعدِكُمُ   ولاَ تأخَّر بِـي مـن وجده قَدَمَـا

المصدر: رحلة التّجاني: ص 277 ـ 278، وعنوان الأريب: ج 1، ص 71.

أحمد الكبّو

(ت 683)

أبو العباس أحمد بن محمّد بن أحمد اللّخمي الكبّو، كان من شعراء الدعيّ ابن أبي عمارة أحمد بن مرزوق المسيلي (تولى الحكم في تونس من سنة 681 الى سنة 683). توفّي أحمد مقتولا إثر هزيمة الدعيّ. يمتاز شعره بغنائية واضحة وبمعان رقيقة ناعمة، وكان يحسن الغناء والضّرب على العود. نوّه به النقّاد القدامى لكنّ المؤرّخين أغفلوه لنصرته للدعيّ.

1 ـ لســـت أسلـــو

(الرمل)

كُـلُّ معنًـى مـن معانيـه بـدا ... لســت أسلـو عـن هــواه أبـدا
مُطْلَـق الحســن خـلا عـن مشبَّـهٍ ... وأنــا فــي الحـبّ ممّن قُيِّـدَا
شهـد الكــون لــه أجمعُــهُ ... لا تـرى فـي حبّــه مـن فَنَّدَا
إنّ غَيِّي فِـــي هـــواهُ رَشَـــدِي ... وضلالــي فيـه لا شـكّ هــدى

المصدر: الوافي: ج 7 ، ص 336 ـ 337.

2 ـ ماذا يريد العذول مِـــنّــي

(مخلّع البسيط)

ماذا يريـدُ العــذول منّــي ... صمّــت عـن العاذلــين أذنــي
بمهجَتِــي شــادن ربيــبٌ ... يَسْبِــي البرايــا بكــلّ فــنِّ
رشــا كنِــاس، قضيــبُ آس، ... ريــاضُ حســنٍ، هــلالُ دجْــنِ
قلبــي مقيم علـى هـــواه إن ... ضـــجّ أو لـــجَّ فِـــي التجنّي
فحدّثــوا بالــدّلال عنــــه ... وحدّثــوا بالخضــوع عــنّــي

المصدر: الوافي: ج 7 ، ص 336 ـ 337.

عبد الحميد بن أبي الدّنيا

(684 ـ 606)

أبو محمد عبد الحميد بن أبي البركات بنِ عمران بن أبي الدّنيا الصّدفي الطرابلسي، كان يعتبر رأس العلماء وشيخ الفقهاء. كان له باع في نظم الشّعر. ولد في منتصف شعبان سنة 606 بطرابلس ثم ارتحل الى المشرق قبل أن يتوجّه الى تونس ويستكمل فيها تعلّمه. تولّى الخطابة بجامع الزّيتونة وقضاء الأنكحة ثم قضاء الجماعة. من مؤلفاته:

ـ العقيدة الدينيّة وشرحها في علم الكلام.

ـ جلاء الالتباس في الردّ على نفاة القياس.

ـ مذكّر الفؤاد في الحضّ على الجهاد.

توفي بتونس في ربيع الأول سنة 684.

1 ـ طرق السلامة

(الكامل)

طُـرقُ السّلاَمَــةِ والفـلاَحِ قنَاعَةٌ وَلُــزُومُ بيـتٍ بِالتوحّـشِ مؤنسِ
يَكْفِيــهِ أُنْسًــا أنْ يكُــونَ أَنِيسَهُ آيُ القُـرانِ ونُـورَهُ فِــي الحِنْدِسِ
وإِذَا رَأَتْ عَيْنَــاهُ إِنْسَانًــا أتــى فَلْينفـرنَّ نفـورَ ظبْـيِ المكنَــسِ
ولقلّمَــا يَنْفَــكُّ صاحِــبُ مقْــوَلٍ مــن زَلَّــة أوْ عثْـرَةٍ فِــي المجْلِسِ
تحصَى وتُكْتَبُ والجَهُولُ مغفّلٌ حتّى يَرَاهَا فِي مَقَامِ المفْلِسِ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 273 وعنوان الأريب: ج 1، ص 69.

2 ـ استعطـاف

كتب الى الخليفة الحفصي المستنصر يستعطفه:

(الطويل)

أمـولايَ مازلتـم تُنِيلـون عبدكم ضروبا من النّعماء جلّت عن المثْلِ
ولـم يبـق إلا العفوُ وهو أجلُّ ما يُنَالُ فأكْمِلْ لِي بِهِ منحةَ الفَضْلِ
فما العيش في الدّنيا بغير رضاكمُ بصـافٍ ولا طعـمُ الحياةِ بمحلولِي
وقد كدّر الإعراضُ صفو معيشَتِي فأنكـرتُ أحوالِي وأنكرنِـي أهلِـي
ولـي أملٌ يقضِي بغفرانِ زلّتِي وبالعفو عن جُرْمِي وبالصّفحِ عن فعلِي
بقيــتَ تزيد المُلْــك عزّا وبهجــةً وتحيِي رسومَ الفضْلِ والدِّينِ والعدْلِ
ولا يخطئنِــي منــك عفوٌ ورحمــةٌ فإنّهُمَــا ما أخْطَئَا أحــدًا قبْلِــي
وصلّى إلاه العرشِ بدْءًا وعودةً على المصطفى من خلقه خاتمِ الرُّسلِ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 273 ـ 274 وعنوان الأريب: ج 1، ص 70 (6 أبيات الأولى فقط).

محمد بن أبي تميم

(ت 684)

أبو عبد اللّه محمد بن أبي تميم المعزّ بن سليمان الحامي، من فحول شعراء تونس. ولد ببجاية ونشأ بها ثم تحوّل الى تونس حيث استقرّ. كان مخلوع العذار في حياته ويذهب مذهب أبي نواس في شعره. كان له ديوان من الشعر قد تلف. قال في المدح والفخر والهجاء والغزل إلى جانب الخمريات.

1 ـ صفاقس

(البسيط)

صفاقس لا صفا عيشٌ لساكنها ولا سقى أرضَها غيثٌ إذا انسكبَا
ناهيك من بلدة من حلّ ساحتها عانى بها العَادِيَيْنِ الرّومَ والعَرَبَا
كم ظلّ في البَرِّ مسلوبًا بضاعته وباتَ فِي البحرِ يشْكو الأسر والعطَبَا
وَلِيتُها فتولّتني الهموم وقد لقيتُ منْ سَفَرِي فِي أرْضِهَا نَصبَا
قد عاين البحرُ قبحًا في جوانبها فَكُلَّمَا همَّ أن يدْنُو لهَا هَرَبَا

المصدر: رحلة التّجاني: ص 69.

2 ـ مطـل

وكتب إلى الأستاذ الأديب أبي الحجّاج البيّاسي في شاعر مدح ممدوحا فلم يصله شيء منه:

(السريع)

ما مذهـب الأستـاذ فـي شاعـر أهـدى إلـى ممتـدَح مُذْهَبَـه
فانقضـت الأيّـام فـي مطلـه ولـم ينـل منـه بهـا مطلبـه
فهـمّ أن يسلبـه فخـرَهـا فهـل يـرى الأستـاذ أن يُسْلَبَـه
فأفتنـا، واكتـب بمـا يقتضـي علمـك فـي الآداب أن تكتبـه

المصدر: ملء العيبة: ج 2 ، ص 383.

3 ـ رثاء وهجاء

قال يرثي الأديب أبا الطيّب محمد الأريولي ويهجو ناعيه:

(السريع)

مات أبو الطيّب واويلتاه   مات النَّدَى والجود والمكرمات
ولو نعوْا قائله قيل قد   مات الخنا والفسق والمكر مات

المصدر: الوافي: ج 2، ص 278 ـ 279.

4 ـ نصر

قال عند تغلّب المستنصر سنة 666 على بني رياح ووجّه رؤوس رؤسائها على الرّماح إلى تونس:

(الطويل)

وهام جناةٍ أبْرزُوهَا على القنَا
فثق بنجاة عندها ونجاح
فيَا حسنَ ما قرّت به أعْيُنُ الورى
رؤوسُ رياحٍ في رؤوس رماح

فهــذي دمــاءُ المارقــينَ مباحــةٌ
وهذَا حمــى الإســلام غــيرُ مُبــاح
بمستنصــرٍ يرمِي العِدَى بكتائبٍ
تَعُــمُّ نواحِــي أرضهــم بنُــواح

المصدر: الفارسيّة: ص 130، الأدلّة البيّنة: ص 65.

5 ـ فخر

وله معرّفا بِنَسَبِهِ ومفتخرا بحسبه:

(الخفيف)

أنــا مــن نسْل جعفــر بن فــلاح ... وَاهِــبِ المــال ناهــب الأرواح
فاتــح الغــرب والشــاَم ومفنــي ... مُلْــك آل الطّــريــد والسّــفّــاح
مــن عــلا قــدره علــوّ الدّراري ... وســرى ذكره مسيــر الرّيــاح
ســل قريض ابــن هانــيء فهويُنْــ ... ـبِيك بمــا بُــثَّ فيه من أمداح

المصدر: ملء العيبة: ج 2، ص 383ـ 384.

6 ـ رمضـــان

قال وقد قرب رمضان والنّاس يشترون الصبحيات بسوق الزجاج:

والصبحية نوع من القناديل:

(المتقارب)

بسـوق الزّجـاج جـرت عبرتـي فولّيـتُ عنــه بقلـــبٍ قريـــح

لتبديـل كـأسٍ بصبحيّـــــة وإبريــق راح بقنديـــل ريـــح

المصدر: الوافي: ج 2 ، ص 278 ـ 279.

7 ـ جـاريــة

قال يصف جارية مملوكة له سوداء جميلة حسناء تدعى العنبر:

(الطويل)

وليليــةٍ، لـــولاَ تبسّـــمُ ثغرهـــا لما شُكّ في فضل الظّلام على الصّبح

معنبــرة في اللّون والاسم والشّذا، غزالية في اللّحظ والجيد والكشح

أُحِبُّ مسائــي لا ضحـايَ لأجلها وأمْسِي مشوقًا في هواها كما أُضْحي

تملّكْتُهَا رقّــا، وتملِكُنِــي هـــوًى ولكــنّ مملـوكَ الهـوى فـاز بالرّبــح

المصدر: ملء العيبة: ج2 ، ص 378.

8 ـ حنين

(الطويل)

نأى عن كِناس البان والرّند والسِّدر   فَعُوِّضَ منها بالجوانحِ والصَّدر
غزال يرُوعُ الأسْدَ حين يروقها   يُريها المنايا الحمرَ فِي الحلل الخضر
يميس بعِطفيه، ويرنو بطَرفه،   فتُغْنيه عن بيض وتُغنيه عن سمر
ويجني، فتجني العينُ منه وتجتلي   محاسنَ لم تُجْمَع لزَهر ولا زُهرِ
فبدْرٌ على غصن، وغصن على نقى،   وآس على ورد، وخمر على درّ
لقد عاد فيه عاذلي وهو عاذري   وأصبح مثلي فيه صبًا بلا صبـر
فكم بيننا عند الكرى من تزاور   وبـذلٍ بلا منع ووصـلٍ بـلا هجر
أحِنُّ إلى اللّيل الذي هو مسعفي   بقرب، كما حنّ الحَمام إلى الوكر
على أن حُجب اللّيل ترفع حجبنا   فتسدلهـا مـا بيننـا غرّةُ الفجـرِ

المصدر: ملء العيبة: ج 2 ، ص 382 ـ 383.

9 ـ طلب أضحية

وكتب إلى أبي العباس أحمد بن إبراهيم اللّيّاني وقد قرب عيد الأضحى يعرّض له بالأضحية:

(السريع)

أمسيـــــــتُ لا أملـــك ذا أربـــع   وليـس لـي أضحيـةٌ حاضـره
فالحـمـد للّـــه عـلـى رحلتـــي   لا فـارس الدنيـا ولا الآخـره

المصدر : ملء العيبة: ج 2 ، ص 383.

10 ـ رقم العذار في التهنئة بالختمة والإعذار

قال يمدح أبا عبد الله محمد بن أبي علي يونس الهنتاتي ويهنّئه بختمة حفيده يونس وإعذاره. وسمّى هذه القصيدة رقم العذار في التهنئة بالختمة والإعذار.

(الخفيف)

أيُّ يـوم يفـوق حـدَّ التّهانـي — لم يقـم وصفُـه مقـامَ العيـان
ارْوِ عنِّـي بـه حديثًـا صحيحًـا — عـن عيـاني لا عن فُـلٍ وفُـلانِ
إن تسلْنـي بـه تسائـلْ خبيرًا — لو يطيـقُ البيـانَ عنـه لسانِـي
كلّمـا رام عنـه نطقِـي بيانًـا — أخرستنـي مهابـة فـي جَنانِـي
مـا حسبنـا أنّ اللّيالـيَ تسخـو — قبلهـا بالأمـان أو بالأمانـي
قـد غفرنـا بـه ذنوبَ اللّيالي — ومحونـا بـه خطـوبَ الزّمـان
وافتتحنـا بـاب السّعـادة بـ — ـالإعـذار فيـه وختـمةِ القـرآن
بعـض ما نيل فيه محوُ الخطايا — وامتنـان المهيمـن المنّـان
ولعمري لأنفسُ العمـر يـومٌ — يظفـر المـرء فيـه بالغفـران
لستُ أنسـى مهابـة أدهشتني — حـين عاينـت محفـل الأعيـان
ومقـامَ الحفيـد يونـسَ فيهـم — ساحبـا ذيلـه علـى سحبـان:
مرّةً منشـدا، وأخـرى خطيبـا — بلسانٍ أمضـى شبـا من سنـان[1]
والفتـى منْ لسانُـهُ ساعـة الـ — ـقـول كأسيافـه لـدى الميـدان
والبليـغُ الشّجـاع أهـدى سبيلا — للمعانـي مـن البلـيغ الجبـان

(1) الشبا: ج شباة ويجمع أيضا على شبوات: قدر ما يقطع به من السيف. أو حدّ كل شيء.

لم يـر النَّاس قبله يافعا قد ظَلّ يــزري بالشّيــب والشّــبّــــان
إنْ شَـأَوْه سنّـا فلـم يفضلـوه فالعلــى لا تُنَــال بالأسنـــان
فلـو أنّ العلـى بسبـق لجـاءت ليلــةُ القـدر وهـي في شعـبان
أيّ يـوم لـم يلْفِـه مهرجـان جـلّ عـن أن يقـاس بالمهرجان
ألّـف الدهــرُ فيه شمـلَ المعالي بكــرام تخالفـوا في المعــاني
كـم رأت مقلتـي بـه من زيـاد يأخــذ الكــأس مــن يـد النّعمان
وكـم ابصــرت واهبـا مطعامـــا جالســا حـول ضــارب مطعـان
وحسيبـا بمجـــده ذا افتنــــان وأديبـــا فـــي علمـه ذا افتنـان
كلّهـــم طلّـق الهمـــوم ثلاثـا هائمـــا فـــي مثالـثٍ ومثـاني
ما أملنـــا الكـــؤوس إلاّ أمالـت كــلّ عطـف(2) إمالةَ الأغصانِ
وذهـابَ العقـول قد أشعرتنـا حين تذهيب كأسنـــا والبنـــان
كم خليـع سمعـتُ مثلـي ينـادي: أسقيـــاني يا عاذلــيّ اسقيـــاني
وادعوانـــي لشربهـــا ودعانــي ولِـدَنِّ المُـدَامِ فلتُدْنيـــانـــــي
مـــا أبالـــي إذا هُديــت إليهـــا ما يقـــول العــذول مـــن هذيـان
هـــي رَوْحِي، وإن أشأ قلت رُوحِي فلتعيـدا رُوحِــي إلى جثمانـــي
فلو أنّي بلغــت أدنــى الأمانـي كان جسمـي من بعض تلك الدّنان
فتُــروّي المُدامُ ظامــي عظامــي ويكـون الســرور حِلْـف مكانــي
يا نهاراً نَهَى نُهَانَـا عن النُّسْـك فِدنّـــا فيـه بِدِيـنِ ابـنِ هانـــي(3)

(2) عطفا الرجل: جانباه، وناحيتا عنقه.

(3) هو أبو نواس.

بيـن ورد ونرجــس لـم يكونـا جُمِعـا قبـلُ في جِنَـانٍ لجِـانِ

ودليـل السعـود لليونسـي النّـد ب أن حـلّ روضَـهُ ضـدّان:

نرجِـس ما حكـى العيـونَ سـواه بدليـل يصـحّ أو برهـان

فبيـاض يحـلّ فـيـه سـواد لم تخالـف وصفيهمـا العينـان

ليس كالنّرجِس الذي لا يحاكى غيرُ عـين تصـاب باليَرَقَـان[4]

لم نزل نُدْمِنُ التّساقي إلى أن حكـت الشمّسُ أنمـل النّدمـان

وسطا بالنّهـار ليـلٌ فحاكـى بازيـا فـي مخالـب الغربـان

فاجتلينـا سَنَـى محيّـا الحميّـا وسنَـى نـار شـارَك ابنَ سنـان

وأزال الظّـلام عنّـا شمـوسٌ في ثيـاب يَلُحْـنَ أو فـي أوان

وبشبْه لما شربـت ومـا نادمـت يَزْهَـى وَيـزْهَـرُ النَّـيّـران

يا لهـا ليلـة أباحـت قيادي للهـوى، إذ سمعـتُ شدو القيـان

بتّ فيهـا أُفرغُ القلبَ من همّ بتفـريـغ جـامـيَ المـلآن

وثناني السّرور فيها صريعا فاعجبـوا مـن مجـدّل جـذلان

وبعقـلي لعـبن أوتـارُ عـود لعبـتْ بينهـا بنـانُ الغوانـي

ثمّ لمّا نعـى لنـا الليلَ نـاع مـؤذِنٌ بالصّبـاح قبـل الأذانِ

مفرقاه تتـوّجا تـاج ملـك وبأذنيـه مثـلَ قرطـيْ حَصـان

وإذا مـا اعتلـى بأعلـى جدار قلـتَ كسـرى علا على إيـوان

لست أدري إذا قضى الليل نحبا أنحيـب تغريـده أم أغـان

مزّق الأفق مـا كسـتـه الدّياجـي ونضـا عـنه ملبـس الرّهبان

وحكـى الليـل والصـباح غرابـا ناشـبا فـي مخالـب العقبـان

(4) اليرقان: مرض يسبب اصفرار الجلد.

فوصلنا غَبوقنا بصَبوح وتركنا لشأنه كلّ شاني

وظفرنا بنيْل ما نتمنّى وأمِنَّا طوارق الحدثان

ورتعنا ما بين رَوْضَيْنِ من زَهـ ـرٍ وشِعْر فحبّذا الروضتان

نجتني بالبنان أزهار هذي وأزاهيرَ تلك بالآذان

وإذا هذه ازدهتنا بزهرٍ سحرتْ هذه بسحر البيان

لا عدمنا بنجل يونس مَغْنًى كم جنينا به المنى في أمان

سيدٌ إن تُسَرِّح الطَّرفَ فيه تبصر الحسنَ منه في حسّان

إن يلحْ جُلِّيتْ دياجي اللّيالي أو يفه حُلِّيتْ نحورُ الحسان

قدَمٌ سامتَ السِّماكين حتّى غادرته اعتلى على كيوان

ويدٌ مكّنت من الجود حتّى لم تدع من يد بلا إمكان

ما وصلنا جنابه الرَّحب إلا ورمتنا الخطوبُ بالهِجران

وإذا أمّهُ مقارن فقر قراَ ثُمَّ سورة الفرقان

شتّت المال جامعا كلَّ مجد هل تُنال العلا بلا أثمان؟

وجدير بأن يعيش عزيزا من رمى الجودُ مالَه بالهوان

نكب النَّاسُ عن طريق المعالي وجرى نحوها طليقَ العِنان

سل بيمناه مرهفات يراع فهي تُنبيك، أو غرازَ يماني

كم أبانت بهنّ من مشكلات وأبانت به طُلَى الأقران

أسّست مجده الجدودُ فوافى بانيا بعدهم على بنيان

وإذا المرء لم يرث عن جدود مجدَه كان واهيَ الأركان

يا أجلّ الأنام قدرا كفاني مدحةً أن يكون مدحك شاني

ما ثناني لمدح غيرك ثان مذ تيقّنتُ أنّ ما لك ثان

غير أنّي أُجِلُّ قدرك عن شعـ ـر ولو نُظِّمَتْ لك الشِّعْريان
لا أوفّي حقّا بمجدك عمري ولو أنّي استعرت كلَّ لسان
حسب قلبي وُدٌّ تملّأ منه لك يبقى ويذهب الملوان
قد كفاني بيانه لك صدقي ودليل الكتاب في العنوان
فاحلك في الرفعة الكواكب واصحبْ عـزّة ما تَصَاحَب الفَرقدان
وابق والعزّ في جَنابك باق وأعاديك عرضة للتفاني

المصدر: ملء العيبة: ج 2 ، ص 379 ـ 382.

11 ـ رثاء

قال يرثي بعض الأكابر من قصيدة:

(الخفيف)

كن من الدّهر بعدها في أمانِ هذه منكمُ نصيبُ الزّمان
ألمٌ لا يخاف لقيا سواه وأسًى لا يُرَى له بعدُ ثان
ليس تُصْغِي من بعدها لِيَ أذن في ذراكم لغير سمع التّهاني

المصدر: ملء العيبة: ج 2 ، ص 384.

12 ـ مغنّ قبيح الغناء

أنشد في مغنّ قبيح الغناء:

(الكامل)

غنّى فصحت تألّما لغنائه: يا للرّجال فظنّه استحسانا
فأعاد ما غنّى وقال لِيَ: استمع هذا الثّقيلَ. فقلت: من غنّانا

المصدر: ملء العيبة: ج 2 ، ص 378.

13 ـ بنــزرت

وقال لمّا حلّ أمير المؤمنين المستنصر بالله الحفصي ببنزرت:

(مجزوء الرجز)

لَمّــا حللتــم باللّـــوى ... بيـن ظِـلال الألـــويـه

رأيــت في بنـــزرت مـــا ... لــم أر فـــي إفريقيـــه

سعْــد السعــود قَــادَ لـــ ... بلـــدة سعْــدَ الأخبيـــه

المصدر: ملء العيبة: ج 2 ، ص 384.

حازم القرطاجني

(684 ـ 608)

أبو الحسن حازم بن محمد بن حسن بن حازم الأنصاري القرطاجنّي، شيخ البلاغة والأدب في الأندلس ثم في تونس. ولد بقرطاجنّة الأندلس ونشأ فيها وفي مرسية وأخذ العربيّة والفلسفة والمنطق والخطابة والفقه ودرس مصنّفات ابن سينا وابن رشد والفارابي. غادر الأندلس وهو في سنّ الثّلاثين من عمره إلى المدن المغربيّة قبل أن يستقرّ بتونس ويتّصل بملوك بني حفص واختص في مدحهم وتدريس البلاغة والأدب بتونس وتخرّج على يديه عدد كبير من أدباء تونس من تآليفه:

ـ منهاج البلغاء وسراج الأدباء نشر بتونس.

ـ ديوان شعر

ـ كتاب التّجنيس

ـ شد الزنّار على جحفلة الحمار: في الرد على ابن عصفور في النحو.

توفي حازم بتونس في 24 رمضان 284.

1 ـ بلغت في الأعداء كلّ مراد

مما قاله ارتجالا يمدح الخليفة الحفصي أبا عبد الله بن أبي زكرياء ويذكر انتصاره على قبيلة رياح بالشّمال التّونسي:

(الكامل)

بُلِّغْتَ فِي الأَعْدَاءِ كُلَّ مُرَاد ... وَغَدا لَكَ التَّأْيِيدُ ذَا إسعاد
وَغَدَا الأَعَادِي مِنْ رِيَاحٍ، كُلَّمَا ... هَبَّتْ بِنصركُمُ الرِّيَاحُ، كعاد[1]
أَضْحَى سِبَاعٌ لِلسِّبَاعِ فَرِيسَةً ... وسطا بِشِبْلٍ غالب الآساد
وَكَبَتْ بِحَدَّاد وَسَائِرِ صَحْبِه ... دُهْمٌ أَتَتْ مِن مَرْبَط الحَدَّاد
أَمْطَيْتَهُمْ غُرَّ الجِيَادِ فَمَا ابْتَغَوا ... إلاّ امتطاءَ أداهِمَ الأقياد
طَوَّقتهم بِظُبَاك أن لم يشكُروا ... ما طُوِّقُوا مِنْ أَنْعُمٍ وأياد
فَتْحٌ بِه أبوابُ كلِّ بشارةٍ ... فُتِحت بيُمْنِ البِيض والأنجاد
إن كان قبل العيدِ قدّم يومه ... فَلَقَدْ غَدَا مِنْ أَكْرَم الأعياد

المصدر: قصائد ومقطّعات: ص 114، وديوان حازم: ص 37، والفارسيّة، ص 130.

---

(1) رياح: قبيلة عربية ضاربة بسهول تونس الشمالية، وعاد: قبيلة بائدة.

2 ـ عيد بجودك

قال يهنّئ الخليفة المستنصر بعيد الأضحى:

(الكامل)

عيدٌ بِجودِك جيدُهُ قد قُلِّدا ... وبيُمن جَدِّكَ يُمْنُهُ قد أُكِّدَا
فَاهْنَأْ بِهِ، وَبِأَلْفِ عِيدٍ بَعْدَهُ ... واسْعَدْ بِلُقْيَاهُ كَمَا بِكَ أسْعِدَا
وابلُغْ مُرَادَكَ فِي الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ، ... واخْلُد وَدُمْ أبدًا دوامًا سَرْمَدا
وَامْدُدْ لَنَا يَدَكَ الكَرِيمَةَ نَسْتَلِمْ ... منها المكارِمَ والعُلا والسُّؤْدَدَا
وَنَرَى الغَوَادِي كَيْفَ يَنْشَأُ مُزنُها ... طَلْقَ الأسرَّةِ لاَ عَبُوسًا أَرْبَدَا
والبَحْرَ كَيْفَ يُنيلُ أَنْفَسَ دُرِّه ... كرمًا، ويقذفُ لؤلؤًا وَزَبَرْجَدا
بحرٌ إذا لاَقَى العُفَاةَ رَأَيْتَه ... رَهْوًا، وَإِنْ لَقِيَ الأعَادِي أزْبدَا
وَحَيًا إِذَا جَادَ الحَيَا بِقِطَارِهِ ... سَقْيًا رأيْنا القَطْرَ منه عَسْجَدا
مَا العِيدُ فِي التَّخْلِيقِ إلاَّ عَادَةٌ ... لِيَدَيْكَ فِي مَنْحِ الأَيَادِي والجدا
أضْحَى نَدَاكَ لِكُلِّ عيدٍ قَادِمٍ ... عيدًا مُفِيدًا للسّرور مُجَدَّدا
فَلَوْ أنَّ ذَا العِيد احتذَى حِذْوَ الوَرَى ... فعلاً، أهَلَّ إلى سناك وَعَيَّدا
عيدٌ تَشَرَّفَ يومُهُ بل شهرهُ ... بِكَ، فاغتدى بين الشُّهُور مُمَجَّدًا
أيامُ تشريق، وإشراق بما ... أَطْلَعْتَ فِيهَا مِنْ سَنَى شَمْسِ الهُدَى
ووقوتُ حجّ قد علت لك حجَّة ... فِيهِ، وَسُلْطَان عَلَى كُلِّ العِدَى
وقدوم عيدٍ عاد بالبُشرى لكُمْ ... وَبِمِثْلِ مَا قَدْ عَادَ مِنْ خَيْرٍ بَدَا

وَسَمَتْهُ نُعْمَاكُم فَسُمِّي مَوْسِمًا ... إِنَّ الأسَامِي قَدْ تُبِينُ المَقْصـــدَا
ودعوه عيدًا إذ غدا لك مُنْجِــزًا، ... فِي النَّصْرِ وَالفَتْحِ المُعَجَّلِ، مَوْعِدًا
حشدَ الصَّنَائِعَ والمُنَى لك، والذي ... يَتْلُوهُ يُلْفَى للصنائع أَحْشَدَا
وَبَدَأْتَ فيه وعُدْت بالنُّعمى، وما ... زالت هِبَاتُكَ باديَاتٍ عُوَّدَا
سَمَتِ العيونُ به لِغُـرَّتِـكَ التي ... أضحت لماء البِشْرِ منها وُرَّدا
وَسَمَتْ إلى تقبيل راحتك المنى ... فَغَدَتْ لِغَيْثِ الجُودِ مِنْهَا رُوَّدَا
فاستقبلتْ، بابَ القبول مفتَّحًا، ... أعمال كُلٍّ مقبِّلٍ تلك اليدا
لَثَمُوا يدًا بَيْضَـاءَ مِنْكَ كَأَنَّهُمْ ... لَثَمُوا بها الحَجَرَ الكريم الأسودا
أَكْرِمْ بها من راحةٍ! إحسانُها ... أَضْحَى مرادًا للعُـفَـاةِ وَمَوْرِدَا
كَمْ مِنْ يَدٍ لِيَدِ الأميرِ مُحَمَّدٍ ... عَادَتْ، فكان العَوْدُ منها أحمدا
مَلِكٌ بذكرى مُنجبيه، وذكرِه ... يُسْتَفْتَحُ الذكرُ الجميلُ ويُبتدا
بأبيه يحيى المُرتضى، وبه جرَت ... للنَّصْرِ أرواح وكانتْ رُكَّدَا
وبِهَدْيِهِ، وَبِهَدْيِ مُنْجِبِهِ الرِّضَى ... وُقِدَتْ مَصَابِيح، وَكَانَتْ خُـمَّـدَا
أَبْقَى لَهُ العُمَرَانِ مَجْدًا لَمْ يَزَلْ ... بِالبِيضِ وَالسُّمْرِ الطِّوَالِ مُشَيَّدَا
عُمَرُ الذِي ابْتَدَأَ الفُتُوحَ بِيُمْنِهِ ... وَسَمِيُّهُ عُمَرُ المُتَمِّمُ مَا ابْتَدَا؛
لاَ خَلْقَ مِنْ بَعْدِ النَبِيِّ وَصَحْبِهِ ... أَعْلَى يَدًا مِنْهُ، وَلاَ أَسْنَى يَدَا
فَبِهِ اقْتَدَى مِنْ بَعْدِهِمْ كُلُّ امْرِىءٍ ... مُسْتَبْصِرٍ، وَمَنْ اقْتَدَى فَقَدْ اهْتَدَى
وَبِهِ رَعَوْا رَوْضَ الأَمَانِي نَاضِرًا ... سَرَقًا بِأَنْوَاءِ النَّدَى مُسْتَأْسِدا
فِي كُلِّ يَوْمٍ يَرْتَجِي إِحْسَانَه ... مَنْ يَرْتَجِي بِنَبِيِّهِ الحُسْنَى غَدَا
إِنْ قِيلَ: مَنْ لِشَفَاعَةٍ وَمَعِيشَةٍ ... أَعْدَدْتَ؟ قَالَ: مُحَمَّدًا وَمُحَمَّدًا
مَلِكٌ غَدَا يُغْنِي الجَمِيعَ بِفَضْلِهِ، ... وَإِنْ اجْتَلَتْهُ العَيْنُ شَخْصًا مُفْرَدًا

أَضْحَى النَّدَى طَبْعًا لَهُ وَتَعَوُّدا فَغَدَا فَرِيدًا فِي المَكَارِمِ أَوْحَدَا

وَالفَضْلُ فِي الإِنْسَانِ لَيْسَ بِكَامِلٍ حَتَّى يَكُونَ طَبِيعَةً وَتَعَوُّدا

أَعْطَى فَأَغْنَى سَيْبُهُ مَنْ قَدْ رَجَا، وَسَطا فَأَفْنَى سَيْفُهُ مَنْ قَدْ عَدَا

أَرْعَى الأَمَانِي خُضْرَ أَنْدِيَةِ النَّدَى، وَكَسَا الأَعَادِيَ حُمْرَ أَرْدِيَةِ الرَّدَى

فَإِذَا سَقَى أَرْوَى الأَمَانِيَ جُودُهُ، وَإِذَا رَمَى غَرَضَ الأَعَادِي أَقْصَدَا

فَيَرُوعُهُمْ بِالخَيْلِ أَيْقَاظًا، وَكَمْ قَدْ رَاعَ مِنْهُمْ بِالخَيَالِ الهُجَّدَا!

وَكَمِ اسْتَطَارَ قُلُوبَهُمْ بِطَوَائِرٍ هُدِيَتْ إِلَى قَلْبِ العَدُوِّ كَمَا هَدَى!

وَخَوَافِقٍ مَنْشُورَةٍ مَنْصُورَةٍ أَعْدَتْ بِطُولِ الخَفْقِ قَلْبَ مَنِ اعْتَدَى،

وَسَوَابِحٍ تَجْرِي، إِذَا تَجْرِي، لَهَا فِي الأُفْقِ سَابِحَةُ الكَوَاكِبِ أَسْعُدَا

خَيْلٌ تَخَيَّلُ بُهْمُهَا غُرًّا إِذَا ضَوْءُ الأَسِنَّةِ فَوْقَ أَوْجُهِهَا بَدَا،

وَتَرَى الأَغَرَّ حَقِيقَةً فَتَخَالُهُ بِالصُّبْحِ قُلِّدَ، وَالأَهِلَّةِ قُيِّدَا

فَإِذَا تَتَلَّعَ أَوْ تَطَلَّعَ غُرَّةً وَصفَ الغَزَالَةَ وَالغَزَالَ الأَغْيَدَا

تَغْشَى الحُرُوبَ بِكُلِّ مُرْتَاحٍ لَهَا نَصَبَ القَوَاضِبَ وَالقَضِيبَ الأَمْلَدَا

مَا زَالَ مِنْ حَزْمٍ وَرَأْيٍ يَكْتَسِي فِي السِّلْمِ وَالحَرْبِ الدِّلَاصَ المُحْصَدَا

فَتَرَاهُ أَكْسَى مِنْ أُحَيْحَةَ فِي الوَغَى، وَأَتَمَّ حَزْمًا من يزِيدَ وَأَزْيَدَا(1)

يَلْقَى الوَغَى جَذِلاً بِهَا مُسْتَأْنِسًا حَيْثُ الأُسُودُ الغُلْبُ تُلْفَى شُرَّدَا

وَالحَرْبُ قَائِمَةٌ، وَقَدْ خَرَّتْ بِهَا هَامُ العِدَى لِرُكُوعِ سَيْفِكَ سُجَّدَا

أَإِمَامَنَا وَغَمَامَنَا الغَادِي الَّذِي كَمْ رَاحَ فِي طَلَبِ العُفَاةِ وَكَمْ غَدَا

فِي كُلِّ حَالٍ جُودُ كَفِّكَ سَائِلٌ عَنْ سَائِلِيهِ، وَمُجْتَدٍ أَنْ يُجْتَدَى

---

(1) أحيحة بن الجلاح: كان من أغنياء المدينة في الجاهليّة، كانت عنده درع ليس بيثرب مثلها أعطاها لقيس بن زهير.

ويزيد: يزيد بن معاوية، بن أبي سفيان كان اشتهر بالحزم.

أَضْحَــتْ بِرِقِّكَ كُلُّ نَفْــسٍ حُرَّةٍ   لَمَّــا غَدَتْ أَحْرَارِهَا لَــكَ أَعْبُـدَا
أَطْلَقـتَ مَنْطِقَ كُلٍّ مَنْ أَنْطَقْتَهُ   شُكْرًا، فَأَصْبَحَ مُطْلَقًــا وَمُقَيَّـدا
أَضْحَـى بِكُمْ رَوْضُ الأَمَانِي نَاضِرًا،   وَغَدَا بِكُــمْ ظِلُّ الأَمَــانِ مُمَدَّدَا
فَمَتَى يَرُمْ إِيقَادَ. نِيرَانِ الوَغَى   عَاصٍ، فَبَأْسُــكَ مُخْمِدٌ مَا أَوْقَدَا
وَمَتَى يَرِمْ إِطْفَاءَ أَنْوَارِ الهُدَى   بَاغٍ، فَهَدْيُــكَ مُوقِدٌ مَــا أَخْمَدَا
مَنْ كَانَ مُعْتَلَّ الضَّمِيرِ مَرِيضَهُ   لم تَأْتِــهِ إِلاَّ رِمَاحُــكَ عُــوَّدَا
كَمْ قَدْ شَفَيْتَ بِبَأْسِهَا وَمَضَائِهَا   أَدْوَاءَ مَــنْ لَــمْ يَشْفِهِ مِنْكَ النَّدَى!
عَلِمَتْ بِــأَنَّ الحِقْــدَ أَمْرَضَهُمْ فَمَا   عَادَتْ مِنَ الأَعْدَاءِ إِلاَّ الأَكْبُدَا!
قَدْ أَحْمِدَتْ سِيَــرُ الأَمِيــرِ مُحَمَّدٍ   عدْلاً، وَحُــقَّ لِمِثْلِهَا أَنْ يُحْمَدَا
مَلِكٌ غَــدَا بِالمَشْرَفِيَّــةِ مُلْكُــهُ   فِي الخَافِقِــين مُوَطَّأً وَمُوَطَّدا
كَمْ قَدْ جَلاَ لَيْلَ الخُطُــوبِ! وَكَمْ جَلاَ   نُورَ الخطَابَــةِ سَاطِعًـــا مُتَوَقِّدًا!
كَمْ حِكْمَـــةٍ جُلَّتْ، جَلَتْهَا لِلنُّهَى   أَفْكَارُهُ، فَجَلَتْ بِهَا عَنْهَا الصَّدَا!
وَصَحِيفَــةٍ قَدْ صُحِّحَــتْ بِيَرَاعَةٍ   قَدْ صُحِّفَتْ، فَشَفَتْ تَبَارِيحَ الصَّدَى!
يَا نَاصِـرَ الدِّيــنِ الَّـــذِي آرَاؤُهُ   فِي نُصْرَةِ الإِسْلاَمِ تُورِي أَزْنُدَا
إِنَّ المُؤَيَّــد دِينَهُ بِــكَ قَدْ قَضَى   لَــكَ أَنْ تَكُونَ مُظَفَّرًا وَمُؤَيَّدًا
وَمُمَكَّــنًـا مِمَّــا أَرَدْتَ مُخَيَّـــرًا،   وَمُوَفَّقًــا فِيمَــا رَأَيْــتَ مُسَدَّدًا
وَدُعَاؤُنَــا لَــكَ أَنْ تَــدُومَ مُهَنَّــأً   وَمُبَشَّــرًا وَمُنَعَّمًــا وَمُخَلَّــــدًا

المصدر: قصائد ومقطعات: ص 115 ـ 118، والديوان: ص 38 ـ 41.

3 ـ تهنئة

قال يمدح أبا زكرياء الحفصي ويهنّئه بقدوم ابنه أبي يحيى:

(الكامل)

أزكَى سليلٍ زارَ أكْرَمَ والدٍ ... أكْرِمْ بِمَوْرُودٍ علَيْهِ ووَارِدِ
قَمرَانِ في أُفُقِ العلاَ، ما مِنهُمَا ... عِنْدَ التَّقَارُنِ، غيْرَ نَامٍ زائِدِ
فَغَدَتْ لِعزِّهمَا النُّجُومُ سَوَاجِداً ... فوْقَ الثَّرَى مَع كُلِّ نَجْمٍ سَاجِدِ
لِلّهِ يَوْمٌ أقْدَمَتْهُ سُعُودُهُ ... نَعِمَ الوَرَى مِنْهُ بِعِيدٍ عائِدِ
نَاهِيكَ مِنْ يَوْمٍ كريمٍ حَاشِرٍ ... إنسَ[1] الوَرَى مِنْ كُلِّ أوْبٍ حَاشِدِ
لَوْ أنَّ غسَّانًا رأتْهُ أنْسِيَتْ ... يَوْمَ السَّبَاسِبِ في الزَّمَانِ البائِدِ[1]
وعُهُودَ جِلَّقَ، إذْ تُحَيِّيهِم بِهَا ... وَسْطَ القُصُورِ الحُمْرِ بِيضُ ولائِدِ[2]
عُنِيَ الغَمَامُ بِسُبْلِهِ فتَرَفَّهَتْ ... مِنْ خُضْرِ أسْمِيَةٍ وزُرْقِ مَوارِدِ،
سَارَى وَلِيُّ العَهْدِ عَهْدَ ولِيِّهِ ... وغَدَا لَهُ كالزَّائِرِ المُتَعَاهِدِ
وكَسَا الأبَاطِحَ والرُّبَى ما زَانَهَا ... مِنْ كُلِّ نَوْرٍ تَوْأمٍ أوْ فَارِدِ
خَافُوا عَلَى لَحْمِ الجِيَادِ تَقَطُّعًا ... مِنْهَا بِزُرْقِ مَوَارِدٍ كَمَبَارِدِ،
وخَشُوا عَلَى مَا أنْعلَتْهُ تَوَقُّداً ... مِنْ كُلِّ نُورٍ لِلنَّواظِرِ وَاقِدِ

---

(1) اشارة الى قول النابغة الذبياني يمدح بني غسان:
رقاق النعال طيب حجزاتهم يحيون بالرّيحان يوم السباسب.
(2) اشارة الى قول النابغة أيضا:
تحييهم بيض الولائد بينهم وأكسية الاضريج فوق المشاجب.

عجبًا أيُخشى لَفحُ مُخضرٍّ ندٍ … أوْ أنْ يُؤثِّرَ ذَائبٌ فِي جَامِدِ!

فَسَرَتْ بِخُضرِ خَمَائِلٍ، وَلَقَدْ تُرَى … قَبْلَ الحَيَا الوَسْمِيِّ غُبْرٌ فَدَافِدِ

مَا إنْ يَمَلُّ الرَّائِحُ الغَادِي لَهَا … مِنْ لُؤلُؤِ الأَنْدَاءِ صَوْغَ قَلائِدَ

فَكَأنَّهُمْ فِي حَرِّ كُلِّ هَجِيرَةٍ … يَسْرُونَ فِي سَحَرٍ بِلَيْلٍ بَارِدِ

هَلْ ذَاكَ إلاَّ لاغْتِنَاءٍ يَقْتَضِي … إسْعَادَ آمَالٍ وَنُجْحَ مَقَاصِدِ

بِبَنِي أَبِي حَفْصٍ عَلاَ عَلَمُ الهُدَى … وَرَسَا بِنَاءُ المُلْكِ فَوْقَ قَوَاعِدِ

تِلْكَ الأُصُولُ الطَّيِّبَاتُ أَرَيْنَنَا … مِمَّنْ نَمَتْهُ كُلُّ فَرْعٍ مَاجِدِ

قَدْ بَانَ طِيبُ الأَصْلِ فِي طِيبِ الجَنَى … طِيبُ الفُرُوعِ دَلِيلُ طِيبِ مَحَاتِدِ

أَرْكَانُ مُلْكٍ رَاسِخٍ بُنْيَانُهُ، … سَامٍ، إِلَى زُهْرِ الكَوَاكِبِ صَاعِدِ

اللّهُ شَيَّدَهُ فَدَامَ، وَإِنَّمَا … يَخْشَى البِلَى مَا اللّهُ لَيْسَ بِشَائِدِ

لَيْسَ الحَيَاةُ أَوْ الحَيَا لِمُؤَمِّلِ … إلاَّ نَدَى يَحْيَى بن عَبْدِ الوَاحِدِ

مَلِكٌ نَدَاهُ سَائِلٌ عَنْ سَائِلِ … صِفْرِ الحَقَائِبِ، قَاصِدٌ لِلْقَاصِدِ

فَالحِلْمُ مِنْهُ مُخْلِفٌ إيعَادَهُ، … وَالجُودُ مِنْهُ مُنْجِزٌ لِلْوَاعِدِ

وَمُؤَيَّدٌ تَسْرِي أَمَامَ جُيُوشِهِ … أَبَدًا رِيَاحُ النَّصْرِ غَيْرَ رَوَاكِدِ

وَطِئَتْ سَنَابِكُ خَيْلِهِ هَامَ العِدَى … مِنْ قَبْلِ وَطْءِ مَنَازِلٍ وَمَعَاهِدِ

مِنْ كُلِّ مُجْفَرَةِ الضُّلُوعِ كَأَنَّمَا … تَطْوِي عَلَى الأَعْدَاءِ زَفْرَةَ حَاقِدِ(3)

أَوْ كَالمُحَلِّقَةِ الصَّيُودِ مُطَهَّمٍ … يَهْوِي بِمُقْتَنَصِ الفَوَارِسِ صَائِدِ(4)

يَمْضِي فَيَسْبِقُ لَحْظَ نَاظِرِهِ وَيَرْ … جِعُ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ طَرْفُ الرَّاصِدِ

وَلَوَ انَّهُ مُتَجَفِّلٌ بِعِقَالِهِ … لَمْ تُلْفِهِ إلاَّ عِقَالَ الشَّارِدِ

---

(3) المجفرة: من الجفرة وهي جوف الصدر أو منحنى الضلوع. وفرس مجفرة: عظيمة الجفرة.

(4) المحلقة الصيود: العقاب، والصيود: التي تنقض بشدة على الصيد.

حتَّى لَقَدْ نَسِيَ الجَوَادُ اسْمًا لَهُ ... مِنْ طُولِ مَا سَمَّوهُ قَيْدَ أوَابِدِ
شَأَتِ البَوَارِقَ غَيْرَ جَاهِدَةٍ، وَلَمْ ... يَقْطَعْنَ نَومَ قَطَا الفَلاَةِ الهَابِدِ
سَهِدَتْ مِنْهُمْ كُلُّ جَفْنٍ نَائِمٍ ... لَمَّا أنَمْتُمْ كُلَّ جَفْنٍ سَاهِدِ
خَصَمَتْ سُيُوفُكَ عَنْكَ كُلَّ مُجَادِلٍ ... أَلْوَى، وَقَدْ أَلْوَت بِكُلِّ مُجَالِدِ
وَتَوَاضَعَتْ شُمُّ المَعَاقِلِ هَيْبَةً ... مِنْ كُلِّ دَانٍ مِنْكَ أَوْ مُتَبَاعِدِ،
وَأذلَّ عِزُّ الأَبْلَقِ الفَرْدِ الَّذِي ... أَخَذَ التَمَرُّدَ عَنْ أَخِيهِ مَارِدِ(5)
وَإِلَيْكَ مِنْهَا رَوْضَةً مَطْلُولَةً ... تُحْمَى بِهَا أَنْفَاسُ نَفْسِ الحَاسِدِ(6)
فَانْظُرْ بِعَيْنِ رِضَاكَ مِنْهَا أَعْيُنًا ... نَظَرَت إِلَيْكَ بِهَا عُيُونُ مَحَامِدِ
وَانْفَحْ بِجُودِكَ لِلأَمَانِي نَفْحَةً ... حَتَّى أرَى كَيْفَ اهْتِزَازُ الهَامِدِ
فَيُرَاجِعُ الآمَالَ صِدْقَ رَجَائِهَا ... كَالضَّوْءِ يَعْلَقُ بِالذُّبَالِ الخَامِدِ
وَاهْنَأْ بِمَقْدَمِ مُقْتَدٍ بِكَ فِي العُلاَ ... حِذْوَ الشِّرَاكِ عَلَى مِثَالٍ وَاحِدِ
مَنْ أنْتَ مُنْجِبُهُ، فَمُضْطَلِعٌ بِمَا ... حَمَّلْتَهُ، مِنْ كُلِّ عِبْءٍ آيِدِ
يُزْهَى حُسَامُ المُلْكِ، إذْ وُصِلَتْ بِهِ ... مِنْهُ يَدٌ وُصِلَتْ بِأطْوَلِ سَاعِدِ
وَاسْعَدْ بِزُهْرِ كَوَاكِبٍ أَطْلَعْتَهَا ... يَقْذِفْنَ دُونَكَ كُلَّ غَاوٍ مَارِدِ
وَاخْلُدْ خُلُودَ الشُّهْبِ، وَابْقَ بَقَاءَ مَا ... ذَرَأَتْ هِبَاتُكَ مِنْ ثَنَاءٍ خَالِدِ(7)

المصدر: قصائد ومقطّعات: ص 122 ـ 124، والدّيوان: ص 43 ـ 45.

(5) الأبلق الفرد: حصن بتيماء، ومارد: حصن آخر.
(6) منها: يعود الضمير على قصيدة حازم.
(7) ذرأت: أنشأت وخلقت.

4 ـ عيد الفطر

قال يهنّئ المستنصر باللّه الحفصي بعيد الفطر:

(الطويل)

أَهَلَّ هِلاَلُ العِيدِ مِنْكَ الَى بَدْرِ ... وَلاَقَاكَ مِنْهُ بِالطَّلاَقَةِ وَالبِشْرِ
هَلِ العِيدُ إلاّ مَوْعِدٌ لَكَ بِالمُنَى ... وَبِاليُمْنِ، وَالإِقْبَالِ، وَالفَتْحِ، وَالنَّصْرِ
ثَلاَثَةُ أَعْيَادٍ تَجَمَّعْنَ لِلْوَرَى ... بِوَجْهِكَ، وَالفَتْحِ الَّذِي جَلَّ، وَالفِطْرِ
بِوَجْهِكَ شَهْرُ الفِطْرِ يُهْدِي بَشَائِرًا ... مُؤَرَّجَةَ الأَنْفَاسِ عَاطِرَةَ النَّشْرِ
تَسَابَقُ أَيَّامُ المَسَرَّاتِ نَحْوَكُم ... فَمِنْ سَابِقٍ مِنْهَا، وَمُوفٍ عَلَى الإِثْرِ
وَمِنْهُنَّ يَوْمًا مَوْسِمٍ وَبِشَارَةٍ ... كَمَا شَاءَتِ الآمَالُ جَاءَا عَلَى قَدْرِ
فَهُنِّئْتَ إِقْبَالَ الفُتُوحِ وَلاَ عَدَتْ ... عِدَاكَ الرَّزَايَا مِنْ عَوَانٍ وَمِنْ بِكْرِ
وَلاَ زِلْتَ تَحْمِي سَاحَةَ الدِّينِ وَالهُدَى ... بِكُلِّ خَمِيسٍ مُسْتَبِيحٍ حِمَى الكُفْرِ
كَتَائِبُ فِيهَا الأُسدُ فِي أَجمِ القَنَا ... قَدْ ادَّرَعَتْ بِالسَّابِرِيَّةِ وَالصَّبْرِ[1]
عَلَى مُنْعَلاَتٍ بِالأَهِلَّةِ، قُرِّطَتْ ... بِأَنْجُمِ قَذْفٍ مِنْ شَبَا الذُّبَّلِ السُّمْرِ
مَتَى مَا تَرِدْ مَاءً تُرِدْ مَا وَرَاءَهُ، ... وَلَوْ خَيَّمَتْ يَوْمًا عَلَى مَنْشَإِ القَطْرِ
وَيَغْنَيْنَ عَنْ وِرْدِ المِيَاهِ كَأَنَّهَا ... مِنَ الحلَقِ المَاذِيِّ يَكْرَعْنَ فِي غُدْرِ
فَكَمْ بِهَوَادِيهَا رَمَى ثُغَرَ العِدَى ... إِمَامُ هُدًى، مَازَالَ يَحْمِي حِمَى الثَّغْرِ!

(1) السابرية: دروع منسوبة الى سابور

سُلاَلَةُ عَبْدِ الوَاحِدِ الأَوْحَدِ الَّذي أَبُوهُ أَبُو حَفْصٍ، وَنَاهِيكَ مِنْ فَخْرِ!
إِمَامٌ بِجَيْشِ الرُّعْبِ يَغْزُو عُدَاتَهُ، فَلَوْ شَاءَ لاسْتَغْنَى عَنِ الجَحْفَلِ المَجْرِ
وَيَسْرِي إِلَى الأَعْدَاءِ كَالبَرْقِ عَزْمُهُ، إِذَا لَمْ يَكُنْ نَجْمٌ لِهَوْلِ الدُّجَى يَسْرِي
إِذَا بَثَّ فِي أَرْضٍ مَقَانِبَ[2] جَيْشِهِ ثَنَى الوَعْرَ مِثْلَ السَّهْلِ، وَالسَّهْلَ كَالوَعْرِ
وَبِالمُنْشَآتِ البحْرِ كَالبرِّ يَنْثَنِي إِذَا مَا غَزَا وَالبـرُّ بِالجَيْشِ كَالبَحْرِ
تَقَلَّدَ أَمْرَ المُؤْمِنِينَ بِحَقِّهِ فَأَضْحَى مُطَاعَ النَّهْيِ مُمْتَثَلَ الأَمْرِ
حَكَى عُمَرَ الفَارُوقَ هَدْيًا وَسِيرَةً وَفِي دَهْيِهِ الأَعْدَاءَ أَرْبَى عَلَى عَمْرِو[3]
جَرَى مِنْهُ جَرْيَ المَاءِ فِي الغُصْنِ حلمهُ فَلَمْ يُعْزَ حِلْمٌ لابْنِ صَخْرٍ وَلاَ صَخرِ[4]
تَبَارَى يَدَاهُ فِي السَّمَاحِ، فَلِلْمُنَى وَلِلْيُمْنِ يُمْنَاهُ، وَيُسْرَاهُ لِلْيُسْرِ
يُبِيدُ نُفُوسًا، أَوْ يُفِيدُ نَفَائِسًا بِسَيْبٍ لَهُ يَسْرِي، وَسَيْفٍ لَهُ يَفْرِي
غَمَامٌ بِلاَ دَجْنٍ، وَصُبْحٌ بِلاَ دُجًى، وَبَدْرٌ بِلاَ نَقْصٍ، وَبَحْرٌ بِلاَ جَزْرِ
تَلُوحُ عَلَى أَبْنَائِهِ مِنْ صِفَاتِهِ سِمَاتٌ كَضَوْءِ الشَّمْسِ فَاضَ عَلَى البَدْرِ
فَقَدْ شَمَلَتْهُمْ لِلسَّمَاحِ شَمَائِلٌ أَمِيرِيَّةُ الأَعراق، حفصيّةُ النَّجر
فَمِنْ أُنُـفٍ شُمٍّ، وَمِنْ أَوْجُهٍ زُهْرِ ومِن نِـعَـمٍ بيضٍ، ومن شيمٍ غرٍّ
فَمَا بَالِغٌ أَدْنَى سَمَاحِكَ ذُو نَدًى، ولا بالغٌ أدنى امتداحك ذو فكر
وَلَـوْ أَنَّـهُ بِالشِّعْرِيَيْـنِ[5] مُـصَرِّعٌ فواتحَ ما يُهدى إليك من الشّعر
وَكَمْ مِنْ يَدٍ بَيْضَاءَ مِنْكَ بَدَتْ لَنَا! فَجَلَّتْ سَوَادَ الخَطْبِ وَالحَادِثِ النُّكْرِ

(2) ج مقنب: جماعات من الخيل تجتمع للغارة.
(3) عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص.
(4) معاوية بن أبي سفيان وصخر هو أبو سفيان
(5) الشعريان: كوكبان يطلعان في الجوزاء. واحدتها شِعْرَى.

وَكَمْ حِكْمَةٍ غَرَّاءَ مِنْكَ قَضَتْ لَنَا ... بِإِبْطَالِ مَا أَبْدَى البَيَانُ مِنَ السِّحْرِ!
فَهَلْ آيَتَا مُوسَى الكَلِيمِ لَدَيْكُمُ ... بِمَا حُزْتَ مِنْ حُكْمٍ، وَمِنْ نَائِلٍ غَمْرِ
أَصَاخَتْ لِدَاعِي هَدْيِكُمْ أَنْفُسُ الوَرَى ... وَأُشْعِرَتِ الإِخْلاَصَ فِي السِّرِّ وَالجَهْرِ
قَضَى اللَّهُ إِذْ وَلاَّكَ أَمْرَ عِبَادِهِ ... بِتَخْلِيدِ هَذَا الأَمْرِ فِيكُمْ إِلَى الحَشْرِ
فَقَدْ ضَمِنَتْ تَمْكِينَ مَا اللَّــهُ مُرْتَضٍ ... مِنَ الدِّينِ بِاسْتِخْلاَفِكُمْ عِدَةَ الذِّكْرِ
إِمَامَ الهُدَى، دُمْ لِلدِّيَانَةِ وَالدُّنَى، ... وَلاَ زِلْتَ مَحْفُوفًا بِأَنْجُمِكَ الزُّهْرِ
وَلاَ بَرِحَتْ غُرُّ الفُتُوحِ بِسَعْدِكُمْ ... تَوَالَى اتِّسَاقًا مِثْلَ مُنْتَظِمِ الدُّرِّ

المصدر: قصائد ومقطعات: ص 134 ـ 136 ، والديوان: ص 55 ـ 57.

5 ـ مُنَى النَّفْسِ تُدْنِي مِنْكُمْ

قال يمدح أبا زكرياء يحيى الحفصي:

(الطويل)

مُنَى النَّفْسِ تُدْنِي مِنْكُمْ، وَالنَّوَى تُقْصِي، ... فَكَمْ ذَا يُطِيعُ الدَّهْرُ فِيكُمْ وَكَمْ يَعْصِي!
يُقَرِّبُ فِي حَالِ التَنَائِي مَزَارَكُمْ، ... فَيَدْنُو، وَيَنْأَى بِالخَيَالِ وَبِالشَّخْصِ
فَيَنْقَادُ لِلأَحْلَامِ فِيكُمْ وَلِلمُنَى، ... وَيَأْبَى عَلَى المُشْتَاقِ فِيكُمْ، وَيَسْتَعْصِي
وَكَمْ رُمْتُ أُحْصِي فِي نَوَاكُمْ فَلَمْ أطِقْ ... خُطُوبًا، خَطَايَا الدَّهْرِ فِيهِنَّ لاَ أُحْصِي
وَكُنْتُ تَأَوَّلْتُ النَّوَى أَنَّهَا نَّوًى ... وَهَلْ بَعْدَ نَصِّ العِيسِ أَحْتَاجُ لِلنَّصِّ؟
فَكَمْ حَجَبَتْ مِنْ مُجْتَلًى يَبْهَرُ الحِجَا، ... بِبَدْرٍ عَلَى غُصْنٍ، وَغُصْنٍ عَلَى دِعْصِ؟
وَنَاظِرَتِي غَيْدَاء، مُنْتَصِة الطُّلَى، ... تَرِيعُ إِذَا رِيعَتْ، لأغْيَدَ مُنْتَصِ
وَفَرْعٍ يُرِيكَ اللَّيْل يَغْشَى نَهَارَهُ، ... أَوْ الصُّبْح يَجْلُوه لَدَى الحَلِّ وَالعَقْصِ
فَمَا أَخْرَسَ القَلْبَ الَّذِي قَدْ أَغَصَّهُ ... تَمَلُّؤُهُ مِنْ ذَلِكَ المِعْصَمِ الرَّخْصِ!
وَمَا أَفْصَحَ الوُشْحَ الَّتِي تَشْتَكِي النَّوَى ... عَلَى حَالِ قُرْبٍ مِنْ خُصُورٍ لَهَا خُمْصِ!
كَأَنْ لَمْ تُمَدِّد بَعْدَمَا قَلَّصَتْ بِكُمْ ... ظِلاَلَ المُنَى ـ أَيْدِي النَّجَائِبِ وَالقُلُّصِ[1]
وَلَمْ تَعْدُ بِي عَدْوَ الطَّلاَ، يَمْسَحُ الفَلاَ ... وَيَمْحَصُ فِي عرضِ المُلاَ[2] أَيَّمَا مَحْصِ،
وَلَمْ تَخْتَدِعْ عَيْنَ الرَّقِيبِ وَسَمْعَه ... بِوَخْدٍ على وخد، ونصّ على نصّ
تَخِفُّ وَتُخْفِي الوَطْءَ عَنْ كُلِّ مَسْمَعٍ ... فَآثَارُهَا تَخْفَى عَلَى كُلِّ مقتصّ

(1) القلص: ج قلوص: الناقة الفتية.
(2) الملا: ج ملاء: الرماد الحار .

وَكَمْ زُرْتُ رَبَّاتِ الحِجَالِ، وَزُرْنَنِي بِرَأيٍ مُطَاعٍ فِي الهَوَى، وَحِجًى مَعصي!
وَقَصَّتْ، وَلَكِنْ مَا اهْتَدَتْ رُقَبَاؤُنَا الـى أَثَرَيْنَـا، بِالقِيَافَـةِ والقَـصِّ،
فيَحْكِي انسيابَ الصِّلِّ طِرْفِي اذا سَرَى إِلَيْهَا، وطَرفِي، إِنْ سَمَا، خِلْسَةَ اللِّصِّ
بِعَزْمِي أسْتَدْنِي البَعِيدَ، وَإِنَّنِي لِمَا النَّجْمُ مُسْتَقْصٍ لَهُ، غَيْر مُسْتَقْصِ
وَزَهَّدَنِي فِي العِيشَةِ الخَفْضِ أنَّنِي عَلَى رِبْـعِ كُورٍ فِي ذَرَى العِيسِ ذُو حِرْصِ
وَعِفْتُ مِنَ الدُّنْيَا الدَّنَايَا، فَلَمْ أشِرْ بِقَبْض إِلَى مَا عَنَّ مِنْهَا وَلاَ قَبْص(3)
سَأَتْرُكُ فِي الدُّنْيَا ثَنَاءً مُخَلَّدًا إِذَا غَدَت الأَيَّامُ مُخْلَقَةَ القُمْصِ
عَقَائِلُ قَدْ عَزَّتْ عَلَى كُلِّ خَاطِبٍ، وَلَوْ حُلِّيَتْ عِقْدَ الثُّرَيَّا لَدَى النَّصِّ
أَرَادَتْ وَحِيدًا فِي المُلُوكِ، فَلَمْ تَجِدْ كَيحيى بن عَبْدِ الوَاحِدِ بْنِ أَبِي حَفْص
أميرٍ لِأَقْدَامِ السُّعودِ تَـقَــدُّم إِلَيْهِ، وَأَقْدَامُ العِدَى عَنْهُ فِي نَكْصٍ،
لِخِرْصَانِهِ صِدْقُ الجلادِ، الَّذِي بِهِ تَظَلُّ الأَعَادِي فِي جِدَالٍ، وَفِي خَرْص(4)
بِحَيْثُ تَرَى زُهْرَ الوُجُوهِ كَأَنَّهَا مِنَ الرَّوْعِ عُلَّتْ بِالعَبِيرِ، أَوِ الحُصِّ(5)
وَبَحْرٍ تَهِيمُ المَكْرُمَاتُ بِهِ، فَمَا لَهَا الدَّهْرَ مِنْ خِلٍّ سِوَاهُ وَلاَ خِلْص
فَمَنْ يَعْدُ شَطَّ الحِلْمِ مِنْهُ مُلَجِّجًا فَأَيْدِي المَنَايَا فِيهِ نَاشِبَةُ الشِّصِّ
نَــأَى وَدَنَا مِنَّا عُلاً وَسَمَاحَةً فَيُدْنِيهِ مِنَّا جُودُهُ، وَالعُلاَ تُقْصِي
لِآلِ أَبِي حَفْصٍ مآثِرُ لَمْ تَكُن لِتُحْصَى بِطُولِ البَحْث عَنْهَا وَلاَ الفَحْص
وَمَا لَيْسَ يَبْدُو مِنْهُمُ فَوْقَ مَا بَدَا مِنَ الفَضْلِ، إِنْ أَحْصَى فَضَائِلَهُمْ مُحْصٍ
فَلَيْسَ بِمُسْتَقْصٍ لَهَا وَاصِفٌ مَدًى، وَلَوْ أنَّهُ فِيهَا مَدَى القَوْلِ مُسْتَقْص

(3) القبص: وجع يصيب الكبد من أكل التمر على ريق وشرب الماء عليه.
(4) الخرص: الكذب. والخرص: الرمح القصير السنان.
(5) الحص: الزعفران وحب الصنوبر ونحوه.

فَلِلَّه مَا لَمْ يَبْدُ مِنْهَا، وَمَا بَدَا   وَلِلْمَجْدِ مَا لَمْ يُحْصَ مِنْهَا. وَمَا أُحْصِي!
بُيُوتُ المَعَالِي بِالعَوَالِي مَشِيدَةٌ   لَدَيْهِمْ، وَأُسُّ المَجْدِ مُسْتَحْكَمُ الرَصِّ
فَتِلْكَ هَوَاهُمْ، لاَ هَوَى البِيضِ كَالدُّمَى   وَتِلْكَ بُنَاهُمْ، لاَ بُنَى الشَّيد وَالجِصِّ
سَمَوْتُمْ إِلَى العَلْيَا بِطُولِ قَوَادِمٍ،   فَمَنْ ذَا يُسَامِيكُمْ بِأَجْنِحَةٍ حُصٍّ(6)
تُرَاثُ الهدى. فِيكُمْ، وَمَا لِسِوَاكُمُ   مِنَ النَّاسِ فِيهِ مِنْ نَصِيبٍ وَلاَ شِقْصِ(7)
بِمَا حُزْتُم مِنْ هَدْيِ أَفْضَلِ صَاحِبٍ   وَأَكْرِمِ مُخْتَصٍّ بِأَكْرَمِ مُخْتَصٍّ
أَبِي حَفْصٍ البَحْرِ الخِضَمِّ الَّذِي طَمَا،   فَمَدٌّ بِلاَ جَزْرٍ، وَزَادٌ بِلاَ نَقْصِ
بِهِ أَصْبَحَ المَهْدِيُّ قَدْ شُدَّ أَزْرُهُ،   كَمَا شُدَّ أَزْرُ المُصْطَفَى بِأَبِي حَفْصِ(8)
وَكَمْ فِئَةٍ ضَلَّتْ، هَدَيْتَ إِلَيْهِمْ   هَوَادِيَ خَيْلٍ، ذَلَّلَتْ كُلَّ مُسْتَعْصِ!
وَعَرَّاصَةٌ قَدْ جَادَ فِي عَرَصَاتِهِمْ   لَهَا عَارِضٌ وَارِي السَّنَى، دَائِمُ العَرْصِ(9)
وَمُخْتَلِيَاتٍ لِلْجَمَاجِمِ وَالطُّلَى،   بِضَرْبٍ مُبِينِ الحِسِّ، مُسْتَأْصِلِ الحِصِّ
تَزِيدُ حَيَاةَ الدِّينِ طُولاً قِصَارُهَا   وَتُنْقِصُ أَعْجَازَ العِدَى أَيَّمَا نَقْصِ
كَسَوْتَ جَنَاحَ الجَيْشِ مِنْهُ قَوَادِمًا   قَصَصْتَ قُدَامَاهُمْ بِهَا أَيَّمَا قَصِّ
فَأَصْبَحَ مُنْحَطًّا بِهَا كُلُّ كَاسِرٍ   مَهِيضَ الخَوَافِي وَالقَوَادِمِ، مُنْحَصِّ
وَأَضْحَتْ عَلَى غَيْرِ العَوَالِي رُؤُوسهُمْ   تُسَاقُ، وَمِنْ مَقْصُودِهِنَّ عَلَى وَقْصِ(10)
فَكَمْ قَدَمٍ مِنْ صَادِقِ القدم مِنْهُم   غَدَتْ وَهْيَ فِي دَحْضٍ هُنَاكَ وَفِي دَحْصِ(11)

(6) حصّ: مقطوعة
(7) الشقص: من شقص الذبيحة: فصّل أعضاءها معتدلة بين الشركاء.
(8) المهدي بن تومرت صاحب الدعوة الموحدية وأبو حفص عمر بن أبي حفص من أول رجاله.
(9) العرص: عرص البرق: اضطرابه واختلاجه.
(10) وقصت العنق: انكسرت وقص الرجل: اندقت عنقه.
(11) الدحص: دحص المذبوح برجله: فحصه. دحص الرجل: أسرع.

فَمِنْ مُنْسَإٍ مِنْهُمْ لِأَنْكَلِ عِيشَةٍ، وَمِنْ مُعْجَلٍ مِنْهُمْ إِلَى مِيتَةِ قُعْصٍ(12)

بِكُلِّ مُقَادٍ لِلْهُدَى بِغِرَارِهِ وَأَهْلِيهِ، مِنْ أَهْلِ الضَّلاَلَةِ مُقْتَصٌّ

أَسَامَ الرَّدَى رَوْضَ الْمَنَايَا ذُبَابَهُ وَقَالَ لِصُغْرَى النَّمْلِ: آثَارَهُ قُصِّي

فَكَمْ قَوْنَسٍ قَدْ خُدَّ فِي الخَدِّ بَعْدَهُ! وَكَمْ قَصٌّ، بَعْدَ الفَرْيِ لِلْهَامِ، مِنْ قَصٍّ(13)

فَيَحْصِدنَ مِنْ هَامِ العِدَى كُلَّ قَائِمٍ، وَيَهْدِمْنَ مِنْ بُنْيَانِهَا كُلَّ مُرْتَصّ

وَكَمْ عَامِلٍ أَضْحَى بِنَافِذِ خَرْصِهُ حَصِيدًا وَقَدْ أَعْيَتْ عَلَى الحَزْرِ وَالخَرْصِ!

بِحَيْثُ ظُبَى الأَجْفَانِ رُمْدٌ سَوَافِحٌ دَمًا، وَعُيُونُ السُّمْرِ كَالأَعْيُنِ الرُّمْصِ

وَيَوْمٍ كَيَوْمِ السَّبْتِ لَمْ تَرْجُ بَعْدَهُ عِدَاتُكَ أَوْ يَسْتَوْدِعُوا الرَّمْسَ مِنْ رَمْصٍ(14)

فَإِنْ رَفَعُوا آنَافَهُمْ جدِعَتْ، وَإِنْ أَمَالَ الهَوَى أَعْنَاقَهُمْ فَهْيَ لِلْوَقْصِ

فَرَوَّيْتَ مِنْهُمْ كُلَّ ظَامٍ كُعُوبُهُ إِلَى الدَّمِ، غَرْثَانِ الشَّبَا خَرِصَ الخُرْصِ

بِأَيْدِي أُسُودٍ، فِي مُتُونِ سَوَابِقٍ، سَوَابِحَ فِي آذِيِّ مَاذِيَّةٍ، دُلَّصٍ(15)

تَدُوسُ وُكُورَ العَفْرِ فِي ظُلَلِ القَنَا فَتُوشِكُ أَنْ تُعْزَى إِلَى العُصُمِ العُقْصِ(16)

جَرَتْ أَنْجُمُ العَاصِي بِنَحْسٍ، لَدُنْ جَرَتْ، عَلَى السَّهْلِ مِنْ أَرْجَائِهِ، وَعَلَى النُّحصِ(17)

أَطَلَّتْ عَلَيْهِ الخَيْلُ أَهْدَى مِنَ القَطَا فَظَلَّ عَنِ الْمَنْجَاةِ أَحْيَرَ مِنْ دِرْصٍ(18)

وَأَصْبَحَ مِنْ آمَالِ دُنْيَاهُ - إِذْ جَرَى إِلَى أَمَدٍ شَحْطٍ - عَلَى أَمَلٍ شَحْصٍ(19)

---

(12) قعص: قعص الرجل: قتله مكانه وأجهز عليه .

(13) القونس: ج قوانس: أعلى الرأس: أعلى بيضة الحديد.

(14) الرمص: الولادة.

(15) الأذى: التيّار، الماذيّة: الدروع، الدلص: الملس .

(16) العصم: الوعول. العقص: التي التوت قرونها الى آذانها.

والعقر: الشجاع، الغليظ الشديد .

(17) النّحص: أصل الجبل أو سفحه .

(18) الدرص: ولد الفارة والهرة والأرنب ونحوها...

(19) شحص: بعيد أو متعب .

فَلَيْسَ بِهَا مَا نَابَهُ الدَّهْرُ نَاسِيًا، وَمَا نَالَهُ مِنْ شِدَّةِ الوَطْءِ وَالوَهْصِ[20]

مَتَى يَفْرِسُ اللَّيْثُ القَنِيصَ وَيَنْفَلِتْ يَرُعْهُ مَتَى مَا يَلْتَفِتْ أَثَرُ الفَرْصِ[21]

حَقِيقَةُ نَصْرٍ أَكْذَبَتْ كُلَّ مُمْتَرٍ وَجَاءَتْهُ بِالأَمْرِ اليَقِينِ مِنَ الفَصِّ

غَدَا صَفَرُ الأَصْفَارِ مُمْتَلِئًا بِهَا بَشَائِرَ قَدْ طَابَتْ لِمُصْغٍ وَمُقْتَصٍّ،

فَلَوْ طَرَقَتْ قُسًّا، وَقَدْ قَامَ خَاطِبًا، لأَصْغَى لَهَا سَمْعًا، وَقَالَ لَهَا: قُصِّي[22]

عَسَى اللَّهُ أَنْ يَنْتَاشَ أَنْدَلُسًا بِهَا، وَيَأْخُذَ فِيهَا لِلْهُدَى أَخْذَ مُقْتَصٍّ

فَيُضْحِي بِهَا شَرْقُ الجَزِيرَةِ مَشْرِقًا وَتَطْلَعُ أَنْوَارُ البَشَائِرِ فِي حِمْصِ[23]

أَمِيرَ الهُدَى مَنْ يَدْنُ مِنْكَ فَإِنَّهُ بِقُرْبِكَ مِنْ صَرْفِ الحَوَادِثِ قَدْ أُقْصِي

إِلَيْكُمْ سَرَتْ بِي أَيْنُقٌ خُمُصُ السُّرَى وَجَوْبُ الفَلاَ أَنْضَاهَا أَيَّمَا خَمْصِ[24]

قِلاَصٌ كَخِيطَانٍ مِنَ النَّبْعِ لَمْ تَزَلْ لَهَا البِيدُ فِي هَصْرٍ عَنِيفٍ وَفِي رَهْصِ[25]

تَشَكَّى السُّرَى، وَالشُّهْبُ لِلصُّبْحِ تَشْتَكِي سُرَى الغُمْضِ عَنْهَا وَهْيَ كَالأَعْيُنِ الغُمْصِ

إِلَى بَحْرِكَ الطَّامِي عَلَى الوُرْدِ أَوْرَدَتْ مِيَاهًا لَهَا غَوْرٌ عَنِ الرَّشْفِ وَالمَصِّ

بِدَوٍّ تَمَلُّ الرِّيحُ فِيهِ مِنَ السُّرَى وَتَسْأَمُ فِيهِ الرَّاقِصَاتُ مِنَ الرَّقْصِ

مَهِيبٌ كَأَنَّ الطَّيْرَ مُوفِيَةٌ بِهِ عَلَى قَفَصٍ، وَالظَّبْيُ مُشْفٍ عَلَى القَفْصِ

تُجَلِّي دَيَاجِيهِ اللُّصُوصُ بِأَنْصُلٍ حِدَادٍ كَأَنْيَابِ المُجَلِّحَةِ اللُّصِّ[26]

---

(20) وهص الرأس: شدخه، ووهص الحيوان: جبّه وخطاه .

(21) فرص الفرصة: أصابها والفريصة: أوداج العنق .

(22) قس بن ساعدة: توفي نحو 23 هـ أحد فصحاء العرب ومن كبار خطبائهم في الجاهليّة يضرب به المثل في البيان والخطابة.

(23) اشبيلية.

(24) خمص البطن: فرغ وخمر .

(25) ج قلوص: الطويلة القوائم من الإبل والرهص: العصر الشديد.

(26) المجلحة: الجريئة الشديدة في إقدامها، يعني الذئاب.

اللصّ: ج ألص: صفة من اللصص وهو تقاربهما بين الأضراس.

كَثِيرُ شُخُوصُ الطَّرفِ مِنْ أَيْنُقِي بِهَا ومنّــي قَلِيل فَوقَ أَظْهُرِهِ شَخْصِي

إِذَا رَقِيَ الحِرْبَاءُ مِنْبَرَ عُودِهِ لِيَخْطُبَ، وَالجِرْبَاءُ وَقَّادَةُ القُرْصِ[27]

كَأَنَّا إِذَا شِدْنَا بُنًى لِمَقِيلِنَا قَنَا الخَطِّ قِلْنَا فِي بُيُوتٍ مِنَ الخُصِّ

أَقُولُ وَقَدْ خَبَّتْ بِنَا أَرْحَبِيَّةٌ عَدَتْ عَنْ وُرُودِ الخُمْسِ تَشْكُو مِنَ الخُمْصِ[28]

وَمَاءُ رَوَايَاهَا كَمَاءِ عُيُونِهَا، تَرَافَصَهُ أَيْدِي السُّرَى أَيَّمَا رَفْصِ[29]

وَلَمْ تُـبْـقِ مِنْهُ البِيدُ غَـيْـرَ صُبَابَةٍ، وَسُؤْرٍ بِأَنْفَاسِ الهَوَاجِرِ مُمْتَصِ[30]

لِمُقْوَرَّةٍ أَجْرِ القِرَى غَيْرِ كَزَّةٍ وَلَاذَاتِ نَبْوٍ فِي الزِّمَامِ وَلَا قَمْصِ[31]

وَرَدْتِ خَصِيبًا، فَارْتَعِي وَارْتَعِي بِهِ وَدُونَك مِنْ صَرْفِ الحَوَادِثِ فَاقْتَصِي

وَيَا فِكَرِي اعْتَامِي اللآلِيءَ وَانْتَقِي، وَفِي لَبَّةِ العَلْيَاءِ أَبْكَارَهَا نُصِّي

فَمَا بِسِوَى كُفْءٍ تَقَرُّ عُيُونُهَا فَأَكْرَم كُفْءٍ لِلْمَعَالِي بِهَا خُصِّي

وَلَا تَبْخَسِي حَقًّا لَهُنَّ، فَإِنَّنِي أَرَى أَنَّ بَخْسَ الحَقِّ فِيهِنَّ كَالبَخْصِ[32]

قَوَافٍ كَمَحْضِ الوِدِّ يَزْدَادُ رَوْنَقًا وَحُسْنًا عَلَى اسْتِخْلَاصِهِ وَعَلَى المَحْصِ،

فَلَاحَتْ بِجِيدِ المَجْدِ أَسْنَى قِلَادَةٍ وَفِي خَاتَمِ العَلْيَاءِ أَبْهَى مِنَ الفَصِّ

فَلَوْ كُنَّ مِمَّا يُحْسِنُ الغِيدُ نَظْمَهُ لَآلَتْ بِهَا غُرُّ اللآلِي إِلَى الرُّخْصِ

فَقَالَ لَهَا الإِحْسَانُ: حُولِي وَلِلَّتِي غَدَتْ وَهْيَ فِي الأَمْدَاحِ ضَرَّتُهَا: غُصِّي

شِفَاءٌ لِمَنْ وَالاكُمُ، وَهْيَ فِي العِدَى سِقَامٌ مُمِضٌّ القَرْحِ، مُسْتَأْلَمُ القَرْصِ

---

(27) الجرباء: السماء الدنيا .

(28) الأرحبية: ابل منسوبة الى أرحب وهم بطن من همدان والخمس: ورود الابل كل خامس يوم من مرعاها. والخمص: الضمور من الجوع.

(29) الترافص: التناوب.

(30) السؤر: من سأر الشارب في الإناء: أبقى فيه بقية وهو مفرد أسآر: ما يبقى في الإناء من الماء.

(31) المقورة: الضامر من الخيل.

(32) البخص: لحم تحت الجفن الأسفل يظهر عند تحديق الناظر اذا أنكر شيئا أو تعجب منه.

يصَبُّ بِهَا أَهْلُ الفُرَاتِ وَدِجْلَة، وَيَصْبُو إِلَيْهِنَّ الدِّمَشْقِيّ وَالحِمْصِي
حلَى خَاطِرٍ يُضْفِي الثَّنَاءَ لِأَهْلِه، وَيُفْصِحُ عَنْ سرِّ المَعَالِي فَلاَ يُفْصِي
مَتَى أُثِرَ المَعْنَى الشَّرُودُ بِهِ يَكَدْ يُبَادِرُنِي قَبْلَ الإِثَارَةِ بِالقَنصِ
بَقَاؤُكَ لِلإِسْلاَمِ أَعْظَمُ نِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ، قَدْ جلَّتْ عَنِ الغَمْطِ وَالغَمْصِ
فَلاَ أَقْصَتِ الأَيَّامُ مَا شِئْت قُرْبَهُ، وَلاَ قَرَّبَتْ مَا أَنْتَ مُنْءٍ لَهُ مُقْصِ
فَمَا تَمْطُلُ الدُّنْيَا بِدَيْنٍ مِنَ المُنَى سَعُودُكَ تَسْتَقْضِيهِ مِنْهَا فَتَسْتَقْصِي

المصدر: قصائد ومقطعات: ص 146 ـ 153 ، وقد علّق المحقّق على هذه القصيدة بقوله:

من بدائع حازم ـ رحمة اللّه عليه ـ يمدح أبا زكرياء يحيى بن أبي حفص، والقصيدة إفريقية عارض بها الشاعر قصيدة الصابوني في الممدوح نفسه وقد أرسلها هذا إليه من الأندلس قبل قدومه افريقية. وطالع قصيدة الصابوني:

شخصت لعزم البين فاخترمتْ شخصي
زيادةُ وجد تنهك الجسم بالنغص

وقد أورد مقدارا منها ابن الأبار في التحفة. وذكر أن لها معارضات كثيرة أثبتها مستوفاة في كتابه "إيماض البرق"..

والقصيدة أيضا في الديوان: ص 64 ـ 67 ولكن 53 بيتا فقط.

6 ـ لم تدر ما أسلاكها

(الكامل)

لَمْ تَدْرِ، إِذْ سَأَلَتْكَ، مَا أَسْلاَكُهَا ... أَبَكَتْ أَسًى، أَمْ قَطَّعَتْ أَسْلاَكَهَا؟

فَغَدَتْ سَوَالِفُهَا تُحَلَّى لُؤْلُؤًا، ... مِنْ أَدْمُعٍ، لَمْ تَسْتَطِعْ إِمْسَاكَهَا

فَأَرَتْكَ سَفْحَ الطَّلِّ فِي مَوْلِيَّةٍ، ... عَنِيَ الحَيَا بِبُرُودِهَا، إِذْ حَاكَهَا

رَيَّا الأَدِيمِ مِنَ النَّعِيمِ، إِذَا مَشَتْ ... فَوْقَ الحَرِيرِ تَخَالُهُ قَدْ شَاكَهَا

وَتُطِيلُ بَرْحَ صَدَايَ حِينَ تُحِيلُ مَا ... بَيْنَ البَوَارِقِ وَالحَيَا، مِسْوَاكَهَا

كَمْ بَاتَ يُذْكِرُكَ العُهُودَ خَيَالُهَا، ... وَيَظُنّ أَنَّ الدَّهْرَ قَدْ أَنْسَاكَهَا!

تَأْبَى اللَّيَالِي أَنْ تُرِيكَ أَوَانِسًا، ... كَمْ قَدْ أَزَارَكَهَا الكَرَى، وَأَرَاكَهَا!

أَفْلَتْنَ أَشْرَاكِي، غَدَاةَ رَمَيْتُهَا، ... وَعَلِقْتُ، حِينَ رَمَيْنَنِي، أَشْرَاكَهَا.

تَأْمِيلُهَا أَسْرُ النُّفُوسِ، وَإِنَّ فِي ... تَأْمِيلِ مَوْلاَنَا الأَمِيرِ، فِكَاكَهَا

مَلِكُ الهُدَى يَحْيَى الَّذِي فَاقَ الحَيَا، ... بِمَوَاهِبٍ وَالَتْ يَدَاهُ دِرَاكَهَا

صَادَ القُلُوبَ، وَقَادَهَا حُبًّا، وَقَدْ ... جَعَلَ الهِبَاتِ قُيُودَهَا وَشِبَاكَهَا

مَنْ لِلثُّرَيَّا أَنْ تَكُونَ نِعَالَهُ، ... مَنْ لِلْهِلاَلِ بِأَنْ يَكُونَ شِرَاكَهَا؟

عَزَمَاتُهُ كَنُجُومِ قَذْفٍ تَرْتَمِي، ... وَقَدِ اغْتَدَتْ آرَاؤُهُ أَفْلاَكَهَا

فَبِجُودِهِ تَرْجُو العُفَاةُ حَيَاتَهَا، ... وَبِبَأْسِهِ تَخْشَى العُدَاةُ هَلاَكَهَا

بَزَّ الكَوَاكِبَ، فِي الثَّرَى عَزْمٌ لَهُ ... أَبَدًا يُبَارِي نَسْرَهَا وَسِمَاكَهَا

وَمُثِيرَةٍ ظُلَمَ العَجَاجِ، مُنِيرَةٍ ... مِنْ فَوْقِهَا شُهْبُ الظُّبَا أَحْلاَكَهَا

مِنْ كُلِّ مُعْتَادٍ لِغَارَاتِ الضُّحَى، ... لاَكَتْ نَوَاجِذُهُ الشَّكِيمَ وَلاَكَهَا

وَكَلَتْ لِغَارَاتِ الضُّحَى أَعْرَابَهَا ... وَلِرَمْيِ أَحْدَاقِ العِدَى أَتْرَاكَهَا

إِنَّ البَرِيَّةَ قَدْ أَرَادَ صَلاَحَهَا ... رَبٌّ أَرَاهَا مِنْكُمُ أَمْلاَكَهَا

عُلَمَاءَهَا حُلَمَاءَهَا صُلَحَاءَهَا ... سُمَحَاءَهَا سُجَحَاءَهَا نُسَّاكَهَا

أدْركْتُمْ فِي العلْمِ كُلَّ حقِيقَةٍ، شَأتِ العُقُولَ، وَأعْجزَتْ إدْرَاكَهَا
أعْطَى الخِلاَفَةَ كُفْأهَا الأولَى بِهَا رَبٌّ بِحقِّكَ فِي الوَرَى أعْطَاكَهَا
عَلْيَا أبِيك أبِي مُحَمَّدٍ الرِّضَى، وَعُلاَ أبِي حَفْصٍ أبِيهِ، حَبَاكَهَا
فَلَقَدْ جَمَعْتَ أُمُورَ طَائِفَةِ الهُدَى عَنْ مِثْلِ هَدْيِهِمَا، فَكُنْتَ مَلاَكَهَا
كَمْ مَوْطِنٍ أضْحَى حُسَامُكَ حَاقِنًا فيهِ الدِّمَاءَ، بِأنْ غَدَا سَفَّاكَهَا!
رَاعَتْ نُفُوسَ الشِّرْكِ مِنْكَ عَزَائِمٌ تَرَكَتْكَ أعْزَلَهَا حِذَارًا شَاكَهَا
قَدْ أوْطَنَتْ نَارُ الجَحِيمِ نُفُوسَهُمْ مِنْ قَبْلِ أنْ يَتَبَوَّأُوا أدْرَاكَهَا
حَتَّى لَقَدْ كَادَتْ قُلُوبُ الرُّومِ أنْ تَنْسَى بِذِكْرِكَ - خِيفَةً - إشْرَاكَهَا
وَبِأرْضِ أنْدَلُسٍ عَرَتْهُمْ رَوْعَةٌ فُرِشَتْ جُنُوبُهُم بِهَا أحْسَاكَهَا
وَلَقَدْ أرَادَ اللَّهُ رَوْعَ عُدَاتِهَا، وَأمَانَ رَوْعَتِهَا، إذِ اسْتَرْعَاكَهَا
عُصِمَتْ بِأوْثَقِ عُرْوَةٍ مِنْ أمْرِكُمْ وَصَلَتْ أكُفُّهُمْ بِهَا اسْتِمْسَاكَهَا
بِكَ أحْيِيَتْ آمَالُهُمْ، وَنُفُوسُهُمْ، إذْ حَاوَلَتْ أيْدِي العِدَى إهْلاَكَهَا
فَجَمِيعُهُمْ - مِنْ وَافِدٍ، أوْ قَاعِدٍ - أهْدَاكَ مُهْجَتَهُ، بَلِ اسْتَهْدَاكَهَا
سَكَنَتْ بِظِلِّكَ فِي الأمَانِ نُفُوسُهُمْ، حَيْثُ الأمَانِي قَدْ أطَلْنَ حِرَاكَهَا
كَمْ وَافِدٍ مُسْتَبْدِلٍ بِمِهَادِهِ كُورَ المَطِيِّ إلَيْكُمُ وَوِرَاكَهَا
فَرَعُوا بِشُكْرِكُم الرِّحَالَ كَمَا عَلَتْ وُرْقُ الحَمَامِ السَّاجِعَـاتُ أرَاكَهَا
إنْ جَبَّ قَصْدُ ذُرَاكَ ذَرْوَةَ عِرْمِسٍ، فَنَدَاكَ يَضْمَنُ عَاجِـلاً إنْمَاكَهَا
قَدْ أوْشَكَتْ تَفِدُ المَغَارِبُ كُلُّهَا وَكَذَا المَشَارِقُ أوْشَـكَـتْ إيشَاكَهَا
كَمْ مِدْحَةٍ أرجَتْ بِذِكْرِكَ مِسْكَةً، صَيَّرْتُ فِكْرِي فِـهْـرَهَـا وَمَدَاكَهَا
وَإذَا عَقِيلَةُ مِدْحَةٍ زُفَّتْ إلَى عَلْيَائِكُمْ وَلِيَ النَّدَى إمْلاَكَهَا
لاَ زَالَ صُنْعُ اللَّهِ فِي مُسْتَقْبَلٍ يُنْسِيكَ كُلَّ صَنِيعَةٍ أوْلاَكَهَا
مَا قُلْتَ لِلأيَّامِ: هَاتِ تَقَاضِيًا عِدَةَ المُنَى إلاَّ وَقَالَتْ: هَاكَهَا

المصدر: قصائد ومقطعات: ص 176 - 178 ، والديوان: ص 87 - 88، وقد ولع الشعراء بمعارضتها.

7 ـ حديقة الأزهار وحقيقة الافتخار في مدح النبي المختار سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الأبرار

قال مصدّرا معلّقة امرئ القيس بأشعار مصرّفا إياها الى معاني المدح النّبوي الشريف:

(الطويل)

لِعَيْنَيْكَ، قُلْ إِنْ زُرْتَ أَفْضَلَ مُرْسَلِ: "قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ"
وَفِي طَيْبَةٍ فَانْزِلْ، وَلاَ تَغْشَ مَنْزِلاً "بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ"
وَزُرْ رَوْضَةً قَدْ طَالَمَا طَابَ نَشْرُهَا "لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمْأَلِ"
وَأَثْوَابَكَ اخْلَعْ، مُحْرِمًا، وَمُصَدِّقًا "لَدَى السِّتْرِ إِلاَّ لِبْسَةَ الْمُتَفَضِّلِ"
لَدَى كَعْبَةٍ قَدْ فَاضَ دَمْعِي لِبُعْدِهَا "عَلَى النَّحْرِ حَتَّى بَلَّ دَمْعِيَ مِحْمَلِي"
فَيَا حَادِي الآمَالِ سِرْ بِي، وَلاَ تَقُلْ: "عَقَرْتَ بَعِيرِي ـ يَا امْرُؤَ الْقَيْسِ ـ فَانْزِلِ"
فَقَدْ حَلَفَتْ نَفْسِي بِذَاكَ، وَأَقْسَمَتْ "عَلَيَّ وَآلَتْ حَلْفَةً لَمْ تَحَلَّلِ"
فَقُلْتَ لَهَا: لاَ شَكَّ أَنِّيَ طَائِعٌ، "وَأَنَّكِ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلِ"
وَكَمْ حَمَلَتْ فِي أَظْهُرِ الْعَزْمِ رَحْلَهَا "فَيَا عَجَبًا مِنْ كُورِهَا الْمُتَحَمَّلِ!"
وَعَاتَبَتِ الْعَجْزَ الَّذِي عَاقَ عَزْمَهَا، "فَقَالَتْ: لَكَ الْوَيْلاَتُ إِنَّكَ مُرْجِلِي"
نَبِيُّ هُدًى، قَدْ قَالَ لِلْكُفْرِ نُورُهُ: "أَلاَ أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ، أَلاَ انْجَلِ"
تَلاَ سُوَرًا: مَا قَوْلُهَا بِمُعَارِضٍ، "إِذَا هِيَ نَصَّتْهُ وَلاَ بِمُعَطَّلِ"
لَقَدْ نَزَلَتْ فِي الأَرْضِ مِلَّةُ هَدْيِهِ "نُزُولَ الْيَمَانِي ذِي الْعِيَابِ الْمُحَمَّلِ"
أَتَتْ مَغْرِبًا مِنْ مَشْرِقٍ، وَتَعَرَّضَتْ "تَعَرُّضَ أَثْنَاءَ الْوِشَاحِ الْمُفَصَّلِ"
فَفَازَتْ بِلاَدُ الشَّرْقِ مِنْ زِينَةٍ بِهَا "بِشِقٍّ، وَشِقٌّ عِنْدَنَا لَمْ يُحَوَّلِ"

فصلَّى عليهِ اللهُ ما لاحَ بارقٌ "كلَمْعِ اليدَيْنِ في حَبِيٍّ مكلَّلِ"

سَرَى بِجُنُودِ اللهِ بَيْنَ تَهائمٍ "وبَيْنَ إكامٍ بُعْدَ ما مُتأمَّلِ"

فكَمْ مَـلَـكٍ وافاهُ في زِيِّ مُنْجِدٍ "بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأوابِدِ هيكلِ"

وكَمْ مِنْ يمانٍ رامحٍ جاءَهُ، اكتَسَى "بِضافٍ فُوَيْقَ الأرْضِ ليْسَ بأعزَلِ"

وَمِنْ أبْطَحِيٍّ، نيطَ عَنْهُ نِجادُهُ "بجِيدِ مُعَمٍّ في العَشيرَةِ مُخْوِلِ"

أزلُّوا بِبَدْرٍ عَنْ سُرُوجِهِم العِدَى "كَمَا زلَّـتِ الصفْراءُ بالمُتَنزِّلِ"

وَنَادَوا ظُبَاهُمْ: لاَ يَفتك فتَى، وَلاَ "كَبِيرُ أُنَاسٍ في بِجَادٍ مُزَمَّلِ"

وَفُضِّي جُمُوعاً، قَدْ غَدَا جامعاً لَهُمْ "بِنَا بَطْنُ حِقفٍ ذي رُكامٍ عَقَنْقَلِ"

وأحْمَوا وَطِيساً في حُنَيْنٍ، كأنَّهُ "إذَا جَاشَ فيهِ حَمْيُهُ - غَلْيُ مِرْجَلِ"

وَنَادَوْا بَنَاتِ النَّبْعِ: بِالنَّصرِ أثْمِرِي، "وَلاَ تُبْعِدِينَا مِنْ جَنَاكِ المُعَلَّــلِ"

وَمِمَّنْ لَهُ سَدَّدْتِ سَهْمَيْنِ، فاضْرِبِي "بِسَهْمَيْكِ فِي أعْشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ"

فَمَا أغْنَتِ الأبْدَانَ دِرْعٌ بِهَا اكْتَسَتْ "تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كالسَّجَنْجَلِ"

وَفَرَّ ابْنُ عَوْفٍ مِثْلَمَا فَرَّ خَاضِبٌ "لَدَى سَمُرَاتِ الحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلِ"

وَكَمْ قَالَ: يَا لَيْلَ الوَغَى طُلْتَ، فانْبَلِجْ "بِصُبْحٍ، وَمَا الإصْبَاحُ مِنْكَ بأمْثَلِ"

فَلَيْتَ جَوَادِي لَمْ يَسِرْ بِي إلَى الوَغَى، "وَبَاتَ بِعَيْنِي قَائِماً غَيْرَ مُرْسَلِ"

وَكَمْ مُرْتَقٍ أوْطَاسَ مِنْهُمْ بِمُسْرَجٍ، "مَتَى مَا تَرِقَّ العَيْنُ فِيهِ تَسَهَّلِ"

وَقَرَّطَه خُرْصاً، كَمِصْبَاحِ مُسْرِجٍ، "أهَانَ السَّلِيطَ فِي الذُّبَالِ المُفَتَّلِ"

فَيَرْنُو، لِهَادٍ فَوْقَ هَادِيهِ، طَرْفُهُ، "بِنَاظِرَةٍ مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مُطْفِلِ"

وَيَسْمَعُ مِنْ كَافُورَتَيْنِ بِجَانِبَيْ "أثِيثٍ كَقِنْوِ النَّخْلَةِ المُتَعَثْكِلِ"

تَرَفَّعَ أنْ يُعْزَى لَهُ شَدُّ شَادِنٍ، "وَإرْخَاءُ سِرْحَانٍ، وَتَقْرِيبُ تَتْفُلِ"

وَلَكِنَّهُ يَمْضِي كَمَا مَرَّ مُزْبِدٌ "يَكُبُّ عَلَى الأَذْقَانِ دَوْحَ الكَنَهْبَلِ"
وَيَغْشَى العِدَى كَالسَّهْمِ، أَوْ كَالشِّهَابِ، أَوْ "كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ"
وَظَلَّ لِوَالِيهَا وَمَالِكِهَا العِدَى "يَقُولُونَ: لاَ تَهْلِكْ أَسًى، وَتَجَمَّلِ"
جِيَادٌ أَعَادَتْ رَسْمَ رُسْتُمَ دَارِساً، "وَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ"
وَرِيعَتْ بِهِ خَيْلُ القَيَاصِرِ، فَاخْتَفَتْ "جَوَاحِرُهَا فِي صَرَّةٍ لَمْ تَزَيَّلِ"
سَبَتْ عُرُباً مِنْ نِسْوَةِ العُرْبِ تَسْتَبِي "إِذَا مَا اسْبَكَرَّتْ بَيْنَ دِرْعٍ وَمِجْوَلِ"
وَكَمْ مِنْ سَبَايَا الفُرْسِ وَالصُّفْرِ أَسْهَرَتْ "نَؤُومِ الضُّحَى، لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ"
وَحُزْنَ بُدُوراً مِنْ لَيَالِي شُعُورِهَا، "تَضِلُّ المَدَارِي فِي مُثَنًّى وَمُرْسَلِ"
وَأَبْقَتْ بِأَرْضِ الشَّامِ هَاماً، كَأَنَّهَا، "بِأَرْجَائِهَا القُصْوَى، أَنَابِيشُ عُنْصُلِ"
وَمَا جَفَّ مِنْ حَبِّ القُلُوبِ بِغَوْرِهَا "وَقِيعَانِهَا، كَأَنَّهُ حَبُّ فُلْفُلِ"
وَكَمْ جُبْنَ مِنْ غَبْرَاءَ لَمْ يُسْقَ مَتْنُهَا "دِرَاكاً، وَلَمْ يَنْضَحْ بِمَاءٍ فَيُغْسَلِ"
لِخَضْرَاءَ، مَا دَبَّتْ وَلاَ نَبَتَتْ بِهَا "أَسَارِيعُ ظَبْيٍ، أَوْ مَسَاوِيكُ إِسْحِلِ"
شَدَا طَيْرُهَا فِي مُثْمِرٍ ذِي أَرُومَةٍ، "وَسَاقٍ كَأُنْبُوبِ السَّقِيِّ المُذَلَّلِ"
فَشُدَّتْ بِرَوْضٍ، لَيْسَ يَذْبُلُ بَعْدَهَا، "بِكُلِّ مُغَارِ الفَتْلِ شُدَّ بِيَذْبُلِ"
وَكَمْ هَجَّرَتْ فِي القَيْظِ، تَحْكِي دَوَارِعاً "عَذَارَى دَوَارٍ فِي المُلاَءِ المُذَيَّلِ"
وَكَمْ أَدْلَجَتْ، وَالقُرُّ يَهْفُو هَزِيزُهُ، "وَيَلْوِي بِأَثْوَابِ العَنِيفِ المُثَقَّلِ"
وَخُضْنَ سُيُولاً، فَضْنَ فِي البِيدِ بَعْدَمَا "أَثَرْنَ غُبَاراً بِالكَدِيدِ المُرَكَّلِ"
وَكَمْ رَكَزُوا رُمْحاً بِدِعْصٍ، كَأَنَّهُ "مِنَ السَّيْلِ وَالأَغْثَاءِ ـ فَلْكَةُ مِغْزَلِ"
فَلَمْ تَبْنِ حِصْناً، خَوْفَ حِصْنِهِمِ العِدَى، "وَلاَ أُطُماً إِلاَّ مَشِيداً بِجَنْدَلِ"
فَهُدَّتْ بِقَضْبٍ شُلْنَ بَعْدَ إِمَالَةٍ "بِأَمْرَاسِ كَتَّانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلِ"

وَجَيْشٍ، بِأَقْصَى الأَرْضِ، أَلْقَى جِرَانَهُ "وأردف أعجازًا، وناء بكلكل"

يَدُكُّ الصَّـفَا دكًا، وَلَوْ مَرَّ بَعْضُهُ "وَأَيْسَرُهُ عَالِي السِّتَارِ فَيَذْبُلِ"

دَعَا النَّصْرُ وَالتَّأْيِيدُ رَايَاتِهِ: اسْحَبِي "عَلَى أَثَرَيْنَا ذَيْلَ مِرْطٍ مُرَحَّلِ"

لِوَاءُ مُنِيرِ النَّصْلِ سَامٍ كَأَنَّهُ "مَنَارَةُ مُمْسِي رَاهِبٍ مُتَبَتِّلِ"

كَأَنَّ دِمَا الأَعْدَاءِ فِي عَذَبَاتِهِ "عُصَارَةُ حِنَّاءٍ بِشَيْبٍ مُـرَجَّـلِ"

صِحَابٌ فَـرَوْا هَامَ العُدَاةِ، وَكَمْ قَرَوْا "صَفِيفَ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُـعَـجَّـلِ"

وَكَمْ أَكْثَرُوا مَا طَابَ مِنْ لَحْمِ جَفْرَةٍ "وَشَحْمٍ كَهُدَّابِ الدِّمَقْسِ المُفَتَّلِ"

حَكَى طِيبُ ذِكْرَاهُمْ، وَمَرُّ كِفَاحِهِمْ، "مَدَاكَ عَرُوسٍ، أَوْ صَلايَـةَ حَنْظَلِ"

لِأَمْدَاحِ خَيْرِ الخَلْقِ قَلْبِيَ قَدْ صَبَا "وَلَيْسَ فُؤَادِي عَـنْ هَوَاهَا بِمُنْسَلِ"

فَدَعْ مَنْ لِأَيَّـامِ الصَّبَابَةِ قَدْ صَبَا "وَلاَ سِيَّمَا يَوْمٍ بِدَارَةِ جُلْجُلِ"

وَأَصْبَحَ عَنْ أُمِّ الحُوَيْرِثِ مَا سَلاَ، "وَجَارَتِهَا أُمِّ الرَّبَابِ بِمَأْسَلِ"

وَكُـنْ فِي مَدِيحِ المُصْطَفَى كَمُدَبِّجٍ "يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ بِخَيْطٍ مُـوَصَّــلِ"

وَأَمِّلْ بِهِ الأُخْرَى، وَدُنْيَاكَ دَعْ، فَقَدْ "تَـمَـتَّـعْتَ مِنْ لَهْوٍ بِهَا غَيْرَ مُعَجَّلِ"

وَكُنْ كَمُنِيبٍ لِلْفُؤَادِ، مُؤَنِّبٍ "نَصِيحٍ عَلَى تَعْذَالِهِ غَيْرِ مُؤْتَلِ"

يُنَادِي: إِلَهِي، إِنَّ ذَنْبِي قَدْ عَدَا "عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الهُمُومِ لِيَبْتَلِي"

فَكُنْ لِي مُجِيرًا مِنْ شَيَاطِينِ شَهْوَةٍ "عَلَيَّ حِرَاصٍ لَوْ يُسِـرُّونَ مَقْتَلِي"

وَيُنْشِدُ دُنْيَاهُ، إِذَا مَا تَدَلَّلَتْ: "أَفَاطِمُ، مَهْلاً بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ"

فَإِنْ تَصِـلِي حَبْـلِي بِخَيْرٍ وَصَلْـتُـهُ "وَإِنْ كُنْتِ قَدْ أَزْمَعْتِ صَرْمِي، فَأَجْمِلِي"

وَأَحْسِنْ بِقَطْعِ الحَبْلِ مِنْكَ وَبَتِّهِ، "فَسُلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكِ تَنْسَلِ"

أَيَا سَامِعِي مَدْحَ الرَّسُولِ تَنَشَّقُوا "نَسِيمَ الصَّـبَا جَاءَتْ بِرَيَّا القَرَنْفُلِ"

وَرَوْضَةِ حَمْدٍ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ، "غَذَاهَا نَمِيرُ المَاءِ غَيْرُ المُحَلَّلِ"
وَيَا مَنْ أَبَى الإِصْغَاءَ، مَا أَنْتَ مُنْتَهٍ "وَمَا إِنْ أَرَى عَنْكَ العِمَايَةَ تَنْجَلِي"
فَلَوْ مَطْفِلاً أَنْشَدْتُهَا لَفظَهَا ارْعَوتْ، "فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمَ مُحولِ"
وَلَوْ سَمِعَتْهُ عُصْمُ طَوْدٍ أَمَالَهَا، "فَأَنْزل مِنْهَا العُصْمَ مِنْ كُلِّ مَنْزِلِ"

المصدر: قصائد ومقطعات: ص 178 ـ 184 ، والديوان: ص 179 ـ 184.

8 ـ بشرى بالبيعة

قال من قصيدة يمدح أبا زكرياء الحفصي عندما صارت الخلافة إليه:

(البسيط)

بُشْرَى بِبَيْعَةِ مَوْلاَنَا ابْنِ مَوْلاَنَا، فَكَمْ أَيَادٍ بِهَا الرَّحْمَانُ أَوْلاَنَا!
جَلَّتْ بِهَا عِنْدَنَا نُعْمَى الإِلَهِ، فَمَا أَحَقَّنَا بِمَسَرَّاتٍ وَأَوْلاَنَا
خِلاَفَةُ اللَّهِ صَارَتْ مِنْ إِمَامِ هُدًى إِلَى إِمَامِ هُدًى، بِالعَدْلِ أَحْيَانًا
جَاءَتْ إِلَيْهِ لِمِيقَاتٍ، وَجَاءَ لَهَا، كَمَا لِمِيقَاتِهِ جَاءَ ابْنُ عِمْرَانَا
وَعِنْدَمَا قُدِّرَ الوَقْتُ السَّعِيدُ لَهَا، جَاءَتْ عَلَى قَدَرٍ تَلْقَاهُ لُقْيَانَا
كَمْ قَائِلٍ، قَالَ لَمَّا أَنْ تقلّـدها، قَدْ قَلَّدَ المُلْكَ دَاوُدٌ سُلَيْمَانَا
وَقَدْ أَقَامَ لِرَعْيِ الخَلْقِ خَالِقُهُمْ خَلِيفَةً، قَدْ أَقَامَ العَدْلَ مِيزَانَا
كَأَنَّمَا اللَّهُ قَدْ أَحْيَا خَلِيفَتَهُ لَنَا، بِخَيْرِ إِمَامٍ، قَدْ تَوَلاَّنَا
بِالوَاثِقِ المَلِكِ المُحْيِي خَلِيقَتَهُ يَحْيَى أَبِي زَكَرِيَاءَ ابْنِ مَوْلاَنَا
أَلْقَى لَكَ اللَّهُ مَوْلاَنَا مَقَالِدَهَا لِكَيْ تَقَلَّدَهَا دُرًا وَعِقْيَانَا

فَقُلِّدَتْ عِقْدَ فَخْرٍ، إِذْ غَدَتْ لَكُمُ   تَاجًا يَفُوقُ مِنَ الأَمْلاَكِ تِيجَانَا

وَأَنْجَزَ اللَّهُ وَعْدًا مِنْ خِلاَفَتِهُ   لَهُمْ، كَمَا قَدْ أَتَى فِي الذِّكْرِ إِتْيَانَا

حَبَاكَ رَبُّكَ أَوْصَافًا، حَبَاكَ بِهَا   خِلاَفَةً، رَدَّتْ الأَمْلاَكَ عُبْدَانَا

عِلْمًا، وَعَدْلاً، وَبَأْسًا فِي العِدَى، وَنَدَى   سَحًّا، وَصَفْحًا عَنِ الجَانِي، وَغُفْرَانَا

وَمَنْصِبًا عُمَرِيًّا(1) . قَدْ سَمَتْ شَرَفًا   بِهِ عَدِيٌّ إِلَى عَلْيَاءِ عَدْنَانَا

لَمَّا جَمَعْتَ الشُّرُوطَ المُوجِبَاتِ لَهَا،   جَاءَتْ تَحِنُّ إِلَى عَلْيَاكِ تحنَانَا

وَأَصْبَحَتْ، وَهْيَ حَقٌّ لِلأَحَقِّ بِهَا،   تَعْلُو بِهِ مِثْلَمَا يَعْلُو بِهَا شَانَا

سَمَتْ بِعَلْيَاهُ، وَازْدَانَتْ بِهِ شَرَفًا،   كَمَا تَسَامَى بِهَا فِي الدَّهْرِ وَازْدَانَا

أَحْرَزْتَهَا عَنْ أَبٍ هَادٍ رِضًى فَأَبٍ   ذُخْرًا يَدُومُ عَلَى الدُّنْيَا وَقُنْيَانَا

فَقَدْ أَخَذْتَ صَحِيحَ المُلْكِ مِنْ سَنَدٍ   عَالٍ، وَأَحْكَمْتَهُ ضَبْطًا وَإِتْقَانَا

مُقَدِّمَاتٌ بِإِنْتَاجٍ لِمُلْكِكُمُ   قَضَتْ، وَأَعْطَتْ بِهِ عِلْمًا وَإِيقَانَا

وَمُنْتَجَاتُ قَضَايَا بِالخِلاَفَةِ قَدْ   قَضَتْ لَكُمْ، وَغَدَتْ فِي الصِّدْقِ بُرْهَانَا

وَحِينَ أَضْحَتْ لَكُمْ بِالحَقِّ وَاجِبَةً   لَمْ تُلْفِ فِيهَا مُلُوكُ الأَرْضِ إِمْكَانَا

هَذَا هُوَ الحَقُّ، وَالبُرْهَانُ يَعْضُدُهُ   وَإِنَّمَا يُنْكِرُ البُرْهَانَ مَنْ مَانَا

شَادَتْ عُلاَكَ مِنَ الأَمْلاَكِ أَرْبَعَةٌ   أَئِمَّةٌ، أَصْبَحُوا لِلْهَدْيِ أَرْكَانَا

شَادَ الإِمَامُ أَبُو حَفْصٍ لِمُلْكِكُمْ   بَيْتًا، وَأَعْلَى لَهُ سَمْكًا وَحِيطَانَا

وَمَا حَكَى بَيْتُ مُلْكٍ بَيْتَ مُلْكِ أَبِي   مُحَمَّدٍ نَجْلِهِ الهَادِي، وَلاَ دَانَى

وَشَادَ مِنْ بَعْدِهِ الهَادِي الأَمِيرُ لَكُمْ   رِوَاقَ مُلْكٍ عَلَى الدُّنْيَا وَإِيوَانَا

(1) نسبة الى عمر بن الخطاب لعدله ورجاحة رأيه أو الى أبي حفص جد آل الحفصيين الذي تنسب إليه الدولة الحفصية، وكان صاحب ابن تومرت مؤسس الحركة الموحدية.

وَبَعْدَهُ شَادَ مَوْلَانَا الإِمَامُ لَكُمْ مُـلْـكًـا، يُسَامِي مِنَ الخَضْرَاءِ أَعْنَانا

وَشَادَ سَعْدُكَ، مَوْلَانَا وَسَيِّدَنَا، مُـلْـكًــا يَفُوقُ دَرَارِيًّا وَشُهْبَانا

وَاللَّـهَ أَسْأَلُ أَنْ يَزْدَادَ مُلْكُكُمُ تَعَالِيًا، وَيَطُولُ الزُّهْرَ بُنْيَانا

المصدر: قصائد ومقطعات: ص 212 ـ 213 والديوان: ص 212 ـ 214.

علي بن سعيد

(685 ـ 610)

نور الدين أبو الحسن علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد الغرناطي التونسي. ولد بغرناطة في شوال 610 في قلعة يحصب ونشأ بها ثم ارتحل عنها الى الشّام ثم جاء الى تونس وأقام فيها فترات طويلة من 652 الى 655 ومن675 الى سنة وفاته 685 . كان ولي منصب المظالم بتونس وكان مرتبطا ارتباطا وثيقا بعدد من شعراء تونس أمثال محمد بن أبي الحسن قريبه وأحمد الغسّاني وأحمد اللّياني.

من مؤلفاته المطبوعة:

- القدح المعلّى في التاريخ المحلّى .

- المغرب في حلى المغرب .

- رايات المبرّزين وغايات المميّزين.

- الغصون اليانعة في أدباء المائة السابعة .

- المقتطف من أزاهر الطرف .

1 ـ نثار الجلنار

قال ابن سعيد في الوصف من مقدمة إحدى مدائحه لأبي زكرياء يحيى الحفصي:

(الكامل)

الأُفْقُ طلقٌ والنّسيم رُخاءُ والرّوض وشّــتْ بردَه الأنواءُ
والنّهر قد مالت عليه غصونُه فكأنّما هو مقلةٌ وطفاء[1]
وبدا نثارُ الجلّنار[2] بصفحه فكأنّما هو حيّةٌ رقطاء
والشمس قد رقمت طرازا فوقه فكأنّما هي حُلّةٌ زرقاء
فأدِرْ كؤوسَك كي تتمَّ لك المنى واسمع إلى ما قالت الورقاء[3]
تدعوك حيّ على الصَّبوح فلا تنم فعلى المنام لدى الصّباح عفاء

المصدر: نفح الطّيب: ج 2، ص 263 وابن سعيد المغربي: ص 158.

2 ـ خيلاء الخيل

وقال من قصيدة يصف خيلاً ضوامر مختلفة الألوان:

(الكامل)

---

(1) المقلة الوطفاء: العين الكثيرة شعر الحواجب.
(2) الجلنار: زهر الرمان
(3) الورقاء: الحمامة. أو الحمامة الضارب لونها إلى الخضرة.

ولكم سرينا في متون ضوامر[1] تَثْنِي أعنّتها من الخيلاء
من أدهمٍ كالليل حُجِّل بالضّحى فتشقّ غرتهُ عن ابن ذكاء[2]
أو أشهبٍ يحكي غدائر أشيب خلعت عليه الشهبُ فضلَ رداء[3]
أو أشقرٍ قد نمّقته بشعلة كالمزج ثار بصفحة الصهباء[4]
أو أصفرٍ قد زيّنته غرةٌ حتى بَدَا كالشّمعة الصّفراء
طارت ولكن لا يُهاضُ جناحُهَا هبّت ولكن لم تكن بِـرُخَـاءِ[5]

المصدر: ابن سعيد المغربي: ص 158 ـ 159.

3 ـ رثاء الوزير أبي العلاء إدريس

قال يرثي أبا العلاء ادريس بن علي وزير أبي زكرياء الحفصي:

(الطويل)

بَكَتْ لَكَ حَتَّى الهَاطِلاَتُ السَّوَاكِبُ وَشَقَّتْ جُيُوبًا فِيكَ حَتَّى السَّحَائِبُ
فَكَيْفَ بِمَنْ دَافَعْـتَ عَنْهُ وَمَنْ بِهِ أَحَاطَتْ ـ وَقَدْ بُوعِدْتَ عَنْهُ ـ المَصَائِبُ
أَلاَ فَانْظُرُوا دَمْعِي فَأَكْثَرُهُ دَمٌ وَلاَ تَذْهَبُوا عَنِّي فَإِنِّي ذَاهِبُ
وَقُولُوا لِمَنْ قَدْ ظَلَّ يَنْدُبُ بَعْدَهُ وَفَاؤُكَ لَوْ قَامَتْ عَلَيْكَ النَّوَادِبُ

---

(1) الخيل الضوامر: جمع ضامر وهو الحصان النحيل الخفيف. والأعنّة جمع عنان وهو لجام الفرس، والخيلاء: العجب والتيه.

(2) الفرس المحجل: الذي في قوائمه بياض. والغرة، بياض في جبهة الفرس يقال: فرس أغر. وابن ذكاء: كناية عن القمر. لأن ذكاء هي الشمس، ابنها هو القمر.

(3) الأشهب: الذي يتخلل بياضه سواد. والغدائر: جمع غديرة، وهو المضفور من شعر النّساء.

(4) الأشقر: ذو اللون الجامع بين الحمرة والصفرة. والاسم منه الشقرة. الصهباء: الخمر.

(5) يهاض جناحها: أي يكسر جناحها. والريح الرخاء: الليّنة الهادئة.

لَعَمْرُكَ مَا فِي الأَرْضِ وَافٍ بِذِمَّةٍ أَيَصْمُتُ إِدْرِيسُ وَمِثْلِي يُخَاطِبُ
دَعَوْتُكَ يَا مَنْ لاَ أَقُومُ بِشُكْرِهِ فَهَلْ أَنْتَ لِي بَعْدَ الدُّعَاءِ مُجَاوِبُ
أَيَا سَيِّدًا قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ تُرَابٌ حَوَتْ ذِكْرَاكَ مِنْهُ التَّرَائِبُ(1)
لِمَنْ أَشْتَكِي إِنْ جَارَ بَعْدَكَ ظَالِمٌ عَلَيَّ وَإِنْ نَابَتْ جَنَابِي النَّوَائِبُ
لِمَنْ أَرْتَجِي عِنْدَ الأَمِيرِ بِمَنْطِقٍ تَحُفُّ بِهِ حَوْلِي الْمُنَى وَالْمَوَاهِبُ

وهي طويلة، ومنها قبيل الختم:

وَقَدْ كُنْتُ أَخْتَارُ التَّرَحُّلَ قَبْلَ أَنْ يُصِيبَكَ سَهْمٌ لِلْمَنِيَّةِ صَائِبُ
وَلَكِنْ قَضَاءُ اللّهِ مَنْ ذَا يَرُدُّهُ فَصَبْرًا فَقَدْ يَرْضَى الزَّمَانُ الْمُغَاضِبُ

ومنها، وهو آخرها:

وَإِنِّي لَأَدْرِي أَنَّ فِي الصَّبْرِ رَاحَةً إِذَا لَمْ تَكُنْ فِيهِ عَلَيَّ مَثَالِبُ
وَإِنْ لَمْ يَؤُبْ مَنْ كُنْتُ أَرْجُو انْتِصَارَهُ عَلَيْكَ فَلُطْفُ اللّهِ نَحْوِي آيِبُ

المصدر: نفح الطيب: ج 2، ص 280 ـ 281.

---

(1) الترائب: ج تريبة وهي واحدة عظام الصدر والمعنى أنّ ذكراك قد احتوتها الصدور وان كنت مودعا في التّراب.

4 ـ حنين إلى الأندلس

قال ابن سعيد: لما قدمت مصر والقاهرة أدركتني فيهما وحشة وأثار لي تذكّر ما كنت أعهد بجزيرة الأندلس من المواضع المبهجة التي قطعت بها العيش غضًا خصيبًا، وصحبت بها الزّمان غلامًا ولبست الشّباب قشيبًا، فقلت:

(الرمل)

هَذِهِ مِصْرُ فَأَيْنَ المَغْرِبُ؟ ... مُذْ نَأَى عنّي دُمُوعِي تُسْكَبُ
فَارَقَتْهُ النَّفْسُ جَهْلاً إِنَّمَا ... يُعْرَفُ الشَّيْءُ إِذَا مَا يَذْهَبُ
أَيْنَ حِمْصٌ؟ أَيْنَ أَيَّامِي بِهَا؟ ... بَعْدَهَا لَمْ أَلْقَ شَيْئًا يُعْجِبُ
كَمْ تَقَضَّى لِي بِهَا مِنْ لَذَّةٍ ... حَيْثُ لِلنَّهْرِ خَرِيرٌ مُطْرِبُ
وَحَمَامُ الأَيْكِ تَشْدُو حَولَنَا ... وَالمَثَانِي فِي ذُرَاهَا تَصْخَبُ
أَيُّ عَيْشٍ قَدْ قَطَعْنَاهُ بِهَا ... ذِكْرُهُ مِنْ كُلِّ نُعْمَى أَطْيَبُ
وَلَكَمْ بِالمَرْجِ لِي مِنْ لَذَّةٍ ... بَعْدَهَا مَا العَيْشُ عِنْدِي يَعْذُبُ
وَالنَّوَاعِيرُ الَّتِي تِذْكَارُهَا ... بِالنَّوَى عَنْ مُهْجَتِي لاَ تُسْلَبُ
وَلَكَمْ فِي شَنْتَبُوسٍ مِنْ مُنًى ... قَدْ قَضَيْنَاهُ وَلاَ مَنْ يَعْتَبُ
حَيْثُ هَاتِيكَ الشَّرَاجِيبُ الَّتِي ... كَمْ بِهَا مِنْ حُسْنِ بَدْرٍ مُعْصَبُ
وَغِنَاءٌ كُلُّ ذِي فَقْرٍ لَهُ ... سَامِعٌ غَصْبًا وَلاَ مَنْ يَغْصِبُ
بَلْدَةٌ طَابَتْ وَرَبٌّ غَافِرٌ ... لَيْتَنِي مَا زِلْتُ فِيهَا أُذْنِبُ
أَيْنَ حُسْنُ النِّيلِ مِنْ نَهْرٍ بِهَا ... كُلُّ نَغْمَاتٍ لَدَيْهِ تُطْرِبُ
كَمْ بِهِ مِنْ زَوْرَقٍ قَدْ حَلَّهُ ... قَمَرٌ سَاقٍ وَعُودٌ يُضْرَبُ

لَذَّةُ النَّاظِرِ وَالسَّمْعِ عَلَى   شَمُّ زَهْرٍ وَكُؤُوسٍ تُشْرَبُ
كَمْ رَكِبْنَاهَا فَلَمْ تَجْمَحْ بِنَا   وَلَكَمْ مِنْ جَامِحٍ إِذْ يُرْكَبُ
طَوْعُنَا حَيْثُ اتَّجَهْنَا لَمْ نَجِدْ   تَعَبًا مِنْهَا إِذَا مَا نَتْعَبُ
قَدْ أَثَارَتْ عِثْيَرًا يُشْبِهُهُ   نَثْرُ سِلْكٍ فَوْقَ بُسْطٍ يُنْهَبُ
كُلَّمَا رِشْنَا لَهَا أَجْنِحَةً   مِنْ قِلَاعٍ ظَلْتَ مِنْهَا تَعْجَبُ
كَطُيُورٍ لَمْ تَجِدْ رِيًّا لَهَا   فَبَدَا لِلْعَيْنِ مِنْهَا مَشْرَبُ
بَلْ عَلَى الخَضْرَاءِ[1] لَا أَنْفَكُّ مِنْ   زَفْرَةٍ فِي كُلِّ حِينٍ تَلْهَبُ
حَيْثُ لِلْبَحْرِ زَئِيرٌ حَوْلَهَا   تُبْصِرُ الأَغْصَانَ مِنْهُ تَرْهَبُ
كَمْ قَطَعْنَا اللَّيْلَ فِيهَا مُشْرِقًا   بِحَبِيبٍ وَمُدَامٍ يُسْكَبُ
وَكَأَنَّ الْبَحْرَ ثَوْبٌ أَزْرَقٌ   فِيهِ لِلْبَدْرِ طِرَازٌ مُذْهَبُ
وَإِلَى الحَوْرِ[2] حَنِينِي دَائِمًا   وَعَلَى شَنِّيلٍ[3] دَمْعِي صَيِّبُ
حَيْثُ سَلَّ النَّهْرُ عَضْبًا وَانْثَنَتْ   فَوْقَهُ الْقُضْبُ وَغَنَّى الرَّبْرَبُ
وَتَشَفَّتْ أَعْيُنُ العُشَّاقِ مِنْ   حُورِ عِينٍ بِالْمَوَاضِي تُحْجَبُ
مَلْعَبٌ لِلَّهْوِ مُذْ فَارَقْتُهُ   مَا ثَنَانِي نَحْوَ لَهْوٍ مَلْعَبُ
وَإِلَى مَالِقَةٍ يَهْفُو هَوًى   قَلْبُ صَبٍّ بِالنَّوَى لَا يُقْلبُ
أَيْنَ أَبْرَاجٌ بِهَا قَدْ طَالَمَا   حَثَّ كَأْسِي فِي ذُرَاهَا كَوْكَبُ
حَفَّتِ الأَشْجَارُ عِشْقًا حَوْلَنَا   تَارَةً تَنْأَى وَطَوْرًا تَقْرُبُ
جَاءَتِ الرِّيحُ بِهَا ثُمَّ انْثَنَتْ   أَتُرَاهَا حَذِرَتْ مَنْ تَرْقُبُ

(1) يعني الجزيرة الخضراء، وقد قضى ابن سعيد فيها جانبًا من حياته إذ كان والده واليًا عليها، وكان هو ينوب عنه أحيانًا.

(2) الحور: حور مؤمل وهو من منتزهات غرناطة.

(3) شنيل هو نهر غرناطة.

وَعَلَى مُرْسِيَةٍ أَبْكِي دَمًا   مَنْزِلٌ فِيهِ نَعِيمٌ مُعْشِبُ
مَعَ شَمْسٍ طَلَعَتْ فِي نَاظِرِي   ثُمَّ صَارَتْ فِي فُؤَادِي تَغْرُبُ
هَذِهِ حَالِي، وَأَمَّا حَالَتِي   فِي ذَرَا مِصْرَ فَفِكْرٌ مُتْعَبُ
سَمِعَتْ أُذنِي مُحَالاً، لَيْتَهَا   لَمْ تُصَدِّقْ وَيْحَهَا مَنْ يَكْذِبُ
وَكَذَا الشَّيْءُ إِذَا غَابَ انْتَهَوْا   فِيهِ وَصْفًا كَيْ يَمِيلَ الغُيَّبُ
هَا أَنَا فِيهَا فَرِيدٌ مُهْمَلٌ   وَكَلامِي وَلِسَانِي مُعْرِبُ
وَأَرَى الأَلْحَاظَ تَنْبُو عِنْدَمَا   أَكْتُبُ الطِّرْسَ أَفِيهِ عَقْرَبُ؟
وَإِذَا أَحْسِبُ فِي الدِّيوَانِ لَمْ   يَدْرِ كُتَّابُهُمُ مَا أَحْسِبُ
وَأُنَادَى مَغْرِبِيًّا، لَيْتَنِي   لَمْ أَكُنْ لِلْغَرْبِ يَوْمًا أُنْسَبُ
نَسَبٌ يَشْرُكُ فِيهِ خَامِلٌ   وَنَبِيهٌ، أَيْنَ مِنْهُ المَهْرَبُ؟
أَتُرَانِي لَيْسَ لِي جَدٌّ لَهُ   شُهْرَةٌ أَوْ لَيْسَ يُدْرَى لِي أَبُ
سَوْفَ أَثْنِي رَاجِعًا لاَ غَرَّنِي   بَعْدَ مَا جَرَّبْتُ بَرْقٌ خُلَّبُ

المصدر: نفح الطيب: ج 2 ص 281 ـ 283.

5 ـ تهنئة ابن أبي الحسين بالقدوم

قال المقرّي في "نفح الطيب": قد كنت وقفت على بعض ديوان شعره المتعدّد الأسفار، ونقلت منه قوله من قصيدة يهنّئ ابن عمّه الرئيس أبا عبد اللّه بن أبي الحسين بقدومه من حركة هوّارة.

(الطويل)

أَمَا وَاجِبٌ أَنْ لاَ يَحُولَ وَجِيبُ وَقَدْ بَعُدَتْ دَارٌ وَخَانَ حَبِيبُ
وَلَيْسَ أَلِيفٌ غَيْرُ ذِكْرٍ وَحَسْرَةٍ وَدَمْعٍ عَلَى مَنْ لاَ يَرِقُّ صَبِيبُ
وَخَفْقُ فُؤَادٍ إِنْ هَفَا البَرْقُ خَافِقًا وَشَوْقٌ كَمَا شَاءَ الهَوَى وَنَحِيبُ
وَيَعْذِلُنِي مَنْ لَيْسَ يَعْرِفُ مَا الهَوَى وَعَذْلُ مَشُوقٍ فِي البُكَاءِ عَجِيبُ
أَلاَ تَعِسَ اللوَّامُ فِي الحُبِّ قَدْ عَمُوا وَصَمُّوا وَدَائِي لَيْسَ مِنْهُ طَبِيبُ
يَرُومُونَ أَنْ يَثْنِي المَلاَمُ صَبَابَتِي وَلَيْسَ إِلَى دَاعِي المَلاَمِ أُجِيبُ
وَفَائِي إِذَا مَا غِبْتُ عَنْكُمْ مُجَدَّدٌ وَغَيْرِيَ ذُو غَدْرٍ أَوَانَ يَغِيبُ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنِّي الوَفَاء سَجِيَّةً لَكُنْتُ لِغَيْرِ ابْنِ الحُسَيْنِ أُنِيبُ
سَمَوْأَلُ هَذَا العَصْرِ حَاتِمُ جُودِه مُهَلَّبُهُ[1] إِنْ مَارَسَتْهُ حُرُوبُ
فَتًى سَيَّرَ الأَمْدَاحَ شَرْقًا وَمَغْرِبًا أَبُو دُلَفٍ[2] مِنْ دُونِهِ وَخَصِيبُ

---

(1) المهلّب بن أبي صفرة أبو سعيد أمير جواد وبطاش، نشأ بالبصرة وولي امارتها لمصعب بن الزبير، كان يقاتل الأزارقة ولاه عبد الملك بن مروان خراسان سنة 79 ومات فيها سنة 83 هـ. كان شعاره في الحرب: "هم لا ينصرون".

(2) أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي من بني عجل: أمير الكرخ وأحد الأمراء الأجواد الشجعان الشعراء، كان من قادة جيش المأمون. توفي ببغداد سنة 226 هـ وللشعراء فيه امداح كثيرة وله مؤلفات.

إِذَا رَقَمَ القِرْطَاسَ قُلْتَ ابْنُ مُقْلَةَ[3] ... وَإِنْ نَظَمَ الأَشْعَارَ قُلْتَ حَبِيبُ
وَإِنْ نَثَرَ الأَسْجَاعَ قُلْتَ سَمِيُّهُ ... وَإِنْ سَرَدَ التَّارِيخَ قُلْتَ عرَيبُ[4]
وَمَا أَحْرَزَ الصُّولِيُّ[5] آدَابَهُ الَّتِي ... إِذَا مَا تَلاَهَا لَمْ يُجِبْهُ أَدِيبُ

ومنها:

وَأَمَّا إِذَا مَا الحَرْبُ أَخْمَدَ نَارَهَا ... فَفِيهِ تَلَظَّى مَارِجٌ وَلَهِيبُ
فَكَمْ قَارَعَ الأَبْطَالَ فِي كُلِّ وِجْهَةٍ ... نَحَاهَا وَكَمْ لُفَّتْ عَلَيْهِ حُرُوبُ
وَكَائِنْ لَهُ بِالغَرْبِ مِنْ مَوْقِفٍ لَهُ ... حديثٌ إذا يتلى تطيرُ قلوبُ
بِمَرَّاكُشٍ سَلْ عَنْهُ تَعْلَمْ غَنَاءَهُ ... وقد ساءهم يومٌ هناك عصيبُ
إِذَا مَا ثَنَى الرُّمْحَ الطَّوِيلَ كَأَنَّهُ ... مديرٌ لغصنِ الخيزران لعوبُ
وَإِنْ جَرَّهُ أَبْصَرْتَ نَجْمًا مُجَرَّرًا ... ذؤابته، منه الكماةُ تنوبُ
يَهِيمُ بِهِ مَا إِنْ يَزَالُ مُعَانِقًا ... له راكعاتٍ ما تحوزُ كعوبُ
مُحَمَّدُ، لاَ تُبْدِ الَّذِي أَنْتَ قَادِرٌ ... عليه، وخفْ عينًا عُلاكَ تصيبُ
نُفُوذُ سِهَامِ العَيْنِ أَوْدَى بِمُصْعَبٍ ... وطاح به بعد الشّبوب شبيبُ
أَلاَ فَهَنِيئًا أَنْ رَجَعْتَ لِتُونِسٍ ... فأطلعت شمسًا والسِّفارُ[6] غروبُ

(3) ابن مقلة: محمد بن علي بن الحسين بن مقلة أبو علي وزير للعباسيين يضرب بحسن خطه المثل. مات في السجن سنة 328 هـ ولقي نكبات عديدة في حياته.

(4) عريب بن سعد القرطبي، طبيب مؤرخ من أهل قرطبة اختصر تاريخ الطبري وأضاف إليه أخبار افريقيّة والأندلس فسمّي "صلة تاريخ الطبري". توفي سنة 369 هـ .

(5) الصولي: محمّد بن يحيى أبو بكر ويعرف بالشطرنجي، من أكبر علماء الأدب. نادم ثلاثة من خلفاء بني العباس، وله تصانيف كثيرة. توفي سنة 335 هـ.

(6) السفار: أي السفر.

كواكبها تبدو إذا ما تركتَها وقد جَعَلَتْ مهما حضرت تغيبُ
إذا سُدْت في أرضٍ فغيرك تابعٌ عُلاَك، ومهما ساد فهو مريبُ

ومنها:

كفانيَ أنّي أستظلّ بظلّكم ومن هاب ذاك المجدَ فهو مَهيبُ
فأصلُكَ أصلي والفروعُ تباينتْ بعيدٌ على من رامهُ وقريبُ
وحسبيَ فخرًا أن أقول محمدٌ نسيبُ عليّ جلّ منه نصيبُ
تركتُ جميعَ الأقربين لقصده على حينِ حانت فتنةٌ وخطوبُ
رأيتُ به جنّاتِ عدنٍ فلم أُبَلْ إذا وصلتنا للخلود شَعُوبُ
فقبّلتُ كفًا لا أُعابُ بلثمها وأيدي الأيادي لثمُهنّ وجوبُ
وكيف وليس الرأس كالرِّجل، فرّقت شياتٌ لعمري بيننا وضُروبُ
ولو كان قدري مثل قدرك في العلا لحقّ بأن يعلو الشبابَ مشيبُ
ولولا الذي أُسْمِعْتُ من مكرِ حاسدٍ أتاك بقولٍ وهو فيه كذوبُ
لما كنتُ محتاجًا لقولِيَ آنفًا تخلّيتُ من ذنبٍ وجئتُ أتوبُ
إذا كنتُ ذا طوعٍ وشكرٍ وغبطةٍ فمن أين لي يا ابن الكرام ذنوبُ
لقد كنتُ معتادًا ببشرٍ فما الذي تقلّدتهُ حتى يزالَ قطوبُ
أإن رفع السلطان سعيي بقدركم أُحَلَّأُ عن وِردٍ لكم وأخيبُ
فأحسب ذَنْبِي ذنب صُحْرٍ(7) بدارُها إلى البِرّ عند الخابرين مَعيبُ

---

(7) ذنب صحر: مثل، وذلك أن لقمان بعد أن قتل زوجته لقيته ابنته صحر فقتلها أيضا قائلا "وهل أنت إلا امرأة؟" دون ذنب جنته، فضرب بذلك المثل.

وحاشاك مِـنْ جورٍ عليّ، وإنّما أخاطبُ مَنْ أُصْفِي له فيشوبُ
صحابٌ هم الداء الدفين فليتني ولم أدنُ منهم، للذئاب صَحوبُ
كلامُـهُـمُ شهدٌ ولكنّ فعلهم كَسَمٍّ له بين الضلُّوع دبيبُ
سأرحلُ عنهم والتّجاربُ لم تدعْ بقلبي لهم شيئًا عليه أُثيبُ
إذا اغترب الإنسانُ عمّن يسوءه فما هو في الإبعاد عنه غريبُ
فداركْ برأبٍ منك ما قد خرقْتهُ ليحسن منّي مشهدٌ ومغيبُ
ولا تستمعْ قولَ الوشاةِ فإنّما عدُوُّهمُ بين الأنامِ نجيبُ
فيا ليتَ أنّي لم أكن متأدِّبًا ولم يك لي أصلٌ هناك رَسوبُ
وكنت كبعض الجاهلين محببًا فما أنا للهمّ الملمّ حبيبُ
وما إن ضربتُ الدّهر زيدًا بعمره ولم يكُ لي بين الكرام ضريبُ
أأشكوكَ أم أشكو إليك فما عَدَتْ عداتيَ حتّى حان منك وثوبُ
سأشكرُ ما أولي وأصبر للذي توالى، على أنّ العزاء سليبُ
فَدُمْ في سرورٍ ما بقيت فإنّني وحقِّك مذ دَبَّ الوشاةُ كئيبُ

المصدر: نفح الطيب: ج 2، ص 274ـ 277.

6 ـ لهو وطرب

(البسيط)

إذا الغصون غدت خفّاقةَ العَذَب[1] فاسجد هُدِيتَ الى الكاسات واقتربِ
وطارح الوُرْقَ في أوراقها طربا ومل إذا مالت الأغصانُ من طربِ
وانهض إلى أمّ دفر[2] بنتِ دسكرة تُجلي عليك بإكليل من الذّهب
وانظر إلى زينة الدّنيا وزخرفها في روضة قد وشتها أنملُ السُّحب
وللأزاهــر أحــداقٌ محـدِّقــةٌ قد كحّلتها يمينُ الشّمس بالذّهب

المصدر: فوات الوفيات: ج 2 ص 90.

7 ـ لولا ندى يحيى

وقال يمدح أبا زكرياء يحيى الحفصي:

(الرجز)

من ذا الذي يبخل في تونس والملح فيها صار عذبا قراحْ؟
وأصبحت أرجاؤها جنةً مبيّضةَ الأرجاء خضرَ البطاح

---

(1) العذبُ: ج عذبة: أغصان الشجرة.

(2) أم دفر هي الدنيا والداهية ويقال أم دفار أيضا والدفر: النتن. وهنا يعني الخمرة.

لولا ندى يحيى وتدبيرُه ما برحتْ تَغِير منها النَّواح[1]
لكن يداه سُحبٌ كلّما حلَّت بأرض حلّ فيه النّجاح
هذا وقد آمنَ من حلَّها وحفَّها من غربة وانتزاح
يا سائرا يرجو بلوغَ المُنَى باكر ذَرَا يحيى وقل: لا رواح[2]
وحَيِّه بالمدح فهو الذي يهتز كالهنديّ حين امتداح
بالشّرق والغرب غدا ذكرُه يحثُّ من حمدٍ وشكرٍ جَناح
ساعدَه السّعدُ وأضحت له آمالُنا تجري بغير اقتراح...

المصدر: ابن سعيد المغربي: ص 171 ـ 172.

8 ـ العزوبيّة

قال في حياة العزوبيّة:

(البسيط)

أنا شاعر أهوى التخلّيَ دون ما زوجٍ لكيما تخلُص الأفكارُ
لو كنتُ ذا زوج لكنتُ منغَّصًا في كلّ حين رزقَها أمتارُ
دعني أُرِحْ طول التغرّب خاطري حتّى أعودَ ويستقرّ قرارُ
كم قائلٍ لي ضاع شرخُ شبابه ما ضيّعتْهُ بطالةٌ وعُقارُ

(1) تغير أي تغار من الغيرة، والنواح: النواحي جمع ناحية .
(2) ذرا الشيء : كنفه وجانبه. وباكر ذراه أي انهض مبكرا إلى كنف الممدوح يحيى.

إذ لم أزل في العلم أَجْهدُ دائمًا حتّى تأتّت هذه الأبكار
مهما أرُمْ من دون زوج لم أكن كلاّ ورزقي دائمًا مدرارُ
وإذا خرجتُ لفرجةٍ هنّيتها لا صنعةٌ ضاعت ولا تذكارُ

المصدر: نفح الطّيب: ج 2، ص 268.

9 ـ طلب

كتب الى أبي عبد الله محمد بن أبي الحسين:

(المتقارب)

أخا الجود طال شوقي إلى شموسٍ بواطنُها مُقْمِرَه
تجيء مع الورد في فَصْله وأوجُهها للمنى مُسفره
وتصحيفها يقتضي حُبَّها وبالضدّ يَقْضي لمن غَيَّره
وأكثرُ وجدي بها عندما تُعَضُّ فتضحكُ مُستبشره

المصدر: القدح: ص 10.

10 ـ حنين إلى جِلّق

(الكامل)

للّه من أقطار جِلَّقَ روضةٌ راقت لنا حيث السّحاب يراق
وتلوّنت أزهارُها فكأنّما نزلت به الأحبابُ والعشّاق

أنا من عُلِمْتُ بشوقه ذِكْـرَ الحِمَـى وتساق روحي والرّكاب تساق

أخلصتُ في حبّي وكم من عاشق فيما ادّعاه من الغرام نفّــاق

يدعو الحَمَامُ وترقص الأغصانُ من طرب بهم وتصفّق الأوراق

وحدي جمعت من الهوى مثل الذي جمعوا كذلك تُـقْـسَـم الأرزاق

المصدر: فوات الوفيات: ج 2، ص 90.

11 ـ السّـفـــر إلى تونس

قال ابن سعيد:

حللت في بعض سفراتي بطرابلس فبكرت يوما إلى المدرسة التي أنشأتها بها الهمّة العلية الاماميّة المنتصريّة فدخلت إليها، وقعدت مسرّحا طرفي في روضة حبق حبّست حاستي البصر والشمّ عليها، ثمّ قلت:

(البسيط)

يا حبّذا نسمةً هبّت لناشقها غبّ الكرى سَحَرًا من روضة الحَبقِ

حسبتُها عندما هبّت وقد نَـعَـشَـتْ ببلّة من نداها رُوحَ منتشقِ

قَرَنْفُلَ الهند قد وافى التجّارُ به محافظين على نشرٍ له عبِقِ

فعندما فضّه الداويُّ ذكّرني بطيبه طيبَ عيش مَرَّ لِي أنِقِ

بتونس أنَّسَ الرّحمان ساحتها وسُقِّيَتْ أبدا بالعارض الغدِقِ

ولا أموت إلى أن ألتقي قمرًا للحسن مطلعه من ذلك الأفقِ

المصدر: رحلة التجاني: ص 252.

12 - إيه أبا العبّاس

قال مجيبا أحمد الغسّاني من المشرق عن قصيدة:

(الكامل)

أَطْلَعْتَ فِي لَيْلِ التَشَوُّقِ أَنْجُمَا
لَـمَّـا بَعَثْت مُسَائِلاً وَمُسَلِّما
لَوْلاَ كِتَابُكَ ظَلْتُ فِيهِ حَائِرًا
حَيْثُ اتَّجَهْتُ رَأَيْتُ جُنْحًا مُظْلِما
وَافَى وَأُفْقِي حَالِكٌ فَأَنَارَهُ
وَأُوَامُ شَوْقِي مُؤْلِمٌ فَشَفَى الظَّمَا
أَوْدَعْتُهُ قَلْبِي فَفَاحَ نَسِيمُهُ
فَكَأَنَّمَا نَدٌّ[1] بِجَمْرٍ ضُرِّمَا
فَرَدَدْتُهُ فِي نَاظِرِي فَكَأَنَّمَا
زَهْرُ الرِّيَاضِ سَقَيْتَهُ مَاءَ السَّمَا
فَرَدَدْتُهُ فِي مَسْمَعِي فَكَأَنَّمَا
طَيْرٌ أَمَالَ الغُصْنَ حِينَ تَرَنَّمَا
عَهْدِي بِصَدْرِكَ مِثْلُ بَحْرٍ زَاخِرٍ
لاَ غَرْوَ أَنْ أَرْسلت دُرًّا نُظِّمَا
عَهْدِي بِكَفِّكَ مِثْلُ غَيْثٍ هَاطِلٍ
لاَ غَرْوَ أَنْ أَهْدَيْـتَ زَهْرًا نُمْنِمَا

---

(1) بالمقتطف، نور.

مَا طرْسُهُ إلاّ كَجَمْرٍ سَاطِعٍ
رَقَمَ العذَارُ بِصَفْحَتَيْهِ أرْقَمَا[2]

إيهِ أبَا العَبَّاسِ بَعْدكَ لَمْ أزَلْ
مَهْمَا تَدُرْ مَشْمُولَةٌ مُتَجَهِّمَا

مُتَمَنِّعًا مِنْ شُرْبِهَا إِذْ خِلْتُهَا
سمًا إِذَا مَا خِلْتَ كَأْسَكَ عَلْقَمَا

وَلَقَدْ بَكَيْتُ فَلَمْ أجِدْ فِي الجَفْنِ مَا
أبْكِي بِهِ إِذْ كُنْت أبكيت الدّمَا

وَلَقَدْ عَلِمْت بِأَنَّ شَوْقَكَ جَاذِبٌ
مَهْمَا رَأَيْتَ مَكَانِيَ المُتَوَهَّمَا

أَو مَا تَدُلُّ عَلَى الوَفَاءِ رِسَالَةٌ
قَطَعَتْ عَلَى حَالِ التَّقَاطُعِ خِضْرِمَا[3]

المصدر: القدح ص5، والمقتطف من أزاهر الطّرف: ص 163 ـ 164.

13 ـ سبب خروجه من تونس

قال لما خرج من حدود افريقية:

(الطويل)

رفيقيَّ جاوزنا حدود مواطنٍ ... صحبْنا بها الأيّامَ طلقًا محيّاها
وما إن تركناها لجهلٍ بقدرها ... ولكن ثَنَتْ عنّا أعنّةَ سُقْياها
فسرنا نحثُّ السّير عنها لغيرها ... إلى أن يمنّ اللّه يومًا بلقياها

المصدر: نفح الطيب: ج 2 ، ص 327.

---

(2) بيت مضاف عن القدح.
(3) الخضرم: البحر الواسع الكثير الماء.

أحمد بن السّكّان

(ت بعد 688)

أبو العبّاس أحمد بن محمد بن ميمون الأشعري المالقي المعروف بابن السكّان عالم وشاعر مطوّل. من تآليفه:

- خلاصة الصّفا من خصائص المصطفى: قصيدة تائيّة في 320 بيتا.

- كتاب اكمال تذييل ابن فتحون على كتاب الاستيعاب لابن عبد البرّ في تراجم الصحابة.

- كتاب الاطّلاع على ما يلزم في رفع الأيدي في الصّلاة من الاتباع.

- برنامج شيخه أبي بكر بن حبيش.

1 ـ أعجب العجائب

(مخلع البسيط)

وتَرْكِيَ الذَّنْب من غير شكّ آكَدُ من فعلي الرّغائب
فميل نفسي لعكس هذا النّـــ ـــظام من أعجب العجائبِ

2 ـ مطلب

(المتقارب)

أيا خالقَ الخلْق لي مطلبٌ وما لي سبيلٌ لأسبابه
غذاءٌ حلال بلا مِنّة وثوبٌ وبيتٌ لأثوِي به
وجودك أمّلتُ يا خالقي فقد جئتك للبيتِ من بابه

3 ـ مدح النبيء

قال من قصيدة في 320 بيتا استوعب فيها معجزات النبيء صلّى اللّه عليه وسلم وعنوانها: "خلاصة الصّفا من خصائص المصطفى" أوّلها:

(الطويل)

لأحمد خيرِ الخلْق أهدِي تحيّتي محمّدٍ الآتي بحكم وحكمة
مدحتُ رسولَ اللّه والمدحُ دونه ولو ملأ المدّاحُ كلُّ صحيفة
ولو كان كالبحر المحيط مدادُه وكالشّجر الأقلامُ ما قَطُّ جفّت

يُمَدُّ مَدَى الدّنيا بسبعة أبحرٍ   لما بَلَغَتْ من مدحه عُشْرَ حبّة
كفاه ثناءُ اللّه في الفتح والضُّحى[1]   وتكريرُه إيّاه في غير سورة
فماذا يقول العالمون وربُّهم   كساه من الأمداح أسبغَ حلّة
ولكنَّ في جهد المقِلِّ لنفسه   رجاءً وحُسْنُ الظنّ بيتُ قصيدتي

المصدر: رحلة العبدري: ص 269 ـ 270.

4 ـ باب اللّـــه

(الكامل)

من كان يرجو الخَلْقَ في حاجاته   خان الذي يُرْجَى وخاب المرتَجِي
فاقصد إله الخلْق إمّا حاجةٌ   عرضتْ فباب اللّه غيرُ مرتج

5 ـ فـكــرة

(البسيط)

تقرّب النّاس لِلموْلَى بجهدهم   من مدح من ساد كلّ الخلق في الأزل
أَمُّوا الجناب بأمداح ومعذرة   وحُمْتُ حول الحمى في غاية الخجلِ
ثمّ اطّلعت على تقصير مُطْنِبِهم   فالعجزُ عن مبدإ الإدراك من عمل

(1) يريد سورتي الفتح والضّحى.

6 ـ أزكى الخليقة

(البسيط)

أزكى الخليقة خُلقا عند خالقهم ... ذو حرفةٍ عن سؤال النّاس تُغْنيهِ
وخير ما اتّصف المرء التّقيُّ به ... في دهره تركُه ما ليس يعنيهِ

7 ـ الشّهادة

(الطويل)

يقولون لي إنّ الشّهادة مكسبٌ ... ولم تشتغل يوما بصرفِ المنى لها
فقلت لهم: لي في الشّهادة مذهبٌ ... أنا في سبيلِ اللّهِ أرجو منالها

مصدر هذه المقطوعات: رحلة العبدري: ص 270 ـ 271.

يوسف بن السّماط

(690 _ 613)

أبو يعقوب يوسف بن علي بن عبد الملك بن السّماط البكري المهدوي، ولد ونشأ بالمهديّة وأخذ عن علمائها أمثال أبي زكرياء البرقي وانتقل الى تونس واشتهر فيها بالمدح النبوي، وكان ديوانه منتشرا لما فيه من نفس ديني رقيق وروحانية سامية. توفي بتونس في شعبان سنة 690 .

1 ـ مدحية نبوية

(الطويل)

سريتم وطَرْفِي في كرى العزم ما هبّا وطِرف انتهاضي في مدى الحزم ماخبّا[1]

وثُرتم طِلاب العزّ من دون ناصر قصاراه ذيل الذلّ يسحبه سحْبَا

وَأَخْلَيْتُمُ هالاتكم مِنْ بُدُورها فما عُوِّضَتْ إلاّ الغياهبَ والسُّحْبَا

وعانِي هواكم لا معينَ له سوى صدى صوته في الرّبع ما ردّد النّدبا

وما كان ندب يستلذّ وإنّما يلذّ سماع النّدب من فارق النّدبا

ولي مهجة تفنى لتذكاركم أسى وجفن يراعي في مراكزها الشّهبا

لياليَ تسري لي صَبَاكم عليلةً فيا لَعليل منه ألْتمس الطّبّا

رحلتم وغادرتم غريبا غروبه تصبّ مَصُونَ الدّمع مذ بنتمُ صبّا

وخلّفتمُ داء التّواني محالفي وأنّى لبادي السّقم أن يصحب الرُّكْبا

وهيّجتمُ هيج الغرام فأنتجت لكم من فحول الصّدق في قصدكم نُجْبا

فسارت وحاديها احتدامُ زفيرها فما ميّزت وعرا ولا فدفدا رحبا

وسيقت وما قاست كلالا ولا وجًى وقد سقتمُ مع كلّ راحلة قلبا

وما أدلجت تثني إلى العشب لِيتَها ولكنّ في وادي العقيق لها عُشْبَا

فهم جيرةٌ أخلِقْ براجي جِـوارهم ولو باد في البيداء أن يحمد الغبّا

منيف على السّبع الطّباق علاؤهم وإن أسكنوا فيما يراه الورى التّربا

دعوكم ولم يرضوا سماعي دعاءهم ولو أسمعوني كنت أوّل من لبّى

---

(1) الطّرف: ج طروف وأطراف: الكريم الطرفين أي الأب والأم من غير النّاس كالخيل ونحوها.

ومن كان حفظ العهد سيماه أقبلوا عليه وإلاّ أسبلوا دونه الحجْبا
ومن كُلِّفت عينُ العناية رَعْيَه حَمَتْهُ المقام الدحض والمرتقى الصّعبا
ومن عاقه نيل المقادير لم تطق بأرض المنى أقدامُ إقدامه ضَرْبا
على أنّني لا أنزل اليأس ساحتي وقلبي على بُعدي يهيم بهم حُـبّـا
وقد جاء أنّ المرء مع من أحبّه عن الصّادق المصدوق فيما به أنبا
فَحَسْبِي رجائي أن يمنّوا بعطفهم وأن يُعْقبوا للبعد من وصلهم قُرْبا
وَلِـمْ لا ونيران القرى في ذراهم تنادي إلى ناديهم العُجْمَ والعُرْبا
ولا غرو أن يلقى الطفيليَّ ماجدٌ بوجهٍ به يلقى المعارف والصّحبا
وإن هم جَفَوْني سوف أُهدي إليهمُ سلامي لعلّي بالرّضى منهمُ أُحْبَى
ومن صدّ عنه الحِبُّ فليُفْشِ مدحه فإنّ امتداح الحِبّ يستنزل الحُبَّا
وما القصد والمعنيّ بالرّمز والكُنَى سوى مَنْ على كلّ النّبيّين قد أربى
ومن شاهدتْ عيناه من ملك ربّه وآياته ما يعجز الكَتْبَ والكُتْبا
فسبحان من أعطى النبيّ محمّدا من الفضل ما لم يعطه قبل من نبّا
فيا غوثَ من غال الحِمامُ حُمَاته ويا خير من آوى اليتامى ومن ربّى
أحاشيك يا كلّ المنى أن تنودني عن الحوض يوم العَرض أو أُمْنَع الشّربا
وَرُبَّ كريم غضّ عن وِرد واغل حياء إذا وافاه يتّبع السِّربا
لئن قَصَّـرَتْ خطوي إليكم خطيئتي وذبّتْني الأوزارُ عن بابكم ذبّا
فمن شيمة العبد الفرارُ لربّه ومن شِيم السّادات أن يغفروا الذّنْبا

المصدر: رحلة التّجاني: ص 381 ـ 384 ومنها مقاطع بعنوان الأريب: ج 1 ص 78.

2 ـ تشوق إلى زيارة النبي

(الكامل)

رَعْيُ الحقوق كما علمت حقيق ... والصّبر عن وادي العقيق عُقُوقُ
ولأهل ذيّاك الحمى بقلوبنا ... شغف يسوق نفوسنا ويشوقُ
ولذكرهم برْد على طيّ الحشى ... تشفى به مرضاهم وتفيقُ
وإذا ثنى عِطف النّزيف صَبوحه ... فلنا صبوح باسمه وغبوق
قوم لهم طاب النّسيمُ بِطَيْبَة ... حتى انثنى كالمسك وهو فتيق
وغدا ثراها للشّفاه مراشفا ... وبقاعها كلّ البقاع تفوقُ
ومزارع أشهى إلى عشّاقها ... من شاطئ يأوي إليه غريقُ
شَرُفا بأشرفِ مُرْسَل وأَعَزِّ من ... شرُفت به فئة وعَـزَّ فريق
هو صفوة الله الشّفيعُ ومن له ... خُلُقٌ بكلّ المكرُمات خليقُ
سَنَدُ العصاة اذا الصحائف أفصحتْ ... ونبا أب وأخ وفرّ رفيق
هو أحمدُ ومحمّدٌ والمصطفى ... والمجتبى والصادق المصدوق

ومن أبيات هذه القصيدة :

كم ذا أؤمّل أن أزور ضريحه ... والحظّ يكبو والقضاء يعوق
ويد المشيب تناولت حُلَلَ الصِّـبَا ... فاخلولقت وفشا بها التّمزيق
لكنّه ذخري لموقف فاقتي ... ومضاجعاه الصِّــهرُ والفاروق

صلّى عليه اللّه ثمّ عليهما ما زان جيدَ حمامةٍ تطويقُ
وأرت تباشيرُ الصبّاح تبسّما وانقاد غصنٌ للنّسيم وريقُ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 384 ـ 385. والمجمل: ص 208 ـ 209 وأسقطت منها أبيات ومنها أبيات في عنوان الأريب: ج 1 ، ص 78 ـ 79.

3 ـ لعلّ نسيمات الضحى

(الطويل)

لعلّ نسيماتِ الضّحى والأصائلِ تؤدّي إلى مَغْنَى الحبيب رَسَائلي
وتُهْدي إذا مرّت سُحَيرًا برَبْعه سلامي إلى بدرٍ بطَيْبَةَ آفل
عليّ لدى الأعلى لذلك أصبحت منازلُه تعلو مَجَرَّ المنازل
وكلّ الأماني في غدوّ رواسم إلى رسمه أو في رواح رواحلِ
إذا يمّم الحادي بها حضرةَ العلا أرتْك انسيابَ الفلْك تحت المحامل
وألقت إلى كفّ السّرى مِقْود الكرى كما بالطّوى طابت لِطَيٍّ المراحلِ
وَإِنْ مال ذو وجد الى شعبه هوى تجدْها لذاك الشّعب أوّل مائلِ
وما سَوْقها بل شوقها يستحثّها حثيثَ أخي الإملاق يُدْعى لنائلِ
ومن عَجَبٍ هُوجٌ تَهِيجُ لها الصّبا صبابةَ عُذْرِيٍّ لطيفِ الشّمائلِ
وتهوى بروقا بالعقيق تألّقت كما جُرِّدَت بيضٌ بأيدي الصّياقلِ
حنينا لمن في كفّه سَبَّحَ الحصى وأنسى خطابُ النُّصْبِ سَحْبان وائل
وكم آية دلّت على صدقه فما ألـبَّ لها الإنكار في لبّ عاقل
وكم قاصد أقصى مدى معجزاته تلقاه بحرٌ لا يُحَدُّ بساحل
رسول أتى والغيّ وارتْ غيومُه نجومَ الهدى والرُّشْدِ عن كلّ غافل

ووافى ودين الكفر قامت دعاتُه ... بإبطال تحقيق وتحقيق باطل
فلمّا بدت آياتُه وهِباته ... بدا النّقض فيما أبرموا في المحافل
وضاق الفضا ضيق اللحود عليهمُ ... فلا بال إلاّ وهو رهن البلابل
تلقّى كتابًا شرعُ ذي العرش شرعُه ... وحدُّ المناص فيه حدّ المخاصِلِ
تولّى أمينُ الوحي جبريلُ حملَه ... فأكرم بمحمول إليه وحامل
حوى وعد وهّاب وإنفاذَ قاهر ... وتنزيهَ قدّوس واحكامَ عادل
ووعظا بأهوال المعاد مُخَوِّفا ... وعلما بأنباء القرون الأوائل
ودينا الى دار المقامة مُدْنيا ... وبشرى بشكر السّعي من كلّ عاقلِ
وزجرًا بما يلقاه مَنْ زاغ مِنْ لَظَى ... إذا قيد قومٌ نحوها بالسّلاسل
وفي كلّ ما يتلو الرّسولُ دَلالةٌ ... على صدقه من واضحات الدلائل
هو المصطفى من قبل تكوين آدم ... على الخلق من آبائهم والحلائل
حبيبٌ وحَباتُ القلوب كِنَاسُه ... إذا بُوِّئ المحبوبُ خيرَ المنازل
له غابة من صحبه هو ليثها ... لديهم مَرِيرُ الموت عذبُ المناهل
صدورٌ اذا حلوا بنادٍ وفي الوغى ... صدورُهم تلقى صدورَ العوامل
أشدّاءُ والهيجاء حامٍ وطيسُها ... ذوو رحمةٍ بالبائسات الأرامل
فكم من عديم صار فيهم كمُترف ... وكم من غريب صار فيهم كآهلِ
كذا فليكن حُسْنُ الثناء لسادة ... متى أُمِّلوا لم يُخْلِفُوا ظنّ آمل
على من به سادوا الورى وعليهمُ ... سلامٌ كنَوْر الرّوض بين الخمائل
فحتّى متى أشتاقهم وتغرُّني ... أماني وإمهالٌ بتسويف باطلِ
وما المرءُ إلا ظاعنٌ مترحّلٌ ... معارٌ لأوقات تمرّ قلائل
وإسفار صبح الشّيب عن ليل لُمّتي ... دليل على ظلٍّ من العمر زائل

ولمّا تقضّت في التّواني شبيبتي وأصبحتُ من جرّائها في حبائل
ولم يبقَ لي إلاّ التّفاني بأدمع على طول تفريطي هوامٍ هواملِ
وكلٌّ يرى أنّ المديحَ وسيلةٌ لكلّ كريم من أجلٍّ الوسائل
مدحتُ الشّفيع المصطفى غيرَ قائم بمعشار ما يُحْصى له من فضائل
وما المدح فيمن يَحْسُنُ المدح باسمه وأوصافهِ إلاّ كتحصيلِ حاصل
ولكنّه جُهدُ المقلِّ لقاصر عن الفرض في تعظيمه والنّوافل
ألم يك قولُ اللّه في رفع ذكره وهل بعد قولِ اللّه قولٌ لقائل

المصدر: رحلة التّجاني: ص 385 ـ 388.

4 ـ أعِـــدِ الحديث

(الكامل)

أعِدِ الحديثَ فليس بالمملول عن خير مبعوثٍ وخيرِ رسول
واملأ مسامعنا بطيب حديثه فهو الشّفاء لِحَرِّ كلّ غليل
وادأبْ عليه مصلّيا ومسلّما فكذا أتى في محكَم التّنزيل
واخْصُصْ بترداد السّلام ضريحَه في كلّ شارقة وكلّ أصيل
واذا رأيت العَيْسَ تُحْدى نحوه فاختر مواطئهنّ للتّقبيل
واشفع بمن حملَتْ على أكوارها من حامل لغرامه محمولِ
واصحبهمُ بالقصد إن ونت الخطى ورأيت باعَ الطّول غير طويل
فعسى ينالُك من زكاة زكائهم ما قرّر القرآنُ لابن سبيل
ومن اقتدى بالصّدق في انحائه قادتْه عزمتُه بغير دليل
ومن اشرأبّ الى لقاء حبيبه جَـذَبَ المقادةَ من يد التعليل
وأماط سَوْفَ وَمَجَّ ريقةَ رِقّـهِ بِلهَا العزيمة من فم التأميل

حتى يرى البيداءَ وثبةَ خائف والمِيلُ من قِصَـرٍ دُوَين الميل
كلُّ الجَمَال متى أرى لك زائرًا متبوئًا بذَراك خيرَ مَقيل
فرحًا بمغناك المقدّس تُرْبه فَرَحَ المحِبِّ مبشّرا بقَبول
مترنّحا طَرِبا ترنّح منتش هزّت معاطفه شمالُ شمول
فهناك أَظفَرُ بالأماني والمنى وعلى الوجود أصولُ حين وصولي
وتهزّني من طيب طَيْبَةَ نفحةٌ فيطيب لي مَرَحِي وجرٌّ ذيولي
وإذا أسأتُ تأدّبًا بحِمَاكُمُ عفوا فإنّي غبتُ عن معقولي
من ذا يرى حَرَمَ الحبيب فيهتدي لتميّز المعلوم والمجهول
قمر له هضبات مكّة مطلعٌ والرّوضةُ الفيحاء أُفْقُ أفولِ
جاءت نعوتُ كماله منصوصةً في الذِّكْر والتَّوراةِ والإِنجيلِ
وبه تشفّع آدمٌ لإلاهه لمّا أحسّ بحالة التّحويل
وأتى بمبعثه المسيحُ مبشّرًا يوصي به للجيل بعد الجيل
وبليلة الإسراء أُكْمِلَ فضلُه ناهيك من فضلٍ ومن تكميل
وإليه نلجأ في المعاد لأنّنا نأوي لظلٍّ للنّجاة ظليلِ
ما زال في الأصلاب يُنْقَلُ نُورُه حتّى تبلّج في أعزّ قَبِيل
من نبعة للجود روّض نبتها وفروع مجد فَارِعٍ وأصول
صيد تحلّ من الأكابر هامُها وتحلّ منها مفرقَ الإكليل
فانجاب غيمُ الغيّ عند ظهوره كالشّمس في جوّ تلوح صقيلِ
وأذلّ من بالكفر حاول عزّةً وأعزّ بالإيمان كلّ ذليل
ألفَ الجميلَ فما يقابل سائلا إلاّ بوجه كالسّراج جميل
لا يُعْدَمُ السّارون إن نزلوا به ريًا لصاد أو قِرى لنزيل
سَمْحٌ يشاكل حسنُه إحسانَه لا تعتريه ملالةُ المسؤول
يلقى الأرامل واليتامى إن نأت عنهم عشيرتهم بكفّ كفيل
ويبيحهم من حبّه وحِبائه ما يحمل المثرِي على التّطفيل

هذا الفخارُ ومن يكن ذا وصفُه   فالمدح فيه كقُطْرة في النِّيل
وعلى أولي الألباب طرًّا أن يروا   بذل النّفوس له أقلّ قليلِ
فعليه من ذي العرش كلُّ تحيّة   وعلى صحابته نوي التَّفضيل
ما أمرع الروضَ الحيا وتضوّعت   ريًّا نسيمٍ في الغدوّ عليل

المصدر: رحلة التّجاني: ص 388 ـ 390، ومنها جزء بالمجمل: ص 209 ـ 210.

5 ـ مولديـة

(الكامل)

أعلمتَ أنّك يا ربيع الأوّلُ   تاج على هام الزّمان مكلّلُ
مستعذَبُ الإلمامِ مرتقَبُ اللّقا   كلُّ الفضائل حين تُقْبِلُ تقبلُ
ما عُدْتَ الاّ كنت عيدًا ثالثا   بل أنت أحلى في القلوب وأجملُ
شرفًا بمولد مصطفى لمّا بدا   أخفى الأهلّةَ نورُه المتهلّلُ
وحويتَ مذ أصبحتَ ظرفَ زمانه   ظرفًا به في برد حسنك ترفلُ
وملكتَ أنفسنا بلطف شمائل   بنسيمها نفسُ العليلِ تُعلَّل
وإذا حدا الحادي بمنزلة الحمى   فالقصد سكّان الحمى لا المنزِلُ
فطُلِ الشّهورَ علاً وفاخرْها فإن   شمختْ بأطولها فأنتَ الأطولُ
واستثْن منها ليلةَ القدر التي   بثنائها نزل الكتابُ المنزَلُ
وأصخْ لقول اللّه فيها إنّها   من ألف شهر في الإنابة أفضلُ
واستكملِ البشرى فإنّك لم تزل   لك في القلوب مكانةٌ لا تُجْهلُ
لِمْ لا وعُشْرك واثنتاه أريْنَنَا   قمرا به شمسُ الضُّحى لا تُعدلُ
ومن العجائب بدرُ تمّ يستوي   لتمام عشر واثنتين ويَكملُ
ويفوت أقمارَ السّماء لأنّها   للنّقص من بعد الزّيادة تُنْقَلُ
وكمال هذا البدر لا يعزى الى   نقص ولا عن حاله يتحوّلُ

بل نورُهُ يزداد ضِعْفا كلّما   طفق المِحَاقُ سَنَى البدور يُبدّلُ
ويقي عثارَ الغيّ واضحُ رُشدِه   ويُبين من سبل الهدى ما يُشْكِلُ
وتُراع أفئدةُ العداةِ له كما   يَرتاع من شاكي السّلاح الأعزلُ
فمتى تحيط بوصف بدر نبوّة   وافى وليل الكفر داج ألْيَلُ
فجلا عن الآفاق غَيْهَبَهَا كما   يجلو صدا العضْبِ الحُسامُ الصيقل
وهدى إلى كفّ النّجاة سراجُه   فعشا المُحِقُّ به وضلّ المبطلُ
وتظافرت أيدي الرّفاق فصيَّرت   شيع النفاق وضعفهنَّ مذلّل
وشَدَتْ بألسُنِ حالها الأكوانُ من   طرب له هذا النبيّ المرسلُ
هذا الذي هو للمُنَاصِب عَلْقَمٌ   ولِمَاحِض الوُدّ الرّحيقُ السلْسلُ
وعلى الأرامل واليتامى إن خشوا   أن تبدوَ الصَّفحاتُ سِتْرٌ مرسل
وإذا انثنى الأقران عن وقع القنا   فهو الملاذ لمن كبا والمعقِلُ
وهو الشّفيع المستجار بجاهه   والأمُّ عمّن أرضعتْه تذهَلُ
قَسَمًا بمرسله إلينا رحمةً   إنّي عليه معوِّلٌ ومعولُ
لا أدّعي عِلْمًا ولا عَمَلاً   ولكنّي بجاه محمّد أتوسّل
فلربما صَدَّ الكريمَ حياؤُه   إن كان في ندمائه متطفِّل
صلّى عليه اللّه ما هبّت صَبا   ليلا وما نفحت سُحَيرًا شمألُ
وعلى صحَابته وصفوةِ آله   ما لاح برقٌ أو ترنّم بلبلُ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 390 ـ 392.

أحمد بن الغمّاز

(693 ـ 609)

أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن الحسن الأنصاري الخزرجي الأندلسي المعروف بابن الغمّاز، شاعر وأديب وفقيه. ولد ببلنسيّة وأخذ على أيدي علمائها ثمّ هاجر الى تونس وبقي فيها حوالي ربع قرن. كان له في الوسط العلمي والأدبي التّونسي تأثير كبير إذ كان يدرّس القراءات والتّاريخ والأدب والحديث النّبوي. وكانت دروسه في شكل مفاوضات ومطارحات علميّة وكان يحضر مجالس السّلطان. كان إماما وخطيبا بجامع الزّيتونة وتولّى قضاء الجماعة بتونس مرّات عديدة بعد أن تولّى القضاء في مدن عديدة بإفريقيّة، كما عيّن صاحبا للعلامة الكبرى سنة 669 وتروى أشعاره خاصة في الوعظ والارشاد الأخلاقي.

وحين توفّي في عاشوراء سنة 293 رثي بشعر كثير جمع في دواوين.

1 ـ مقطوعة

(الكامل)

من كان يعلم لا محالة أنّه لا بدّ أن يُودى وإن طال المدى
هلاّ استعدّ لمشهدٍ يجزي به من قد أعدّ من اهتدى ومن اعتدى

المصدر: نفح الطّيب: ج 4، ص 321 ـ 322.

2 ـ نصائح

(البسيط)

يا منفقَ العمْر في حرصٍ وفي طمعٍ إلى متى؟ قد تولّى وانقضى العُمر؟
إلى متى في التّمادي في الضّلال أما تنبيك موعظةٌ لو تنفع الذّكرُ؟
بادرْ متابًا عَسَى ما كان من زللٍ وما اقترفتَ من الآثام يُغتفرُ
وجنِّب الحرصَ واتركْه فما أحدٌ ينالُ بالحرص ما لم يعطه القدرُ
ولا تؤمِّل لما ترجو وتَـحْـذَرُهُ من ليس في كفّه نفعٌ ولا ضررُ
وفوّض الأمر للرّحمان معتمداً عليه في كلّ ما تأتي وما تذرُ
واحذرْ هجومَ المنايا واستعدَّ لها ما دام يُمكنِكَ الإعدادُ والحذرُ

المصدر: درّة الحجال: ج1 ص 80 وعنوان الأريب: ج 1، ص 58.

3 ـ حساب النفس

(المتقارب)

أما آن للنّفس أن تخشعا ... أما آن للقلب أن يُـقْـلِـعَـا
أليس الثّمانون قد أقبلتْ ... فلم تُـبْـقِ في لذّة مطمعا
تقضّى الزمانُ ولا مطمعٌ ... لما قد مضى منه أن يرجعا
تقضّى الزّمانُ فواحسرتي ... لما فات منه وما ضُـيِّـعَـا
ويا ويلتاه لذي شيبة ... يُطيع هوى النّفس فيما دعا
وبعدًا وسحقًا له إذ غدًا ... يسمع وعظًا ولن يسمعا

المصدر: نفح الطيب: ج 4، ص 316 ـ 317 ، وعنوان الدراية: ص 121.

4 ـ هو الموت

(الطويل)

هو الموت فاحذر أن يجيئك بغتةً
وأنت على سوء من الفعلِ عاكفُ
وإيّاك أن تُمضي من الدّهر ساعةً
ولا لحظة إلاّ وقلبك واجفُ
وبادر بأعمالٍ تسرُّك أن تُرى
إذا نُشِرَتْ يوم الحساب الصحائفُ
ولا تيأسنْ من رحمةِ اللّه إنّه
لِرَبٍّ العباد بالعبادِ لطائفُ

المصدر: عنوان الدراية: ص 121 ونفح الطيب: ج 4، ص 316 ـ 317.

5 ـ صن النّفس

(الطويل)

صن النّفس واحملها على ما يزينها تعش سالما والقول منك جميل
وَإِنْ قلّ رزقُ اليوم فاصبر إلى غدٍ عسى نائبات الدّهر عنك تزول
يعزّ غنيّ النّفس إن قلّ ماله ويغْنى فقيرُ النّفس وهو ذليل
وما أكثر الأحباب حين تعدُّهم ولكنّهم في النّائبات قليل

المصدر: نفح الطيب: ج 4، ص 316 ـ 317. والأبيات تنسب أيضا لعلي بن أبي طالب مع 3 أبيات أخرى انظرها في ديوانه ص 104، طبعة بيروت، د. ت.

6 ـ رجاء

(الطويل)

وقالوا أما تخشى ذنوبا أتيتَها
ولم تك ذا جهل فتعذَر بالجهل
فقلت لهم: هَبني كما قد ذكرتمُ
تجاوزتُ في قولٍ وأسرفتُ في فعل
أما في رضى مَـوْلَى الموالي وصفْحه
رجاءٌ ومسلاة لمقترفٍ مثلي

المصدر: عنوان الأريب: ج 1، ص 68.

7 ـ يا صاحب الهمّ

(البسيط)

يا صاحب الهمّ إنّ الهمّ منفرجٌ | كم من أمور شداد فرّج اللّهُ
اليأس يقطع أحيانا بصاحبه | لا تيأسنْ فإنّ الفاتحَ اللّهُ
اللّهُ حسبُك فيما عذت منه به | وأين يأمنهم من حسبه اللّهُ؟
إذا قضى اللّه فاستسلم لقدرته | ما لامرئ حيلة فيما قضى اللّهُ
سلّم إلى اللّه فيما شاء وارض به | فالخير أجمع فيما يصنع اللّهُ

المصدر: نفح الطّيب: ج 4، ص 316 ـ 317.

8 ـ هلال الشّهر

قال في ابن صغير له رأى هلال الشّهر بصومعة جامع الزيتونة فرآه لعدول الرؤية فلما أخبروه بذلك أُنشد ارتجالا:

(الطويل)

توارى هلال الأفق عن أعين الورى
وأُرْخِي حجابُ الغَيْم دون محيّاهُ
فلما تصدّى لارتقاب شقيقه
تبدّى له دون الأنام فحيّاهُ

المصدر: عنوان الأريب: ج 1، ص 68.

عبد الرّحمان بن الدّبّاغ

(699 ـ 605)

أبو زيد عبد الرّحمان بن عبد اللّه الأنصاري الأسيدي القيرواني المعروف بابن الدّبّاغ مؤرخ وشاعر. ولد بالقيروان ونشأ بها وأخذ من علمائها ثم سافر الى تونس وأفاد من أساتذتها وأدبائها ثم رجع إلى مسقط رأسه حيث انتصب لتدريس العلوم خاصة الأدب والتّاريخ.

من تآليفه:

ـ معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان: طبع بتونس مرّتين.

ـ مشارق أنوار القلوب ومفاتح أسرار الغيوب: نشر ببيروت سنة 1959.

ـ واسطة النّظام في تواريخ ملوك الإسلام.

ـ جلاء الأفكار في مناقب الأنصار.

ـ سراج المتّقين المنتخب من كلام سيّد المرسلين.

1 ـ فخر

(الكامل)

إنّي امرؤٌ ذو همّة ملكيّة ... ما إن لها تحت الكواكب موضع
مالي إلى غير الفضائل مسلك ... يوما ولا دون المعالي منزع
أشبهتُ آبــائي الكرام فإنّهــــم ... أبدا بغير الفضل لَمْ يتضلّعوا
ما فيهمُ إلا بعيرٌ شاردٌ ... رقّ الندى، سمحُ اليدين، سمندع
وأبي أُسيدُ بنُ الحُضَير كفى به ... فخرا ومجدا فضلُه لا يُدْفع
ذاك الذي نزلت ملائكة السّماء ... لقراءة القرآن منه تسمع
وأضاءت المنساة[1] في غسق ... الدّجى من كفّه لَمَّا ادلهمّ المَهْيَعُ
نسبٌ كأنّ الصّبح منه تنفّست ... أنواره والشّمس منه تشعشع
من مُبلغ الأنصارَ عنّي أنّني ... أحمي الحمى وأذبّ عنه وأدفع

المصدر: معالم الإيمان: ج 4، ص 89 ـ 90.

2 ـ مقطوعــة

(الطويل)

كتبت «جلا الأفكار» في فضل معشرٍ ... بهم عزّ دينُ اللّه في الشّرق والغرب
إلهي فحقّق للأُسَيْدِيِّ ما رجا ... بتأليفه واغفر لنا سائر الذّنب
وبوبّه والقاري ومن هو سامع ... وكاتبه أعلى المقامات في القُرْب

المصدر: معالم الإيمان: ج 4 ، ص 89.

(1) المنساة كمكنسة ـ ومنسأة كمرتبة ويترك الهمز فيهما: العصا، وفي التاج: العصا العظيمة التي تكون مع الراعي.

نص نثري

في أقسام المحبة الجنسية والنفسية

اعلم أنّ المحبّة تنقسم إلى قسمين: أحدهما بحسب جنسها والثّاني بحسب ما في نفسها. أما قسمتها الجنسيّة فإنّها تنقسم أولا إلى ذاتيّة وعرضيّة، فالذاتيّة هي التي يُحَبُّ المحبوب فيها لذاته، والعرضيّة هي التي يُحَبُّ المحبوب فيها لغيره. أما العرضيّة فمنها محبة الإحسان وذلك كمن يُحِبُّ من أحسن إليه وهذا معْلُومٌ لا ينْكر، وكذلك ما فِي معنى الإحسان من جلب المنافع ودفع المضارّ والإعانة على الأغراض وتيسير المطالب. فالانسان مجبول على هذه المحبّة لأنّها مركوزة في طباعه، وإذ حاصلها يرجع إلى محبّته لنفسه التي جُبل عليها ولا يُشَكّ أنّ محبّة الانسان لنفسه وكمال وجوده ودوامه أمرٌ متحقّق، فجميع ما يُعِينه على ذلك من صحّة جسمٍ أو صلاح حال أمرٌ محبوب عنده مندرجٌ في ضمن محبّته لنفسه. ومن هنالك كانت محبّة الانسان لولده لأنّ فيه نوع خلفٍ منه عند فناء جسده إذ في بقاء النّوع ضربٌ من بقاء الشّخص، وولد الانسان أقربُ نوعه شَبَهًا به، ولهذا قالوا: "الولد سرٌّ أبيه"، فمن أجل هذا كان المحسن محبوبا لأنّه مُعِين على دوام البقاء الذي هو محبوب. قال عليه السّلام: "جُبِلَتْ القلوب على حبّ من أحسن إليها". وكذا محبّة الصّديق من أجل أنّه مُعين على جلب المنافع ودفع المضارّ، وكذلك أيضا محبّة المعلّم لأنّه سبب الافادة المكمّلة للوجود الانساني، ومحبّة الطّبيب لأنّه معين على حفظ صحّة الجسم ودفع المرض عنه، وجميع ما في هذا المعنى..

فهذه المحبّة كلّها عرضيّة، وكلّما كانت هذه الصّفة المحبوبة في شخص أتمّ وأدوم كانت محبّته لأجلها أدوم وأكمل، وبقدر نقصانها فيه تنقص المحبّة له. وقد

تتضاعف هذه المحبّة باستجماع هذه الخصال كلّها في شخص واحد وتُعْدَم بعدمها فيه، ولا يُشكَّ أنّ هذه المحبّة مجازية، لأنّ من أحبّ شخصا لصفة تعود منه عليه فما أحبّ على الحقيقة إلاّ نفسه. ومثل هذا يقال فيه أنّه محبٌّ لنفسه حقيقةً ولغيره مجازًا، وليس غرضنا يتعلّق بهذه المحبّة إذ حاصلها يرجع إلى محبّة الأجسام وبقائها، وقصدُنا صَرْفُ النّفس عن ذلك إلى ما هو أشرف، فهي ضدّ مقصودنا.

وأمّا المحبّة الذاتيّة ونعني بها التي تراد لذاتها فهي تنقسم إلي قسمين: أحدهما ما يُعقَل سببه والآخر ما لا يعقل له سبب. فالتي لا يعقل لها سببٌ هي محبّة المناسبة الخفيّة عن الأذهان، والتي يُعْقَل سببها هي محبّة الجمال والكمال الذاتيين للمحبوب. وقد انحصر مقصودنا من المحبّة إلى ثلاثة أقسام: محبّة الجمال، ومحبّة الكمال، ومحبّة المناسبة الرّوحانيّة. أمّا محبّة الكمال فهي مزادة للجمال إذ الكمال مظهر للجمال، وأمّا محبّة المناسبة فهي أيضا خارجةٌ عن مقصودنا من السّلوك إذ لا يُتوصل إليها بسبب مكتسب وإنّما هي شيء وُضع في الجملة بحسب القسمة الأزليّة فلا يُفْتقر فيها إلى طلبٍ ولا رياضةٍ، لكنّنا ننبّه على طرف منها من حيث الجملة لأنّها إذا وُجدت كانت أشرفَ أنواع المحبّة وأدومَها.

فصل: وأما أقسام المحبّة بحسب ذاتها فإنّها تنقسم بحسب المبادئ والغايات إلى عشرة أقسام: خمسة منها مقامات المحبّين السّالكين. فأوّلها الألفة ثمّ الهوى ثمّ الخلّة ثم الشّغف ثم الوجد. وأما مقامات العشّاق فأولها الغرام ثمّ الافتتان ثمّ الولَه ثمّ الدَّهش ثم الفناء. واسم المحبّة يشتمل على الكلّ إلاّ أن المحبّ لا يخلو إمّا أن يستعمل المحبّة أو تستعمله، فإن استعملها وكان له

فيها كسبٌ واختيار سمّي محبًا اصطلاحا، وان استعملته المحبّة بحيث لا يكون له فيها كسبٌ ولا اختيار ولا نظرٌ لنفسه بما تصلحه فهو عاشق، فالمحبّ مريد والعاشق مراد.

فصل: وأمّا الألفة فهي أوّل مقام من مقامات المحبّين، ومعناها ايثار جانب المحبوب على كلّ مطلوب ومصحوب ويستدعيها الانسان باستقراء محاسن المحبوب وإدامة الفكرة في لطافة شمائله وما هو عليه من بديع الصّنعة وغريب الحكمة الالهيّة، ويتأكّد ذلك بملازمة الصُّحبة وطول العشرة واستماع الأشعار المرقّقة للطبع التي تُدْرك فيها شمائل المحبوب وتدقيق الفكر في معانيها اللّطيفة.

واعلم أنّ أصل التّآلف التّعارف الأزلي في عالم الغيب، فمن تحقّقت نسبته هنالك ظهرت هنا، إذ العالم الأسفل ظلٌّ للعالم الأعلى، وهذه الأشباح أمثلةٌ لتلك الأرواح، فما من صورة في عالم الشّهادة إلا وهي مثالٌ لذات روحانيّة من عالَم الغيب، فإذا تحرّكت تلك الحقيقة هنالك لزم أن يتحرّك مثالها هنا، كما أنّ الظلّ تابع للشخص في حركته وسكونه، فالتّعارف هنا ثمرة ما هنالك.

(من الكامل)

بيْني وبينك ذمّةٌ مرعيّةٌ بدأتْ هناك وكان آخرها هنا

وهذه الألفة تكون عموما وخصوصا: أما العموم فهي نسبة تؤلّف جميع الموجودات لاشتراكها كلّها في نور الوجود المشرق عليها من مُوجِدِها.

(من الطويل)

خلقتُ ألوفا لو رجعتُ إلى الصّبى لفارقتُ شيبي مُوجعَ القلب باكيا[1]

(1) البيت لأبي الطيب: ديوان أبي الطيّب شرح العكبري، مصر 1963 ، ج 4 ص، 284

وأمّا الخصوص فهي التي يوجبها الاشتراك في أخصّ وصف الانسان وهي المعرفة المعبّر عنها بالايمان المنتج للمحبّة الحاصلة عن النّور التامّ، ولهذا كان المؤمنون بهذا الاشتراك الخاصّ كالجسد الواحد الذي إذا اشتكى منه عضو اشتكى سائره، إذ السرّ القائم بهم واحد فهم شيء واحد بذلك الاعتبار.

فصل: فأمّا مقام الخِلّة فمعناها تخلّل شمائل المحبوب روحانيّةَ المحبّ حتّى تتكيّف بها النّفس والرّوح وسائر الجملة الانسانيّة فتتحرّك أعضاء المحبّ عن إرادة المحبوب المتحرّك بها القلب فتستحيل المخالفة، كما قيل (من الخفيف):

وتخلّلت مسلك الرُّوحِ منّي ولذا سمّيَ الخليلُ خليلا
فإذا ما نطقتُ كنتَ حديثي وإذا ما سكتُّ كنتَ الغليلاَ

ولهذا قال عليه السلام: "المرء على دين خليله". يعنى أنّ الذي أشرق في هذا من النّور الإلهي هو الذي أشرق في الآخر لاتّحاد محلّهما فكان دينهما واحداً أي مطلوبهما وفهمهما الذي يدركان به الحقائق واحداً، ولا يكون هذا التخلّل إلاّ تابعا للصّفاء والخلوص الذي معناه زوال العوارض الزّائدة عن الذوات حتى تبقى مجرّدة واحدة فتنطبع فيها صورة الوجود الكلّي.

فصل: وأمّا مقام الهوى فمعناه ميل القلب بالكليّة إلى وِجهة المحبوب والإعراض عمّا سواه وتجريد القصد له في كلّ حين وصرف الهمّة إليه، وفيه تستحكم المحبّة وتشتدّ صورتها وينبسط سلطانها ويستولي لاعج الشّوق. ثمّ إنّ الهوى وإن كان وضعا لازما للمحبّ فهو بتجدّد النّظرات إلى الصُّور الجميلة، والمحاسن الرائقة النّبيلة، والشّمائل اللّطيفة المعاني، وفتور الألحاظ الذي يلْحق الطّليق بالعاني، فيجلب له الهوى من كلّ صوب، ويجدّد له الأشواق من كلّ ناحية وأوب، فهو رهين غرام، وأسير سقام. (من الطويل):

عيون المها بين الرُّصافـةِ والجـسْـرِ جلبْن الهوى من حيث أدري ولا أدري

أعَدْنَ لي الشَّوقَ القديمَ ولم أكن سلوتُ ولكن زدن جمراً الى جمرِ

فالهوى سلطانه يستعبد الأرْوَاحَ والأجساد، وتنقاد لعزّته القلوب غاية الانقياد، فلا يبقى له معها اختيار ولا مراد، ولا يصحّ الاتّصاف بالهوى إلاّ لمن خرج عن هواه، وآثر طاعة حبيبه على ما سواه، فلا يسمع إلاّ منه، ولا يتحدّث إلاّ عنه.

المصدر: مشارق أنوار القلوب: ص 30 ـ 35.

عبد الله بن هارون

(702 _ 603)

أبو محمّد عبد الله بن محمد بن هارون الطّائي الأندلسي التّونسي، شاعر ومؤلف ومدرّس، ولد في رمضان 603 بقرطبة ونشأ فيها وتعلّم وتكوّن خاصّة في الأدب ثمّ وفد إلى تونس واستقرّ بها طويلا يدرّس ويؤلّف وينظّم الأشعار. اشتهر بتآليفه : "اللآلئ المجموعة من باهر النّظام وبارع الكلام في وصف مثال نعلي رسول الله عليه الصّلاة والسّلام "ويحتوي على مجموعة من الأشعار تصف نعلي النّبي.

1 ـ تقريظ كتاب "الشفاء" للقاضي عياض

قال في كتاب "الشّفاء" للقاضي عياض :

(البسيط)

جَازَى الإِلَهُ العِيَاضِيَّ الإِمَامَ بِمَا
يُجْزَى بِهِ كُلُّ مَنْ يُحْيِى به الأَثَرُ

أَنْوَارُ ذِكْرِ الرَّسُولِ المُصْطَفَى ائْتَلَقَتْ
تَجْلُو الدَّيَاجِيَ مِنْهَا الأَنْجُمُ الزُّهُـرُ

شَمْسُ الضّحى أشْرَقَتْ مِنْ نُورِهِ وَذَكَا
مِنْ عَرْفِ رَوْضِ الرُّبَى للنَّاشِقِ الزَّهَرُ

سِـلْـكٌ بِهِ ازدانَ جِيدُ العلمِ وانتظَمَتْ
فِيهِ لجَامعِهِ اليَاقُوتُ والدّرَرُ

أَرْوَتْ ظِمَاءَ الوَرَى غُرُّ الغَمَامِ بِهِ
بِوَاكِفٍ لِلْحَيَا سَحَّتْ بِهِ الدُّرَرُ

جَدِيدهُ ليس يَبْلَى الذكْرُ منه على
مَرِّ الجَدِيدَيْنِ تُسْتَجْلَى بِهِ صُوَرُ

غَضٌّ يَلَذُّ على الأسْمَاعِ يَمْلَؤُهَا
مِنْهُ السُّـرُورُ إِذَا تُتْلَى لَهُ سُوَرُ

لِلَّهِ دَرُّ ذَوِي الأَلْبَابِ قَدْ عَمَرُوا الـ
أَعْمَارَ مِنْهُ بِمَا قَدْ بُورِكَ العُمُرُ

يُرَدِّدُونَ على الأسْمَاعِ ما قَرَأُوا
منْهُ فَيَا نِعْمَ مَا الدُّنْيَا بِهِ عَمَرُوا
الشَّعْرُ شاخ وكَلَّ الفكْرُ حين مَضَى
عَصْرُ الشَّبَابِ وَشَابَ الرَّأْسُ وَالشَّعَرُ
تَمْضِي الحياةُ وأبناءُ الزَّمَانِ بِهِ
فِي غَفْلَةٍ بِانْصِرَامِ العُمْرِ مَا شَعَرُوا
إِنَّا لَمِنْ بَشَرٍ جَلَّتْ ذُنُوبُهُمُ
وَاللَّهُ يَصْفَحُ عَمَّا قَدْ جَنَى البَشَرُ
الفَضْلُ وَالكَرَم الجَمُّ العَمِيمُ لَهُ
جَاءَتْ بِهِ لعَبِيد أَذْنَبُوا البِشَرُ

المصدر: برنامج الوادي آشي: ص 217 ـ 218.

2 ـ شكوى

(مجزوء الوافر)

رَمَانِـــي بِالنَّـــوَى زَمَنِـــي ... فَشَـمْـلُ الأُنْـــسِ مُفْتَــــرِقُ
وَلَيْلِـــي كُـــلُّـــهُ فِكَـــرُ ... فَقَلْبِـــى مِنْـــهُ مُحْتَـــرِقُ
وللآدَابِ أَبْـــنَــــــاءُ ... بِبَحْـــرِ الفَقْـــرِ قَدْ غَرِقُـــوا
وَكُـــلٌّ مِنْهُـــمُ وَجِـــلُ ... بِمَـــا يَلْقَـــاهُ أَوْ فَـــرِقُ
يَغَـــصُّ بِرِيقِـــهِ مِنْـــهُ ... كَمَـــا فِي النُّطْقِ أَوْ شَـــرِقُ

وَقَــــدْ صفــرَتْ أَكُفُّهُـــمُ فَـــــــلاَ وَرِقٌ وَلاَ وَرِقُ
وَلُطْـــفُ اللَّــــهِ مُرْتَقَـــبٌ بِــــهِ العَـــادَاتُ تَنْخَـــرِقُ

المصدر: **نفح الطّيب**: ج 5 ـ ص 201 ـ 202.

3 ـ مقطوعة

(الكامل)

لاَ تَطْمَعَنْ فِي نَفْعِ آلِكَ إِنَّهُ
ضَرر وَقَلَّ النَّفْعُ عِنْدَ الآلِ
أَقْصِرْ رُوَيْدَكَ إِنَّ مَا أَعْلَقْتَهُ
بِالآلِ مِنْ أَهْلٍ كَمِثْلِ الآلِ

المصدر: نفح الطّيب: ج 5 ، ص 200 ـ 202.

إسحاق بن حسينة

(ت بعد 707)

أبو ابراهيم اسحاق بن حسينة، من أبرز شعراء العهد الحفصي كان شاعر السلطان أبي يحيى بن اللّحياني وسافر معه في رحلته إلى الجنوب سنة 707 . واشتهر بوصفه لسبخة التاكمرت. نشأ بتونس واشتغل كاتبا بديوان الرّسائل وكانت تربطه بعبد اللّه التجاني صاحب الرحلة علاقة أدبيّة متينة. يتّصف نثره بالبلاغة والتّرف الفكري، وشعره بالرقّة واللّطف وحسن الدّيباجة.

1 ـ إخوانية

مما راسل به عبد الله التّجاني:

(الوافر)

أعبدَ اللّه فقتَ ذوي المعالي حباكَ اللّهُ أيّاما سعيده
ونلت منال آباء كرام لهم في المجد آثارٌ حميده
أردتُ إليك إرسالا بشعر لأسْمعَ من جوابك لي مديده
فإنّك مستمِدٌّ من بحور سواحلُها غدت منّي بعيده
فإن جاوبتَ عن نظم بنظم بعثتُ بقطعة أيضا جديده
فلا أبقى لأطلب منك نظما ولا أبقيتَ تطلب لي قصيده

المصدر: رحلة التّجاني: ص 171 ـ 172.

2 ـ سخا بنفسي

قصيدة خاطب بها السّلطان ابن اللّحياني عندما غادره راجعا الى تونس وودّع صحبه بالرّكب:

(البسيط)

سخا بنفسي على إيثار صحبتكم يومُ الوداع ومالي منكمُ خَلَفُ
إلاّ فؤادا كطير حلّ في شرَك ودمعةً مثلَ منهلّ الحيا تَكِفُ
أكُفُّها عن مجاريها فيبعثُها حاد من الوجد يُجْرِيهَا فلا تقفُ
خلالها زفرةٌ تشتدّ طالعةً تكاد من حرّها الأضلاعُ تنقصفُ
علمُ اليقين بأنّي إن صحبتكُمُ أردى وشيكا ولم يُمهلْنيَ التّلفُ

فقلت: ما صحبةٌ دَانٍ تصرمُّها بعدي بفرقة وقتٍ ماله طَرَفُ
وفي رجوعي رجاءٌ للبقاءِ به أرجو حصول التّلاقي حين تنصرفُ
فاختار عبدُك بعدًا بعده صلةٌ على اتّصال ببعد الدّهر يكتنفُ
فانظر بعين اعتبار ما أتيتُ به يُقِمْ لي العذرَ في عليائك النَّصفُ
واترك مقالة أقوام ذوي غرض يردّهم قصدُهم عن بعض ما عَرَفُوا

المصدر: رحلة التّجاني: ص 204 ـ 205 ومنها 5 أبيات بعنوان الأريب: ج 1 ـ ص 93.

3 ـ شكـوى

مدح عبد اللّه التّجاني وشكاه حاله فقال:

(الوافر)

أعبد اللّه قد حزتَ المعالي وفُقْتَ كبارَ أعلامِ الرّجال
مُلِـئْـتَ نباهةً ومُلِئْتَ علما وأكثرُ من ترى من ذاك خالِي
فأنت إمام أهل العلم طُرًّا لك التّقديم في هذا المجال
ولمّا أن أتاني منك كَتْبٌ سُرِرْتُ بأنَّ حالَـكَ خيرُ حال
وأن عمادنا في حال نُعْمى وقاه اللّهُ من عين الكمال
وأبقاه لإسداء الأيادي وتشييد المكارم والمعالي
وقلتم كيف حالكم وحالي وقد فارقتُكمْ بعدَ اتّصال
فحالي كلّها غمّ وكرب فوا أسفي لِما قضت اللّيالي
فدمع العين لا يرقا وقلبي له وجدٌ حكى وخزَ النّبال

وكنت أظنّ أمرَ الصّبر هيْنًا   وأنَّ الوجد عنّا ذو انفصال
وأنَّ فراقَكم يـبْـلَى فيُنْسَى   سوى ذكرى إذا خطرت ببالِ
فكان بعكس ما قدّرتُ فيه   فلا تبخَلْ بتكرير السّؤالِ
فقلبي لا يفارقُه التياعٌ   كما يَصْـلَى بِحَرٍّ النّار صالِي
فلولا أنَّ سِنّي لم يُـعِـنِّي   وأن بناءَ جسمي ذو اختلالِ
لكان الجسمُ عندكمُ كقلبي   ولم أحفِلْ بأهلٍ أو بمالِ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 232 ـ 233.

4 ـ سبخة التاكمرت

(الوافر)

قطعنا التّاكمرتَ سُرًى وسرنا   صبيحة يومنا حتّى الزّوال
فلا تسألِ لما قاسيتُ فيه   من الأهوال والكُرَب الثِّقالِ
عناء ليس يشبهه عناءٌ   يَضيق لديه متّسعُ المقالِ
وليل لا تسير به نجومٌ   كأنْ نيطت إلى بعض الجبالِ
وأرياح تصمّ الأذن منها   تهبّ عن اليمين مَعَ الشّمال
تصدّ عن طريق القصد قصدي   وتضرب حُرَّ وجهي بالرّمال
ولا أسْطيع فتحَ العين فيها   لبعض الأمر إلاّ باحتيالِ
وأجهدُ في دفاع النَّوم عنّي   لخوفي من سقوط أو ضلالِ
وما زلنا نكابد في سُرانا   مهالكَ لا تُقابَل بالمِحالِ

إلى أن لاحت الغابات ظُهْرا بظاهر تَوْزر مثلَ الخيالِ
فهنَّأَ بعضُنا بعضًا سرورا ونلنا راحةً بعد الكلالِ

المصدر: رحلة التّجاني: 156 ـ 157 وعنوان الأريب: ج 1 ص 93.

5 ـ بيت شعر

أوّل بيت من قصيدة خاطب بها السّلطان ابن اللّحياني يثنيه عن السّفر إلى المشرق ويطلب منه العودة إلى تونس:

(المتدارك)

عرّج يا صاحِ على الطّللِ واسكب أجفانك في الحِللِ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 192.

5 ـ يا نسمة الرّوض

قال مخاطبا عبد الله التجاني:

وأمّا قصيدتك القافية فلإشراق معانيها، واتقان أصولها ومبانيها، وعجزي عما يضاهيها، أغرت على كلّ ما فيها، ولم أغيّر منها غير قوافيها، ثم رددتها إليكم القهقرى، بعد أن جرى في أمرها ما جرى، وهي هذه:

(الكامل)

يا نسمة الرّوض الذي نظمت له زهرا تحلاّهُ يدُ الأمواهِ
سيري مبلّغة على شحط النّوى طِيب السّلام لمجد عبد اللّهِ

الفاضل الأسمى الرّضا الأسنى الذي حاز العلى والفضل دون مضاهي
وتحمّلي عنّي إليه تحيّة كالمسك أو ذكراه في الأفواه
وصفي الذي قاسيت بعد فراقه فلقد دهتني من نَـوَاهُ دواهي
اللّهُ - عبدَ اللّه - يعلمُ أنّني بوداد مثلك في الأنام أُباهي
وبعثتُ هذا الطِّرس نحوك قاصداً تقريرَ وُدٍّ فيك ليس بواهي
لا زلتَ في نِـعَـمٍ تُجَلُّ وعزّةٍ وعلوٍّ مقدار ورفعة جاهِ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 233 - 234، وعنوان الأريب: ج 1، ص 93 - 94.

أحمد التّجاني

(حي سنة 707)

أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن أحمد التّجاني شقيق عبد اللّه صاحب الرّحلة، كان ماهرا في التصرّف في المعاني الشّعريّة خاصّة في مدح السلّطان أبي يحيى بن اللّحياني الحفصي وقد اشتهر بيت التّجاني بالعلم وخدمة الأدب والكتابة الفنيّة وقرض الشعر.

1 ـ لأهل الحمى أصبو

قصيدة خاطب بها أخاه عبد الله التّجاني ومدح في آخرها السّلطان أبا يحيى زكرياء بن اللّحياني:

(الطويل)

لأهل الحِمى أصبو وإن جدّ لائمُ ... وإنّي على وِرد به الدهرَ حائمُ
وما القلب خال من هوى ساكنِ اللِّوى ... وإن أقفرت منهم وأقوتْ معالمُ
عليّ لهم جفنٌ من الدّمع مترَع ... وقلبٌ على حكم الصّبابة هائمُ
حمى الله قلبي كم يحنّ إلى الحِمى ... ويُطْرِبُه عهدُ اللّقا المتقادمُ
يحنّ اشتياقًا أو يحنّ صبابة ... إذا لاح ضحّاكٌ من البرق باسمُ
وإن غرّدتْ ورقاءُ في غَسَقِ الدّجى ... يميل بها غصنٌ من الأيك ناعمُ
تذكّرَ عهداً قد تقضّى نعيمُه ... كأنّ لياليه المواضي مواسمُ
ألا في ضمان اللهَ قلبي فقد غدا ... يشبّ عليه من لظى الشّوق جاحمُ
وبالنّفس أفدي جيرةً قد تحمّلوا ... فلا القلبُ مرتاح ولا الجفن نائمُ
نأَوْا فنأى صبرُ المتيَّم إثرَهُم ... وأيُّ اصطبار بعد حِبّ يلازمُ
سَرَوْا يقطعون البيد واللّيلُ عاكفٌ ... كأنّهم فيه نجومٌ عوائمُ
على كلّ فَتْلاء الذّراعين جسرة ... سواءٌ لديها سهلُها والمخارمُ
تباري عليها القفر جدّاً كأنّما ... قوائمُها عند النّجاء قوادم
جديليّة الآباء موثوقة القوى ... سليمة ما نيطت إليه القوائمُ

وِيا قاتَلَ اللهُ المطيَّ وإنّما نأت بأحبّائي المطيُّ الرّواسمُ
لقد خلّفوا من بعدهم ذا صبابة يروح ويغدو وهو بانٍ وهادمُ
إذا ما جرى ذكر العقيق جرت له دموعٌ حكت لونَ العقيق سواجمُ
فيا جيرةَ الوادي نداءَ متيّم تعدّى عليه الدّهرُ والدّهر حاكمُ
أعندكم أنّي على العهد ثابت إذا ضيّع العهدَ القديمَ مصارمُ
وأنّي على رَعْي الذّمام محافظٌ وأنّي على حفظ الوداد مداومُ
ويا مُزْمِعَ التّرحال تحمل كوره على بعدِ ما ينوي قِلاصٌ سواهمُ
لك اللّه عون والنّجاح موافق وبلّغْتَ في دنياك ما أنت رائمُ
تحمّلْ رعاك اللّه عنّي تحيّةً كما انشقّ عن زهرِ الرِّياض كمائم
تضوّعُ في وسط النّدي كأنّما تنشقّ مسكا من شذاها العراتم[1]
وإن صرتَ مجتازًا بأربُعِ دمّر ولاحت به للعين منك المعالمُ
فخُصَّ به عنّي شقيقي وإنّني بحكم النّوى والبعدِ فيه لراغمُ
وصفْ ما ألاقي بعده من تشوّقٍ ووجد غدت تنقدُّ منه الحيازمُ
تمثّله الأشواق لي فكأنّما وإن كان ناء بين عينيّ قائمُ
وما ظبيات ضرّم القيظُ لُوحها فهنّ على وِرد الشّراب حوائمُ
إذا لاح برق في عنان سحابة فهنّ لما يلتاح منه شوائمُ
رأت نطفةً زرقاءَ في قلب صخرة ممنّعةٍ قد غادرتها الحمائمُ

(1) كذا في الأصل ولعلّها البراعم.

يفيء عليها الظلُّ كلّ عشيّة وتسترها أغصان دوح نواعمُ
بِأعظمَ منِ شوقي لرؤيته التي بها أملي يدنو وسعدي يلائمُ
أأحبابَنا بالسّخط مِـنّـِيَ لا الرّضا عدتْني نجودٌ عنكمُ وتهائمُ
لقد طال هذا البعد واشتطّت النّوى وجار علينا الدّهر والدّهر ظالمُ
إذا ما تذكّرت اللّيالي التي مضت تخيّلتُ أنّي في ادّكاري حالمُ
أحِنُّ لمسرى البرق من نحو أرضكم إذا ما سرى واللّيل أسودُ ساحمُ
وكم هيّجتْ شوقي سواجعُ أيكَةٍ يجاوبها إلفٌ لها ويناغمُ
أطارِحُها رجعَ الحنين صبابةً وأُعْرِبُ عن وجدي وهنّ أعاجمُ
فيا ليت شعري هل يعودُ بقربكم زمانٌ نَعِمْنَا فيه والشّمل ناظمُ
ويا حبّذا دهر قضى باجتماعنا كريمٌ وأيّام تولّت كرائمُ
بحيث قطعنا العيشَ وهو مهنّأ ونلنا الأماني والزّمانُ مسالمُ
وكم قد أدرنا أكؤس المَنِّ والمنى علينا وما غيرُ السّرورِ منادمُ
فهل مبلغٌ ذاك السّرور الذي مضى سلامًا تؤديه الرّياح النّواسمُ
اذا حملته عطّر الجوّ عَرْفُــهُ كما خطرت يوما عليك لطائمُ
سقى اللّهُ صوب المزن أعلام دمّر وَرَوّى رُباه العارضُ المتراكمُ
ولا زال ممطورَ الثّرى مُخْصب الذُّرى تردّد فيه اللّحنَ وُرقٌ حمائمُ
اذا السّحب أذرى فوقه الدّمعَ أصبحت تضاحك للأزهار فيه مباسمُ
وما طلبي سقياه إلاّ رعايةً لمن حلّه والدّهر معطٍ وحارم
ومن أجل من حلّ الحمى يُذْكَر الحمى وإلاّ فما تجدي الرّبوع الطواسمُ

فيا نائيا عني ومثواه في الحشا ومِنْ أعجب الأشياء ناء ملازمُ
إلام نوًى لا يُستطاع احتمالُها وحتّى م بُــعْــدُ حَـوْلُـه متفاحمُ
ألا زورة تهدي الشّفاء على النّوى ويُــهْــدِي لنا منها المسرّةَ قادمُ
ومن ليّ باللّقيا ودون منالها فيافي تحامَى جوبَهنّ المناسمُ
أروح وأغدو والصَّــبَا متنسِّمٌ عسى خبرٌ يأتي به منك ناسمُ
وكم لي على بعدِ النّوى من تحيّة تحمّلها عنّي البروق البواسمُ
فيا ليتني طارت بِكوري على النّوى خواف شديداتُ القوى وقوادمُ
لأحظَى بحظٍّ لي برؤياك مقنع وانّي إذا ما نلت ذاك لغانمُ
أحنّ إذا ما مرّ ذكرك خاطرًا بقلبي كما حنّت نياقٌ روائمُ
عسى اللّه أن يدنِي إيابك عاجلا فيحسم هذا البعد والبين حاسمُ
وممّا يسلّي النّفس أنّك مُودَعٌ بحيث تحاماك الخطوب الهواجمُ
ومن يك بالمولى العماد اعتقاله فقد نَكَبَتْ عنه الدّواهي الرّواسمُ
همام توقّاه الأسودُ مهابة وتحسد كفّيه البحور الخضارمُ
عماد بني الدّنيا ومولاهم الذي يصادمُ عنهم من عدا ويصارمُ
من آل أبي حفص الذي قد غدا به حمى الدّين في أمن وذَلّ المراغمُ
حمى حوزة الإسلام قدمًا بعزمه فعزّت له باللّه تلك العزائمُ
لقد شمخت تلك الرّبوع بماجد نمته الى العليا جدودٌ أكارمُ
يقاسمه في ماله كلّ مجتد وليس له في مجده من يقاسمُ

ومنها في مدح ابن اللّحياني:

كريم إذا ما السّحب ضنّت بقطرها حليم إذا ما حفّ بالحلم راقم

يرى البخل عصيانًا إذا سال سائل كأنّ عطاياه فروض لوازمُ

يذكّر يوم الجود والرّوع حاتما وعمروا وَمَنْ عمرو لديه وحاتمُ؟

حوى قَصَبَ العلياء والغايةَ التي يُرَى كلُّ خلق دونها وهو فاحمُ

فمن كأبي يحيى ندى وشجاعة إذا أمّه عاف ودارت ملاحمُ

هوالجود حتى لو تخلّف مجتد لسارت إليه من نداه المكارمُ

لقد غاب عن ترشيش[1] إذ غاب أنسُها ولاقت من الأشواق ما لا تنادمُ

تغيّر منها كلّ حسن وأصبحت يلوح لها وجه من الشّوق قاتمُ

حياة أبي يحيى حياة بني الدّنى وآراؤه من كلّ خطب عواصمُ

فلا زال في عزّ وسعد مجدّد تقابله الأيام وهي خوادمُ

ودامْ على مرّ اللّيالي وكرّها ينادي مجيبا للمنى ويناديم

المصدر : رحلة التّجاني: ص 198 ـ 203، وعنوان الأريب: ج 1 ، ص 84 ـ 87 (بعض مقطوعات منها فقط).

---

(1) تونس.

أمّ عليّ التجانيّة

(القرن السابع)

أمّ عليّ وعمر ومحمّد وكلّهم شعراء، وزوج ابراهيم وهو أديب شاعر، وكانت تدرّس أولادها النّحو والشّعر والأدب. شاعرة مطبوعة على قول الشّعر عفو الخاطر تبثّ قصائدها الرّقيقة لواعج نفسها وبواطن حالها.

مقطوعتان

ـ 1 ـ

قالت ملغزة في اسم تميم:

(الطويل)

يقولون لي: هذا حبيبك ما اسمُـه؟
فما اسْطَعْت إفشاءً وما اسطعت أكتُم
فقلت: اسمه ميم وحرف مقدّم
فهذا اسم من أهوى فديتكم افهموا

المصدر: رحلة العبدري: ص 262.

ـ 2 ـ

قالت في صفة شعر:

(الطويل)

إذا انسدلت منه عليها ذؤابةٌ ... كغصن أراكٍ، عانقَ الغصنَ أرقمُ
أثيثٌ طويلٌ فهو يستر جسمَها ... إذا نَزعت عنه الملابسَ أسحمُ
كأنّ الصّباحَ ارتاع من خوفِ طالبٍ ... بثأرٍ فأضحى بالدُّجى يتكتّمُ

المصدر: رحلة العبدري: ص 262.

محمّد بن أحمد التجّاني

(ت في حدود سنة 710)

هو والد الرحّالة عبد اللّه. أخذ عن ابن الأبار وحازم القرطاجنّي وغيرهما من الأندلسيّين والعلماء والأدباء المقيمين بتونس. تولّى الكتابة في ديوان الانشاء ودرّس الأدب وكان يمدح السلّطان زكرياء بن اللّحياني.

1 ـ يا نسمة الفجر

كتب إلى السلطان ابن اللّحياني من تونس جوابا على رسالة منه:

(البسيط)

يا نسمة الفجر والأزهارُ قد روِيت ... ممّا أدار عليها الوابلُ السّاقي
والرّوضُ قد أمسك الإمساكُ منه ثرى ... نمّت عليه به أنفاسُ أحباق
ولا قرارة إلاّ قرّرت خبرًا ... بأن دارين منّا رأيَ أحداق
لو أنّه نَشْرُ طيبٍ للتّجارة قد ... سِيقت لطائمُه منه بأوساق
والنَّوْر تسري إلينا من محامده ... أنفاسُ ندٍّ ولكن دون إحراق
باللّه هُبِّي على ناد تبوّأه ... مَنْ للنّدى في يديه سحْب أرزاق
فإن ظفرْتِ بقربٍ منه فلتصفي ... بألسُنِ الوُرْق في الأوراق أشواقي
ولتسألي ليَ وعدا باللّقاء عسى ... وعد التّلاقي يَجْلي ما أنا لاقي
وقبّلي يا نجومَ الأفق راحته ... عنّي فبين الدراري قدرها الرّاقي
يا راحلين وقلبي راحلٌ معهم ... عنّي وإن كان لي جسم هنا باقي
لولا رجاءُ التّداني لم أعشْ زمنًا ... فردا ولا وُصِفَتْ بالصّبر أخلاقي
عسى اللّيالي التي بالبعد قد حكمت ... يُجْلَى دجاها من اللّقيا بإشراق
للّه رقعة مولى قد علقْت بما ... أولت من النّعمة العظمى بأعلاق
تضمّنتْ ذكر مملوك ووالده ... من مالك لهما بالفضل سبّاق
فالأمن واليمن والإقبال ما بقيت ... دنياهما لهما من أجلها باقي

المصدر: رحلة التّجاني، ص 194 ـ 195 وعنوان الأريب: ج 1 ، ص 80 ـ 81.

2 ـ مقطوعة

كتب يخاطب ابنه عبد الله وهو في رحلته:

(البسيط)

حمّلتمُ القلب إذ جدّ الرّحيلُ بكم … من الصّبابة ما لا تحمل الإبلُ
فلو سلكتم سبيل الحزم ما عجزت … إذّاك منّي على دفع النّوى الحِيَلُ
لكن عراني ذهولٌ يوم بينكمُ … كما يكابد مَنْ أحبابهُ رحلوا
فاللّه يجمع منّا الشّملَ عن عجل … فالخير أجملُ ما في نيله العَجَلُ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 117.

3 ـ على ذلك المجد الصّميم سلام

قال يمدح ابن اللحياني في صدر رسالة إليه:

(الطويل)

على ذلك المجد الصّميم سلامُ … كما فُضّ عن أذكى المُسُوك ختامُ
ومازجه نشر من الرّوض قد جرى … عليه نسيمٌ واستهلّ غمام
وإلاّ كما قصّ الرّواة حديثكم … ورُدِّد منه في النَّـديّ كلامُ
فكلٌّ يوافي عنكمُ بمحاسن … إذا كَلَّ عنها النثر ناب نظامُ
فكم قائلٍ قد شكّ إذ شمّ طيبه … أدارينُ أم دارٌ لكم ومُقامُ
فليت الصّبَا تُهْديه عنّي إليكمُ … وتشدو به فوق الغصون حمامُ
ولمّا توجّهتم وجدّت ركابكم … وَسُرِّحَ للجُـرْدِ العِـتَـاقِ لجامُ
أقمنا وللسّلوان عنّا ترحّلٌ … وللشّوق ما بين الضّلُوع مُقامُ

فلو كانت الآمال أجنحةً لنا   لطرنَا ولكن لا جَناح يرامُ
أمولاي كلّ النّاس يشكو بشوقكم   ولكنّني للمشتكين إمامُ
يذكّرنيكم كلُّ شيء رأيتُـه   جميل به يُعْنى وفيه يُهامُ
ولكنّني ألقاه في النّاس ناقصاً   وفيكم زيادات له وتمامُ
وبي للتّلاقي شوقُ سِـرْب ظوامئ   رأين قَراح الماء وهو جمامُ؟
وقد صدّها عن وِرده خوفُ صائد   فهنّ حيامٌ حوله وهيامُ
فيا ليتني أدري متى الدّهرُ مسعفي   بذاك فَتُشْفَى لوعة وغرامُ
أجاهدُ أشواقي جهادَك للعدى   فَكُلٌّ يلاقي الجيشَ وهو عرامُ
ولكنْ لك السّيف المصمِّم في الوغى   وسيفي في تلك الحروبِ كهامُ

المصدر: رحلة التّجاني: ص: 129 ـ 130 وعنوان الأريب: ج 1، ص 80.

4 ـ ألا أيها المولى

أبيات خاطب بها ابن اللّحياني السّلطان الحفصي:

(الطويل)

ألا أيّها المولى المبارَك سعيُه   تنبّه لما خُـوِّلْـتَـهُ من محاسن
كفيتَ قديما أهلَ قابس فتنة   غوتهم بسعي منك للنّجح ضامنِ
ولمّا أقمت الآن في يغمراسن   إقامة مجتاز به غير قاطن
وحسبي تلمسانُ التي أبصرتْ بها   عجائبَ صنع اللّهِ عينُ المعاينِ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 198.

5 ـ يا نفحة الزّهر

قصيدة خاطب بها الفقيه أبا محمّد عبد اللّه الأزدي العسيلي حين وروده على تونس:

(الكامل)

يا نفحة الزّهر الجنيّ إذا سرت ... غِبَّ انسكاب السُّحْب بالأمواهِ
زيدي بحمل شذا المسوك تعطّرا ... ثمّ اقصدي الأزديّ عبدَ اللّه
بتحيّة تصف التشوّق عن أخ ... عَقْدُ الوداد لديه ليس بواهي
وصِفِي له وصْفي له بمحاسنٍ ... هي حِلْيَةُ الأسماع والأفواهِ
القادم المتقدّم الحِبر الذي ... جلّت مناقبُه عن الأشباهِ
أدبٌ يهزّ السّامعين ومنطقٌ ... عذب وظرف حاز كلّ تناهي
وافى فكلَّلَ لفظُه أسماعنا ... بجواهر هي في البلاغة ما هي
اعلم ـ فُدِيتَ أبا محمّد ـ أنّني ... مَنْ نهاه عن السُّلُوِّ نواهي
إنّ التنائي والتّواصل ممكن ... داءٌ يعزّ دواؤه ودواهي
هبْ أنّ قربك عاق عنه عوائق ... إنّ الترسُّل للدُّنوّ مضاهي
ولقد بعثتُ لك النّظام لأنّني ... أدريه عندكمُ وجيهَ الجاهِ
فلعلّ فكرك أنْ يعلّلني بما ... يُهْدِيه من ذاك الطّراز الباهي

المصدر: رحلة التّجاني: ص 234 ـ 235.

6 ـ سلام من الربّ

(الطويل)

سلام من الربّ الرّحيم ورحمةٌ مجدَّدة تَتْرَى على عابد اللّه

وإنّي لمعمورُ الفؤاد بذكره إذا مَالَهَا عن ذكر أحبابه اللاّهي

فيا ربَّنا اجمع شمل أحبابه به فلا منية تُدْنِي الأماني إلاّ هي

المصدر: رحلة التّجاني: ص 294.

علي التجاني

(713 ـ 635)

أبو الحسن علي بن ابراهيم بن محمّد التّجاني من أشهر شعراء تونس في عصره. كان يدرّس الأدب واللّغة والبلاغة والشّعر والنّحو وعرف بأنّه "شيخ الأدباء وواحد البلغاء وزين النّاظمين الشعراء "تكون على أيدي أبويه ابراهيم وأمّه الشّاعرة والعالمة في النّحو. كان الثّاني عشر مدرّسا من آبائه وأحد شعراء عائلة التّجاني. وكان يقول الشّعر عفو الخاطر، قال عنه أحد النّقاد: "كان سريع البديهة في نظم الشعر، ربّما سبق الكاتب فيما يقترحه عليه النّاظم في أي عروض ورويّ .

1 ـ إلى ابني

قال مخاطبا ابنه الشّاعر الأديب أبا الفضل من طرابلس:

(الخفيف)

يا لساني عجزتَ عن وصف ما بي   من جليل الأوجال والأوصاب
وإذا لم يُـوَفِّ لفظي بحالي   ما عليَّ أن أخطّه في كتاب؟
لم تعادل مصيبتي بفراقي   أهـــلَ وُدّي مـصـيـبـتـــي بالشّـبـاب
قد تجرّعتُ بالنّوى كلَّ صاب   حسبيَ اللّـهُ ما أجلّ مُصَابِي
آه لم يدر ما العذاب فؤادٌ   لم يذق طعم فرقة الأحباب
وعسى من قضى بتقطيع قلبي   بالنّوى أنْ يلمّه باقتراب
أهلَ وُدّي إنّي على البعد مقيـ   ـمٌ موجَعُ القلب من أليم العتاب
وحياةِ الهوى، وطيبِ التذاذ،   وصفاءِ الرّضا، وحلـوِ التّصابي
إنّكم عن سمعي ولحظي   ونفسي وضميري، لستم من الغيّاب
فإلى ذلك الجمال اشتياقي،   وإلى ذلك الجناب انتسابي
اعلموا أنّني بخير ورفق   ونعيم ألقاه من كلّ باب
قد أتاني، والحمد للّه، لطفٌ   لم يدعني عند الأمور الصّعاب
كيف يخشى من الإضاعة عبدٌ   حلّ ضيفا بالمالك الوهّاب

المصدر: رحلة ابن رشيد، النشرة العلميّة: ص 273 ـ 274.

2 ـ جهل الرواة

(السريع)

إنّ الذي يروي ولكنّه يجهل ما يروي وما يكتُبُ
كصخرةٍ تنبع أمواهُها تسقي الأراضيَ وهي لا تشرَب

المصدر: بغية الوعاة: ج 2 ، ص 141.

3 ـ صديق كالدّينار

(الوافر)

صديقُ المرء كالدّينار طبعا وكيف يخالف المرءُ الطّباعا؟
تراه ما أقام يقيم جاهًا وإن فارقته أجدى انتفاعا

المصدر: رحلة العبدري: ص 261.

4 ـ ذياع السرّ

(السّريع)

يا من إذا أُودع سرّاً فلا دينَ له عن نشره يردعُه
كالبوق إن أُوْدَعَ فيه فمٌ ألطفَ ريحٍ ذاع مستودَعُه

المصدر: رحلة العبدري: ص 261.

5 ـ مثال نعل النبيّ

قال في مثال نعل النبيّ :

(الكامل)

لمثال نعل الهاشميّ محمّدٍ جادت جفوني بالدّموع الرّغَّف[1]
وبكاي من فرط الأسى وَلَوَ انّني أقضى وحقٍّ جلالِه لم أُنصف
أوطأتُه خدِّي، وقلتُ: تعزّزي ما شئتِ، يا نفسي، بهذا واشرفي
وتمسّكي أبدا بحبّ محمّدٍ فعساك أن تنجو به في الموقف
صلّى الإله عليه ما جنّ الدّجى وبدا النّهار ولاح نجمٌ أو خفي

المصدر : ملء العيبة: ج 2 ، ص 199.

6 ـ هجو

قال يتفكّه في بخيل:

(الوافر)

رغيفُ أبي عليّ حلّ خوفًا من الأضياف منزلَة السِّماك
إذا كسّروا رغيف أبي علي بكى يبكي بكاءً فهو باك

المصدر : رحلة العبدري: ص 262.

---

(1) أرغف: أسرع في السير.

7 ـ الفخر للدّراهم

قال مخاطبا الدّهر:

(الطويل)

بماذا رشاك الجهلُ حتى خدِمتَه
وأعززتَه فالعلمُ للجهلِ خادمْ
وقد كان فيكَ الفخر بالمجد والنَّدى
فزال فليس الفخرُ الا لِلدَّراهِمْ؟

المصدر: سبك المقال. مخطوط

8 ـ أهل طرابلس

(المتقارب)

لأهل طرابُلْس عادةٌ من البرّ تُنْسي الغريبَ الحميما
حلَلْت بها مكرَهًا ثُمَّ إذ أقمتُ بها أبدلوا الهاء ميمَا

المصدر: رحلة التّجاني: ص 258 ، وعنوان الأريب: ج 1 ، ص 87.

9 ـ حبّ الدينار

(الوافر)

يهيم النّاسُ بالدّينار حبّا وما فيهم سوى من يصطفيه
فذو الوجهين عندهمُ وجيهٌ[1] وذاك نقيضُ ما قد صحّ فيه

---

(1) يعني قوله صلى الله عليه وسلّم: ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها.

المصدر: رحلة العبدري ص 261.

10 ـ أنكد ما في الدّهر

(السّريع)

أنكدُ ما في الدّهر إذلالهُ حرّاً لنذل يبتغي ما لديه
والنّذلُ معذورٌ على بخله من هو لولا عَـرَضٌ في يديه؟

المصدر: سبك المقال مخطوط.

محمّد بن إبراهيم التجّاني

(توفي بعد سنة 717)

أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن محمّد بن أبي القاسم التّجاني أخو عليّ وعمر الأديبين الشّاعرين، ولد بتونس ونشأ بين أيدي والديه الأديبين الشاعرين فأخذ عنهما الأدب واللّغة والنّحو.

كان كاتب العلامة لأبي زكرياء الحفصي، وكان نديما للمستنصر بالله الحفصي وصديقا لأشهر أدباء تونس في عصره أمثال محمّد بن الأبّار وحازم القرطاجنّي وعلي بن سعيد وأحمد الغسّاني وأحمد اللّياني، كان يعقد معهم مجالس الأنس والشّراب. ويتبيّن مما بقي له من النّماذج الشعريّة أنّه في مستوى أبلغ شعراء الأدب العربي وأرقّهم. يختلط اسمه باسم سميّه ابن عمّه محمّد بن أحمد والد عبد الله صاحب الرّحلة إذ جاء ذكره في المصادر منسوبا إلى أبيه إبراهيم ولعلّه أكبر في السنّ من أخويه علي وعمر.

1 ـ قطف باللحظ

(البسيط)

قطفتُ باللّحظ من بستان وجنته
تفّاحةً ضرّجتْها حمرةُ الخفَرِ
وقلت: هذا أمانٌ من قطيعته
فالشّرع قد نصّ أن لا قطعَ في ثمرِ

المصدر: الوافي: ج 2، ص 15 ـ 16.

2 ـ جذوة قابس

كتب بالاشتراك مع أبي عبد اللّه محمّد بن يحيى بن أبي بكر بن هَمُشْك التِّنْملي إلى ابن مكّي أمير قابس يطلبان منه هديّة:

(الطويل)

وأورقَ[1] منســوبٍ لـغـابـة قـابـس ... بقلبيَ من ذكراه جذوةُ قابِسِ
يردّد فوق الباسقات هديلَه ... فيُرقِصُ أعطافَ الغُصون الموائس
فكم صَفَّقَتْ أجناحُه وهو طائر ... كتَصْفِيقِ دارٍ للتَّلاَحين دارس
يُريك من المَرجان حُمرَ أناملٍ ... ومن رائق الفيروز زرقَ ملابس
ويَنظُر عن ياقوتتين تودّ لو ... حوتْهنّ أجيادُ الحِسَانِ الأوانس
إلى مثله تصبو النّفوسُ محبّةً ... ففيه غِنًى عن مطرب ومُجَالِسِ
عسى ابن هَمُشْكٍ أن يرى ما نَرى به ... فليس وإن شطّ المزارُ بآيس

(1) أورق: مذكر ورقاء حمامة يضرب لونها الى الخضرة وتشبّه بها النّفس.

ولِمْ لا ولي عند ابن مكّي الرِّضا ذخيرةُ دارٍ رسمُها غيرُ دارس
سَيُهْدِي مع الملاّح زوجين منه أو سيبعث لي زوجين صحبة فارس
فكم من كريمٍ أقبلتْ منه تحفةٌ على نأي دار واتّصالِ بسابس
فوجِّه أبا مروان لي متفضّلا به فلقد عُوِّدْت بذلَ النّفائس
يسلّي همومي حسنُه وغناؤُه فيُصبح من بعد الحبيب مؤانسي
عليكم سلامٌ من محبِّكمُ الذي يُحلّي بعلياكم صدورَ المجالس

المصدر: القدح: ص 105 ـ 106.

3 ـ تورية

(مجزوء الرجز)

كم قلتُ إذ عذّر مَنْ كان الفؤادُ منزله
وعُطِّلَتْ من فَتْكها تلك العيون الغزله
يا أشعريَّ خدِّهِ إنّي من المعتزله

المصدر: الوافي: ج 2، ص 15 ـ 16.

4 ـ سلام

قال كاتبا إلى صديقه ابن هَمُشْكَ التّنملي:

(السّريع)

بلّغ سلامي يا أبا القاسم لابن هَمُشْكٍ أوحدِ العالَم
التّنمليِّ أكرمْ به من ذي اعـ تقادٍ سالفٍ سالم
وفي الزّجاجات وإهدائها ما شئتَ من سعدٍ له قائمِ

من بلد الحُبْشان قد أُهديَتْ للعربيِّ الفاضل العالم
فأقدم الرسلَ عليه بها حثًّا فجاءت تحفةَ القادِمِ
والكتبُ تأتيه جواباتُها خطوطُها تُذْرى على الرّاقم

المصدر: القدح: ص 105.

5 ـ استجازة

قال مخاطبا ابن الأبار طالبا منه الاجازة:

(الخفيف)

إن رأى سيّدي الذي حاز في العلـ ـمِ مع الحلم والعلا كلّ غايهْ
وحوى المجدَ عن جدود كرامٍ كلُّهم في السّماح والفضل آيهْ
أن أُرَى عنه بالإجازة أرْوِي كلَّ ما فيه لي تصحُّ الروايهْ
من حديثٍ وكلّ نظمٍ ونثرٍ وفنون له بهنّ درايهْ
فله في ذاك الثّوابُ من اللّـ ـهِ ومنّا الثّناءُ دون نهايهْ
دام في رفعةٍ وعزٍّ وسعدٍ وأمانٍ ومُكْنةٍ وحمايهْ
ما تولّى جيشُ الظّلام هزيمًا وعلَتْ للصّباح في الأفْقِ رايهْ

المصدر: نفح الطيب: ج 4، ص 120 ـ 121.

أبو الفضل التجاني

(718 ـ 657)

أبو الفضل محمد بن أبي الحسن علي بن ابراهيم بن محمد التّجاني شاعر وكاتب بديوان الانشاء ثم رئيس له سنة 707. من تآليفه:

ـ ديوان شعر لنا منه عدد من القصائد حفظها لنا ابن رشيد وعبد الله التّجاني في رحلتيهما.

ـ حشر الأمم الخالية ونشر الرّمم البالية في التّاريخ.

ـ الناسم في تاريخ السّلطان الحفصي أبي يحيى زكرياء بن اللحياني.

ـ الحلى التّجانيّة والحلل التّجانيّة: في التّرجمة لآل التّجانيين.

1 ـ إلى أبي

قال مجيبا والده أبا الحسن علي في رسالة:

(الخفيف)

يا فراقَ الأصحاب والأحباب قُدْتَ نحوي الأوصابَ من كل باب
أنت شكواي إن أطلتُ اشتكائي، أنت بلواي إن ذكرتُ مصابي
ما أقاسيه منك قلبي يدريـ ـهِ وتدريه لوعتي واكتئابي
زفرةٌ إثر زفرة، وولوعٌ في فؤادي، وحرقةٌ في التهاب
أنا للّه أشتكي ما ألاقي وأقاسي، فقد تعاظم ما بي
وأتاني من التفرّق أمر، عذّب القلبَ، فهو سوط عذاب
ما أتيت الزّمان منّي بذنب فيقيم النّوى مقامَ العِقاب
ويشبّ القلب المعذّب نارا تترك الصّبر من وراء حجاب
غيرَ أنّي شرّفتُه بمقال ومعانٍ زانتْه من آداب
فلماذا يا ليت شعري، جفاني، وسقاني من كأسه كلّ صاب
إنّها الحيرة، الذين تناؤوا عن جفوني وذكرهم في اقتراب
بنتمُ بالشّباب عنّي، فعودوا أو أعيدوا عليّ منكم شبابي
شاب رأسي، واسودّ صبحي فما أحْـ ـوج رأسي من صبغة لخضاب
أقْبسونا من نوركم، إنّنا من ذلك النُّورِ لم نزل في ارتقاب
والحظوها، لكم رسالة عانٍ ليس يُجْديه غيرُ ردٍّ الجواب

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلميّة: ص 274.

2 ـ شوق

كتب الى ابن عمّه عبد اللّه التّجاني معبرا عن حنينه إليه:

(مجزوء الرمل)

لمع البرقُ فشمتُه — وبدا سرٌّ كتمتُهْ
وَسَرَى نحوي بسرٍّ — وبمعنى ما فهمتُهْ
مُعْلِمًا خلعةَ وُدّ — من وداد قد علمتُهْ
كاشفا عنّي قِناعًا — بدموعي قد رَقَمْتُهْ
همل الدمع لبرق — بلظى ناري وَسَمْتُهْ
وأطار القلبَ منّي — وبوُدّي لَوْ زَمَمْتُهْ
فهو للوجد مضيف — وعلى الشّوق ضممتُهْ
أفرد التّركيب بالتحْـ — ـليل لمّا أن قسمتُه
فلديّ الجسمُ والقلـ — ـبُ لدى خلٍّ عدمتُه
سار شرقا فمدحت الشـ — ـرقَ من غرب ذممتُه
ثمّ حيّاني بروْحٍ — وبريحان شممتُه
بكتاب صحّ في الوُ — د دليلا فأقمته
كم سرحت الطرف مرْ — تاحا إليه ولثمْتُه
رُسِمت أحرفُه فيـ — ـهِ خلوصا قد رسمتُهْ
يعلم اللّه اعتقادا — واتّحادا ما حرمتُه
وانتسابا وانتصابا — لهوى منّي أدَمْتُه

وبعـين القـرب فـي سـنّ الهـوى بـالنّفـس سمتُه
فإذا صـحّ بـشـيء فهـو مـا بـيّنـت رمتُه

المصدر: التجاني: ص 221-222 وأبيات منها في عنوان الأريب: ج 1 ص 89-90.

3 - روض كما شاء الرّبيع

قال مادحا أحد الوجهاء وكنيته أبو الحسن:

(الكامل)

روض كمـا شـاء الرّبيـع مدبّـج وأزاهـر مسـكيّهـا يتـأرّج
وخمائـلٌ خضـرٌ حكـين كتائبا راياتُـهـا ظـلّ عليهـا سجسـج
والأرض تَكْشِفُ للعيـون جمالَـها مثـلَ العـروس لبعلها تتبـرّج
وقـد اكتسـت من سندسي نباتها حـلـلا تريـك الحسنَ ممّا يُنْسج
والزّرع والنّعمـان فـي أثنائـه بُسُـطٌ يزيّـن حشوُهـا ويبهـرج
تحكـي شقائقُـه خـدود معاشـق هـي مـن دمـاء العاشقين تضرّج
والزهـرُ فـي أعلـى الثّمـار كأنّه زُهر، وتلـك على الحقيقـة أبرج
أو كالعرائس، والغصونُ قدودُها والزهـر درّ مسْطـح ومدحـرج
تجلي من الأوراق في حلل لها مـرأى يـروق الناظريـن ويبْهِج
مهما ثنت من قضبها أعطافَها وشـدت عليهـا ساجعـاتٌ تَهْزج
أنستك أعطافَ الغواني وازدرت بنسيـب من يُغْـري بهن ويلهج
ما كلّلت من نَوْرِها أغصانها إلاّ ليفسـخ عقدُهـا والدّملج
كلاّ ولا أهدت لنا أرواحَها إلاّ لـيُنْسَـخَ عطرُهـا المتـأرِّجُ

ساد الفصولَ ربيعُها فكأنّه ... مَلْك بأزهار الرُّبى متتوّج

أو كالغلام وقد تكامل حسنُه ... والخدُّ وردٌ والعِذارُ بنفسج

لُقِحَتْ جميعُ ثماره فكمامها ... شبْه الكُرات، وكلُّ غصنٍ صولج

فأجِلْ بملعبه خيولَك لاهيا ... واركبْ خيولَ الأنس ساعة تُسْرِج

وادلج عشاياه، ففي إشراقها ... نُورُ الحياة وسرُّها المستَخْرَجُ

لا تُثْنِ عزمَكَ عن نديمك، واقتبس ... من كفِّه نارا بها تتأجّج

حيث الأباطحُ والرُّبى في حلّتي ... نَورٍ ونُورٍ، صبحُه متبلّج

والنّهر كالسّيف الصقيل يلوح أو ... كالصِّلّ ساعة يلتوي ويعرِّج

وتخال ذاك النّهرَ شبْهَ الدّهرِ في ... حاليه فهو مقوَّم ومعوَّج

وإذا اعترت ظُلَمُ الهمومِ فجلِّها، ... وذبالُ كأسِك في يمينك مُسْرَج

ومتى خَشِيت من الزَّمان فلذ بمن ... يحييك من عدوانه ويفرِّج

ومنه في وصف المدوح:

ذات معظَّمَةٌ، ومجد طائل، ... وحلا مكرّمة، وحسن مُبهِج

ومكارمٌ أحيا بها آباءه ... كرما، فمن هو حاتم والحشرج؟!

يا من تعجَّب من مكارمه التي ... يتموّل الغادي لها والمدْلِجُ

صحّت مقدمتا الأصالةِ والجدا ... عند القياس له، فلمْ لا ينتج؟

لِمَ لا تعمّ الخلقَ جدواه؟ وفي ... كلتا يديه زواخرٌ تتموّج

فمتى رأينا قبل رؤية كفّه ... كفّا بها لجج النّدى تتدحرج؟!

إن ضَلَّ عن سبل الفضائل سالك ... فله إلى سُبْلِ الفضائل منهجُ

قلم على الإقليم طاعة أمره ... فإلى أوامره السّديدة يزعج

وإصابةٌ في الرأي والنّطق الذي ... في موقف الإقناع لا يتلجلج

وإذا أقام الرأي من هو كامل، فالرأي منه كامل لا يخدج
إيه بنفسي من خمولي لوعة، ولها من الزَّمن البخيل مهيّج
سأبوح بالشَّكْوى وأُنْهيها لمن في البَوْح بالشَّكْوَى إليه تفرّج
وأريح نفسي بالكلام لعلّها يُقْضى لها فرجٌ بذاك ومخرج
ما للزّمان يسومني صبرا؟ وفي الـ أحشاء منه توقدٌ وتوهّج
ويروم منّي أن أريم مُنَكِّبًا عن ذمّه، وهو الذّميم المُحْرِجُ
يا سائلا عنّي وعن أحداثه. هل يدفع النّيران عنه العَرفج
ألقيت في دهري سلاحي ذلّة، فمتى أردّ الدّهر وهو مدجّج؟
وعلمت حقّا أنّه لي مدرك ولوّ انّ مركبي الضبيب وأعوج
كيف السّبيل إلى ورود مطالب أضحت بأقذاء القواطع تمزج؟
ما زلت أعجب من تحوّل حالتي، إذ لم أزل في كلّ طور أخرج
أخفى وأظهر تارة، فكأنّني بصحيفة العلياء سطر مُدمَجُ
لولا ابن يحيى، وهو لي أسنى المنى، ما كان لي نحو الحياة معرّج
صدّقت ظنّي حين لذت بجاهه أنّي إلى أفق المعالي أعرج
وأنال قصدي من علاه، ومن يلذ بجنابه فلغيره لا يُحوَج
هو من تفتّح بابه للمرتَجِي، فلذاك باب ثنائه لا يُرْتَجُ
وأنارت الأمداح لمّا صغتُها حلْيا له، فالحقّ فيها أبلج
أهديتها مثلَ العروس، وحليها تلك الحلى، وجميل قصدي هودج
وعليّ أن أُهْدِيكها، وعليك أن تهدي قبول هديّة لا تَسمُج
هذا ثناؤك قد بعثت به وفي أثنائه من صدق ودّي مدرج
لا زلت في حلّ وفي سفر تَرى، ما تبتغيه، ولا أخافك مرهج

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلميّة: ص 265 ـ 267.

4 ـ بحقك أعلمني

قال مادحا الرحالة ابن رُشَيد مجيبا إيّاه على قصيدة نظمها فيه:

(الطويل)

بحقّك أعلِمْنِي حقيقة ما تُبْدِي أهذا الضُّحى الوضّاحُ، أم قمرُ السَّعدِ
فما روضةٌ بالحَزْنِ للمزن عندها يد قصّرت عن ألسن الشُّكرِ والحمد
تُفَتُّ عليها من ثراها لطائمُ من المسك، لا كالندّ والعنبر الورد
وتَسْرقُ من ذاك الشّذى نسمةُ الصَّبا فتُنْشق من قرب، وتنشق من بعد
دعاها هواءٌ للهوى فكأنّما تعانقت الأغصانُ من شدّة الوجد
وقد نثرت أزهارها عندما التقت كما تَنثُر الحسناءُ منتظمَ العقد
وسامتَ وجهَ الشّمس غيْـمُ مفرّقٌ كما تبصرُ الخيلانُ في صفحة الخدّ
وألقى على بُسْط الرّياض ضياؤها دنانيرَ نَوْرٍ ليس تحصر بالعدّ
وأضحى حَمامُ الأيك يشدو مغنّيا مغاني شكري، ما لمجدك من وردي
مآثر من قرطاسك المونق الذي غدا روضةَ الأفهام بل جَنّةَ الخُلْدِ
تضمّن من أبياتك الغرّ قطعةً لها موقع في النّفس أحلى من الشّهد
وأورد من سلسالها العذب كوثرا على ظمإٍ منّي إلى ذلك الوِرد
وحيّاك من حيّا بورْد، وما على ربيع المعاني أن يُحَيِّيَ بالورد
خطبتَ ـ فدتك النّفس ـ منّي عقيلة بشكرك تستغني عن المهر والنّقد
وأمهرتَها محض الوداد، ولم يكن ليُطْلب أنهى منه في مثل ذا العقد
وها هي تبغي منك عينَ الرّضا فجد عليها بما تبغي، وعَدِّ عن النّقد
وزد يا محبَّ الدّين منّا محبّة ويا ابن رُشَيد لا برحت أخا رشد

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلميّة: ص 277 ـ 278.

5 ـ تقديم الأصفار على الأعداد

قال مخاطبا لبعض من أخّر عن خطّته وقدّم غيره في مرتبته:

(الرجز)

إن أخّروك وقدّموا من آثروا ... هذا وهم في نسبة الأضداد
لا تقلقنّ فإنّما تقديمهم ... تقديمُ أصفار على أعداد

المصدر: رحلة ابن رشيد، النشرة العلميّة: ص 273.

6 ـ شكوى

قال أبو الفضل: صرفني صارف من الدّهر عن رؤية بعض الكبراء مع ترادف العلل فخاطبته بهذه الأبيات ليفهم منها غير معنى الغزل:

(البسيط)

قولا لعلوة: إنّي بعد فرقتها ... أمسي وأُصبح لا ألوي إلى أحد
وعرّفاها بقلبي أنّها سكنت ... فيه، كسكنى الهوى والشّوق في خَلَدِ
وإن يكن عاقني عن وصلها قَدَرٌ، ... فحبّها ذاك، لم ينقُصْ ولم يَزِدِ

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلميّة: ص 271.

7 ـ برق أنار

(الرجز)

برقٌ أنار فهاج عندي النّارا ... وأثارها مذ ذكّر الآثارا
وأسال أمطارَ الدُّمُوعِ فلم يَبَنْ ... هل ذاب قلبي عندها أم طارا؟
فغدا لخفق البرق قلبي خافقا ... متقلّبا ما أن يقِرُّ قرارا
أُمْسِي تذكّرني رسوما باللّوى ... أقْوتْ، وَجَارًا لي بسلِعَ جارا

ومغانيـــا، ومعانيـــا قضّيتهـــا   هـــي كانت الأوطانَ والأوطـــارا

يا بـــينُ قد بيّنتَ ماأخفيتُ من   وجــدٍ أجــدّ فأوضـــح الأسرارا

أظهـرتَ منـــه فوق ما أضمرتُـــه،   وتركـــت سرّي في الورى سيّارا

وازداد بـــي شـــوق، فلو لم تُـبْدِهِ   أبداه دَمْـــعٌ قد جـرى مِـدرارا

أخفيتُـــه مـــا اسْطَعْت قبلَ فراقنا،   وسدَلْـــتُ دون حديثـــه أستـــارا

وظننتُ أنَّ الحُـــبَّ طـــورٌ واحـد   فأبـــان لـــي بعد النَّـــوى أطوارا

للّه وقـــتٌ بالعُذَيْـــبِ قطعتُـــــه   أنسانِـيَ الأوقـــات والأعصـــارا

واصلـــتُ فيـــه الوصل دون قطيعة   وجنيـــتُ من روض المنـــى أزهارا

ونعمـــتُ فيه بمن أُحِبُّ، ولم أَخَلْ   ذاك النّعيـــمَ يُـديلُني إسعارا

وَهُـــمُ الأحبّـــة أنعمـوا بنعيمهم   أو أضـرمـوا بين الجوانح نارا

غابـــت ديارُهُـــم فَلَمْ أَقْـدِرِ لهم   إلاّ بأن صيّـــرت قلبِـيَ دارا

وجعلتهمْ نَصَـبّـــا لإنسانـــي وإنْ   حُجِبَتْ دمـــوع قد جريـــن غزارا

يا حاديـــا بل حانـــدا عن لعلـــع   ورُبَى العقيـــق، أما نويـــت مزارا؟

يمّمـــتَ غربا، والغـــرامُ مشـرّقٌ،   فتركتَ بحـــر مدامعـــي زخّـــارا

أوَ ما رفقـــتَ بهـــا ضعائنَ لم تـزل   ترمـــي بهـــا الأنجادَ والأغوارا

حمَلَـــتْ قلوبـــا طائـــراتٍ فوقها،   قد صيّرت أكوارهـــا أوكـــارا

لولا الـــذي صحبتْه في فلواتهـــا   رامـــت إلى مغنى الحبيـــب مطارا

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلميّة: ص 264.

8 ـ وصف الدّهر

قال في وصف الدّهر وبنيه، والتزم ما لا يلزم:

(البسيط)

ما أجْوَرَ الدّهر إلاّ أنّني رجلٌ … قَطَعْتُ باليأس منه عندما جارا
جاريتُه طلقا خَبِراً، فأطلعني … على تنقّصه من بعد ما جارا
وقد نظرت بَنِيهِ، واختبرتهمُ … فعندما زرتهم ألفيت أحجارا
فلا أصادق من أبنائه أحدا … لو كان طوع يدي، أو كان لي جارا

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلميّة: ص 271.

9 ـ يومٌ بقابس جنّة الدّنيا

قال يصف احدى عشياته بساحة عنبر وهي مكان بين مدينة قابس والبحر:

(الكامل)

اذكُر عشيّتَنا بساحة عنبرِ … والجوُّ يُتْحِفُنا بنكْهة عنبر
حيث النّخيلُ عرائسٌ بَسَط الحيا … بُسُطَا لها من أخضرِ أو أصفرِ
والشّمس تستحيي فتستر وجهها … عنّا بسترِ للعروس محبَّرِ
والنُّور بين مفضّضِ ومذهّب … والنُّوْر بين مدرهم ومدنّرِ
والنّهر والغُدُرُ ادّرعن تَحَصُّناً … إذ صُفَّت الغاباتُ صفّ معسكرِ
والبحرُ يَرمقنا بمقلة أزرق … والبَرُّ يرمقنا بمقلة أعْفَرِ
في جنّة لو نلتُ من خُلد بها … قصدي بلغتُ إلى النّعيم الأكبرِ
ومحلّ أنس قلْتُ بين رياضه … برياضة قادت لأبهى منظرِ
ملْنَا بمنعرج المصلّى نحوه … حَذَرَ الرّقيب ولَيْتَه لم يَحضر

وجـرى لنـــا فيــه حديـــثٌ كلُّه لطــفٌ حضرنا منه أطيَب مَحْضرِ
تجــري أحاديثُ الصّبابة والصّبَى بأرقّ مــن مَسْرَى الصبّا المتعطّرِ
ونُدِير كاســاتِ المحبّــة بيننــا فنَميــل منهــا بالحَلاَلِ المسكِــرِ
حتّــى إذا ولّى العشــيّ وآن أن نمتـــاز عــن نظــر المراد الأنضرِ
قمنــا نجــرّ من العفاف سوابغـا لمَّا نُغَيِّرْهـــا بصبغـــة منكَـــرِ
يــومٌ بقابِــسَ جنّةِ الدّنيــا وفـــي قلبي لوشك البيْن حرقةُ مِـسْـعَـرِ

المصدر: رحلة التجاني، ص 88 ـ 89، وعنوان الأريب: ج 1، ص 91.

10 ـ نعــم الله

قال في وصف نعم الله تعالى عليه ولطائفه الجميلة:

(البسيط)

للّه في حالتي ســـرّ أسُــرُّ به ولستُ أُحْصي وإن عَدَدْت أيسره
ما عنّ لي وَجَلٌ إلاّ وأمّنني، ولا اعترى عُسْرٌ إلاّ ويسّره

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلميّة: ص 271.

11 ـ استدعاء للإجازة

(الخفيف)

أيهـــا السّـــادةُ الأباعـــدُ عنّــا أقْبِسُــونَا من نُوركـم بالإجــازه
صلتــي عائد السـؤال مجانــا فأجيــزوا لكــي تجــوزوا مجازه
لم يحصّــل إلاّ حقيقة علــم قربكــم، فابعثــوا إلينــا مجـازه
وَعَدَتْنَــا آمالُنـــا بلقـــاكـــم ولعــلّ الأيــامَ تُدْنِــي نجـازه
وعلى الفكر أن يقوم بمـــدح فيــه أرضــى تقصيده وارتجــازه

مع أنِّي حُرِمْتُ مدح بني الدَّهْـــــ ـــــر فشعري مذ جازه مــا أجــازه
وعُلاَكُم تقضي امتداد امتداحي واعتلالُ الأفكار تقضي الوجازه

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلمية: ص 284.

12 ـ سلوك

وقال واصفا حالته مع الصديق، وقيامه في موافقته بواجب الحقوق:

(الطويل)

إذا ما جفا خِلٌّ جفوتُ، وإن رأى مصادقتي أولى قضيتُ بما قضى
وما ذاك زهدا في الصّديق، وإنّما أوافقُه في حالــة السّخط والرّضا

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلميّة: ص 271.

13 ـ حرف الواو

قال متمثّلا بالنّحو :

(الطويل)

وكنت أظنُّ الواوَ واوَ عِذَاره تجيء لمعنَى العَطْف، فامتنعَ العَطْفُ
وما صحّ إلاّ أنّها حرفُ عِلّة لوجدي، ولكن في فؤادي هو الحَذْفُ

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلميّة: ص 272.

14 ـ أهدي سلام الودّ

كتب إلى عبد اللّه التّجاني مجيبا على تهنئة له بالتّرقية في ديوان الإنشاء:

(الكامل)

أهْدِي سَلاَمَ الوُدِّ خيرَ رفيق ... من عُدَّ أوحدَ أسرتي وفَرِيقِي
ومقام عبدِ اللّه نجلِ محمّدٍ ... في قومه سامٍ على العيّوقِ
نَدْب تحلّى من جلالة سندس ... وأقام للعلياء أنفقَ سُوقِ
وازدان بالفضل الذي هو مُرْضَع ... لبني الأفاضل ليس بالمذُوقِ
زانت فتاة السّن منه فتوّةٌ ... قد ضمَّخَتْ أخْلاَقَه بخَلُوقِ
ومعارفٌ تُدْرَى لهنّ عوارف ... فيها حقيقٌ مجدُه بحقوقِ
أمّا مواثيقُ العهود فإنّها ... أبدًا لديه مَميزَةٌ بوثوقِ
ومشارعُ الودّ التي أرْوَى بها ... ما أمطرتْها خُلَّبَاتُ بُروقِ
هي ما علمتُ موالدٌ ومراضعٌ ... وزكاءُ فَرْع من زَكَاءِ عروقِ
ودليلُ تأكيدِ الودادِ رسائلٌ ... تقضي بعهد في الوداد وثيقِ
تدنو على شحط الرُّبوع كأنّها ... شمسٌ تَعُمُّ ببهجةٍ وشروقِ
أو كالحيا الهتّان يَرْوي مُمْحِلا ... فيعود بعد المَحْلِ جدّ أنيق
ولَربّ قافيةٍ أتت قافيةً ... تَقْفُو لها الشّعَراء نَهْجَ طريق
فلئن تمكّن من طريقته امرؤٌ ... فلها مكانٌ ليس بالمطروق
أنت الذي تجلو المعاني حلوةً ... يصبو الحجى لِجَمَالِهَا المرموق
ولكلّ معنى زانه اللّفظُ الذي ... يكسو كغصن في الرّياض وريق
وافت تُهَنِّي لي بأسعد رتبة ... رُفِعَتْ بحُرٍّ سوابغ التّوفيق

ومقــدّم باللّــه شــرط قضيّــة قُرِنَــتْ بها الآمــال بالتّصديـق

وأجلّ مــا آثرْتُــه حظٌّ أتَــى عفـوا بــدون الظَّــنِّ والتّعليـق

هــي نظرة من نحو خيــر خليفةٍ غاظــت أبــا زيــد بخيــر عتيـق

ما كنــت لولا أنّ عــينَ رضاهُــمُ نَظَــرَتْ بأيســرِ مَا جَرَى بحقيـق

سوّدت أُن طُوِّقْــتُ نُعْماه التي قد قــام فيهــا شاهداً تطويقي

وكفايـــةُ الآثـــار قــد قابلتهــا بفصيح قولٍ فــي الثّنــاء طليـق

هو مشرب أنا منه صاحبُ نشوة ومواصــلٌ لِصَبُوحَـــهُ بغبــوقِ

لا اشتكـــي الاّ نــواك فَإِنَّنِي مــن أجل حَادثِهَــا أغَـصٌّ بريق

سحقّــا لدهــر لــو قضى بتألّف لغدا مكــان الإلف غيــرَ سحيقِ

أُقْصَــى فلــولا ما دعوه أبا الورى لعققتــه ويـقــلّ فيــه عقوقــي

أعليــه نــذْرٌ لا يــزال يفــي بــه أن يُعْقِــب التجميــعَ بالتّفريــق

لم أنــس سيل الدَّمْعِ يوم فراقنا وغــريقُنــا مستمســكٌ بغريـــق

ما إن ذكرت البــين إلا بان مــن نفســي ومن نَفَسِــي دخانُ حريقِ

فاللّـــهَ أسألُ أن ينظـم شملَنا عقداً ويجمــع نازحًــا بمشـــوقِ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 281 ـ 283، وعنوان الأريب: ج 1، ص 87 ـ 88.

15 ـ رثاء ابن أبي رقيقة

قال يرثي أبا العبّاس أحمد بن محمّد الخزرجي بن أبي رقيقة يوم 7 رجب سنة 681 هـ.

(مجزوء الرجز)

قالــوا: ارتــدى ثــوبَ الــردى أستاذنـــا ابـــن أبـــي رقيقـــه
فأجبتهـــم هـــذا نعيـــــــــــ ـــي العلـــم والنّكـــت الرّقيقـــه
إن كـــان مـــات فَلَـــمْ تمــت إلاّ المعـــارف فـــي الحقيقـــه

المصدر: ملء العيبة: ج 2 ، ص 412.

16 ـ رثاء ابن أبي الدنيا

قال يرثي الأديب الفقيه أبا محمّد عبد الحميد بن أبي البركات بن أبي الدنيا الصدفي:

(الرجز)

أطْلِقْ دموعــك ولْتَــدَعْ إمساكَهــا قــد حــلّ خَطْــبٌ ناثرٌ أسلاكَها
وأتــى الزّمان بنيــه بالرُّزْءِ الــذي أَسَــرَ النّفــوس، فما تُطِيق فكاكها
من بعــد مــوت أبي محمّدٍ الرّضا حييــت لواعجهــا، وكنّ هلاكهــا
عَمَّ البريّـــةَ بالرزيّـــة، واغتــدى عــدم التآســي غالبــا نسّاكهــا
يا دهــرُ قــد فاجأتنــا بعظيمــةٍ بــوّأت مــن نيرانهــا أدراكهــا
ما خلــت أنّــك، واقتــدارك بيّــن، تأتــي بهــا أو تدّعــي إدراكها

أوَ لست تدري أنّ من أعْدمْتَه … قد كان كلَّ فضيلة أعطاكها:
حَلاَّك من أسلاكه بجواهر، … خَطَبُ النوى من بعده أسلاكها
وحباك من أحكامه وعلومه … حفظا، فقل: من ذا سواه حباكها؟
وأقام للعليا منارةَ راهب … فهداك نحو سبيلها وأراكها
ما كان إلاّ حين أن كَمُلَت به … الدّنيا نسيتَ صنائعا أولاكها
وقَبَضْتَ بعد البسط نَفْسَ ممجّدٍ … فقدت على إثر السّكون حراكها
سترى سماء المجد بعد فراقه … تسودّ لمّا أن سترت سِماكها
وتُقَلِّب الدّنيا لياليها على … أيّامها وتعيرُهَا أحلاكها
من لِلمَعَارِفِ بعده، وهو الذي … ما زال مالكَ رقّها وملاكها
من للأصول وللفروع جميعِها … يرمي عليها من نُهاه شِباكها؟
من للشُكُوكِ يَحِلُّهَا ويحيلها … ويصدّ عنها ناصبا أشراكها؟
من للعوارف، وهو إن أهداكها … فكأنّه طَرَبًا بها استهداكها؟
لم يُسْدِ يوما من منائحها يدا … إلاّ، بأخرى عاجلا، أنساكها
أسفا على قاضي القضاة، ومن به … وبعلمه، كنّا نرى استمساكها
عبدِ الحميد نتيجة الأعلى أبي الـ … ـبركات مَنْ عَجَمَ الأمورَ ولاَكها
كم نال من خِطَطٍ فَصَيَّرَ قطبَها … تدبيرَه، وسعودَه أفلاكها
وأباحها خطابها ككواعب … جعل النّدى متولّيا إملاكها
حتّى إذا قُضِي الحِمَام أعاده … خبرا، وأعدم ذاته أملاكها
للّه ما أعداه من رزء على … مُهَجٍ، أحلّ حلولُه إهلاكها
قد أوشكتْ نفسي تذوب كآبة … ورأى وفائي يقتضي إيشاكها
وبكيتُ من جزع عليه، كما بكت … وُرْقُ الحَمام الرّاقياتُ أراكها

وسألت فكري أن يُجيد رثاءه، فأجابني، من قبلِ هات، بهاكها
فأتت كمقصدها الجميل قصيدة حاكى البرودَ بنسجها إذ حاكها
لِمَ لا أعيرُ الدّهر منها مسكة، وأنا الذي اتّخذَ القريضَ مداكها

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلميّة: ص 269 ـ 270.

17 ـ سقى الله هاتيك المعاهد والرّبى

(الطويل)

لـه عنـد سكّـان الغُوَيرِ وسائلُ يَدلّ بها في الحبّ راجٍ وسائلُ
أحاط به وجد، وفي رمل عَالِج[1] علاجٌ لداء الوجد، والبعد عاجلُ
وعن سائل ما زال دهرا مسائلا وفيها له لو أن تقضّى مسائل
سرت نحوه بالسرّ من حَاجِرٍ[2] صَبا، صبا نحوها والرّيح في الدَّوْحِ فاعلُ
وراحـت إليـه شمائـل برسائل فلاحت على تلك الشّمال شمائل
ومـذ صبّحتْه نَسمَةُ الصُّبح أقبلت تخبّـره أن الرّضا عنـه حاصـل
تنسّم من ذاك النّسيم شذا الرّضا، فيا طيـبَ ما أسـدت قبول تُقَابِلُ
وذكّره سَـلْـعا[3] فسل عن خياله، وخبّرَ عن سلمى فسل ما يحاول
سقى اللّه هاتيك المعاهد والرُّبى عهادا يحيّيهـا فتحيـا الجنـادل
ولست لها مستسقيا واكَف الحيا، كفتهـا دمـوعٌ هاميـاتٌ هوامـل
ليسْقِ الحيا وادي العقيق،[4] وأدمعي مـذابُ عقيقٍ فـوق خدّي سائـلُ

(1) رمل عالج: جبال متواصلة يتصل اعلاها بالدهناء ويتسع اتساعا كبيرا حتى قيل رمل عالج يحيط بأكثر أرض العرب.
(2) حاجر: موضع في ديار بني تميم.
(3) سلَع: جبل متّصل بالمدينة.
(4) وادي العقيق: وادي بالمدينة المنورة.

وتسحب في نجد وغور[5] ذيولها سحابٌ، وفي الأجفان سُحْبٌ هواطل
إذن لا تقلّدتُ الحسام الذي به أصولُ، ولا هُزّت بكفي عوامل
فكم أنّستني من دُماها أوانس بهنّ الذي بي من هوًى هو شامل
نواعمُ أجسام، موانع سلوة بواذل وصل، بالصّدود بواخل
هززن قدودا لا يشكّ بأنّها عوامل للصّابي المُصَابِ قواتلُ
يحرّكن من أعلى القدود ذوائبا، حكت عَذَبَاتٍ حرّكتها النّوابل
ويبسمن عن درّ، إذا لم يكن لمن تقلّد درّا مثله، فهو عاطل
ليالِيَ ورِدُ الحبّ صاف، وعهده قديم، ولم يَنْقُلْه بالبعد ناقل
ولا قلبَ إلاّ وهو خال من الأسى، ولا وقتَ إلاّ وهو بالوصل آهل
وليّنة الأعطاف بيني وبينها عقود هوًى فيها تَحَار العواذل
سَرَيْتُ إليها في ليال عواقم وبي شغل من شدّة الوجد شاغل
يدلّ ليّ الطرق اعتلاقٌ ولوعة وَيَخْفُرني فيها حسام وذابل
وراحلتي قد أضعف السيرُ والسُّرى قُوَاها، وعن جهدٍ تكلّ الرّواحل
تحمّل جسمي، وهي في ضعف ضُعفه كما حُمّلت جسمَ الحسام الحمائل
إلى أن طرقت الحيّ من آل عامر، ولاعامرُ إلاّ الجياد الصّواهل
فأبصرت من أبطالهنّ طوائفا طوائفَ تحميها القنا والقنابل
وكانوا أخافوني الرّدى فَعَصَيْتُهُم، وبتُّ ومَنْ أهواه دان مواصل
وكيف يخاف الحيْن أو يُحْرم المنى فتًى، وله في خدمة المجد طائل

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلميّة: ص 262 ـ 263.

---

(5) الغور: غور تهامة.

18 ـ يا طالب الأموال

(السريع)

يا طالبَ الأموال أقصر، ففي حرصِك إهمالٌ لأعمال
اطلب غنى النّفس تَفُزْ بالمنى، ليس الغنى عن كثرة المال

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلميّة، ص 272.

19 ـ شمعة

قال أبو الفضل:

ارتجلت وقد أرقت ذات ليلة، وبين يدي شمعة، لا تغيض لها دمعة:

(الرجز)

يا شمعةً قامت على ساق، وقد جنّ الدُّجَى، واشتاق قلبي الهائم
بيْني وبيْنك نسبة، وتشابه فكأنّ شخصي في الحقيقة قائم
لوني، وسقمي، وانسكاب مدامعي وسهاد جفني، واللّهيب الدّائم

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلميّة: ص 271.

20 ـ تذييل

قال أبو الفضل:

سألني صاحبنا المحدّث الزّاهد أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن ميمون الأشعري، حفظه اللّه، أن أذيل له على هذا العجز:

ربّ سهم أصاب من غير رام

فقلت:

(الخفيف)

ورشـا غرّنـي بلـين القوام، وفتـورٍ بلحظـه، وسقـامِ
جئتـه أحسـب المرام قريبـا فرمتنـي ألحاظـه بسِهَـامِ
لم أخـلْ أنّها من الضّعف تسطو فـإذا قلبـيّ المعـذّبُ دامِ
فاحـذروا أسهمَ اللّواحظ تنجوا، "ربّ سهـم أصـاب من غير رامِ"

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلميّة: ص 272.

21 ـ رثاء الأديبين ابن أبي تميم وحازم القرطاجنّـي

قال راثيا الأديبين محمّد بن أبي تميم الحميري وحازم القرطاجني وقد توفّيا بتونس سنة 684 هـ:

(الوافر)

ثوى ابـنُ أبي تميم، ثمّ حـازمْ فحزنـي بعـد دفنهمـا مـلازمْ
هما الشّيخان، إن ذُكِرَتْ شيوخ تُشَـدُّ إلـى لقائهـم الحيـازمْ
همـا العَلَمان، إن ذُكِـرَت عُلُـومٌ تَعرُّفهـا يُعَـدُّ مـن اللـوازم
حذفـتُ الصّبرَ بعدَهما، ولـمْ لا وخطبُهمـا لفعـل الصّبـر جـازمْ

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلميّة: ص 270.

22 ـ مدحية

قال مادحا أحد الرؤساء الوجهاء بتونس:

(البسيط)

عوّل على واحد الدُّنيا أبي الحسن ... نحو المنى بالغنى والجاه في قرن
ولذ بخدمته، واركن لحرمته ... تركن لحصن يقي من سطوة الزَّمن
وِرد وَرُدْ موردا أو روضة بهرا ... من جوده العدّ أو من خلقه الحسن
فهو المؤمَّل من قرب ومن بُعد ... وهو الممدّح في سرّ، وفي علن
يحبو البعيد بما يحبو القريب كما ... يسلي الغريب ـ بما يسدي ـ عن الوطن
فتنثني نحوه الأرواحُ رائحةً ... كأنّها قطّ لم تسكن إلى سكن
وتجتني كلَّ حين من معارفه ... أزاهرَ الفنّ تُنسي مُزْهر الفَنَنِ
من كان أمَّله يوما وأمّ له ... أناله المنّ والسلوى من المنن
ومن شكا سوء حظّ في غنى وعُلا ... نال الرَّغائب واستعلى على القنن
طبع له ليس يخشى من تطبّعه، ... وسنّة قد جرى فيها على سنن
وشيمة شام منها برق مُنْيته ... من سامها فَحَوَاها دون ما ثمن
كلتا يديه إذا فاضت أناملها ... لم يكفها أن تُرَى كالواكف الهتن
هي البحار بلا شكّ تفيض على ... سطح الدّنا، وجميع النّاس كالسّفن
يا سابقين إلى عليائهم ولهم ... جدّ بنيل الأماني جدّ مرتهن
أنتم هم النّاس، والدّنيا لكم تبع ... ملكتموها برأي منكمُ حسن
لاذت بكم، ففعلتم في حميّتها ... فعل الكرام، فلم توهن ولم تهن
علت على الدّهر من أمداحكم خِلَعٌ ... أبهى وأبهر ممّا خصّ باليَمَن
عَدَنِيّة الحسن وشّت في جوانبها ... يدُ البديع بديعا ليس في عَدَن

تجلى وتجلب إن قيلت وإن قبلت   على المسامع فوق الألسن اللّسن
فيا مؤمّليَ الأسنى الأجلّ، ومن   صددتُ في مدحه جفني عن الوسن
إنّي فزعت إليكم شاكيا زمنا   جرعت كاساته الملأى من الشّجن
دهـر متـى ما أراني ودّه كشفت   أيّامهُ لِيَ عن ما فيه من دخن
والنّاس فيه كما قد قال شاعره   يخلو من الهمّ أخلاهم من الفطن
وليس لي أبدا في غيركم أمل   إن لم أؤمّلكم في مقصد فمن؟
هاك القوافيَ خذها، إنّها امتزجت   بها حُـلاَك امتزاج المـاء باللّـبن
ثنى الثّنـــاء له أبياتهـا جمعـا   وقد جرى مثل جري الرّوح في البدن
ومدح مجدك فرض عند ذي أدب   وشكرُ ودّك عنـدي آكـدُ السّنَـنِ
وأنـت أفضـل من ترجى عنايته   بكلّ ممتهـن بالدّهـر ممتحـن
فاستقبل العيد في عزّ يدوم، وفي   سعـد يقابـل بالإقبـال والهـدن
ودم لنـا جَنّةً تُجْنَى أزاهرُهـا   وجُنّـةً هي أوقـى سائـر الجنن
ما أشرقت غررُ الدّنيا محاسنكم   وأصبحـت وهي ملءُ العين والأذن

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلميّة: ص 267 ـ 268.

23 ـ إخوانية

كتب يتشوّق لصديقه عبد الله التّجاني ملتزما تشديد حروف الرّوي ويلي الأبيات نثر:

(مجزوء الرمل)

مـن لمشـغـوف مـعـنّـى   ذكـر العَهْـد فـحنّـا
راعـه الـدهـرُ ببـيْنٍ   بعدمـا كـان اطـمـأنّا

أبصر الربع قواءً … فبكى شوقا وأنا
وتمشّى مشي ولهان … به يقرع سنا
وشجاها هاتف فوق … الربى غنّى فعنّى
إلفه دان فلو فارق … إلفا ما تغنّى
أطرب الروح وأبدت … شجوني حين ثنّى
فهي من فرط ارتياح … دون راح تتثنّى
وتذكّرت زمانا … بالتداني مرّ عنّا
وحديثا ما أحيلا … هُ وسرّا منه صنّا
وبصدري ميّت سرّ … مدرجا فيه أجنّا
لست فيه بضنين … عندما يعمل ظنّا
أيها الأحباب ما بنتم … ولكن نحن بنّا
أطلعوا من قربكم صبحا … فليل البعد جنّا
وانظرونا نقتبس من … نوركم ما نتمنّى
ما عليكم لو نظرتم … نظرة الإشفاق منّا
وسمحتم لقريح القلب … بالسلوان ضنّا
لم يزل في كل معنى … يجلب الودّ معنّى
راكبا في كل فنّ … منه ذيّالا وفنّا
لا يحاشي من فنون الودّ … والإخلاص فنّا
هل أمانٌ من زمان … فرض البعد وسنّا
سنّ أغيارا وغارا … ت النوى والبين شنّا
ورمانا بسهام … بعدما كان مجنّا

خانـــنا العهـد ومـــا للـــــــ ـعَـهْـدِ والمـــيثـــاق خُـــنّـــا

وجـــرى جـــــري ســـبـــوق للنّـــوى لا يـــتـــأنّـــى

نـــال مـــنّـــا بافـتـــراق بعـــدما كـــان أمِـــنًّـا

وعـنـــاء تـــرك الأبْـــــــ دَانِ وَهْـــيًّـــا حـــين عـــنّـــا

عـقـــل العقـــل بتـــسريـــ ـــح منـــاصات فَجُنّـــــا

عنـــدما شـــدّت رحـــالٌ ضـــعـف الصّـــبْرُ فـــــلِنّـــا

كيـــف بالصّـــبـــر وأنّـــى بجمـــيل الصّـــبـــر أنّـــى

ولعـلّ الـــدّهـــر يـــنـــــ سخ مـــا قـــد كـــان سَنًّا

ويعـــيد الشّـمـــلَ منـظـــو مًـــا كمـــا كنتـــم وكنّـــا

وإذا مـــا اللّـــه ســـنّـــى عقــدَ أمْــر يتــــســـنّى

المصدر: رحلة التّجاني: ص 288 ـ 290.

24 ـ شكوى

قال معرّفا بنفسه مشتكيا من الزّمان:

(الخفيف)

أنـا مـن قد علمتَـه مِـتُّ حيّـا وطوتنـي الآدابُ بالنّشـر طيّـا

فـي زمـان بنـوه أجـْوَرُ منه، ومكـانٍ لم أُمْـسِ فيـه هنيّـا

هَبْـكَ أنّ المكـان أنقلَ رَحْلـي لمكـان سـواه شيئـا فشيّـا

ما احتيالي، وكيف يُجْدِي احتيالٌ أنّنـي أُصْلِـحُ الزّمـانَ الدّنِيّـا؟

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلميّة: ص 262.

25 ـ رثاء ابن أبي الدّنيا

قال مرتجلا حين دفن العالم الأديب أبو محمّد عبد الحميد بن أبي الدّنيا:

(الوافر)

عَدِمْتُ صبري، ووجدت الأسى　　لمّا فقدت ابن أبي الدّنيا
وكيف لي صبرٌ ومِنْ بعده　　قد أظلمتْ في عيني الدّنيا

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلميّة: ص 270.

26 ـ نصيحة

(السّريع)

عليك بالأعمال تجني بها　　ما تشتهي من كلّ أمنيّةِ
وأخلِصِ النيّةَ في فعلها،　　فإنّما الأعمال بالنِّيّةِ

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلميّة: ص 272.

ـ نصوص نثريّة:

1 ـ رسالة إلى والده أبي الحسن علي

أخصّ والدي السيّد المكرّم، الموقّر المبجّل المعظّم، قدوة الآباء، وفخر الأبناء، أحسن اللّه بغياه، ويسّر عن قريب لقياه، بتحيّة عَرْفها من ذِكْره. وخلوصها من خلوص نَجْره، وسلام سلامته مستعارة من صدره، وفخامته مستفادة من قدره، وأعرفه عرّفه اللّه ما يسرّه، وصرف عنه من صروف الزّمان ما يضرّه.

إنّا بعد بعده، ووجود فقده، كرسوم فقدت ناسها، وجسوم عدمت أرواحها وإيناسها، وما ظنّك بالرّسوم بعد الجسوم، والأشباح بعد الأرواح، ولولا ـ يعلم اللّه ـ ذِكَرٌ تُبْقِي الرّمق، وَفِكَرٌ تسكّن القلق، ومنًى تطفي حريق الحرق، وتفرّق مجتمع الفرق، وكلّها في ذهاب الغيبة، واقتراب الأوبة، ودفع الشتات، وجمع الشمل بتلك الذات، لذابت أجزاء النّفس، وأصبحت كأن لم تغن بالأمس، إلاّ أن في الأماني، بعض التّداني، وفي الأمل، تشكّيا للوجل.

وأما ما لدينا من التّوق، وشدّة الحنين والشّوق، فاسألوا النّسيم إذا سرى عنه، واستخبروا النّجوم فعندها خبر منه، واحترزوا من هبّات تلك النّسمات فإنّا بعد أن نشرت صباها نسيما، أعادها زفيري سموما، وإن وجدتم نارها بردا وسلاما، فلأنّها تحمّلت إليكم سلاما، واستلمت تمنّياتي عنّا استسلاما، فاستخبروها فخبرها صدق، وسائلوها فحديثها حق. وأما أخباركم فإن الأوهام تمثّلها، والأفكار تُصَوّرها وتخيّلها، إذ لم يصلنا من قِبَلِكُمْ إلاّ كتابان اثنان، تلقّيناهما باليمين تَلَقِّي عرابة، وأعجزنا ما ضمّناه من غريب في معانيهما وغرابة، أحدهما الذي استفتحته بأبيات. بل بآيات من الفصاحة بيّنات، عبّرت فيها عمّا يجنّه جنانك من الشّوق والوجد، ويضمره ضميرك من ألم النأي والبعد، بعبارة أرشق من جمع الشتيتين، ولفظ أحلى من القرب بعد البين، وقد جعلته لنفسي لزيما، واتّخذته سميرا ونديما. ولكثرة استعماله، وعدم إبعاده وإهماله، لم يبق إلاّ رسمه، ولا صحّ بيدي منه إلاّ اسمه. وذلك الرّسم قد أحرقته

حرارة الضّلوع، ومحت أسطره غزارة الدّموع، فهو بيدي خلق رث، وهباء منبث، ولو لم يعبّر عن حالك، ويخبر عمّا ترومه في ارتحالك، لدريناه دراية ما نكابده، وعرفناه عرفان ما نزاوله ونشاهده.

وأنتم وإن بنتم عن الأبصار، فما بنتم عن الأفكار. وإن غبتم عن العيان، فما غبتم عن الجنان. ولله أنت حيث قلت:

لئن تناءت بنا ديار، لقد تدانت بنا قلوب
وهل يُعَدُّ الفتى بعيدا مَنْ وُدُّه حاضرٌ قريب

وحاشا للّه أن تُحْسَبَ نائيا، وقد غدوتَ بالذّكْر دانيا، أو يَصْفر من معناك مغناك، وفي القلب مثواك وسكناك. وما غاب في الحقيقة مَنْ ذكراه حاضرة، ولا أوحش معناه من صدور أهْله به عامرة. وكيف يؤلمها ذلك الألم رحيلك، وأثناءها نزولك، ومنها وفيها ظعنك وقفولك، غير أنّها ألفت حضورك جسما، فلم تقنع به وهما، واعتادته للعين عيانا لا خيالا، فلم تعتدّ به بعد ذلك تصوّرا ومثالا. وما كنت أحقّق أن سهام النّوى تشقّ سدف الأجساد، إلى هدف الأكباد، وتصيب بعرض البعاد، غرض الفؤاد، حتى رماني الدّهر منها بسهم فراقك، وأظلمت ربعي في تشريقك بعد إشراقك. فلمّا أصاب من قلبي بسهمه سويداءه، وأطال زمن البعد بهذا الحادث داءه، تيقّنت أنّه فوق ما يظنّ، وأشفقت على جناني ممّا يجنّ، فقد كاد لما به يجنّ.

(البسيط)

يُجَنُّ شوقا فلولا أنّ رائحةً تزوره في رياح الشّوق ما عقلا

وصرت مهما خلوت دعيت نيّتي ودعوت سائلا ربّ المشرقين والمغربين، ألاّ تصيب القريبين أسهمُ البيْن، وأن يدفع عن الأكباد، مكابداتِ البعاد، ويمنع عن الفراق، أربابَ الرّفاق، حتّى لا تخدّ مطيّة إلاّ لقرب، ولا يخطر خاطرُ بُعْدٍ بقلب. وأنا أسأل من أغناك إلاّ عنه، وأبعدك منّا لتقرب منه، أن ييسّر مرامك، ويقضي حجّك واستلامك، ويعود بك إلينا صالح الأعمال، ناجح الآمال معافى في النّفس والمال، لينجبر صدعُ الشّمل، ويستبشر جميع الأهل، والسّلام.

المصدر:

رحلة ابن رشيد، النّشرة العلميّة: ص 274 ـ 276.

2 ـ من رسالة إلى ابن عمّـه

من رسالة الى ابن عمّه عبد اللّه التّجاني، أوّلها قصيدة من مجزوء الرمل:

وهل أعزّكم اللّه للقلب ارتياح، الا اذا كان لشمس القرب التياح، فحينئذ تتجلّى ظلمه، ويشهر بناره علمه، فنور القريب لا يبقى ظلاما، وينادي نار القلب يا نار كوني بردا وسلاما، وسيأتي عند جسم نداه جوهره، ولم يغب عن القلب مظهره، وروح ائتلف مع البعد متعارفها، واتّخذ بالذّمم في أهل النّهى معارفها، والأسباب التي تدني الشّاسع، وتنفي القاطع، شوق من خافق الجناح أو كتب تتّصل به أشعّة شمسه، أو سرّ لا ينشر دفينه من رمسه، وأقواها سببا، وأقربها نسبا، تعارف الرّوحين في مبدإ أول، وتوحّد الأثنينية بقلب غير قلب وحال غير حول، وهذا هو النّسب، الذي تحمد فيه النّسب، على كل حال، ولعلّ حال مودّتنا بحسب هذا الاتّصال يتّصل، فهذا هو الفصل المميّز الذي لا يمتاز عن جنسه ولا ينفصل، وأطلب منكم أن تبلغوا أملي المعظّم سلمه اللّه سلامي، وتؤدّوا له ما يجب من توقيري وإعظامي، ولو كنت عنده أعزّه اللّه سليم العقد، سالما من النّقد، لأقدمت على مخاطبة جلاله، وجريت على عادتي في ترسيل الكلام وارساله، وفي التّأليف الذي رفعت الى مجده المرفّع محفوظه ومخفوضه، وأدّيت الى مقامه المحمود معروضه ومفروضه، وهو المصَنَّفُ الذي خصصته بسيادة العلماء، وسمّيته "الناسم"[1] وأستحي أن أذكر الاحياء، دليلي على العادة، في تلك العبادة، زمن اسعاد السّعادة، ولا جرم أن الحزم (لا يرفع) الحظّ المنغمس،

(1) مبحث في لفظة الاحياء كان بينه وبين عبد اللّه التّجاني.

وأن الفراسة لا تردّ بطش الدّهر المفترس، والأمر للّه وحده، وحتى الآن ليس لي عيش الا في بركته، ولا دعاء الا بكلاءة اللّه في سكونه وحركته، فهو مبدأ الحياة لي وتمامها، وكفّه بِوَكْفِهَا طالما رواني غمامها، وقد اتّصلتْ من نحو برقة بروق، لا تنبض معها عروق، غير أنّكم وان أجريتم في مرعى خصيب، ومسعى للخير مصيب، قد أحضركم السّفر في مكان مكين، واستندتم الى ربوة ذات قرار ومعين، فمن اليقين أنّك لا تظمأ فيها ولا تضْحى، وأنّك تقطع كل يوم بسيما فطر وأضحى، كلّ ذلك بمقاربة ذلك الجناب، وأعمال السير والسرى في مصاحبة ذلك الرّكاب، واللّه تعالى يصحبكم الخير والخيرة، ويصون لحفظ محاسن الجود تلكم الذّخيرة، ويديم اليمن المصاحب لأمركم مدبّرا ومديرا، ويقيم لكم في كلّ أرض تحلّونها روضة وغديرا.

المصدر: رحلة التّجاني: ص 222 ـ 224

3 ـ رسالة إلى أحد الأدباء

قال مراسلا أحد الأدباء وهو أبو عبد اللّه بن أبي القاسم بن الحكيم:

(الطويل)

هنيئـــا لآدابٍ ملكــت زمــامهـــا بأن عزّ مرقاها، وأنت زعيمها

وصحّت معانيها اللّطـافُ وكيـف لا تصحّ المعاني، والمعاني حكيمها

للّه رسائلك الغرّ، وكلماتك التي يخجل منها الدّرّ، لقد حلّت من الفصاحة سحرا، وأفاضت من البلاغة بحرا، وأشرقت ملامحها، ونطقت بالسّحر الحلال خواتمها وفواتحها، فإياتها باهرة. وآياتها ظاهرة.

أشهد أنّك أعلى الكتبة مرتبة، وأفرس الطّلبة إذا اعتقلت يمناك قَصَبَة، وأنّك أطولهم باعا. وأكملهم انطباعا، وأسلسهم طبعا، وأسلسهم قافية وسجعا، كريم الأب، جمّ الطّلب، قد جمعتَ بين الحسب الشّريف، والأدب التّليد والطّريف، فلنا أن ندعوك ذا الحسبين، وربّ الأدبين، والفائز بكلتا الحسنيين، فيا ذا الثلاثة

أعرنا قليلا من آدابك، وامنن على هذه البقيّة من الكتّاب أن تتعلّق بأهدابك، فما نثروا إلاّ وأنت منشيهم ومنسيهم، ولا فخروا إلاّ وكنت مجيرهم ومجيدهم، حزت الرّاية بسبقيك دون لحاق سابقهم، وجزت الغاية مغيرا ومغيرا في وجه وجيههم ولاَحقِهِم. فمن ذا يحيط من الأدب بما به أحطت، أم من يجاريك فيه وعلى الخبير سقطت.

لقد أقرّت لي في هذا الفن زعماؤه وأنابه زعيم، لَكِنِّي وصلني خطابك وخطابتك فنظرت نظرة في النّجوم، فعلمت أنّي سقيم، وقلت لآدابي لقد جئت شيئا فريّا، وأيقنت أنّ في صدور الصُّدور خبايا تظهر شيئا فشيئا.

(الخفيف)

والّيالي كما علمت حُبَالَى مغربات يَلِدْنَ كلَّ غريب

ولا أغرب من رسالتك البديعة المساق، المخجلة كلّ قلادة بما رزقته من حسن الانتظام والاتّساق، فقد أغربت وأشرقت، وَغَرَّبْتَ وشرّقت، وتهادتها النواسم العطريّة، وافتقرت إليها المواسم السريّة والمباسم الخمريّة، هذي لتبتهج بتلاوتها، وهذي لتمتزج بحلاوتها.

وافت تخلع عليّ فرائدها، وتجلب إليّ فوائدها، وتذكّرني في أمر التّصنيف، وتُعَرِّفُنِي وإيّاه بغير لام التّعريف، وتشرّف هذا المجموع غاية التّشريف.

فتارة تخاطبه بالعقيلة الحسناء، وتارة تخاطبه بالخميلة الغنّاء، تنظر بعين الرِّضا، وعين الرِّضَا كليلة عن كلّ عيب لا يرتضى، وأنا أعلم أنّ هذا المجموع لولا من تحلّى باسمه، وصُنِعَ برسمه، لكانت عقيلته عاقلة للألْبَاب، وخميلتُه خاملة في الآداب، وبرسالتكَ هذه كمُل له التّصنيف، وحرم فيه المطل والتّسويف، ومسكِ الختام، دليل الكمال والتّمام.

أبقاك اللّه متلاعبا بالأقلام، مبرّزا في حَلَبة الأدباء الأعلام، بقاء الأيّام والأعوام، وأخصّك مع هذا بأفضل السّلام، وأكمل وجوه التحيّة والإكرام.

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلميّة: ص 280 ـ 281.

عبد الله التجاني

(ولد في حدود سنة 670 ـ ت 721)

أبو محمّد عبد الله بن محمّد بن أحمد التّجاني صاحب الرّحلة في ركب السّلطان أبي يحيى زكرياء بن اللّحياني غادر تونس سنة 706 ورجع إليها سنة 708 . من كتبه بالاضافة إلى الرّحلة المطبوعة بتونس طبعتين الأولى سنة 1958، والثانية سنة 1981 :

ـ تحفة العروس ومتعة النّفوس: طبع طبعتين غير منسوبتين إلى مؤلّفها الأصلي الأولى بمصر سنة 1301 والثانية بمصر أيضا عن مكتبة التراث الاسلامي، د. ت وهي طبعة محرّفة جدّا.

كما طبعت طبعة ثالثة عن دار الرّيّس بلندن غير منسوبة الى مؤلفها أيضا.

ـ أداء اللازم في شرح مقصورة حازم القرطاجنّي.

ـ علامة الكرامة في كرامة العلامة.

ـ الوفاء ببيان فوائد الشّفاء.

ـ الدرّ النظيم .

ـ تقييد على صحيحي البخاري ومسلم .

ـ ديوان شعر

1 ـ أحملت عرف المسك

كتب مجيبا صديقه الشّاعر عبد الرّحمان بن نزار السهمي على رسالة فيها نظم على نفس القافية والوزن:

(الكامل)

أحَملتِ عرف المسْك يا ريحَ الصَّبا ... أمْ ساقَ نشرُكَ لِي حديثا طيِّبا
فلقد أعاد الرُّوحَ رَوْحُكِ إذْ سَرَى ... من بعد ما قد قَارَبَتْ أنْ تذهبا
هِيَ تُحفة وَفَّتْ بنو سَهْمٍ بِهَا ... سَهْمِي وأوْلَوْنِي الحِبَاءَ المُحْسِبَا
دعت الحياةَ فاقبلت منقادة ... واستَدْنَتِ الأمَلَ القَصِيَّ فاكْثَبَا
وأتت إليَّ وقد حوى إيضَاحُهَا ... جُمَلاً أعادت لِي السُّرُورَ مقرَّبا
يا ماجدا أعددتُه لي سيِّدا ... وأعُدُّه كِبَراً وإجلالا أبَا
هاك السَّلاَم على النَّوى من ذاكر ... لك بالجميلِ مشرِّقًا ومغرِّبا
واصحَبْ أبا زيد جديدَ سعادةٍ ... تُثْني الأبِيَّ من المطالب مُصْحِبا

المصدر: رحلة التّجاني: ص 140.

2 ـ الزّمن الذي ولّى

قال مجيبا صديقه ابن يعيش عن أبيات له في اقرار الود:

(الوافر)

عسى الزّمنُ الذي ولّى يؤوبُ	فقد سَئِمَت من الشّوْقِ القُلُوبُ
إذا ما قلتُ قد قَرُبَ اجتماع	قضى بتفرّقٍ خَطْبٌ يَنُوبُ
وأعظمُ من ترى أسفًا وحزنًا	حبيبٌ قد نأى عنه حبيبُ
أبا عبد الإله نِداءَ خِلٍّ	هَواكَ له من الدّنيا نصيبُ
رعاك اللّهُ من راع لِعَهْدِي	وإن طال التّباعدُ والمغيبُ
أتتني منك أبيات حسانٌ	بها للفضل قد جُمِعَتْ ضُرُوبُ
أفادتني مِنِ اسمك حين وافت	وطيب حديثها عيشًا يطيبُ
وأهْدت لي الودادَ على التّنائي	ففرّت بعد كَرَّتِهَا الكُرُوبُ
فَثِقْ منّي بإخلاص ووُدٍّ	جديد ليس تُبْلِيه الخطُوبُ
وإن تك مدّةُ البُعْدِ استطالت	فَيُرْجَى بعدها الفرجُ القَرِيبُ

المصدر: رحلة التّجاني ص 295.

- 3 - شوق

كتب مجيبا صديقه محمّد الهوّاري:

(الكامل)

إنْ أقضِ من أسف فغيرُ عَجِيب	فرطُ اشتِيَاقٍ وابتعادُ حبيبِ
ما قلتُ قد بَلِي التّفَرُّقُ فانقضى	إلاّ وجدّده جديدُ خطوبِ
ولقد شجا نفسي وأضرم لَوْعتي	وأثار أشجاني وهاج كروبي

بـرقٌ بدا والليـلُ أرخى سجْفه ... والبـدرُ شَمَّـر ذيلَـه لِغُـروبِ

أجرى حديثَ القُرْب صادقُ فألِه ... فَفَهِمْتُـه مـن لفظـه المقلوبِ[1]

يا بـارقًا أعدى الفؤادَ بخَفْقةٍ ... وطـوى الضلُوع على لَظًى ولَهِيبِ

اللّه والعهـد القديم ونسبـة ... يَرْعـى نسيـبٌ مثْلَهَـا لنسيبِ

فلقد تشابهنـا انسكـابَ مدامعٍ ... ولزومَ سُهْـد واجتنـابَ سُهُوبِ

إنْ أنـت جُزْت على ربوع أحِبَّتي ... فاشـرح لهم شَوْقي وفَرْط وَجِيبِي

واخْصـص أبا عبدِ الإلَه محمّدا ... بتحيّة كَثَنَائِـهِ فـي الطِّيـب

أبْلِغْـه أنّ القلـب بعـد بِعـاده ... لم يخـلُ مـن حزنٍ ولا تعذيبِ

ذا السِّيرةِ المثلى الذي قد جلّ عن ... مِثْلٍ يُـرَى فيهـا له وَضَرِيـب

كم مـن يد أسدى إليّ على النّوى ... لَمْ يُسلِـه عـن ذاك طولُ مَغيبِ

متضمّنـا نَظْمـا ونثـرا أزْرَيَا ... حسنـًا بكـلّ مُخَيِّل وخطيـب

قد أودعتْ جُمَلَ المحاسن منه في ... لفـظٍ وفـي مَعْـنًى وفي أسلـوبِ

وأراد منّـي أن أجيـبَ وإنّه ... لَمَدًى يقصّـر عَنْـهُ كـلُّ أديبِ

فأجبتُـهُ ولو استطعـت توقّفـا ... فيمـا أَرَادَ لكنـت غيـر مجيـبِ

لكـن لوازمُ حقّـه وفروضُـه ... حكمـت عليّ بذاك حُكْمَ وُجُوبِ

فبعثْتُـه والخوف يُقْصِـر خطوَه ... يرنـو بلحـظ للحَيَـاءِ مريـبِ

المصدر: رحلة التّجاني : ص 297 ـ 298.

---

(1) أي القرب مقلوب البرق

4 - رأى بارقا

كتب الى ابن عمه أبي الفضل التّجاني الكاتب متشوّقا إليه:

(الطويل)

رأى بارقًــا تحــت الظّلاَم يلوحُ فنــاحَ اشتياقًـا والكئيـبُ ينُـوح

تألّق من أرضِ الأحبّـة موْهِنًا فحــنَّ فــؤادٌ بالبِعــادِ قريحُ

وطالبــه أهــل المَلاَمِ بسَلْــوةٍ فلــم يــكُ منه للسلُّــوِّ جُنــوحُ

رعــى اللّه إخوانــا إذا ما ذكرتُهم تسابَــقَ دمــعُ العَيْن وهــو سَفُوحُ

لئن نزحــوا عن ناظــري فَمَا لَهُمْ مدى الدّهر عن قلبي المَشُوقِ نُزوحُ

وبلّــغْ عـبدَ اللّــه عَنّــي تحيــّةً مــردَّدَةً تغــدو له وتــــروحُ

سَمِيّـي الذي أصفيتُــه بمودّةٍ لــه خالصٌ من ورْدهـــا وصريحُ

شربنا معا كأسَ الصّفاء فما لنا سِوَاهَـــا غَبوقٌ دائــمٌ وصَبوحُ

أعلِّـــلُ آمالــــي بقـــرب مَزَارِه ومــــن دون ما أرْجو مَهَامِهُ فيحُ

لقـــد أتعب البينُ المشتُّ قلوبَنا فهــل بعـــده منْ أوبــة فتريــحُ؟

المصدر : رحلة التّجاني: ص 293.

5 ـ يا نسمة الرّوْضِ

قال مرتجلا مجيبا الشّاعر أبا بكر الغماري النّفزاوي عن قصيدة له:

(السّريع)

يا نسمةَ الرّوضِ سقَتْه العِهَادْ ... صوب حيا روّى الرُّبَى والوِهادْ
وَحَدَّقَتْ أزهــارُه أعيـنًا ... مُـرَادُها رؤيــةُ ذاكَ المـرادْ
أنهـي إلى علّى ابن فَتْح اذا ... بلغتِـه عنّــي السّلام المُعَادْ
قُولِـي لمـن أفـردتِ علياءه ... منّــي بِـوُدّ صـادقٍ واعتقادْ
إن لـم نكن قبلُ اجتمعنا فقد ... رأتــه قـبلَ العـين عينُ الفـؤادْ
وَجَّـهَ نَحْـوِي رقعـةً بـرّةً ... قـد نُظِّمَتْ نظما يَهُزُّ الجمادْ
نظـمٌ بديعُ اللّفظ مستحكَم الــ ... معـنَى شديدُ الأسِّ سهلُ القيادْ
قَـرَّرَ فيـه بيننـا ذِمَّـة ... باقيةَ الرَّسْـم ليـوم التّنـادْ
فثِـقْ بـودٍّ من أخٍ مخلـصٍ ... يـراك أسْنَى صاحـبٍ مستفادْ
وهاكهـا من شاعـرٍ لم يزل ... يَهِيم مـن حبِّـك في كـلِّ وادْ
مشتغـل الخاطِـر قد قَسَّمـت ... أفكـارَه أيدي النَّوَى والبِعـادْ
مـا بيـن تحنَـانٍ إلـى موطـن ... قد طَوَّحَتْنِـي عن ذَرَاه البـلادْ
وفـرط وجـدٍ بأُنَـاس به ... محضتُهـم منّـي صريحَ الوِداد
وابـقَ مـدى الأيّام في عزّة ... وأنعُـمٍ ليـس لهـا من نفاد
ما غَـرَّدَتْ ورقـاء في أيكَةٍ ... وهـزّت الريـحُ قضيبًا فمـاد

المصدر: رحلة التّجاني : ص 148 ـ 149.

6 ـ فخارهم فخاري

ممّا كتب إلى ابن عمّه أبي زكرياء بن أبي الحسن علي التّجاني:

(الطويل)

إذا اللّــهُ حيَّــى معشرًا بِتحيَّةٍ ... يُقَصِّرُ عنها المسكُ في الطِّيبِ والنَّدُّ
فَحَيٍّ بني عمّي الذين فخارُهم ... فخاري ومجدي حين أسمُو لهم مجدُ
وخصّص مِنهُم من تَخَصَّصَ فِيهم ... بأوصافِ فَضْلٍ ليس يحصرُها العَدُّ
أبا زكرياء الرِّضَى الأرفع الذي ... له مِنِّي الشَّوْقُ المجدَّدُ والوُدُّ
أحبَّتَنا هلْ يجمع الدّهرُ بيننا ... فقد طال هذا النأيُ واتَّصَلَ البُعْدُ
يذكِّرُنيكُمْ أنــسُ يــوم مَضَى لنا ... وعهدُ ائْتِلاَفٍ حبّذا ذلك العهدُ
فيبدو قليلا من غــرام أحبّتي ... وفي القَلْبِ للأشواقِ أضعافُ ما يبدو
فقد بَلَغَت منّي النّوى كُــلَّ مبلَغ ... ففي أدمُعي وَدْقٌ وفي أضلعي وَقْدُ
فهل تقربُ اللُّقْيَا وينصرمُ النَّوى ... ويُنْجَــز للآمــالِ من قربكم وعدُ
لئن جَمَعَتْ أيدي التّفرّق بيننا ... فقد تمّت النُّعمى وقد كمُل السّعدُ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 191.

7 ـ إخوانية

قال مجيبا صديقه محمّد بن رأس الحجلة:

(الطويل)

سلامٌ يحاكي المسكَ في الطِّيبِ والنَّدَّا		على ماجِدٍ قد فاق أهلَ العُلا مجدًا
حباني بِطِرْسٍ منــه مشتملٍ على		معــان معَالٍ لست أحصُرُها عَدًّا
فقـــرَّرَ وُدًّا لـم يـزل متقـــرِّرًا		وَأَهْدَى من الإخلاص والبرِّ ما أهدى
إذا النّاس عُدُّوا كان أحلاهمُ حُلًى		وأفضلَهـــم ذاتا وأكرمَهم عهـــدا
أدام لهُ اللّـــه السّيادةَ والعُلَى		وأصحبـه التّوفيقَ واليمنَ والسَّعْدَا

المصدر: رحلة التّجاني، ص 302.

ـ 8 ـ دم فــي عــزّة

ممّا أجاب به صديقه أبا ابراهيم بن حسينة:

(الوافر)

أَمُحْـــرِزَ كُـــلِّ منقــبة حميـــدة		وَمَـــنْ لَمْ نُلْفِ فِي الدّنيا نَدِيدَه
أعنْـــت على النِّظام بحسْن طبع		وأفكـــارٍ مـــؤيّـــدَةٍ سَـــدِيـــده
وتسألُنِي الـــجوابَ وإنَّ فكــري		ليقْصُـــر عــن مَجَارِيـك المديـــده
فمهِّـــد لي على التّقْصيـــرِ عُـــذْرا		وهـــوِّن مِـــنْ مَطَالِبِـــكَ الشّديـــده
ودُمْ في عِـــزّة وبلـــــوغِ قصد		وسعْـــدٍ دائـــمٍ وَحُـــلًى جديـــده

المصدر: رحلة التّجاني: ص 172.

9 ـ يا نسمة

مما كتبه إلى أبي محمّد عبد الواحد بن يغمور الهنتاتي:

(البسيط)

يا نَسْمَــةً صدرت عن رَوْضَةٍ ظهرت　　في بُرْدِ رَقْمٍ وشتْه السُّحْبُ منثُور
فكلّمـــا يمّمــتْ فــي سَيْرِهَا جهة　　مــرّت بذيل على الأزهار مجرورِ
أنهـي اشتياقي وتسليمي لمجـد أبي　　محمّــدٍ بــن أبــي زيــد بن يغمورِ
وأعْلِميه بمـــا يطوي الضَّمِيرُ لـــه　　مـــن اعتقـــاد وتعظيم وتوقيرِ
وأنّنــي بــين قلــبٍ للــوداد لـــه　　مفـــرغ وفـــمٍ للشكر مقصـــورِ
وقـــرِّري ذاك تقريـــرا أثبتُـــه　　ولســـتُ فيــه بمحتــاج لتقريرِ
لا زال في نِعَـــمٍ موصولةٍ وعُلاً　　باقٍ وحـــظٍّ من الإسعاد موفـــورِ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 171.

10 ـ إخوانية ثالثة

قال مجيبا صديقه أحمد الرّصافي على رسالة شعريّة:

(الطويل)

رَعَى اللّه من أجلو الأسى بادّكاره　　ومـــن قَرَّب آمالي بقـــرب مـزاره
خليلٌ رعى عهدي وإن أقْصَت النّوى　　ديـــاري بماضي حكْمها عن دياره
أتـــى نظمُه صبّـــا به شيّقا لـــه　　يعانـــي الأســـى في ليلـه ونهـاره
فأذْهَـــبَ عنـــه حزنَـــهُ وأنَالَـــهُ　　مـن البرِّ والتّأنيس فوقَ اختيارهِ

ومن كأبي العبّاسِ فضلا ووصفُه ؛ يزيدُ على الأخْبار عند اختبارهِ
فأسألُ ربّي أن يمُنَّ بقربه وينظِمِ منّا الشّملَ بعد انتشارهِ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 300.

ـ 11 ـ توديع

قال مودّعا شيخه أبا فارس عبد العزيز بن عبيد في طرابلس:

(البسيط)

سقى ربوعَك يا مغْنى طَرَابُلس حيًا يُحَيِّيكَ منه كلُّ منبجِس
فكم يدٌ لك في تأنيس مغتَرِب شطَّت به الدَّارُ عن أُنْس وعن أَنَس
أقمتُ فيك على حكمِ النّوى زمنا كأنّني فيه للسرّاء في عُرُسِ
أثوب من أهلِك الغرِّ الكرَامِ إلى قوم أوافي لديهم كُلَّ ملْتَمَسِ
ما بين جدّ وتأنيس بمثلهما نأى عن الخاطر استيحاشه ونَسِي
لو لم يكن لك عندي في الزّمان يدٌ أُثْنِي عليك بها ما امتدّ في نَفَسِي
إلاّ ملاقاةَ منْ حُزْتُ الفخارَ به عبدِ العزيزِ الإمَامِ العالَمِ النَّدِسِ
مُحْيِي العُلُومَ وَمُحظيّهَا ومُبْرِزهَا مِنْ حلْيِ أَلْفَاظِهِ فِي أَحْسَنِ اللُّبسِ
ومُحْرِزِ الشّيم الغُرِّ الّتِي كَرُمَتْ فَفَاهَ بِالْمَدْحِ فِيهَا كُلُّ ذِي خَرَسِ
يَجْلُو إِذَا أَشْكَلَتْ فِي العِلْمِ مَسْأَلَةٌ ذِهْنًا يُجَلّي سَنَاهُ كُلَّ مُلْتَبِسِ
نَعِمْت مِنْ قُرْبِهِ لَمَّا اتّصلْتُ بِهِ بِوَقْتِ أُنْسٍ مِنَ الأيَّامِ مُخْتَلَسِ
واللّه يحفظُه غوثًا لمستَبِقٍ لكشف نازلةٍ نُوراً لمقتبِسِ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 306 ـ 307، وعنوان الأريب: ج 1، ص 82 ـ 83.

12 ـ رعى الله من راعى ذمامي على النوى

كتب مجيبا صديقه محمد البلوي بن أبي سلام على سلامه وشوقه إليه:

(الطويل)

أتــى فأتــى القلبَ المشوقَ بأُنْسِهِ ... نظامٌ رأيتُ الدُّرَّ في طَيِّ طِرْسِهِ

كما زَارَ حِـبٌّ عاشقـا بعـد بُعْدِهِ ... وعـــاد رجـاءً آملاً بعــد يأســهِ

كتـــابٌ أتى مَنْ لم يزلْ متشوِّقًا ... لإتْيانــه والدَّهرُ يَقْضِي بِحَبْسه

فقَبَّلْــه تقبـــيلَ ذي كَلَــفٍ به ... ونقّلــه مــن رَاحَتَيْــهِ لرأســهِ

رعى اللّه من راعى ذمامي على النّوى ... ومنْ يومُه في الوُدِّ لي مثلُ أمسهِ

أبـا عابدِ اللّهِ الأجلَّ الرِّضَا الذي ... سما قدرُهُ عن قدْرِ أبناءِ جنسه

لقــد حاز أشْتَاتَ الفَضَائِلِ واكتسى ... ملابـسَ حَمْــدٍ زانهــنّ بلُبْســهِ

إذا ضيّــع العهدَ القديمَ مضيِّعٌ ... وَبَــاعَ وِدَادًا من أخيه ببخسه

فلابــن أبـــي زاك عهـــودٌ زكيّةٌ ... ترفّعــن عــن شكٍّ السلوِّ وَلَبْسهِ

أدام له اللّـــهُ السّيـــادةَ والعُلاَ ... وبلّغَه أقصـــى أمـــانيّ نفسهِ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 299.

ـ 13 ـ قل لبرق

قال مجيبا الأديب عبد الله الأزدي العسيلي على رسالة:

(الخفيف)

قــلْ لبرق جَلاَ الظّــلامَ بومْضِ	ذاهبٍ في السُّــرى لِأرضٍ فأرضِ
غيــر مستشعــر لقَلْبِــي سكونا	لا ولا لائــذ لجفنــي بغمـضِ
أيّها البــرقُ أنْهِ نحو العُسيلــ	ــيّ سلامًــا تُــؤدٍّ آكَــد فــرضِ
ولتبلّغــه أنّنــي ذو اشتيــاق	قــد قضى لي أليمه أن سأقضِي
لســتُ أرْضَــى على البِعاد لعهد	مبرَمِ العَـقــد أن يُشــابَ بنَقْضِ
وصنيــعُ الإلاه عنــدي سمــا عن	أن تَقــوم الشّفــاهُ منــه ببعضِ
مــع مَوْلــى فــاق البَرِيَّة طَوْلاَ	نتعاطــى المنــى فَيُعْطــي فيُرْضِــي
أحــرز المجــدَ بين جــود بعَرْض	مستبــاح الحِمَــى وبُخْــل بعِرْضِ
مــن أتــاه يشكو بجدب وبؤس	آب فــي عيشــه بخِصْــب وخَفْضِ
رائــدًا بــارِضَ الجَمِيــم لديــه	واردًا من جمامــه غيــر بَــرْضِ
وهــو يُهْدي إليــك منــه سلامًــا	يُنْسِــكَ المسكَ عَرْفُه إثْرَ فــضٍّ
لــم يــزل عنـك سائِلاً كلَّ حين	وعُــلاه بمثــل ذلــك تَقْضي
زاده اللّــــه مكْنــة وسعودا	يأمر الـــدّهرَ كيف شاء فيُمضي
يَا صَفِــيِّي الذي مَحَضْتُ علاه	كلَّ صفــو من الــوِداد ومَحْضِ
هاكهــا أقبلــت إليــك حيــاء	تَرْتَجِــي أن تُعِيرَهَا لَحْظَ مُغْضِي

المصدر: رحلة التّجاني: ص 130 ـ 131.

- 14 - هل يرجع الدّهر ما مضى؟

كتب مجيبا الفقيه الأندلسي أبا بكر محمد بن شبرين الجذامي الغرناطي من كتاب "نفحات النّسرين في مخاطبة ابن شبرين" مشيرا الى ما حدث بالأندلس:

(الكامل)

حـدِّث عـن الحـادث الذي وقعا ... تلـف مصيخًـا إليـك مستمعـا

وهـاك ما قد سمعت منـه وإنْ ... تركـتَ قلبـي بذاك مُنْصدعًا

هل معهـدُ الأنس كيف كان فقد ... عهدتُـه للكمــال مجتمعَــا

وهل حِمَـى العزِّ فيـه محتـرَم ... أم سلِـب العزُّ منـه وانتُزِعَا

وأين نــاسٌ هنــاك أعهدُهم ... على المعالِـي جميعُهم طُبِعَا

من كلّ طلـقِ اليدين مبتسمٌ ... أُرضع دَرَّ السّمـاح فارتَضَعَا

تلفيه كالنّجم رِفْعــة وسنًــا ... لا بل كبـدر الدُّجَى إذَا طَلَعَا

باكرَهُــم حــادِثٌ ففرَّقَهـــم ... وأذهـب النَّـاسَ والبِلاَدَ معا

وجــرَّ عدوانَــه فَجَرَّعَهُـــمْ ... بهِ مــن الهَـمِّ والأسى جُرَعَا

يا ليت شعري وفي المُنَى سعة ... إن أبقـت الحادثــاتُ مُستَمْتَعا

هل يُرْجع الدّهـرُ ما مضى فَلَكَمْ ... قـد عـاد من ذاهـب وكم رجعا

أم لا يرى عائـدا فوا أسفِي ... علـى زمـان مضـى ووَاجَزَعَـا

هيهات تمَّ القَضَـاءُ وارتفعتْ ... مطامعُ النَّفْــس عندمــا ارتفعَــا

فلســت ممّــا طلبت عودتــه ... أوّلَ مــن فـي المُحَال قد طَمَعَا

عهـدي بهم والشّجون تُقْلِقهم ... لا جنْب منهم يزورُ مضطجِعَا

منثَّــرا فـــي البــلاد نظمُهــمُ يا مـن رأى السِّلك بعدما انقطعا
أمــرٌ مـــن اللّـــه لا مــردّ لــهُ لم يبـقِ كهـلا منهمُ ولاَ يَفَعا
وخدعــة تمّ أمْرهــا فمضـتْ وكم سديــد الآراء قد خُدِعـــا
هــاك سلامـي على البِعاد أبا بكــر فقلبـــي إليـــك قد نزعَـا
وثـق بــودّ أديـن فيــك بـه ملتــزمًا منــه كـلّ مـــا شُــرِعا
إن حــال خِــلّ عــن المـودّة أو أجــاب داعـــي السُّلُوِّ حين دعــا
فاعلــم بأنّي والصــدقُ من شِيَمِي ممّــن رأى حفــظ عهـده ورعا
وإنّنـــي مــا قطعـت ذكـرك بل مازلـت للشّكــر فيــك منقطِـعا
أقسمـــتُ بالــرُّكن والمَقَــامِ ومن قد طـــاف بالبيت نحوها وسعى
ما طــاب لي بعدك البقـــاءُ ولا وجــدت لـــي فـــي الحياة منتفعًا

المصدر: رحلة التّجاني : ص 169 ـ 171.

ـ 15 ـ يا نسمة الرّوض

قال مخاطبا أبا ابراهيم بن حسينة :

(الكامل)

يا نسمةَ الرَّوض الــذي حاكت له أيــدي الغمــام ملابــسَ الإيراقِ
سيري مُبلِّغة عَلَــى شحْــطِ النَّوى طيبَ السّلام إلى عُلاَ إسحاقِ
الفاضلِ الأسمى الرِّضا الأسنَى الذي حاز العُـــلا والفضلَ باستحقاق
وتحمّلـي منّـــي إليــه تحيَّـــةً كالمِســـك نــمّ شذاه في الآفاقِ

يـزداد منهـا مــن تنشّق عَرفَهَا	طيبـا متى ما زاد في اِستنشاق
وصِفِـي لـه بعد التفرّقِ قدر ما	لاقيـتُ مــن وجدٍ ومن أشواقِ
اللّهُ يـا إسحــاقُ يعلم أنّنـي	للشّكـر فـي عَلياك نُو استغراق
وبعثـتُ هذا الطِّرسَ نحوك قاصدا	تقريـرَ وُدٍّ مُبْــرَمِ الميثــاقِ
فأتــى يُبـين إليـك صدقَ مودّتي	إنّ الخِطــاب علـى البعـاد تَلاقي
لا زلـتَ فـي نِعَـم تُجَـلُّ ورفعةٍ	ولــك الإلـهُ مـن المكــاره وَاقي

المصدر: رحلة التّجاني : ص 231 ـ 232.

ـ 16 ـ أهدي السلام

قال مهنّئا أبا الفضل التّجاني حين ضوعف له مرتّبه وأعليت رتبته على الكتاب:

(الكامل)

أهدي أبا الفضل السّلامَ مردّدا	لِعُـلاَك عـن قلبٍ إليك مَشُوقِ
وأقـرِّر الـوُدَّ الـذي أنـا سالـك	فيه مــن الإخلاص خيرَ طريق
وسمعـتُ أخبـارا أدار بذكـرها	مُنْهِـي الحديثَ اليَّ كَأْسَ رحيق
أُنبِئْـت أنّـك قـد خُصِصتَ برتبة	أسمـت مقامَـك فوق كلِّ رفيق
فسُرِرْت أن نال السِّيادة والعلا	مَنْ فخـرُه فخري لدى التَّحقيق
ما العزّ عنـدي أنْ أعـزّ وانّما	عِزِّي المكمّـل أن يعـزّ فريقـي

إن أكرمــوك فــقد أتـى إكرامُهم فــي موضــعٍ بالمكرُمَـــات حقيقِ
طُوِّقْتَ للإنْعــام ما تشــدُو به والشّــدْوُ شيمــةُ كــلّ ذي تطويقِ
واللّهُ يَرْزُقُــكَ الزِّيــادة حاكمــا لك بالعُــلاَ والسَّعــد والتّوفيــق

المصدر: رحلة التّجاني: ص 280 ـ 281.

17 ـ كم أنت في اللذات ذو استغراق

قال في مدح النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم:

(الكامل)

كم أنت في اللّذّات ذو استغراق ونذيــرُ شيبِــكَ مُؤْذِنٌ بفــراق
ولقلّمــا يُجْــدي المتــابُ إذا أتى داعي الحِمَامِ وقيل هل من راقى
يا صــاحِ دعوة ناصحٍ لك مشفقٍ والنُّصْح يُقْبَل مِنْ ذَوِي الإشفاق
بــادر إلى التّقوى بِــدَارَ مُسَـارع وانهض إلى الطّاعات نهضَ سباقِ
واغنــم مــن الأيّام مُهلة ساعــةٍ قبــل التفافِ السّاق منك بساقِ
حَدَّثْــتَ نفســك بالبقاء ولم يكن فــي هــذه الدّنيــا ليبقَى بــاقِ
كلٌّ بهــا فــانٍ ومنقــرضٌ ولا بقيــا لغيــر الواحــد الخــلاّقِ
واتــرك أناسًــا آثروا لذّاتِهــم واستمتعــوا مــن دهرهم بخلاقِ
علقــت نفوسهــمُ بنــزر عاجــل فاستبْدلــوه بأنْفَــسِ الأعــلاق
عِــوَضٌ كَلاَ عِوَض وبيــع كلّــه غُبْــن، وسعْــيٌ ظاهرُ الإخفاق

يا أيّها الإنسانُ إنك كادحٌ كدحًا وأنت لِمَا كَدَحْتَ ملاقي
والمرءُ مجزيٌ بما هو فاعل وجزاؤه جَارٍ على استحقاق
فنعيم ذي الطاعات غير مكيًف وعذابُ ذي العصيان غيرُ مطاق
للّه أقوام أطاعوا ربّهم ووفوا بما أعطَوْه من ميثاق
عظُمتْ لهم هِمَمٌ وعزّت أنْفُسٌ فَسَمَتْ بهم نحو المحلّ الرّاقي
قوم لو اطّلع الملوك عليهمُ لسعوا لخدمتهم على الأحداق
من كلّ بدر أفقُه محرابه لا يَخْتَشِي أبدا لحَاقَ مِحاقِ
يسمو اذا نام الأنام لِوردهِ فيعود منه الليلُ ذا إشراق
خطبُوا النّعيم ببذلهم لنفوسهم والخِطب لا تُعْطَى بغير صداق
لم تحصل الأخرى لهم إلاّ وقد خرجوا عن الدنيا خروج طلاقِ
إن لم أكن بالفعل ملتحقا بهم فالحبّ فيهم مُقْتَضٍ لِلَحَاقِي
يا ربّ بالهادي الذي أُرسلتَه نورًا أَفَضْتَ سناه في الآفاق
هادٍ أَتَى والجهل قد عمّ الورى والكفر قد غطّاهم برِواقِ
فجلا لهم سبُلَ الهدى وأقالهم من غرّة كانت بهم وشقاقِ
ولقد حباه اللّه كلّ فضيلة وأناله العليا على الإطلاقِ
بنزول طست فيه طُهْر فؤاده وعُرُوجِ جسم وامتطاء بُراقِ
وكفى له شرفًا بأن اللّه قد أثنى على ما حاز من أخلاقِ
يَسِّرْ لنا فيما به كلّفتنا عونًا لنَمتَثِلَ امتثال وفاقِ

وامنُــنْ علينا بالوصول لقبـره فهــو الشــفاءُ لقلبــيَ المشتاقِ
يَا ليت شعري هل أراني ساعيا فــي شــدّ أكــوار وَحَــدْو نياقِ
فلكـم تؤخّر عزمتي الأقدار عَنْ فِــرَقٍ تسيــر لقبــره ورفاقِ
قسمـًا بعزّتــه ورفعــة قـدره إنّــي لزورتــه لبالأشــواقِ
لكــنّ سيّء ما جنيــتُ أقرّني عنــه وقيّــد عزمتــي بوثــاقِ
لاَهُــمَّ إنّا لائــذون بجاهــه فهــو الشّفيع لنــا وأنت الواقــي
صلّــى عليه اللّه ما هبّــت صبا وترنّمــت وُرْقٌ علــــى أوراقِ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 393 وعنوان الأريب: ج 1، ص 83 ـ 84.

18 ـ أيّها الخلّ

قال مخاطبا في رسالة أبا عبد اللّه محمد الجزري:

(الخفيف)

أيهــا الخلُّ إنَّ نظمــكَ وَافَى مبــديًا مــا من الوداد لديكا
فتأمّــل جــواب خِـلٍّ مُحِبّ فيــك شــاكٍ نــواك مُثْنٍ عليكا
وعلــى مجدك الصميــمِ سلامٌ طيّــبُ العَرْف قدرَ شوقــي إليكا

المصدر: رحلة التّجاني: ص 303.

19 ـ لله درك

كتب بهذه الأبيات الى الفقيه أبي محمّد عبد اللّه الأزدي العسيلي:

(الكامل)

أأبـــا محمـــّـدٍ الذي أخبـــاره ... في الفضـل ترويها الثقاتُ مسلسله
للّــــه درُّكَ مــــن وحيـــدِ بلاغـةٍ ... ساق الكـــــلاَم منظَّما أو رسَلـــه
لا زال فـــي الأفـــواه ذكرُك طيِّبـا ... وإذا أحـــبّ اللّه عبــــدا عَسَلَــهْ
وإليكَــهَا أبيــاتَ خلٌّ مخلِـص ... قـــد ضمّن الطرسَ الودادَ وأرسلهْ
وأتـــى بها عن خاطـــرٍ متوحِّـشٍ ... ومتـــى أجبتَ فقد أتحْتَ الأنسَ لهْ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 236.

20 ـ أرى الأيّام تمنعني مرادي

مما أجاب به أبا بكر بن فتح:

(الوافر)

أمحـــرزَ غاية الشَّـــرفِ الأثيلِ ... ومـــن قد جلّ عـــن سعيٍ مهيـلِ
أتتنـــي منــــك أبيـــاتٌ حســـان ... شمائلهـــا أرقُّ مـــن الشَّمــولِ

يعـــزّ علـــيّ مـــا قد بيّنـتَ من وقوفـــك وِقفَـــةَ الرّجل الذّليـــلِ

فأُقســـم بالهدايـــا مُشْعَـرات تجـــوبُ الأرض مِيلا بعـــــد مِيلِ

إذا اشتكت السّرى بلسان حال تقـــرّر بالوخيـــــد أو الذميـلِ

توُمّ بسيـرها أسنـــى محـلٍّ به نـــزل الكتاب على الرّســـولِ

لو أنّـك بالذي استحققتَ تُجْزى لما جـــوزيتَ إلاّ بالجزيـــلِ

وهـــا أنا أشتكي لعلاك شكـوى تبثّك بعـــض ما بي من غليـلِ

أرى الأيّـــام تمنعنـــي مـرادي وتُلْقِـــي بـــي لقصدٍ مستحيلِ

وأطلـــب للعـــلا فيهـــا وُصُولا فيصعـــب للعلا فيـــها وصولـي

ويُمْضـي الأمرَ غيري وهو دوني وأمـــري لابسٌ ثوبَ الخمـــول

وإن تـــكُ قـــد أنالتني قليـلا فمثلـــي ليـــس يقنـــع بالقليلِ

وما طلبـــي لهـــا إلاّ لَعَلّـــي أســـوء عـــدايَ أو أرعى خليلي

وليـــس يُنَال حظٌّ باجتهـــاد ولا تجـــري على قدر العقـولِ

فحســـب المرء تسليـــمٌ وصبـــر يُيمّـــم منهما أهـــدى سبيـــلِ

ولكـــنْ لي على الأقـــدار دَين لَوَت بقضائـــه ليّ المطـــولِ

وإن هي بلّغتنيـــه فكـــم لـــي مـــن الأيّام من خبـــر طويـلِ

خرجـــت عن المراد إلى حديـث نفثـــت بشرحه نفـــث العليـلِ

أودّع وُدّك الأصـــفى فإنّـــي دعانـــي للنّوى داعـــي الرّحيلِ

وأطلـــبُ منـــك زادًا من دعـــاء تواصلـــه ومـــن ذكر جمـــيلِ

وقد أصفيـــت نحـــوك باعتقاد صحيـــح من فـــؤاد لي عليـلِ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 175 ـ 177.

ـ 21 ـ طلعت كالبدر

قصيدة خاطب بها عبد اللّه التّجاني ابن اللّحياني الحفصي يثنيه عن مواصلة السّفر الى المشرق ويرجو منه العودة الى تونس. وهذه القصيدة معارضة لقصيدة أبي ابراهيم بن حسينة التي ذكر منها التّجاني أول بيت:

(المتدارك)

طلعْت كالبدر المكتملِ ... فتوارى البدرُ من الخجلِ

وأمال اللّحظَ تمايلُها ... عن غصنِ البان المعتدل

حوراءُ يحار الصبُّ بها ... ويخلّى السّلوة كلّ خلي

حكمَتْ بهواها فيّ فلم ... يعدِلْ في الإمرة حينَ ولِي

فأبحتُ النَّفْس لِمَا احتكمت ... وحميتُ السّمع عن العذَلِ

جمعتْ أشتات الحسن فقد ... زادت في الحسن على المثَلِ

كأبي يحيى تلقى منه ... أشتات الفضل لدى رجل

مولًى زهتِ الأيّام به ... وتحلّت من بعدِ العَطَلِ

ينميه أبو العبّاس إلى ... حَسَبٍ في مرْقَى المجد عَلِي

شرفٌ بالإرث تملّكه ... فتنَقَّل أحسن منتقَلِ

بأسٌ كالنّار إذا اضطرمت ... وندًى كالغيث المنهملِ

قد ألقى اللّه بحكمته ... بيديه مقاليدَ الدُّولِ

يُمْضِي الآراء مسدّدةً ... في قول أنْفِذَ أو عملِ

مولاي قصيدة ممتدح ... وافاك بشعرٍ مرتجَلِ

طلبْـت إيضــاح فضــائلكـم ۔ فحكــت منهــا بعــضَ الجُمَلِ
فــإذا أحسنــتُ فــذاك لكــم ۔ وإذا قَصَّــرتُ فذلــك لــي
وافــت عليــاك معارضـــةً ۔ "عــرّج يــا صــاح على الطّللْ"
مــع أنّ قصيــدة أوّلِنـــا ۔ فاتــت سبقــا شـــأوَ الأوّلِ
وارجــعْ لمحــلٍّ حــال بمــا ۔ يشكــو لفراقــك مــن علَــلِ
فأقــم للـــدّيــن تَجَـــدُّدَه ۔ فــي عــزٍّ بــاقٍ متّصــلِ
واخلــعْ أثــواب السُّقْــم بمـا ۔ تكســى للصحّــة من حُلَــلِ
فشــروط الحــجّ قد أرتمعــت ۔ لــزوالِ القُــدْرة والسُّبُــلِ
عهـدي بِعَبِيـدك فيــه وقــد ۔ مــدُّوا يــد داعٍ مبتهــلِ
يرجــون ثــواءك عــن كثــب ۔ وَدُنُــوًّ لقائــك عــن عجــلِ
كانــوا مــن عهـدك في ظُلَلِ ۔ فغــدوا من بعــدك في خــللِ
فأنلهــم منـــك مرادَهـــــم ۔ وانقــع بالقــرب صــدى الغَلَــلِ
واجمــع شمــلا بالأهــل فقــد ۔ ماتــوا شوقــا قبــل الأجَــلِ
واسعــد واصعَــدْ وتســامَ وزِدْ ۔ وتــرقّ ونَــلْ أقصــى الأمــلِ
واللّــه يوفّــق رأيــك فــي ۔ حــلٍّ أزمعــت ومــرتحــلِ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 192 ـ 194.

22 ـ ألم الفراق على النّفوس عظيم

كتب مراجعا صديقه محمد بن يعيش:

(الكامل)

ألم الـفراق على النّفـوس عظيمُ ... مــن ذا بعبء الصّبر فيه يقومُ
سلنــي بمــا أحببــتَ من أنبائه ... فلــديّ قلــب بالشّجــون عليم
للّــه إخــوان نعمــتُ بقربهــم ... زمنــا وأيّــامُ الوصــال نعيم
غــاظ الزّمــان دُنُوَّنــا فأعــاده ... بعــدا فشُتِّت شملُنــا المنـظوم
لكنّهــا الأقــدار تجـري بالــذي ... شــاء الإلــه وحسبنا التّسليم
قسمًــا بمــا أضمرتــه من وُدّهم ... إنّي لقلبــي بعــدهم لرحيــم
ولقــد وجــدت وقــد فقدتُهم أسًى ... صــبري بحكــم وجوده معدومُ
ومنعــتُ جفني بعدهم سِنَةَ الكرى ... أنّــى يكون لِهَائِمٍ تهــويم
ويظنّ مــن لم يدر ما بي من أسى ... قلبــي سَلِيمًا منه وهو سليــم
وأشدّ مــن آسى بفرقتــه أبــو ... عبــد الإلــه فقــربه مغنومُ
فهو الــذي نازعتُه كأسَ الهوى ... صرفــا فــلا لغوٌ ولا تأثيمُ
ذو الفضـل والعلياءِ والشِّيَمِ التي ... وجــهُ الزّمان بحسنهــا موسومُ
ذاتٌ قد انتسبــت بزاكي طبعها ... للفضل فهــو أخ لها وحميــمُ
أخَــذَ الوفــاءَ سجيّةً فضميرهُ ... أبدًا علَــى حفظ الوداد مقيمُ
ودليــل صــدقِ ودادِه كُتُــبٌ له ... يصــل الودادَ وصولُهــا ويديمُ
ولرُبَّ نَظْــمٍ جاءنــي من نحـوه ... جَمَــعَ الفضائل طرسُه المختومُ
وافــى فقــرّرَ ذمّــة مرعيّــةً ... ورســومَ وُدٍّ عهدهــنّ قديمُ
فاللّــه يحفــظ مجــدَه وكمــالَه ... وينيلُــه ما يبتغــي ويرومُ
وعلــى علاهُ تحيّــةٌ لا ينقضـي ... منهــا ورودٌ نحوه وقــدومُ
تســري معطّرةً إليه كمــا سرى ... سَحَــرًا على زهرِ الرِّياض نسيمُ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 304 ـ 305.

23 ـ حبّكم مقيم

وكتب لأبي الفضل محمّد التّجاني مقرّرا للود ويلي القصيدة نثر:

(مخلّع البسيط)

حبُّكم في الحشا مقيمُ ... فما يرومُ الذي يلوم؟
أما درى العاذلون جهلا ... أنّ عذابَ الهوى نعيم
هل عند من عنده فؤادي ... إنّ غرامي به عميمُ
يبيت من لوعتي خليّا ... ومنه بي المُقْعِدُ المقيمُ
أحبابنا هل ينالُ حظّا ... مِنْ وصلكم من بكم يَهيم
هَبُوا لأجفاننا مناما ... فعهدُها بالكرى قديم
لازمها بعدكم سهاً ... تعرِفُ مقدارَه النُّجوم
وعلّلوا بالرّضى فؤادا ... به لهجرانكم كلوم
يظنّه عُذّلي سليماً ... وهو لفرط الأسى سليم
إن حكّم الدّهر بافتراقٍ ... موقعُه في الحشا أليم
فكلُّ شيء إلى كتاب ... قدّره القادر الحكيم
هاك أبا الفضل من سلامِي ... مسكا رسولي به النّسيم
واعلم بما بي من اشتياق ... إليك مقداره عظيم
وإن طلبت بعلم حالي ... وأنت عندي بها عليم
فإنّني في اتّصال نُعْمَى ... بشكرها الدّهرَ لا أقوم
مُنعَم في جناب مَوْلى ... بقربه تبعُدُ الهُمُوم
للّه منه غمامُ جود ... عمّ الورى صوبُه العميمُ

كـم كفٍّ بـؤسَ الـورى بكفٍّ — تعجـز عـن جُـودِهِ الغيوم
ينثُـر أموالَــه ولكــن — شمـلُ المعالـي بهـا نظيـمُ
إيــه نـداءً حـواه قلـبٌ — مازجــه وُدُّك الصَّميــمُ
هـل ترتجـي للزّمـان عـدلا — فإنّــه فـي النَّـوى ظلـوم
قـد علـم اللّــه مـن ودادي — ما أنــا راع له مديـــمُ
وانّ عنــدي لحفـظ عهـدي — طريقـــةً نهجهـــا قويــم
وان تحـلْ بيننــا فيــاف — يقصــر عن جَوْبِهــا الرّسيــم
فَإنَّ ذكــراك كــلّ حـين — في الفَـمِ والقلــب لا تريــم
لقــد تدانـــت لنــا قلــوبٌ — وإن تنـــاءت لنـــا جســوم
فنســأل اللّــه جمــع شـمل — فهــو لطيـف بنــا رحيــم

المصدر: رحلة التّجاني: ص 285 ـ 288.

24 ـ من مبلغ عنّي

كتب مخاطبا أبا عبد اللّه محمّد البلوي وأبا عبد اللّه محمّد الهواري:

(الكامل)

إن لـم تَفِـضْ بدمائها أجفانـي — لفــراق من أهــوى فمــا أجفاني
أَوْ لم أواصــلْ ذكر إخوانـي فقد — أصبحـــتُ معــدودا من الخوّان
مَنْ مُبْلِـغ عنّي السـلوَّ بأنَّ لي — في الحـــبّ قلبًــا غيرَ ذي سلوانِ
عندي لأحكــام الوداد شريعــةٌ — أضحى القصيُّ بحكمها كالدّاني

لا أرتضـــي إلاّ الوفـــاءَ طريقــةً ما الغدر من خُلُقِي ولا من شــاني
ولئـن نسيت فلست أنسى صاحبا يصـل التذكّر لي ولا ينســاني
خِلّــي الذي عــزّت بــه هــوّارةٌ عــزّي بصحبتــه على أخدانــي
مــن قد صرفتُ إليه وجه مودّتي وصرفــت لحظي عن فُلٍ وفــلان
ذا المنـزع الأحلى الذي أجْرَى به في النّـــاس حالتــه على ميزان
ذات قــد اختصّــت بكلّ فضيلـة فاختصّهــا بالشّكــر كلّ لســانِ
يســدي تفضّلَه إلـــى إخوانــه ويعدّ فــيه الفضـــل للإخوانِ
كم خصّنـــي من نصحه بفوائد أهْـــدَى إليّ حليّهـــا فهدانــي
ولكم أبـــان لي الحقائــق فكرُه فأقـــام صورتهـــا مقـــام عيـانِ
ولقد أتانـــي من لدنه على النّوى كَتْب أتانــي الأنــس حين أتانــي
قد وُفِّيــتْ فيه البلاغــة حقّها ما بين ألفـــاظ وبين معانـــي
جمع الصنيعـة والصّناعة مازجا تبيين إحســـان بحســـن بيانِ
ورأيت في أقصى الصحيفة أسطرا ألّفْنَ بيــن الحســن والإحســـان
من ماجـــد أســـدى اليّ أياديًا مالـــي بواجــب شكرهــنّ يدانِ
جاءت تقـــرّر من كـــريم وداده ما حــلّ من قلــبي أجلَّ مكـانِ
لمّا قرأت خطابهـــا ففهمتــه ناديــت والســرّاء ملء جَنَانِــي
قد أتحفتْنــي بالوداد بنو أبــي زاك ففــخرًا يـــا بنــي تيجـانِ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 228 ـ 230.

25 ـ نمّ عمّا قد كتمته

مما خاطب به ابن عمّه أبا الفضل:

(مجزوء الرّمل)

نَـــمَّ عمّــــا قـــد كتمتُــــه ... مــا مـــن الدّمـــع سجمتُــه
وشجـــــا الشّــــوقُ فــــؤادا ... لم يُطِعْنـــي حيـــن أُمْتُـــه
سُمْتُهُ الصّبـــر فحـــال الــــــ ... ـوَجْـــدُ عمّـــا منــه سُمْتُــه
أيّهـــا الإخــــوان والسّلــــــ ... وانُ ذنـــب مـــا اجترمتُـــه
قَسَـــمٌ فيكـــم بشـــوق ... مـــذ تفرّقنــــا لَزِمتــــه
مـــا تذكّـــرت فــــؤادي ... بعدكـــم إلا رحِمْتـــه
لا ولا مَـــــرّ بِفِكْـــري ... ذكركـــم ليـــلاً فَنِمْتُـــه
ولقــــد جـــدّد وجـــدي ... بـــارقُ للغـــرب شِمْتـــه
هـــاج لـــي ذكـــرى نعيـــم ... مـــع مـــن أهـــوى نعِمتـــه
وأفـــاد القلـــبَ قربًـــا ... قَلْبُـــه[1] لَمّـــا فهمتـــه
مـــن كتـــاب أوجـــب الأنــــ ... س وقـــد كنـــت عدمتُـــه
أحـــرزَتْ كَفِّـــيَ منــــه ... غنمَهـــا حيـــن غَنِمْتـــه
جـــاء فـــألا باقتــــراب ... بعـــد بُعْـــدٍ قـــد سئمتُـه
مُعْلِمـــا لـــي بـــوداد ... كنـــتُ مـــن قبـلُ علمتُـه
فمــددتُ القـــول فـي الشــــ ... كـــر عليـــه وأدَمْتُـــه
وتمثّلـــت يمـــينـــا ... رَسَمتـــه فلثمتُـــه

---

(1) مقلوب البرق هو القرب .

يــا إمــامــي وفـقـيــدي عِلْــمُ مـــا فيـــه ائتمتـــه
فُـــزْ وحُـــزْ كـــلّ عـــلاء واحْـــدُ مـــا رمـــتَ ورمتُـــه
وابـــق مخصوصـــا بفضـــل أنـــت منحـــاه وسَمْتـــه

المصدر: رحلة التّجاني: ص 224 ـ 226.

26 ـ حيّى الفؤاد

قال مجيبا صديقه الشّاعر أبا القاسم محمّد بن ملجوم:

(البسيط)

حيّـــى الفـــؤادَ علـــى بعد فأحيــاهُ خِــلٌّ أبت غيرَ حفظِ العهد علّياهُ
أهــدى إليّ سلامًا من لديـــه فقـــد أهـــدى إليّ الأماني حين أهداهُ
وقد كســـاني ثيابَ الأنس ضافية طـــرسٌ كستـــه ثياب الوشي يمناه
دنا فأدنـــى ســرورا كان قَبْلُ نـــأى وصادف الحـــزنَ ذا قرب فأقصاه
قد استوى النّاسُ في استحسان جملته لمّا استـــوى لفظه حسنا ومعناهُ
يا غائبـا حاضرا في حال غيبتـــه فكلّمـــا شئـــتُ أن ألقـــاه ألقـاه
أمّا الـــودادُ الذي قـــررتَ صحّتـــه فإنّنـــي مثـــلَ ما ترعـــاه أرعـــاه
ما حُلْـــتُ عن حبٍّ من أحببت منقلبا ولا نسيـــتُ هـــوى مـــن كـنت أهواه
فثق بوُدّ صحيـــح مـــن أخ ثقةٍ بـــاق على حفـظ عهد ليس ينساه
ودُمْ أبا القَاســـمِ الأسنى حليفَ علا واسعد وفُزْ واحو أقصى ما تمنّاه

المصدر: رحلة التجاني: 301.

نصوص نثرية

1 ـ رسالة إلى ابن عمه أبي الفضل

لمّا وصلني كتاب سيّدي الذي اعترف بإحسانه، وأغترف من بحر بيانه، وصل الله سعوده، وأنجز من الآمال موعوده، قابلته بما يجب له من إجلال وتعظيم، وظفرت يداي منه بكتاب كريم، وعندما حللت طبعه، وحللت ربعه، علمت أن من البيان سحرا، وأن من الدرّ ما يكون له بعض الصدور بحرا، فلثمته عوضا عن اليمين التي رسمته، ووسمته من المحاسن بما وسمته، واتّخذته سميرا مناجي، أرفعه طورا على رأسي تاجا، وأتّخذه تارة إماما فيما أحاول من صياغة هذه الصّناعة ومنهاجا، ثمّ لمّا فهمت خطابه، وأردت أن أكتب جوابه، استشعرت بقصور، فارتبكت بين جواب لا أرتضيه جوابا، واغفال ليس في حكم التأدب صوابا، فقلت الأول تعرض للافتضاح، وابانة لقصور ذي اتّضاح، والثّاني وبالله العصمة، اخلال بحقوق، ووقوع في عقوق، فرأيت أن خطب الأوّل أقرب، وأنّ المعترف بقصوره لا يثرب، مع أنّ إغضاء المخاطب عن المعترف معروف، وطرف رضاه عن المساوي مصروف، فأجبته بما أحببت وكتبت، وما أدري أأخطأت أم أصبت، غير أني لم أفعل الا وأنا على ما ذكرت معول، ولم أقدم الا وأنا على ما قدمت وحُقَّ لمن شغلت النّوى فكره، واستلب فراق الأخلاّء الاجلاء مثلك صبره، أن يتجاوز عن هفواته، ويقبل ما صدر منه على علاته، ومعاذ الله أن تكون هذه شكوى من تبرّم بحاله، أو سئم من حله وترحاله، فقد أصبحت بحمد الله بملازمة من رفهتني أياديه، ورفعتني خدمة ناديه، بين مراد مكثب، ومراد مخصب، غير أنّ الانسان يقوم بعذره، ويقوم بزعمه سببا لقصور فكره، وضعف نظمه ونثره، وأعرف سيدي أني بلغت مخدومنا أعزه الله سلامه، وأوضحت له اشارته في ذلك الفصل أمامه، فذكر أن العقد كما كان سليم، وأنّ النقد نبذ بالعراء وهو سقيم، وهو مثن عليكم، ومهد سلامه اليكم، والله يحفظ على سيدي كماله، ويبلّغه آماله، ويحرس احتواءه على الفضل واشتماله.

المصدر : رحلة التّجاني : ص 226 ـ 227 .

2 ـ باب ذكر أوصافهنّ على التفصيل

الشّعر:

أبو الفرج في كتاب النّساء، قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم:

"إذا تزوّج أحدكم المرأة فليسأل عن شعرها، فإن الشّعر أحد الجمالين".

حمزة بن الحسن الأصبهاني في كتاب الأوصاف له قال: كان يقال استجيدوا من المرأة شعرها، فإنّ الشّعر أحد الوجهين.

وقال خالد بن صفوان: الشّعر الأسود برنس الجمال.

أبو منصور الثعالبي في كتاب فقه اللّغة له قال: كمال الحسن في الشّعر.

وقال في فصل من الكتاب المذكور عقده لتفصيل أوصاف الشعر: يقال: شعرجفال إذا كان كثيراً ووجف إذا كان متّصلاً، وكثّ إذا كان كثيفًا مجتمعًا، ومعلنكس ومعلنكك إذا زادت كثافته، ومنسدر إذا كان منبسطا وسبطًا، وسبْط إذا كان مسترسلاً، ورجْل إذا كان بين السّبط والجعد، وسحام إذا كان حسنًا ليّنًا، ومغدودن إذا كان طويلاً ناعمًا. انتهى ما ذكره أبو منصور.

وقال غيره: وجثل إذا كان ضخمًا غليظًا، وأثيث إذا كان كثيراً ملتفًا، ووارد إذا كان طويلاً مسترسلاً. واشترط فيه بعضهم أن يصل إلى الكفل.

ومن أوصاف الذمّ فيه: شعر جعد بسكون العين إذا كان منكسراً غير مسترسل، وقططٌ بفتح الطاء وكسرها إذا اشتدّت جعودته، ومقلعط بسكون القاف وفتح وكسر العين المهملة إذا زاد على القطط، ومفلفل إذا كان في نهاية الجعودة كشعر الزنج.

ومن الشعر في هذا الباب قول امرئ القيس:

وشعْرٍ يغشّي المتن أسودَ فاحمٍ أثيثٍ كقِنْو النَّخْلة المُتَعَثْكِلِ
غدائـرُه مستشـزرات إلـى العـلا تَـضِـلُّ العذَارى في مثنى ومُرْسَلِ[1]

يغطي المتن أي يكسو الظهر لطوله وجثولته.

والمتعثكل المتداخل، ومستشْزِرات كناية عن ضفرهن.

وأنشد أبو علي في الأمالي لبكر بن النَّطاح وهو من أشعار الحماسة قوله:

بيضاءُ تَسْحب من قيامٍ شعرها وتَغِيبُ فيه وهو وَحْفٌ أَسْحَمُ
فكأنّهـا فيـه نـهار مشـرق وكأنّـه ليـل عليها مظلمُ

قوله: تسحب من قيام: يريد من بعد قيامها، وذلك هو الغاية في الطول والسّبوغ.

قال أبو علي: ومن أحسن ما قيل في هذا الباب قول ابن الرومي أنشده النّاجم عنه :

وفاحـم وارد يقبـل ممشـا ه إذا اختـال مرسـلا غُـدَرَه
أقبـل كاللّيـل مـن مفارقـه منحـدراً لا تَـذُمُّ منحـدره
حتّـى تناهـى إلـى مـواطـئه يلـثِـم من كـلّ مـوطـىء عفـره
كـأنّه عـاشـق دنـا شغفـاً حتـى قضـى مـن حبيبه وَطَرَه[2]

العذر: بضم العين المهملة وفتح الذال المعجمة جمع عذرة وهي الخصلة من الشعر.

المصدر: تحفة العروس الطبعة 1: ص 111 ـ 112.

---

(1) ص 150 من ديوان امرئ القيس تحقيق حسن السندوبي، القاهرة 1953. في الديوان: وفرع يزين المتـن.

الأثيث: الكثير المتراكب والقنو: العذق. المتعثكل: الذي دخل بعضه في بعض لكثرته أو المتدلّي.

(2) انظر ص 41 ـ 42. ج 2. من ديوان ابن الرومي. تحقيق عبد الأمير علي مهنا. بيروت 1991.

محمّد بن القويع

(664 ـ 738)

وليّ الدّين أبو عبد اللّه محمّد بن محمّد بن القويع الجعفري القرشي التّونسي. ولد بتونس في رمضان سنة 664 وهاجر الى المشرق سنة 690 وعمره 26 سنة. رحل الى دمشق وحماة ثم رجع الى القاهرة واستقرّ فيها. كان يدرّس في مدارسها الأدب والتّفسير ويعلّم الطبّ في البيمارستان المنصوري. وتولّى في القاهرة نيابة القضاء مدّة من الزّمان وحظي فيها بجاه علمي وأدبي عريض.

من مؤلّفاته:

- ديوان شعر

- شرح ديوان المتنبّي في عدّة أجزاء : ضائع.

- تفسير سورة ق وعدد من الآيات : ضائع.

1 ـ جوى يتلظى

(الطويل)

جـوًى يتلظّـى في الفؤادِ استعـارُه ... ودمـعٌ هتـونٌ لا يكـفُّ انهمارُه
يحـاول هـذا بـرد ذاك بصوبـه ... وليـس بمـاء العين تطفـأ نـارُه
ولوعًـا بمن حاز الجمـال بأسـره ... فحـاز الفـؤادَ المستهامَ إسارُه(1)
كلفـتُ به بـدريٍّ ما فـوق طوقـه ... ودعصـيِّ ما يثْنـي عليه إزارُه(2)
غزال لـه صـدري كنـاسٌ ومرتعٌ ... ومـن حَـبِّ قلبي شيحه وعراره(3)
من السّمر يبدي عَنْدَمِيَ الصبر خدّه ... إذا مـا بـدا ياقوتـه ونُضارُه(4)
جـرى سائجًا ماء الشّباب بروضـه ... فأزهـر فيـه ورده وبهـاره(5)
يشِـبُّ ضِرامًـا فـي حشاي نعيمُـه ... فيبـدو بأنفاسـي الصّعاد شَرارِه
وينثر دمعـيَ منـه نظـمٌ موشّـرٌ ... كنَـوْر الأقاحـي حفّـه جلّنـاره(6)
يُعـلُّ بعـذبٍ من بَـرودِ رُضـابهِ ... تفـاوح فيـه مسكـه وعُقَـاره
ويُسْهِـرُ أجفانـي بوسنـان أدعج ... يحيّـر فكـري غنجُـه واحورارُه
حكانِـيَ ضعفًا أو حكى منه موثقًا ... وخصرًا نحيلاً غال صبري اختصارُه

---

(1) الإسار: القبض والأخذ.

(2) الدعص: قطعة من الرمل مستديرة أو الكثيب منه المجتمع أو الصغير. شبّه الكفل بالدّعص لكثرة ما عليه من اللّحم.

الطوق: حلي للعنق يحيط به وكلّ ما استدار بشيء. ج أطواق.

إزار: كل ما يستر ويقال له أيضا المئزر. ج مآزر.

(3) الشيح: نبات ينبت في بلاد العرب ترعاه المواشي.

العرار: بهار ناعم طيب الريح ج عرارة. قال الشّاعر :

تمتّع من شميم عرار نجد ... فما بعد العشيّة من عرار

(4) النضار: الذهب أو الفضّة أو الجوهر الخالص من التبر.

(5) البهار: نبت طيب الريح جعد ينبت أيام الرّبيع ورده أصفر الورق أحمر الوسط.

(6) الجلّنار: زهر الرّمان، ج جلنارة.

معنّى بردفٍ لا ينوءُ بثقله فيا شدّ ما يلقَى من الجار جارُه
على أنّ ذا مثرٍ وذلك معسرٌ ومن محنتي إعسارُه وإيساره
تألّف من هذا وذا غُصْنُ بانةٍ فوافت به أزهاره وثماره
تجمّع فيه كلُّ حسنٍ مفرّقٍ فصار له قطبًا عليه مداره
زلال ولكن أين منّي وروده ولدْنٌ ولكن أين منّي اهتصاره؟
وسلسال راحٍ صُدّ عنّي كأسُه وغودر عندي سُكْره وخماره
وبدر تمامٍ مشرقُ الضوء باهرٌ لأفقي منه محقُه وسراره
دنا ونأى فالدّار غير بعيدة ولكنّ بعدا صدُّه ونفاره
وحين درى أن شدّ أسري حبُّه أحلّ بي البلوى وساء اقتداره

ومنها:

حكت ليلتي من فقدي النّوم يومها كما قد حكى ليلي ظلاما نهارُه
كتمت الهوى لكن بدمعي وزفرتي وسقمي تساوى سرّه وجهاره
توالت سجلاّتٌ عليّ بأنّني إمام غرامٍ قل فكيف استتارُه؟
أورّي بنظمي في العذار وتارة لمن إنْ تغنّى القُرْطُ أصغى سِواره
وجلّ الذي أهوى عن الحلْيِ زينةً ولمّا يقاربْ أن يدبّ عِذاره
أراحةَ نفسي كيف صرت عذابهَا وجنّةَ قلبي كيف منك استعارُه؟

المصدر: الوافي ج 1، ص 238 ـ 247 وفي درّة الحجال: ج 2، ص 847 وفيها تحريف كثير.

2 ـ ولو غيّر الزمان

قال من قصيدة يمدح بها الشيخ تقي الدّين ابن دقيق العيد وبدأها بالفخر:

(الوافر)

ولـو غيـر الزّمـــان يكون قرني لَلاَقـى الحتف من ليـثٍ جريّ
تحامــاه الكمــاةُ إذا ادلهمّت دجـى الهبواتِ في ضنكٍ حميّ[1]
وطبّقــتِ الفضــاء فلا ضــياءٌ سوى لمعــان أبيـض مَشْرَفيّ[2]
وأرمــدت العيــونُ وكلّ طَـرفٍ عــمٍ إلاّ لأسمـــر سمهــريّ[3]
بحيـثُ عبابُ بحر الموتِ يرمي بمـــوجٍ من بنــات الأعوجــيّ[4]
عليهــا كــلّ أروع هِبــــرزيّ يغالــبُ كــلّ أغلــب شَمَّــريّ[5]
تــراه يرى الظُّبــى ثغرًا شنيبًا مـن الإفْرنْـد فــي ظَلْمٍ شهـيٍّ
ويعتقد الرّمــاح قدود هِيـــفٍ فيمتحهـــا معانـقــةَ الهــديّ[6]
هنــاك ترى الفتى القرشيّ يَحْمِي حمـــاة المجد والحسَـــبِ السّنيّ
وتعلـــم أنّ أصـــلاً هاشميّــا تفرّع بالنُّضـــار الجعفــــري
ولو أنّ الجعافـــرة استبــدّت به يُمْنَـــى الهمــــام القويعـي؟

وقال في المدح:

إلى صـــدر الأيمـــة باتّفــاق وقـــدوةِ كــلِّ حبْـــرٍ ألمعــيّ
ومـــن بالاجتهاد غـدا فريــــدا وحــاز الفضــل بالقِـدْح العليّ

(1) الهبوة: ج هبوات وأهباء: الغبرة .
(2) مشرفي: نسبة الى قرى من أرض العرب تدنو من الريف اسمها مشارف الشام، وقيل إلى موضع في اليمن منه السّيوف المشرفيّة.
(3) سمهري: الرمح الصلّب، من اسمهر: اشتد وصلب
(4) الأعوج: القوس، ومؤنثه: عوجاء
(5) الهبرزي: الأسد أو الأسوار من أساورة الفرس، والشمّري: الماضي في الأمور. المجرّب.
(6) الهدي: العروس

وما هو والقداح وتلك بخت | وهذا نال بالسّعي الرّضي
صبا للعلم صبًا في صباه | فأعْلِ بهمّة الصّبّ الصبيّ
فأتقن والشّبابُ له لباسٌ | أدلّة مالكٍ وَالشّافعي

ومنها:

ونورُ جلاله يرتدُّ عنه | رسولُ الطّرف بالحسن الحيّ
"ومن كثرت صلاة اللّيل منه | سيحسن وجهه" قول النبيّ

ومنها:

بعدلٍ عمّ أصنافَ البرايا | تساوى فيه دانٍ بالقصيّ
ضممتَ(7) ندًى وجودًا حاتميًا | إلى رأي وحلمٍ أحنفيّ
لَدَيْكَ دعائم المجد استقرّت | فحطّ بنو الرّضا ملْقَى العصيِّ
بحيث طوامحُ الآمال مهما | رمتْ لم تُخْطِ شاكلةَ الرميّ
أيا قمر الفهوم إذا ادلهمّتْ | دجى الإشكال في غوص خفيّ
وسَحبانَ المقالة حين يُلْفَى | بليغ القوم كَالْفَهِ العيي
لكمْ أبديت من معنًى بديعٍ | يروق بحُلّة اللّفظ البهيّ

(7) في الدرر: جمعت

فأقســـم ما الرّيـــاض حنا عليها ... ملـــث الـــودق[8]، هطّـــال الحبيّ

فألبسهـــا المزخـــرفَ والموشّـى ... حَيَـــا الوسميّ منه أو الولـــيّ

وأضحـــك نبتهـــا ثغـــر الأقاحـــي ... فمـــا نظـــمُ الجمانِ اللؤلـــؤي

وعطّـــر جوّهـــا بشذا أريـــجٍ ... من المســـك الفتيـــق التُّبَّتِـــيّ

فلاحـــت كالخرايـــد يزدهيهـــا ... حُلـــيٌّ الحســـن أو حُســـن الحليّ

بأبهـــج من كلامـــك حين تُفْتَـــى ... ســـؤالا بالبديّـــة أو الـــرويّ

المصدر: الدّرر الكامنة: ج 4 ، ص 299 ـ 302 وبغية الوعاة: ج 1، ص 226 ـ 228.

3 ـ مقطوعة

(الطويل)

تأمّـــل صَحيفات الوجـــود فإنّها ... من الجانـــب السّامـــي إليك رسائل

وقد خُـــطّ فيها إن تأمّلـــت خطّهـــا ... ألا كلّ شيء ما خلا اللّهَ باطل

المصدر: الدرر الكامنة: ج 4 ، ص 299 ـ 302 وبغية الوعاة: ج 1 ، ص 226 ـ 228.

---

(8) في رواية: القطر.

أبو البركات أيمن

(ت 743)

أبو البركات أيمن بن محمّد التّونسي ولد بتونس وأخذ عن علمائها وأدبائها ثمّ هاجر الى المشرق واختار المدينة المكرّمة ليقيم بها. كان هجّاء ثم تاب وأخذ ينظم الشّعر في المديح النّبوي حتى سمي بعاشق النبي، ألحّ عليه بعض أمراء بني حفص للرّجوع الى تونس فأبى.

1 ـ مقطوعات

ـ 1 ـ

(الطويل)

بلغتُ بشعري في الصِّبا وعفّته جميعَ الأماني من جميع المطالب
فلما رأتْ عيناي سبعين حجّة قريبا هجرت الشعر هجرَ الأجانب

المصدر: الدّرر الكامنة: ج 1 ، ص 460 ـ 462.

ـ 2 ـ

(الطويل)

فررتُ من الدّنيا إلى ساكن الحمى فـــرارَ محـــبٍّ عائد لحبيبــه
لجأت إلى هذا الجناب وإنّما لجأت إلى سامي العباد رحيبه

المصدر: الدرر الكامنة: ج 1 ، ص 460 ـ 462

ـ 3 ـ

قال في مقصّ:

(مخلع البسيط)

نحــن محبـــان ما رأينــــــا   في الحبّ أَشْفَى مـن العناق

فمــن يحـــل بيننـــا نبـــادر   بقطعــــه خشيـــة الفـــــراق

المصدر: الدرر الكامنة: ج 1، ص 460ـ 462

ـ 4 ـ

(المجتث)

لقــد صـــدق الباقــر المرتضَــى   سليـلُ الإمـامِ عليـه السّلام

بمــا قـال فـي بعـض ألفاظـه   "سـلاحُ اللّئـام قبيـحُ الكلام"

المصدر: الدّرر الكامنة: ج 1، ص 460ـ 462.

ـ 5 ـ

قال لصديق له:

(المتقارب)

أنـــا المحـــبّ إذا مــــــا   أراك بِــــرًا تــقـــيّـــا

وعنـــك أسلــــو إذا مـــــا   أراك تَسلُــــك غَــيّـــــا

فاختـــــر لنفســـك عنـــدي   زيّـــا بــــه تتزيّـــــــا

إمـا عفافــا وصـونْـــا أو فاطــو ما كان طيّـــا

وابعـــد إلـــى أن ترانـي مـــن الثّـــرى كالثّريّـــا

لاَ حســـنَ إلاّ بتقـــوى دع عنـــك حســـنَ المحيّـــا

المصدر: الدّرر الكامنة: ج 1 ، ص 460 ـ 462.

أبو يحيى أبو بكر الحفصي
(747 _ 692)

المتوكّل على الله أبو يحيى أبو بكر بن أبي زكرياء يحيى بن إبراهيم بن أبي محمّد عبد الواحد بن أبي حفص، من مشاهير خلفاء بني حفص وشعرائهم ازدهرت الحياة الأدبيّة والفكريّة في عصره وصفها الرحّالون المغاربة بتونس منهم خالد البلوي الذي حظي عنده بالمكانة الرّفيعة وولاّه خطّة رئيس الكتبة فألّف عنه كتابا ونظم فيه قصائد مدحية عديدة.

ـ 1 ـ مقطوعة

(الطويل)

مَواطننـــا في دهرهــن عجائــب　　وأزماننا لــم تَعْـدُ عنهـا الغرائب
مواطنُ لم تَحْكِ التّواريخُ مثلَها　　ولا حدَّثَتْ عنها اللّيالي الذّواهبُ
..ومن قتل الصّفّيْن وامتاز مانعا　　وقد نهلت منه الظُّبَى فهو غَالِب

المصدر: وصف افريقيّة: ص 16 ، وجاءت منسوبة في صبح الأعشى غلطا إلى أبي العباس أحمد (ج 5، ص 115 ـ 116).

ـ 2 ـ فـراق

(الطويل)

طمت من دموعي للفراق بحورُ　　وَأُجِّجَ مــــا بين الضلوع سعيرُ
وفارقت قلبيَ يومَ فارقت صبيتي　　فلله أحنـــاء خلــت وقصور
وقلت له: يا قلب صبرا فقال لي:　　إنّـــي نحوهـــنّ أسيــــــر
عسى اللّهُ يدني للمحبين أوبة　　فتُشْفَى قلـــوبٌ منهمُ وصدورُ
وكمْ من قَصيٍّ الدّار أمسى بحُزْنه　　فأعقبه عِنـد الصّبــاحِ سرورُ

المصدر: وصف إفريقيّة: ص 16 وجاء بيتان منها منسوبان غلطا إلى أبي العباس أحمد في صبح الأعشى: ج 5 ، ص 115 ـ 116.

ـ 3 ـ انظر الينا

(البسيط)

انظر إلينا ترانا ما بنا دهشُ وكيف يطرُق أُسدَ الغابةِ الدّهشُ
لا تعرف الحادثَ المرهوبَ أنفسُنا فإنّنا بارتكاب الموت ننتعِشُ
نسقي أحبّتنا من صِرْف خمرتِنا في طول ليلتنا حتى بدا الغَبَشُ
من كفِّ ظَبْيٍ سقاني من مُدَامَتِه للريِّ من عطش فازداد بي العطشُ
كأنّ وَجنتَها من حُمْرةٍ شفقٌ وشعرَها غَسَقٌ بالجسم مفترش

المصدر: وصف افريقيّة والمغرب: ص 16 ، صبح الأعشى: ج 5 ، ص 115 ـ 116 (وهم المؤلّف في نسبتها إلى أبي العباس أحمد. وضمّن من القصيدة بيتين فقط وهما الأوّلان انظر التّعليق عدد 2 في الترجمة رقم 120).

ـ 4 ـ بذيّالك الوادي

(الطويل)

بِذَيَّالِكَ الوَادِي وَذَيَّالِكَ الحِمَى
سلِبتُ فُؤَادِي واغتديْتُ مُتَيَّمَا
سكَرْتُ ولم أعلمْ أمِنْ خَمْرَةِ الهَوَى
عَرَانِيَ هَذَا السُّكر أم خَمْرَةِ اللَّمَى

عَلِقــتُ كَحِيــلَ المُقْلَتَيْــنِ مُهَفْهَفًــا

رَخِيمًا يَلِينُ الصَّخْرُ مهما تكلَّما

تعلَّــمَ سحــرَ الجفن مِــنْ أرض بابــلٍ

وليــس لِغَيْرِي في الأنامِ تَعلّما!

رمانــي بسهــمٍ من مذانبِ لحظِــهِ

شديدٍ فَلَمْ يُخطِــئْ فؤاديَ إذ رَمَى

وصــاد بأشراكِ الفواتــرِ مُهْجَتِــي

فَوَاعَجَبًا من شــادنٍ صَادَ ضَيْغَمَا

له وجْنَتَــا شمــس وبدْرٍ إذا بَدا

وَأَقْبَلَ من خلــفِ السُّتورِ مسلّــما

تراه ضُحًى في القَصْرِ شمسًا منيرةً

وعنــد الدُّجَــى تلقاهُ بــدرًا متمّمــا

ألائمتــي لُومــي إذا شئــتِ أو دَعِي

فَمَنْ يَهْوَ هَذَا الحُسْنَ لَمْ يَخْشَ لُوَّمَا

وحاســدةٍ قالت لأخــرى تعيبــه:

لَقَدْ تَاهَ حَتَّى قَالَ مَــنْ قَالَ أَجْرَمَــا

وظنَّـتْ بأنّا نحسبُ التّيـهَ زلّـةً

وَلَمْ تَـدْرِ أنَّـا نَجْتَنِيـهِ تَنَعُّمَـا

فلـولا التجنّي والتدلّل في الهَـوى

لَمَـا كَانَ بُردُ العشق بالعشق مُعلما

ولاَ هَـاجَ مُشْتَاقًا إلى جيرةِ اللوَى

وَمَنْـزِلِ مَنْ يَهْـوَى حَمَـامٌ تَرَنَّمَـا

وألْطَفُ شَيءٍ فِي الهوى أُنـسُ خمسة

"مَتَى؟ أوْ عَسَى! أوْ هَلْ؟ وَكَيْفَ؟ وَرُبَّمَا؟"

إذا لم يكـن منها شعورٌ لعاشق

فَلَيْـسَ لَهُ نَحْوَ المُحِبِّـينَ مُنْتَمَى

إليك حديثـي بالتـي لـم أُسمّها

وَعَنْك حَدِيثِـي حَيْثُمَا قُلْتُ حَيْثُـمَا

ومنك هيامي والضّنى لـي شاهدٌ

وفيـك هُيَـامي بعد كتمي له نَمَـا

ولـم يعلم الواشونَ إلا تسهُّدي

وَلَمْ يُدْرِكُـوا الأسْبَابَ إلاَّ تَوَهُّمَـا

ملكـتُ الدُّنى شرْقًا وَغَرْبًا بِأسْرِهَا

وَلَكِنَّنِـــي أمْسَيْــتُ فِيهَــا مُتَيَّمَــا

يُغَالِبُنِـــي ظبْيٌ، وَأَغْلِبُ كُلَّ مَــنْ

تَمَلَّــكَ فيهَـــا، وَارْتَــدَى وَتَعَمَّمَــا

كَتَمْتُ هَوَاهَا عَنْ فُؤَادِي وَمُهْجَتِي

وَعَــنْ سُهْدِ جَفْنِي مَا اسْتَطَعْتُ تَكَتُّمَا

وَلَكِنَّ لِـــي نَفسًــا تَذُوبُ صَبَابَةً

وَتَصْبِــرُ عِنْــدَ الحَادِثَــاتِ تَكَرُّمَــا

وَتَأْلَمُ مِنَ طُـولِ الصُّدُودِ وَلاَ تَرَى

لَــدَى الحَــرْبِ مِنْ مَسٍّ الحَدِيدِ تَألُّمَا

وتهجــرُ في نَيْلِ المَعَالي مَنَامَهَــا

وَتَتَّخِذ المَكْــرُوهَ لِلْفَخْـــرِ سُلَّمَــا

فَتُــدْرِك ما تبغي من الحظّ سالِمًا

وَلَوْ كَـانَ خَلْفَ البَحْرِ وَالبَحْرُ قَدْ طَمَا

وما هـــي إلاّ رفعــــةٌ عمريّـــةٌ

إِلَى ذَرْوَةِ العَلْيَــا بِهَا المَجْدُ قَدْ سَمَا

فَإِنْ صَعِـدَ الأمْلاَكُ بِالإِرْثِ منْبَرًا

فَمنْبَرُنَـا أَعْلَـى وَأَكْـرَمُ مُنْتَمَـى

وَآبَاؤُنَـا فِي المُلْكِ وَالبَأْس وَالنَّدَى

تَدَاوَلَهَـا الـوُرَّاخُ عُرْبًـا وَأَعْجُمـا

وَلاَ فَخْـرَ وَالأَعْدَاءُ تَشْهَدُ أَنَّنِـي

أَجِـيءُ وَغَاهَـا مُسْفِـرًا مُتَجَهِّمـا

وَأُقْـدِمُ وَالأَبْطَالُ يُبْصَـرُ وَجْهُهَا

هُنَـاكَ عَبُوسًـا مُنْكَـرًا مُتَغَيِّما

فَكَـمْ قَائِلٍ لِي فِي الرِّيَاسِ وَغَيْرِهِ

وَصَـدْرُ القَنَا فِـي القَوْمِ أَوْرَدتُهُ دَما

وَلِلنَّصْـرِ سَيْـفٌ مِنْ يَمِينِي مُؤَيدُ

فَيَقْطِـفُ أَرْوَاحًـا وَيحطِمُ أَعْظُـما

وَكَـمْ وَادِيًا بَدَّدْتُ فِيهِ سَرَاتِهمْ

وَخَلَّفْـت ذَاكَ المَـاءَ مَـاءً مُحَرَّمـا

فَإِنْ تَجْهَـلِ الحَرْب الزَّبُون سَكِينَتِي

فَتَعْرِفُنِـي مَهْمَـا حَطَطْـتُ التَلَثُّمَا

جَوَادُ الوَغَـى وَالفَخْرِ وَالذِّكْرِ حقّه
لِمِثْلِـــي مِنْ دُونِ الـوَرَى أَنْ يُفَخَّمَا
وَإِنِّـــي أَمِيــرُ المُؤْمِنِـــينَ مُتَوَّجًـا
مِنَ المُلْـكِ تَاجًــا بِالأَمَانَـــةِ كُرِّمَا
جَعَلْتُ بِمَجْدِي ثُمَّ لَفْظِي وَصَارِمِي
فَخَـارِي بِجِيدِ الدَّهْرِ دُرًا مُنَظَّما
يَــرَاهُ وَلاَ يَــرْقَى إِلَيْهِ مُعَانِــدٌ
وَيُبْصِرُهُ كَالنَّجْمِ فِي كَبِدِ السَّمَا
بَنَيْنَــا بِنَاءَ المُلْكِ وَالعِـزِّ وَالعُلاَ
سَمَــاءً عَلَى بُنْيَانِ قَوْمٍ تَهَدَّمَا!

المصدر: نثير الجمان: ص 98 ـ 102.

أبو القاسم الرّحوي

(حي سنة 779)

شاعر تونس على الإطلاق حسب عبارة ابن خلدون، كان خليلا لوالده. كانت له طموحات عبّر عنها في قصائده. اتّصل بأبي الحسن المريني مدّة حكمه بتونس ومدحه لكنّ الظروف السّياسيّة لم تسمح له بتحقيق آماله.

1 ـ قد ذهب العيش والهناء

(مخلّع البسيط)

أستَغفِرُ اللّهَ كُلَّ حِينٍ   قَدْ ذَهَبَ العَيْشُ وَالْهَنَاءُ
أُصبِحُ فِي تُونِسٍ وَأُمسِي   وَالصُّبْحُ لِلّهِ وَالمَسَاءُ
أَلْخَوفُ وَالْجُوعُ وَالْمَنَايَا   يُحدِثُهَا الهَرْجُ وَالوبَاءُ
وَالنَّاسُ فِي مِرْيَةٍ وَحَرْبٍ   وَمَا عَسَى يَنْفَعُ المِراءُ
فَأَحْمَدِيٌّ يَرَى عَلِيّا   حَلَّ بِهِ الهُلْكُ وَالتَّوَاءُ
وَآخَرٌ قَالَ سَوفَ يَأتِي   بِهِ إِلَيْكُمْ صَبًا رَخَاءُ
وَاللّهُ مِنْ فَوْقِ ذَا وَهَذَا   يَقْضِي لِعَبْدَيْهِ مَا يَشَاءُ
يَا رَاصِدَ الخُنَّسِ الجَوَارِي   مَا فَعَلَتْ هَذِهِ السَّمَاءُ
مَطَّلتُمُونَا وَقَدْ زَعَمْتُمْ   أَنَّكُمُ اليَوْمَ أَمْلِيَاءُ
مَرَّ خَمِيسٌ عَلَى خَمِيسٍ   وَجَاءَ سَبْتٌ وَأَرْبعَاءُ
وَنِصفُ شَهْرٍ وَعُشْرُ ثَانٍ   وَثَالِثٌ ضَمَّهُ القَضَاءُ
وَلاَ نَرَى غَيْرَ زُورِ قَوْلٍ   أَذَاكَ جَهْلٌ أَمِ ازْدِرَاءُ
إِنَّا إِلَى اللّهِ قَدْ عَلِمْنَا   أَنْ لَيْسَ يُسْتَدْفَعُ القَضَاءُ
رَضِيتُ بِاللّهِ لِي إِلَهًا   حَسْبُكُمُ البَدْرُ أَوْ ذُكَاءُ
مَا هَذِهِ الأَنْجُمُ السَّوَارِي   إِلاَّ عَبَادِيدُ أَوْ إِمَاءُ
يُقْضَى عَلَيْهَا وَلَيْسَ تَقْضِي   وَمَا لَهَا فِي الوَرَى اقْتِضَاءُ
ضَلَّتْ عُقُولٌ تَرَى قَدِيمًا   مَا شَأْنُهُ الجُرْمُ وَالفَنَاءُ
وَحَكَّمَتْ فِي الوُجُودِ طَبْعًا   يُحْدِثُهُ المَاءُ وَالهَوَاءُ
لَمْ تَرَ حَلْوًا إِزَاءَ مُرٍّ   تَغْذُوهُمُ تُرْبَةٌ وَمَاءُ

أَللَّــهُ رَبِّــي وَلَسْــتُ أَدْرِي   مَــا الْجَوْهَــرُ الْفَــرْدُ وَالْخَــلاَءُ
وَلاَ الهَيُــولَــى الَّتِــي تُنَــادِي   مَالِــيَ عَــنْ صُــورَةٍ عَرَاءُ
وَلاَ وُجُــودٌ وَلاَ انْعِــدَامٌ   وَلاَ ثُــبُــوتٌ وَلاَ انْتِفَــاءُ
وَالكَسْــبُ لَــمْ أَدْرِ فِيــهِ إِلاَّ   مَــا جَلَــبَ البَيْــعُ وَالشِّــرَاءُ
وَإِنَّمَــا مَــذْهَبِــي وَدِيــنِــي   مَــا كَــانَ لِلنَّــاسِ أَوْلِيَــاءُ
إِذْ لاَ فُصُــولٌ وَلاَ أُصُــولٌ   وَلاَ جِــدَالٌ وَلاَ رِيَــاءُ
مَــا تَبِــعَ الصَّــدْرَ وَاقْتَفَيْنَــا   يَــا حَبَّــذَا كَــانَ الاقْتِفَــاءُ
كَانُــوا كَمَــا يَعْلَمُــونَ مِنْهُــمْ   وَلَــمْ يَكُــنْ ذَلِــكَ الهَــذَاءُ
يَــا أَشْعَــرِيَّ الزَّمَــانِ إِنِّــي   أَشْعَــرَنِي الصَّيْــفُ وَالشِّتَاءُ
لَــمْ أُجْــزَ بِالشَّــرِّ غَيْــرَ شَــرٍّ   وَالخَيْــرُ عَــنْ مِثْلِــهِ جَــزَاءُ
وَإِنَّنِــي إِنْ أَكُــنْ مُطِيعًــا   فَلَسْــتُ أُعْصَــى وَلِــي رَجَاءُ
وَإِنَّنِــي تَحْــتَ حُكْــمِ بَــارٍ   أَطَاعَــهُ الْعَــرْشُ وَالثَّــرَاءُ
لَيْــسَ انْتِصَــارٌ بِكُــمْ وَلَكِنْ   أَتَاحَــهُ الحُكْــمُ وَالقَضَــاءُ
لَوْ حُــدِّثَ الأَشْعَــرِيُّ عَمَّــنْ   لَــهُ إِلَــى رَأْيِــهِ انْتِمَــاءُ
لَقَــالَ أَخْبِرْهُــمُ بِــأَنِّــي   مِمَّــا يَقُــولُونَــهُ بَــرَاءُ

المصدر: مقدّمة ابن خلدون: ص 578 ـ 579، وعنوان الأريب: ج 1، ص 101.

2 ـ أجابكَ شرق ومغرب

قال يمدح أبا الحسن المريني وهو من كبار بني مرين، دخل تونس سنة 748هـ واستعمل فيها العمال على الجهات، ثارت عليه قبائل العرب قرب القيروان وهزموه. توفي سنة 752 هـ

(الطويل)

أجَابَكَ شَـرْقٌ إذْ دَعَوْتَ وَمَغْرِبُ ... فَمَكَّـةُ هَشَّـتْ لِلّـقـاء ويثـرِبُ

وَنَـادَاكَ مِصْـرٌ وَالعِرَاقُ وَشَامُهُ ... بداراً فَصَدْعُ الدّين عندك يُشْعَب

وَحَيَّتْـكَ أوْ كَـادَتْ تُحَيِّي مَنَابِر ... عليهـا دعـاةُ الحقّ باسمك تخطُب

فَسَارَعَ مِنَّـا كُـلُّ دَانٍ وَشَاسِـعٍ ... إلى طاعةٍ من طاعة اللّه تُحْسَبُ

وَتَاقَـتْ لَـكَ الأرْوَاحُ حبّـا ورَغْبَةً ... وأنـت علـى الآمال تنأى وتقرُب

فَفِي البَلْدَةِ البَيْضَـاءِ لَبَّاكَ مَعْشَرٌ ... وأنـت بأفْـقِ النّاصريّـة ترْقـب

وَوَافتْكَ مِنْ ذَاتِ النَّخِيلِ وُفُـودُهَا ... فلقّاهـم أهـلٌ لديـك ومَرْحَـبُ

وَلَمْ تَتَلَكَّـأْ عَنْ إبَاء بِجَايَـةٌ ... ولكن يراضُ الصَّعبُ ثُمّت يُرْكَبُ

تَأبّـتْ فَلَمَّـا أنْ أطَلَّـتْ عَسَاكِـر ... تَرَى الشُّهْبَ مِنْهَا تُسْتَبَاحُ وَتُنْهَبُ

فَبَـادَرَ مِنْهُـمْ مُذْعِـنٌ ومُسَلِّـم ... وَأذْعَـنَ مِنْهُـمْ شَاغِـبٌ وَمُؤَلِّـبُ

وَمَـا تُونِـس إلاَّ كَمِصْـرَ مُرَوَّعٌ ... وَفِـي حُـرَمٍ أمست لديك تسرب

وَمَـا أهْلُهَـا إلاَّ بغَـاثٌ لِصَائِدٍ ... وبالعـزّ منهـا استنسروا وتعقّبوا

وَقَـدْ كُنْتَ قَبْلَ اليَوْمِ كَهْفَ زَعِيمِهِمْ ... فها أنـت كهـفٌ للجميع وَمَهْرَب

فَكَـانَ يُـرَى أنَّ الزَّمَـانَ أدَالَهُ ... بكمْ فأجاب العيشُ والعيشُ مخصبُ

كَذَلِـكَ ابـنُ طائـعٌ وإن اعتلـت ... به السنُّ أحـوالا وأنـت لـه أب

ومـا ذاك إلاّ أنّ عدلَـك ينتمـي ... إلـى الخُلَفَـاء الرّاشديـن ويُنْسَبُ

تَسَامَيْتَ فِي مُلْكٍ وَنُسْكٍ بِخطةٍ حذاءك محراب لديها ومركبُ
إِذَا لَذَّ لِلأَمْلاَكِ خَمْرُ مُدَامَةٍ فلذّ لك القرآنُ يُتْلَى ويُكْتَبُ
وَإِنْ ادأَبَ القَوْمُ الصَّبُوحَ فَإِنَّمَا على رَكَعَاتٍ بالضّحى أنتَ تَدْأَب
وَإِنْ حَمِدُوا الشُّرْبَ الغَبُوقَ فَإِنَّمَا شرابُك بالإمساء ذِكْرُ مُرَتَّبُ
وَإِنْ خَشُنَتْ أَخْلاَقُهُمْ وَتَحَجَّبُوا فما أنت فظٌّ بل ولا متحجِّبُ
لَقَدْ كَرُمَتْ مِنْكَ السَّجَايَا فَأَصْبَحَتْ إذا ما أَمَرَّ الدّهرُ تحلُو وتعذب
كَمَا شَيِّدت بَيْتًا ذُؤَابَـــة مَعْشَـــرٍ يزيدهم قحطان فخرا ويعرب
هُمْ التَّارِكُو غُلْبَ القَسَاوِرِ خُضَّعًا وعن شأوهم كَفَّتْ عبيدٌ وأغلُبُ
هُمْ النَّاسُ وَالأَمْلاَكُ تَحْتَ جِوَارِهِمْ هُمُ العظم والأرض العظيمة مغرِبُ
هُمْ المَالِكُو الملكَ العظِيمَ فبيتُهم على كاهل السّبع الشدَادِ مُطَنَّب
لقد أصبحت بغدادُ تحسدُ بأسَهم ودِجلَةُ ودَّتْ أن تكونَ مُنَاسب
تجلّت ببيـت المجد منهم كواكبٌ لقد جلّ منها مُشرِّق ومُغرِّبُ
فللّـــه منهـم ثلّـــة مغربيّـــة يروم بناها الأعجميُّ فيعرب
لقـد قـام عـبـدُ الحق للحقّ طالبـا فما فَاتَه منه الذي قام يطلب
وأعقـــب يعقوبــا يـوم سبيلـه فَلَمْ يُخْطِـه وهـو السّبيلُ المُنْجب
وخَلَّـفَ عثمـانًا فللَّـه صـارمٌ به بَانَ للإسـلام شَـرْعٌ وَمَذْهَب
فكـم في سبيل اللّه شَنّ إغارةً لِمَا شَادَ أَهْلُ الكفر أمْسَتْ تخرّب
ولمَّـا أراد اللّه إتمـام مَنِّـه تقلَّدَهَـا مِـنّـا مُطيـعٌ ومذنب
إيمانُـك للديـن الحنيفـي آيـةٌ تعرّى بهـا عن لامع الحق غَيْهَبُ
فجئتَ بما يرضى به اللّهُ سالكا سبيلا إلـى رضـوانه بك يذهب
وقمـتَ بأمـر اللّـه حقَّ قيامه يناضل عنه منك نصلٌ مدرّب

وأصبح أهل اللّه أهلا وشيعة لكم ولهم منكم مكان ومنصب
وحلّ بأهل الفتك ما حلّ عزمهم وقــام لديهــم واعــظٌ مترقّــب
وجاهدتَ في الرّحمان حقّ جهاده فراهبُ أهلِ الكفر بأسَك يَرْهب
وأنقــذت من أيــد الإغــارة أمــة وأولى جهــاد كان بــل هــو أوجب
فأصْبَحــت الدّنيــا عروســا يزفّهــا لأمرك من جاري المقادير مغرِب
فــلا مصــر الاّ قد تمنّاك أهلُه ولا أرض الا بادّكارك تُخْصِب
وما الأرض الاّ منــزل أنت ربّــه وما حلّهــا الا ألودود المرجِــب
تملّكت شطر الأرض كسبا وشطرَها وراثا فطاب الكلّ إرث ومكسب
بجيش على الألواح والماءَ يمتطي وجيش على الضُمُر السّوابِق يَرْكب
وجيش من الإحسان والعدل والتّقى وذاك لعمر اللّه أغلى وأغلَبُ
فلا مركــبٌ الاّ يزيّــن راكــا ولا راكب إلاّ به ازدان مركب
ولا رمح الاّ وهــو أهيــف خاطــر ولا سيف الاّ وهو أبيض قاضب
فكــم كاتــب خطّيــه[1] وبواتــه ولم يقر خطا يغتدي وهو يكتب
يمرّ علــى الأبطــال وهــو كأنه هزبــر وأبطال الفوارس ربرب[2]
وكـم كاتب لا ينكر الطّعن رمحه خبيــر بأيّــام الأعــارب معـرب
له مـن عجيب السحر بالقول أضرب وفي هامة القوم المضارب مضرب
فها هــو فــي الأقوال واش محبِّر وها هــو فــي الأمثال ثاو مجرّب
ومن ساحب بردا من العلم والتّقى عليه ذيــول الداوديــة تسحــب
له صبغة في العلم جاءت بأصبغ[3] وشهبان فهم لم يشِمهنّ أشهب[4]

(1) رمحه .
(2) قطيع من الظباء.
(3) أصبغ: هو أصبغ بن الفرج من كبار المالكية بمصر، توفي سنة 225 هـ.
(4) هو أشهب تلميذ مالك بن أنس، توفي سنة 204 هـ.

فيا عسكرا قد ضمّ أعلام عالَم ... به طاب في الدّنيا لنا متقلّب
هم الفئة العلياء والمعشر الذي ... إذا حلّ شعب فهو لِلحَقِّ مشعب[5]
لك الفضل في الدنيا على كلّ قاطن ... ومرتحل أنّى يجيء ويذهب
ويا مالكا عدلا رضى متورّعا ... مناقبه العلياء تُتْلى وتُكْتب
شرعت من الإحسان فينا شريعة ... تساوى بها ناء ومن يتقرّب
وأسميت أهل النسك إذ كنت منهم ... فمنك أخو التّقوى قريب مقرّب
وأعليت قدر العلم إذ كنت عالما ... ففيه وفي طلاّبه لك مأرب
فمدحك محتوم على كلّ قائل ... ومن ذا الذي يحصي الرّمال ويحسب
فللّه كم تعطي وتمطي وتجتبي ... فللبحر من كفيك قد صحّ منسب
فلا برحت كفاك في الأرض مزنة ... يطيب بها للخلق مرعًى ومشرب
ولا زلت في علياء مجدك راقيا ... وشانئك المدحوضُ يُنْكَى ويُنْكب
توافي على أقصى أمانيك آمنا ... فلا برّ يستعصى ولا يتعصب

المصدر: عنوان الأريب: ج 1 ، ص 98- 101.

---

(5) جامع.

3 ـ مدح ابن رضوان

قال يمدح أبا القاسم بن رضوان وبعض من قدم مع أبي الحسن المريني إلى تونس من العلماء كي يبلغوا خبره إليه:

(الطويل)

عرفتُ زَمَانِي حِينَ أنْكَرْت عِرْفَانِي وأيقنتُ أن لا حظَّ في كَفِّ كِيوَانِ[1]

وأن لا اختيـارٌ في اختيار مُقَوَّم وأن لا قِـرَاعٌ بالقِرانِ لأقْرَانِي[2]

وأنَّ نِظَـامَ الشَّكْلِ[3] أكْمَلَ نَظْمِهِ لَأضْعَفُ قَاضٍ في الدَّليل برُجْحَانِ

وأن افتقــار المــرء فــي فَقَرَاتِـهِ ومن ثقلــه يُغْــنــي اللّبيب بأوزانِ

فمن بعد ما شِمتُ الخِلاب ولم أُرَعْ لِهَشَّــةِ راضٍ أو لِشِرَّةِ غَضْبَانِ

ولم يُغْشِنِي النار لَمعُ شُعاعِها فما كل نارٍ نارَ موسى بن عِمْرَانِ

ولم يبقَ لي في الغَيْب من أملٍ سِوَى لقاءِ ابـن رضـوانٍ وجنَّةِ رِضْوان

هُنَالِـكَ أَلْفَيْتُ العُلاَ تَنْتَمِي إلى أُنَاسٍ ضَئِيلٌ عندهم فَخْرُ غَسَّانِ

وأُرْعِيـتُ مــن روض التـأدب يانعًا وَحُيِّيتُ مـن كنــز العلــوم بعِقيانِ

وَرُدت فلـم تُجْـدِب لديـه رِيَادَتِـي وَصَـدَّقَ طَرفــي مــا تلقّتـه آذانِي

فحسبُـك مــن آدابـه كلُّ زاخـرٍ يُحيِّيـك معســولا بــدُرٍّ ومَرْجَــانِ

---

(1) كيوان: اسم لزحل، وهو أحد الكواكب السيارة.

(2) مقوم الكوكب: موضعه (طوله) من فلك البروج .

والقران: اجتماع كوكبين سيارين في نقطة واحدة من فلك البروج، ويشير الرحوى إلى ما يزعمه المنجمون من أن الكوكب إذا كان في موضع معين في فلك البروج، أو اقترن بكوكب آخر في نقطة معيّنة، كان له أثر حسن، أو سيء، في أعمال الإنسان .

(3) نظام الشكل: شكل الفلك، يريد وضعه في وقت معيّن، وهو ما يعرف عندهم بالنصبة الفلكيّة. ونظام الشكل. كناية عن حسن دلالته، يقول: مهما انتظم الشكل فإنه أضعف قاض في دلالة القران على رجحان عمل على آخر.

يحيِّيك بالسِّلك الذي لم تُحط به طرُوسُ ابن سَهل أو سوالفُ بُورانِ[4]
فقل بَابِلِـيٌّ إن يُنافثـك لفظـةً وفِي وَشْيِهِ الأطْرَاسَ قل هو صَنْعَانِي
خلائق لم تُخلَق سُدًى بل تَكمَّلَتْ بإِسْـدَاءِ إِنْعَـامٍ وَإِيـلاَءِ إِحْسَـانِ

ثمّ يقول في ذكر العلماء القادمين:

هم القومُ كلُّ القَـوم أما حُلومُهم فأرسـخُ مـنْ طَودَيْ ثَبِير وَثَهْلاَنِ[5]
فـلا طيشَ يَعْرُوهـم وأمـا علُومهم فأعلامهـا تَهديـك مـن غير نِيـرَانِ
بفقهٍ يشيم الأصبحيُّ[5] صباحه وأشهب[6] منه يستدلُّ بشُهبانِ
وحسنِ جدالٍ للخصومِ ومنطق يجيئان في الأخفى بأوضح برهانِ
سقت روضة الآداب منهم سحائبٌ سَحَبْن على سحبانَ[7] أذيالَ نسيانِ
فلم يبق نأيُ ابن الإمام[8] شماخةً على مـدنِ الدّنيـا لأنـف تِلمسَـانِ
وبعد نوى السّطّي[9] لم تسطُ فاسُهُ بفخرٍ على بغدان في عصر بغدانِ

(4) السالفة: جانب العنق، وجعلوا كل جزء من العنق سالفة، فقالوا: إنّها لوضّاحة السوالف.

وبوران: هي بنت الحسن بن سهل. تزوّجها الخليفة المأمون، وأنفق في زفافها من الأموال ما أصبح مضرب المثل. وابن سهل هو الحسن بن سهل السرخي والد بوران، ووزير المأمون.

ثبير: جبل بظاهر مكة.

ثهلان: جبل في بلاد بني نمير.

(5) يريد بالأصبحي مالك بن أنس الإمام المعروف، لانتهاء نسبه إلى ذي أصبح.

(6) هو أبو عمرو أشهب بن عبد العزيز الفقيه المالكي المصري (150 ـ 204).

(7) هو سحبان بن زُفَر بن إياس الوائلي، يضرب به المثل في البيان، أدرك الإسلام، ومات سنة 54 هـ.

(8) ابن الإمام: عبد الرّحمان بن محمد أو أخوه عيسى عالمي المغرب في عصرهما تعلما في تونس ورحلا الى الجزائر وعادا الى تلمسان توفي عبد الوهاب سنة 743.

(9) السطّي : من العلماء المغاربة الذين صحبوا أبا الحسن المريني الى تونس.

وبالآبليّ[10] استسقتِ الأرضُ وبلها ومستوبلٌ ما مال عنه لأظْعَانِ
وهامت على عبد المهيمن[11] تونسٌ وقد ظفرت منه بوصلٍ وقربانِ
وما علقت منّي الضمائر غيرهُ وإن هويت كلاًّ بحبِّ ابن رضوان[12]

المصدر: التّعريف: ص 24 ـ 25 ، منها أبيات في "درة الحجال" محشوّة بالأغلاط: ج 3 . ص 271 ـ 273.

4 ـ لهي النّفس

كتب يذكّر أبا عبد اللّه المهيمن[11] في إيصال مدحه للسّلطان أبي الحسن المريني:

(الخفيف)

لَهِيَ النّفس في اكتساب وسعيٍ وهو العمر في انتهابٍ وَفَيٍّ
وأرى النّاس بين ساعٍ لرشدٍ يتوخّى الهدى وساعٍ لغيّ
وأرى العلم للبريّة زينًا فتزيّا منه بأحسنِ زيّ
وأرى الفضل قد تجمّع كلاًّ في ابن عبد المهيمن الحضرميّ
حلّ بالرتبة العلية في حضرةِ مَلكٍ سامي العمادِ عليٍّ

---

(10) الآبلي: من العلماء المغاربة الذين صحبوا المريني الى تونس وكان أستاذا لابن خلدون في العلوم العقليّة

(11) عبد المهيمن الحضرمي ت 739 رئيس الكتاب في تونس لدى أبي الحسن المريني. انظر ترجمته رقم 126. في كتابنا : الحياة الأدبيّة بتونس في العهد الحفصي.

(12) ابن رضوان: من علماء المغرب الذين صحبوا السّلطان المريني أبا الحسن إلى تونس.

قلمٌ أوسعَ الأقاليم أمـــرًا فلـــه قـــد أطـــاع كلُّ عصيّ
قَـدَرٌ مـا يفيـد منــه احتــذارٌ فَبِـأيٍّ تـراه يقضـي بـأيّ
يمنـح العـزّ والعـلا ويـوالي بالعطايـا الجسـامِ كـلّ وليّ
يلجـأ الدّارعـون خوفًـا إليـه فهـو يُزري بالصّارم المشرفيّ
هـو أعلـى الأقلام في كلّ عصرٍ حيث يُنْمَـى إلى الإمـام عليّ
حَلِيَـتْ تلكـم الرّياسـة منـه بفريدٍ فـي كـلّ معنـى سنيّ
سالـك فـي النّظـام دُرًا وطورًا ناثـر درّه بنشـرٍ وطَـيّ
بِـدَعٌ للبديع[1] ترمـي بحصـرٍ ولصابـي[2] بنـي بويـه بِعِيٍّ
ويُـرى أخـرس العـراق لديـه أنّـه بالشـآم كالأعـجمـيّ
وعلـومٌ هـي البحـورُ ولكـن ينثنـي الـواردون منهـا بـريّ
تَصْـدُرُ الأمّـة العظيمـة عنـه بحديـث مـجـوّد مَـرْويّ
وبفقـهٍ فيـه وحسـن مقـالٍ يضـع النّـورَ في لحاظ العمـيّ
وبِنَحْـوٍ ينحـي على سيبويـه[3] ببيـانٍ فـي المبهمـات جلـيّ
عمـي الأخْفَشَانِ[4] عنه وسـدّت عـن خفايـاه فطنةُ الفارسيّ[5]
يا أخـا الحكم في الأنام وإنّي لأنـادي ربّ النّـدى والنّـدِيّ
بنـتُ فكـري تعرّضـت لِحِماكُمْ فالقهـا راضيًـا بوجـه رضـيّ

(1) يريد أبا الفضل أحمد بن الحسين الهمذاني، بديع الزمان، المتوفي سنة 398 .

(2) أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي الكاتب البليغ (314ـ 384).

(3) سيبويه: هو عمرو بن عثمان بن قنبر صاحب الكتاب في النحو توفي سنة 177 هـ.

(4) الأخفشان : أبو الحسن الأخفش من تلامذه سيبويه المشهورين ويعرف بالأخفش الأوسط وهو سعيد بن مسعدة توفي سنة 215 هـ. وعلى بن سليمان الأخفش الأصغر توفي سنة 315 وكان من علماء النحو.

(5) أبو علي الفارسي من أكابر أئمّة النحويين، صاحب كتاب الإيضاح في النحو والحجة في علل القراءات السّبع وكتاب المقصور والممدود، توفي سنة 377.

تبتغـــي القـرب من مراقي الأماني والترقّـــي للجانـــبِ العَلَـــويّ[6]

فأنلهـــا مرامهـــا نلـــت سهـــلاً كلٌّ دانٍ تبغـــي وكـــلٌّ قصـــيّ

المصدر: التّعريف: ص 25 ـ 26.

(6) أبو الحسن علي المريني الأمير.

محمّد الظّريف
(ت 787)

أبو عبد اللّه محمّد بن أبي بكر الظّريف الوليّ والشّاعر الفحل والفنّان الرّقيق والعالم في المقامات الموسيقيّة. استوحى منها قصائده. نذكر منها "ناعورة الطبوع" وقصيدة لامية في 59 بيتا. كانت له رحلة الى المشرق زار فيها بلاد الشّام حيث أخذ عن عدد من المشائخ. مازال مقامه محلّ زيارة، يجتمع فيه الظرفاء والفنّانون وأصحاب الذّوق الصّوفيّ.

1 ـ مقطوعة

(الكامل)

لَيْسَ الظَّرِيفُ بِكَامِلٍ فــي ظُرْفِهِ ... حتّى يكون عن الحرام عَفِيفَا
فإذا تعفّف عــن مَحَــارِمِ ربّــه ... فهنــاك يَدْعُــوهُ الأنَــام ظَرِيفَــا

المصدر: عنوان الأريب: ج 1، ص 105.هذان البيتان نسبا إليه غلطا وقد وردا في كتاب ابن الجوزي عن الظراف والمتماجنين، وابن الجوزي متوفى سنة 597 هـ.

2 ـ قم من منامك

(البسيـط)

قم من منامك واسل العجز والكَسَلاَ ... وانظـر لِنِعْمَـةِ خَــلاَّق وَمَا فَعَـلاَ
النّـومُ مـوتٌ فــلا تعبــأْ بلذّتــه ... واحفـظ حياتَك لا تبغي بها بَدَلاَ
إنّ المنــام لَتُقْســي القلبَ سكرتُه ... وَيُكْسِـب الجسمَ من إفراطه عِلَلاَ
ويُذْهــب العمــرَ مجــانًا لكثرته ... ويــورث الفقــرَ للإنسان والكسَلاَ
دعِ الكَرى واغنم اللّذاتِ مجتهدا ... واخلع عذارَكَ واترُكْ عذْلَ من عذلا
أمَا ترى اللّيل إذ كرّ الصّباحُ على ... جيوشِــه تبعًــا فــي جَنْبِـه أفَلاَ
والرّوضُ أصبح يجْلى في غلائله ... وأنشد الطّيرُ فوق الغصْنِ وارتجلا
وألقتِ القُضبُ من أوراقها بُسُطًا ... وألْبس الرّوضُ من أنواره حُلَلاَ
وقبّل الطلُّ خدَّ الأرض فابتسمت ... أزهارُها فغدت تزهُو بحسنٍ حَلاَ
والوردُ لمّا اعتلى من فوق وجنته ... ماءُ الحياء بدا في خدّه خَجِلا

والسّوسن الغضُّ ما أحلى شمائلَه لمّا تفتّح في البستان واكتملا
وفي البَهارِ إشاراتٌ لمعتبِرٍ كأنّه كفٌ مخضوبٍ بكأسِ طَلاَ
والنّرجِسُ اصفرّ من فرط لوعته كعاشقٍ بالهوى والصدِّ قد نحِلا
والياسمينُ تبدّى في عساكره مضمومَة الشّمل لم يتْرك بها خللا
كذا البنفسجُ أرخى الرأس مكتئبا كمدنفٍ في شبَاك الحُبِّ قد حَصُلا
وإنْ تأملتَ في الخَيْري تر عجبا كأنه ملِكٌ في جيشه فَعَلاَ
وثمّ ألوانٌ لا يحصى لها عددٌ في وصفها عجز الصبّاغ والعُقَلا
تدبيرُ من خلق الأشيا وأبرزها وصيّر الخَلْقَ في سلطانه دُوَلاَ
وغنّت الوُرْق في أغصان دَوْحَتِهَا فأيقظتْ طربا من نام أو غَفَلاَ
جَسَّتْ حسينَ النّوَى في شدّها وبكت على العراق فأضحى العقلُ معتقَلاَ
وجرّت الذّيلَ في رملِ الحِجاز وقد تبخترت في مَمَاشي دَوْحِهَا خُيَلا
فذكّرتْني زمانا مرّ بي بعدا زمانَ أنس بلذّات الوِصال حَلاَ
أيّام إذ كان فيها السّعد يسعدنا والدّهرُ في حكمه إذّاك قد عَدَلاَ
فكم أطعت هوى نفسي وشهوتَها وكم عصيتُ عَذُولاً في الهوى عَذَلا
عجبتُ من شأنها لم تُبْقِ من أثر كزائر زار في الأحلام وارتحلا
لو كنتُ أعلم هذا ما وثِقْت بها ولا سلَكْت الى لذّاتها سبُلا
ولا ركنْت إلى الدّنيا وزينتِها ولا تملّكت من إقبالها ذُلَلا
ولا تمسّكتُ بالشيء الحقير ولا جررت ثوب التّصابي في الصّبى خبِلا
ولا برحتُ على اللذّات معتكفا حتى رأيت صباحي في الدُّجى نَزَلا
وعاد جسمي سقيما بعد صحّته وقلّ جهدي وبان السِّنُّ وانتقلا
وقد رأيت شبابي عَزَّ مطلبُه إذ مفرِقُ الشّيب في رأسي قد اشتعلا
ناديت من شدّة الأشواق وأسفي على الذُّنوب التي أسلفتها أزَلاَ
وما يكون جوابي في الحساب إذن إنّ السؤالَ وميزانَ الخُطَا ثقلا

يوم ترى فيه كلُّ الناس ما عملت وكلُّ شخص سيُجْزى بالَّذي فعلا
يا خالقَ الخلْق يا من لا نظيرَ له عبدٌ ضعيف بباب الجُود قد نزلا
يشكـوك من سـوء أوزارٍ تحمّلها ظهرٌ فيا ويحَ هذا الظّهرِ ما حَمَلا
وقد سمعـت بأذنـي ما سُرِرْت به حديـثَ صدق عن المختار قد نُقِلا
يـروي عن اللّه جلّ اللّه خالقنا في قوله عزّ في تقديسه وعلا
إنّي لأُكْـرِم عبـدي أنْ أعذّبـه بالنّار إن شابَ في الإسلام واكتهلا
على مجـرّد فضـل لا علـى عمـل يظنُّـه أنّـه ينجيـه إن قُبِـلا
وها أنا شبت والتوحيدُ يشهَدُ لي كأنّـه العُـروةُ الوثقى وقد حَصُلا
ولي رجائي وحسنُ الظَّنِّ يُطْمِعُني والفضـلُ يشمل من أخطا ومن جهلا
فما عسى تكتبُ الأقلام إن كتبت ومـا عسى يَنْقُل الانسانُ إن نقلا

***

يا سيّد الخلق يا أعلى الورى نسبا قلبي لمدحك يا خير الورى امتثلا
وقد مدحتـك كي أحْظَى بجائزة فأنْـتَ أكرمُ من أعطى ومن سُئِلا
فَبَـرُّ جـودِك للعاصـين مبلغـه وبحـرُ كفّـك يروي السهل والجبلا
مـن لِلطّريـفِ إذا وافاك مفتقرًا صفرَ اليـدين مقـرًا بالـذي فعلا
سـوى جنابـك يا خيرَ الأنام إذا أتيـتُ مـن سـوء فعلـي خائفا وجِلا
عليك منّي سلامُ اللّه ما طلعت شمسٌ وما لاح وجهُ البدر أو أفلا
كـذا على الآل والأصحاب كلّهم الأتْقِيَـاءِ الكرام السـادة الفضـلا

المصدر: من كنش خاص، ومن القصيدة 14 بيتا في المجمل: ص 216-217.

3 ـ ناعـــورة الطبـــوع

(البسيط)

من سفك دمعي ومن تحبيرِ أجفاني ... صُغْتُ الهوى حِلْيَةً من حَرّ نيران
ومِنْ نُحولي ومـــن سقمي وشدّة ما ... ألقاه من فرط أشواقِي وأشجاني
رثى العذولُ لحالـــي حينَ أبْصرني ... من بعدِ ما كان بالتّعنيف يَنْهاني
وصلُ الحبيب فلا أبـغي به بَدَلا ... ليس التبدّلُ والسُّلوانُ من شاني
من لامني في الهوى والحبّ قلت له: ... إليك عنّي فإنّ الحسنَ أدماني
فَرُبَّ روضـــةِ أنـــسٍ قد مـــررت بها ... مخضرّةٍ ذاتِ أفنانٍ وأغصان[1]
قطوفهـــا تُنعـــش الأرواح دانيـــةً ... كجنّـــة ذاتِ رَوْحٍ، ذاتِ ريحـــان
تخلّل الماءُ فـــي أنهـــارها فغدت ... تزهـــو بـــورد ونســـرين ونعمان
في رَوْضَةٍ قـــد شَدَتْ من كلّ ناحية ... بلابـــلُ لم تـــدع صبـــرا لانسان
فقام فيها خطيـــبٌ فـــوق منبره ... يشكـــو الغـــرام[2] بتغريـــدٍ وألحان
مزوّقَ الصـــدّر مخضـــوبَ البنان له ... من الزُّبُرْجَـــدِ والياقـــوت لونـــان
سود مناكبـــه، بيـــضٌ جوانحُـــه ... له مـــن المســـك والكافـــور ثوبان
مطـــوّقَ الجيـــد، فـــي أطراف مقلته ... أشعّـــةٌ من بهـــاءِ خدّه القانـــي
فَأطربَ الطـــيرَ في أوكـــارها فغدت ... شوقًـــا تجاوبُه من كـــلّ بستـــان
جسّ (الرّهاوي) وجرّ (الذّيْل) من طربٍ ... وتـــاه في (الرّمل) أحيانًا فأحياني
(واصبهـــانُ) غـــدا يحكي (بصيكته) ... (محيّرَ) الحال (مزمومًا) بهجرَانِ

---

(1) أشجار: عوضا عن أفنان في المجمل

(2) المجمل: البعاد.

فهاجنـي ما بكى أهلُ (العراق) على ... فقدِ (الحسين) ففاضَتْ منه أجفاني
يشكـو (النّوى) ودموعُ العين تَسْبِقه ... حتى رثيـتُ له شوقـا فأبكانـي
(والرّصْد) أشعل في قلب العليل جوًى ... (ومايَة) أحرقت قلبي وَأكْنَانِي
(والإصبعينُ) غـدا يحكـي بصولته ... حتّى أذاب فؤادَ المُدْنَفِ العاني
فقلـت: ما بك صف لي ما ابتُليتَ به ... ما بال جسمِك مكلوم الحشى فان؟
هيّجْـتَ لي لوعةً في القلب ساكنةً ... خفّض قليلا فقد هيّجت أحزاني!
فقـال: أبكـي لإلـفٍ كـان يألَفني ... وكنتُ أهواه في الدّنيا ويهواني
قضـى الزّمان بضُعْفي حين فارقني ... كما تراني فريدًا فوق أغصان
فلا تلمنـي على طـول البكاء فقد ... يحِقُّ لي النَّوْحُ في سِرّي وإعلانِي
وهكذا لـم أزل أبكـي الدّمـوعَ دمًا ... حتّى ألاقي الثّرى في طيّ أكفاني
فقلـت: أحسنـتَ لا خانتـك أجنحةٌ ... ولا مـررت ببـازٍ أوبعقبـان
ولا نعـاك غـرابٌ يـا حَمَـامُ ولا ... حَصلْت في فخّ صيّادٍ وسجّانٍ
كن واثقًا بجميل الصّبر وارضَ بما ... يقضي الإلهُ فحالُ الدّهر ضدّان
لا الحزنُ يبقى ولا الأفراح دائمةٌ ... فمشرَبُ الدّهرِ لا يصفو لإنسان
ناشدتُك اللّهَ يا طيـرَ الأراك إذا ... جاد الزّمانُ بوصل بعد هِجران
وناسمتْكَ نُسيماتُ الرّياض ضحًى ... ورنّحتك غصونُ الأثْل[3] والبان
ورَشَّ ريشَـك مـاءُ الـورد وانبعثت ... روائـحُ النَّـدِّ مـن نجدٍ لنعمان
وساعدتـك اللّيـالي فـي تصرّفهـا ... وبـات شملُـك مجموعًـا بخلاّنِ
وجئـت طيبة والوادي وجُزْتَ علـى ... وادي العقيـقِ فبلّغ حاجةَ العاني
سلّم على المصطفى المختارِ من مُضَرٍ ... خيـرِ النبيّين مـن ساداتِ عدنان

(3) الأثْل: شجر عظيم من الطرفاء ويعرف حبّه بالعذبة، واحدته أثلة.

الهاشمِيِّ الذي فاضت فضائله | خيرِ البريّة من قاصٍ ومن دان
وقل له: يارسولَ اللّه يا أملي | يا عُمْدتي يا رجائي عند ميزان
متى أمرِّغُ خدِّي عند تربتكم؟ | متى يساعدني دهري وأزماني؟
جسمي بتونس موثوقٌ بزَلَّته | والقلبُ في الشَّرْق بين الرّند والبان
وكلُّ عام أرَجِّى أن أزورَكمُ | والذّنبُ عن قرب تلك الدار أقصاني
والوقتُ ضاع وعمري ما شَعُرْتُ به | حتّى مضى بين تفريط ونسيان
وليس لي قوّة أرجو الوصال بها | والكفُّ صفر وحالُ الدّهر أعياني
ولا معي عملٌ أرجو النّجاةَ به | إلاّ غرامي وأشواقي وأشجاني
يا أشرفَ الخلق يا كهفي ومعتمدي | يا أُنسَ قلبي ويا رَوْحي وريحاني
مضى الزّمانُ ولا قدَّمْتُ صالحةً | وقد تماديتُ في غَيٍّ وطغيان
إن زرتُ قبرك هذا العامَ يصلُح أن | أُدْعَى أديبًا ظريفًا بين إخوان
وإن طُرِدْتُ بذنبٍ عن زيارتكم | وصدّني عنه إجرامي وعصياني
أموتُ والقلب مشتاقٌ لزَوْرتكم | ما لي شفيعٌ سوى حبّي وإيماني
وكن شفيعيَ في يوم الجزاء إذا | عزّ الصّديقُ وقلّت حيلةُ الجاني
يا ربّ بالمصطفى المختارِ من مُضَر | أقِل عثاري وعاملْني بغفران
واغفر لوالدتي وارحم مقام أبي | من حيث أحْسَنَ آدابي وربّاني
واغفر لمشيختي ما أسلفوه كما | بثُّوا علومًا بتحقيقٍ وتبيان
بجاه أحمدَ خيرِ الخلْقِ كلِّهِم | محمّدٍ المصطفى من آل عدنان

عليه أزكى سلامٍ اللّه ما طلعت   شمسٌ وما حنّ مشتاق لأوطان

كذلك الآلُ والأصحـابُ كُلُّهـمُ   والتّابعـون لهم يومـا بإحسان

المصدر: عنوان الأريب: ج 1 ، ص 103 ـ 105 ومنها 8 أبيات في المجمل: ص 217 ، وبعضها ورد باختلاف.

وصيـــــة

الحمد للّه رب العالمين وبه أستعين، والعافية للمتّقين، أصحبك اللّه بلطفه الجميل، وكان معك في المقام والرّحيل.

أوصيك يا أخي بتقوى اللّه في السرّ والعلانية، وحفظك الحواس، ومراعاة الأنفاس، وقلّة مخالطة النّاس، والرّضى بالموجود، والصّبر على المفقود، والوفاء بالعهود، وكثرة الرّكوع والسّجود، وترك التّدبير والاختيار، مع المدبّر المختار، والعمل بالسنّة، والاقتداء بالأئمّة، والحركات والسّكنات بالنيّة، ولزوم الخلوات والجوامع، ومواصلة الفقير الجائع، ومرافقة المتبتّل الطائع، ومجالسة المنيب الخاشع، ومعاشرة الولي الخاضع، وزيارة السّاجد الرّاكع.

وكن جوّال الفكر، جوهريّ الذكر، كثير العلم، عظيم الحلم، جميل المنازعة، سريع المراجعة، واسع الصّدر، ضحكك تبسّما، واستفهامك تعلّما، مذكّر الغافل، معلّم الجاهل، لا تؤذ من يؤذيك، ولا تخض في ما لا يعنيك.

لا تشمت بمصيبة أحد، ولا تعتب (على أحد). كن صادق القول (بريئا من) الجهل، واقفا عند الشبهات، كثير العطايات، عوّانا للغريب، أبا لليتيم، بشراك في وجهك، حزنك في قلبك، مشغولا بفكرك، لا تكشف سرّاً، ولا تهتك سترا، كن كثير العبادة، ليّن الجانب، طويل الصّمت، تحمّل إذا جهل عليك، صبورا على من أساء إليك، تبجّل الكبير، وترحم الصّغير، أمينا على الأمانات، بعيدا على الخيانات، صبورا على الشّدائد، قليل المؤونة، كثير المعونة، طويل القيام، كثير الصيام.

بل تصوم رغبة، وتصلّي رهبة، غاضّ الطرف، لا تردّ السائل، متواصل الإخوان، كثير الحياء، كثير الجد في العمل، قليل الزّلل، كثير الأدب مع الأولياء،

كلامك حكمة، تقيل العثرات، ولا تتّبع العورات، وقورا شكورا عفيفا، قليل الفضول، زاهدا فيما في أيدي النّاس، لا لعّانا ولا سبّابا، لا حقودا ولا حسودا، اطلب من الأمور أعلاها، لا تَجُرْ على من يغضبك، عمّر قلبك، بل الأرض بجسمك، واسكن القبر بقلبك.

البس قميص التّواضع، وجزّئ أثواب المطامع، وتوكّل على المدبّر الصّانع، ونزّهه عن المشابهة للمصانع، واقتد بمختارك الشّافع، واصلا بالصّلاة عليه أشرف المواضع. واحذر من طرقات هواك، ولا تعوّل على غير مولاك، وحطّ عند بابه شكواك. وإيّاك والركون إلى غيره وإيّاك، وعلّق به في كلّ الأحيان رجاك، وتأنّس بمحاضرته فإنّه يسمعك ويراك، وخلّ عنك ما ضمن لك في دنياك، وعمّر باطنك على الدّوام بأخراك، وواصل بدعواتك الإخوان، واحزم عليه بالضراعة في السرّ والإعلان، واطلب لهم الخلاص من الملك الرّحمان، وارغب في إصلاح الحال فمولاك محسن منّان، فإن عملت يا أخي بمقتضى هذه الوصيّة، نلت من الله الدرجة العليّة، وورد عليك الإكرام في كلّ قضيّة، والله يحملك على منهاج رشاده، ويحرسك في أقطار بلاده، وسخّر لك قلوب عباده، فهو الذي لا يهمل العابدين، ولا يخيّب القاصدين، ولا يضيّع أجر الواردين، وصلواته الكاملة على خاتم النبيّين، ودرّة المرسلين، سيّد الأوّلين والآخرين، الشفيع في يوم الدين، وعلى آله الأكرمين، وأصحابه المنتخبين، وعليه وعليهم السّلام إلى يوم الدين، والحمد لله ربّ العالمين.

المصدر: كنش رقم 18801 بالمكتبة الوطنيّة من مكتبة المرحوم حسن حسني عبد الوهاب.

السّلطان أبو العبّاس الحفصي

(729 ـ 796)

أبو العبّاس أحمد بن محمد بن أبي يحيى أبي بكر الحفصي، من مجيدي الشعراء، تولّى الحكم بتونس من سنة 772 الى سنة 796 وكان واليا من قبل على قسنطينة أكثر من عشرة أعوام. مدحه ابن خلدون بغرّ القصائد وألّف له تاريخه وأهداه المقدّمة كما مدحه بدر الدين الدّماميني بقصيدة شرحها الزركشي في كتاب "بلوغ الأماني في شرح قصيدة الدماميني" نشرناه بتحقيقنا.

1 ـ بالمشرفيات يحمى المجد والشرّف

قال في فتحه توزر:

(البسيط)

بِالمَشْرَفِيَّاتِ يُحْمَى المَجْدُ وَالشَّرَفُ   ومن صدورِ المَعالي تُقْتَنَى الطُّرَفُ
وللفتُوحِ رياضاتٌ مُزخرفةٌ   لكنّها برقاقِ البِيضِ تُقْتَطَفُ
وفي حَيَاةِ أميرِ المُؤْمِنِينَ أبي   يَحْيَى أبِينَا سُعودٌ ما لها طَرَفُ
حُزْنَا الخِلافَةَ إرْثًا عنْ أوائلنا   فالمُلْكُ متْلَدٌ فينا ومُطَّرَف
لا يبلغُ الوصفَ في عليائنا أحَد   إلاّ وسؤددنا فوق الذي يَصِفُ
ناهيكَ مِن حَسَبٍ ما مثلُه حَسَبٌ   وكيف لا وأبو حَفْصٍ لنا سلفُ؟
تخالفَ النّاسُ إلا في مَفَاخِرِنَا   وفي المعالي ما شكُّوا وما اختلفُوا
حمى الشريعةَ منا سعيُ مُجْتَهِدٍ   فليسَ بالدّين لا حَيْفٌ ولا جَنَفُ
فينا التّواضعُ والإغضاءُ شيمتُنا   والعفوُ والصَّفْحُ مِن أبنائنا عرفُوا
ورأفةٌ في جنابِ اللّهِ صالِحةٌ   فلا تَرانا لغير الحقّ ننتصِف
تواضُعًا عَظُمَتْ في النّاسِ هَيْبَتُه   إنّ التواضُع في أنْف العُلى أنَف
نهوَى الحُروفَ التي مَجْموعها نعَمٌ   وليسَ في لفظنا لامٌ ولا ألفُ
ما إن بنا سرفٌ إلاّ مواهبنا   إنّ المواهبَ فيها يُحْمَدُ السَّرفُ
لِبَأْسِنا يرعد الصّمصام من رهبٍ   يوم الوغى ووشيج الرمح يَنْعَطِفُ
سيوفنا مِن تَمادي سَلِّها نحلتْ   حتّى كأنَّ بها من عِشْقها دَنَفُ
وما ارْتَضَيْنَا عديد الجيش يكنُفنا   بل الجيوشُ بِنا في الحَرْبِ تَكْتَنِفُ

جَيْشٌ تَضِيقُ بِهِ الغَبْرَاءُ مُتَّسَعٌ ... فالأرضُ تَرْجُفُ وَالأَطْوَادُ تنْتَسفُ

مِنَ الفَوَارِسِ طَعَّانِينَ إنْ وَقَفُوا ... يَوْمَ الكَرِيهَةِ ضَرَّابُونَ إنْ وَقَفُوا

بِكُلِّ هِنْدِيَّة رَقَّ الغِرَارُ بِهَا ... وَكُلُّ خَطِّيَّةٍ قَدْ زَانَهَا هَيَفُ

يَقُودُهَا النَّصْرُ خَفَّاقٌ ذَوَائِبُهُ ... إذْ لَيْسَ إلاَّ بِرِيحِ العَدْلِ يَنْعَطِفُ

حتَّى أطَلَّ عَلَى سُكَّانِ تَوْزَرَ لا ... يَحْمِيهِمُ منهُ سُورٌ لا ولا كَنَفُ

ظَنُّوا الحَفِيرَ حَفِيرًا مَانِعًا لَهُمُ ... حَتَّى رَأَوْا سَمْعَهَا عَزْمًا وَهُمْ هَدَفُ

تَوَاقَعُوا فِيهِ أَمْثَالَ الفرَاشِ رَدى ... كَأَنَّهم بأكُفّ الجِنِّ قَدْ خُطِفُوا

لَكِنَّ عَفْوَنَا أَدْنَاهُ اعتِرَافُهُمُ ... والعفو أطيبُ ما يجنيه مُعْتَرِفُ

نَعْفُو وَنَصْفَحُ عَنْ عِزّ وَمَقْدُرَةٍ ... فإنّ خير السَّجايا الحِلْمُ واللُّطف

أَطَاعَتْ العربُ لَمَّا أَوْردت حُلَلاً ... وإنَّ أرواحها بالذُّعر تُخْتَطَفُ

لاَذُوا بِخِدْمَتِنَا فِي ظِلِّ حُرْمَتِنَا ... قَسرًا وعند التلافي يؤمَنُ التَّلَفُ

يَا سَعْدَ مُتَّبِعٍ آثَارَ دَوْلَتِنَا ... وَسُوءَ عُقْبَى شَقِيٍّ عَنْهُ يَنْحَرِفُ

وَيَاطَلاَقَةَ فَتْحٍ فِي أَسِرَّتِهِ ... رَذَاذُ نُورٍ بِهِ الآفَاقُ تَخْتَلِفُ

فَتَوزَرُ اليَوْمَ مَا للسَّعْدِ مُنْفَرَجٌ ... عَنْهَا وَلاَ لعديد النَّصْرِ مُنْصَرَفُ

وَنِعْمَةٍ عَمَّتِ الأَقْطَارَ سَابِغَةٍ ... وجَدَّدَتْ لِذَوِي الآمَالِ مَا أَلِفُوا

دَامَتْ إيَالَتُنَا العَلْيَاءُ فِي سَعَةٍ ... فَالسَّعْدُ والشَّمْلُ بِالأَحْبَابِ مُؤْتَلِفُ

وَلاَ بَرِحْنَا طَوِيلَ العُمْرِ فِي دَعَةٍ ... وللخلافة من أبنائنا الخلف

المصدر: نثير الجمان: ص 103 ـ 105.

2 ـ قرّ عينا

طلب أبو العباس أحمد الحفصي مرّة كاتب إنشائه يحيى بن أجاد. وكان يحيى ثملا، فخافه على نفسه إن هو طلع إليه على تلك الحالة فكتب إليه:

(المتدارك)

أصبح العبدُ يَحْيى كصباحِ ابنِ أكثم
شَغَلَتْهُ الحُميّا وهو بالأمر مهتمْ
فخشي من رقيبٍ فرأى الدار أكتمْ

فلمّا قرأها وقّع بخطّه تحت خطّه:

قرَّ عينًا بعيشٍ صفوُه بك قد تمْ
أنت أزكى عبيدي ها هنا كنت أوثَمْ

فكان ذلك سبب توبته

المصدر: صبح الأعشى: ج 5 ، ص 132 ـ 133.

محمّد بن عرفة

(716 ـ 803)

أبو عبد الله محمد بن محمّد بن عرفة الورغميّ التّونسي مدرّس بجامع الزيتونة أكثر من نصف قرن وإمامه وخطيبه والمفتي به طيلة 30 سنة. تخرّج على يديه فطاحل من العلماء في بلاد المغرب العربي. ولد في عرش ورغمّة في 27 رجب 716 وتوفّي في تونس في 19 جمادى الثانية سنة 803. من تآليفه:

ـ الحدود الفقهية

ـ تفسير للقرآن الكريم نشر منه بتونس 1986 جزآن براوية الأبي تحقيق حسن المناعي

ـ المختصر الفقهي في المذهب المالكي .

ـ المبسوط في المذهب .

ـ المختصر الشّامل في التّوحيد .

1 ـ مقطوعة

(الوافر)

خشيتُ على حبيب القلب لما
أتى حمّامه وقضى الجَنَابَا
نهارٌ وجهه والجسمُ زبد
إذا طلع النّهار عليه ذابا

المصدر: مخطوط بدار الكتب الوطنيّة رقم 18768.

2 ـ هجو المسلم فسق

(الطويل)

وما حالُ من يهجو أخاه بلفظةٍ ... إذا ذكر المرويُّ عند الأيمّة
وعلمُ أصولِ الفقه والبحثُ والنّظرُ ... سوى حالٍ من قد ساءه قلبُ نكتة
فَبَاءَ بفسق، قاله سيّدُ أتى ... بصدْقٍ وتبيان ووعظٍ وحِكْمة
رَوَى مسلمٌ عن شيخه قَوْلَهُ سبًا ... لدى الإسلام فُسْقٌ بحجّة
بصغْرى وكبرى يُنْتِجَان فسوقَه ... فباللّه أعْرِض عنه وادفعه بالتي

المصدر: شرح حدود ابن عرفة: ص 538.

3 ـ مجلس العلم

(الطويل)

إذا لم يكن في مجلس العلم نكتةٌ ... وتقريرُ إيضاح لمشكِلِ صورة
وعزوُ غريبِ النّقل أو فتحُ مقفلٍ ... أو ابداءُ إشكالٍ نتيجةَ فكرة
فدعْ سعيه واطلب لنفسك واجتهدْ ... وإيّاك تركًا فهو أقبح خِلّة

المصدر: عنوان الأريب: ج 1 ـ ص 106.

4 ـ بلغت الثّمانين

(المتقارب)

بلغتُ الثّمانين بل جُزْتُها فهان على النّفس صعبُ الحِمام
وآحادُ عصري مضَوْا جملة وعادوا خيالا كطَيْفِ المَنَام
وأرجو به نيلَ صدرِ الحديث بحُبِّ اللّقاء وكُرْهِ المُقَام[1]
وكانت حياتي بلُطْفٍ جميلٍ لسَبْقِ دعاءِ أبِي في المَقَام

المصدر: عنوان الأريب: ج 1 ص 107 وهي موجودة في نيل الابتهاج.

نصّ نثري

حدود ابن عرفة

الطهارة: صفة حكميّة توجب لموصوفها جواز استباحة الصّلاة به أو فيه أوّلهُ فالأوّليّان من خبث والأخيرة من حدث.

والنّجاسة: صفة توجب له منعها به أو فيه ،

والطهوريّة: توجب له كونه بحيثُ يصير المزال به نجاسته طاهرا.

والتّطهير: إزالة النّجس أو رفع مانع الصّلاة .

والماء الطهور: ما بقي بصفة أصل خلقته[2] غير مُخرجٍ من نبات ولا حيوان ولا مخالطٍ بغيره.

والقضاء: فعل ما فاته بصفته.

والبناء فعل ما فاته بصفة تالي ما فعل هنا فقط وفي باب وعلى أنّه أولها له.

---

(1) إشارة إلى الحديث النّبوي الشّريف: من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه.

(2) في الشرح: خلقه.

وموجب الغسل: خروج المنيّ بلذّة ومغيب حشفة غير خنثى أو مثلها من مقطوعها في دبر أو قبلٍ غير خنثى ولو من بهيمة ماتت على من هو[3] منه أو غابت فيه ولو مكرها أو ذاهبا عقله. (وانقطاع دم الحيض والنّفاس وإسلام الكافر).

والحيض: دم يلقيه رحمٌ معتاد حملها دون ولادة خمسة عشر يومًا وفي غير حمل وفي حمل ثلاثة أشهر خمسة عشر يوما ونحوها وبعد ستّة عشرين ونحوها فأقلّ في الجميع.

والنّفاس: دم ألقاه[4] حمل الوقت كون الشّمس أو نظيرها بدايرة أفق معيّن أو بدرجة على قدر بدرها منه.

والصّلاة: قربة فعليّة ذات إحرام وسلامٍ أو سجود فقط. وزوال الشّمس هي كونها بأول ثاني أعلى درجات دائرتها يعرف بزيادة أقل ظلّها[5].

والإمامة: اتباع مصلّ آخر[6] في جزء من صلاته غير تابع غيره.

والاستخلاف: تقديم إمام بدل آخر لإتمام صلاةٍ.

والقصر: سببه سفر معزوم على طوله جزمًا.

والجمعة: ركعتان تمنعان وجوب ظهرٍ على رأيٍ أو تسقطها على رأي.

والرّوح: ذو جسد ويدين وعينين ورجلين يسلّ من الجسد سلاًّ.

والزّكاة: إعطاء[8] جزء من المال شرط وجوبه لمستحقّه بلوغ المال نصابا (ومصدرا إخراج جزء).

---

(3) في الشرح: هي.

(4) في الشرح دم إلقاء حمل: فقط والبقيّة ناقصة.

(5) ساقط من الشّرح.

(6) ساقط من الشّرح.

(8) الشرح: اسماء.

والرّبح: ثمن مبيع بأكثر من ثمن الأول ذهبا أو فضة[9] .

والفائدة: ما ملك لا عن عوض، مُلِكَ لتجرٍ.

والغلّة: ما نمي عن أصل قارن مِلكُه نموّه حيوانا أو نباتا أو أرضا[10].

وزكاة الفطر: إعطاء مسلم فقيرٍ لقوتِ يومِ الفطرِ صاعًا من غالبِ القوت أو جزءه المسمّى بالجزء[11] المقصور وجوبه عليه.

والصّيام: كفّ بنيةٍ عن إنزال يقظةً ووطءٍ وانعاظ ومذي ووصول غذاء غير غالب غبار أو ذباب أو فلقه بين الأسنان بحلق أو جوفٍ غير منسبة في تطوّع من الفجر حتّى الغروب دون إغماء أكثر نهاره.

والاعتكاف: لزوم مسجد مباح لقربه قاصرة بصوم معزوم على دوامه يوما وليلة سوى خروجه لجمعة أو لمعيشة الممنوع فيه.

والحجّ: عبادة يلزمها وقوف بعرفةً ليلة عاشر ذي الحجة وطواف ذي طهر أخص بالبيت عن يساره سبعا[12] . بعد فجر يوم النحر والسّعي من الصفا للمروة ومنها إليه سبعا بعد طواف كذلك لا يقيّد وقته باحرام في الجميع.

والإحرام: صفة حكميّة توجب لموصوفها حرمة مقدّمات الوطء مطلقا وإلغاء لنتف والطيب، ولبس الذكور المخيط والصيد لغير ضرورة.

والصيد: ما أبيح أخذه غير مقدور عليه من وحشٍ طير أو برّ أو حيوان

والذّبائح: لقب لما يحرم بعض أفراده من الحيوان لعدم ذكاته أو سلبها عنه وما أبيح بها مقدور عليه[13]

(9) الشرح: الربح: زائد ثمن مبيع تجر على ثمنه الأوّل

(10) ما نما عن أصل: حيوان أو نبات أو أرض.

(11) الشرح: للجزء.

(12) التعريف ناقص في الشّرح

(13) باختلاف في الشرح

والذّكاة: نحر وذبحٌ وفعل ما يعجّل الموت بنيّة في الجميع.

والمأكول: ذو نفس سايلة إن ذكي أو كان مجريا غير كلب أو خنزير[14].

والأضحية: ما تقرّب بذكاته من جَذَعٍ ضانٍ أو ثنيّ سائر النّعم سالمين من بيّن عيبٍ مشروطًا بكونه في نهارِ عاشر ذي الحجّة أو تاليبه بعد صلاة عيد إمام أو قدر زمن ذبحه لغيره ولو تَحَرِّيا لغير حاضره.[15]

والعقيقة: ما تقرّب بذكاته من جذع أو ثنيّ سائر النّعم سالمين من بين عيبٍ مشروطًا بكونه في نهار سابع ولادة آدمي عند حي[16].

واليمين: قَسم أو التزام مندوب غير مقصود به القربةُ أو ممّا يجب بانشاء لا يفتقر الى قبولٍ معلّقٌ بأمر مقصود عدمهُ.

والنذر: الأعم ايجاب المرء على نفسه للّه أمرًا والأخصّ التزام طاعة بنيّة القربة لامتناع أمر.

المصدر: مخطوط بمكتبتنا: قارنا النّص بمتن شرح الحدود للرّصّاع .

---

(14) ساقط من الشرح

(15) باختلاف في الشرح.

(16) في الشرح: حيّ عنه

عبد الرّحمان بن خلدون

(808 _ 732)

أبو زيد عبد الرّحمان بن محمّد بن خلدون الحضرمي التّونسي المؤرّخ والمستنبط لعلم العمران والشّاعر الأديب، ولد بتونس في غرة رمضان 732 ونشأ بها وحفظ القرآن في أحد الكتاتيب بالحيّ المعروف اليوم بتربة الباي، ثمّ أخذ علم التّوحيد والفقه والحديث والنّحو والأدب عن خيرة أدباء تونس. تولّى العلامة لابراهيم الحفصي ثمّ غادر تونس سنة 753 الى المغرب الأوسط فالأقصى حيث تقلّب في الخطط السياسيّة وامتحن بالسّجن. ورجع الى تونس سنة 780 واتّصل بالسّلطان الحفصي أبي العبّاس أحمد ومدحه بغرّ القصائد ثمّ غادر تونس للمرّة الثّانية والتحق بالقاهرة حيث تفرّغ للتّدريس والقضاء المالكي.

من تآليفه:

- المقدّمة .

- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر: 7 أجزاء.

- التّعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا .

- شفاء السّائل لتهذيب المسائل: في التصوّف .

- شرح على البردة.

- شرح لرجز ابن الخطيب في الفقه .

- تقييد في المنطق.

- كتاب في الحساب .

- تلخيص لعدد من كتب ابن رشد والرّازي.

1 ـ على أي حال للّيالي أعاتب

قال مخاطبا أبا عنان المرينى يستعطفه ليطلقه من سجنه:

(الطويل)

عَلَى أيِّ حَالٍ لِلّيَالِي أُعَاتِبُ
وَأيُّ صُرُوفٍ لِلزَّمَانِ أُغَالِبُ
كَفَى حَزَنًا أَنِّي عَلَى القُرْبِ نَازِحٌ
وَأنِّي عَلَى دَعْوَى شُهُودِيَ غَائِبُ
وَأنِّي عَلَى حُكْمِ الحَوَادِثِ نَازِلٌ
تُسَالِمُنِي طَوْرًا وَطَوْرًا تُحَارِبُ
أَحِنُّ إِلَى إِلْفِي وَقَدْ حَالَ دُونَهُمْ
مَهَامِهُ فِيحٌ دُونَهُنَّ سَبَاسِبُ
وَبَيْدَاءُ قَفْرٍ غَيَّرَتْهَا يَدُ البِلَى
وأَزْرَتْ بِمَغْنَاهَا الصَّبَا وَالجَنَائِبُ
بِهَا لِعَزِيفِ الجِنِّ[1] أيُّ تَرَاجُعٍ
وَبَيْنَ الرِّيَاحِ الهُوجِ فيها تَلاَعُبُ
يضل بها الخرِّيتُ[2] في كل موقف
فيصرفُه بحرٌ منَ الآلِ رَاسِبُ

(1) العزيف صوت الجن، وصوت الرمال إذا ذهبت بها الرياح.
(2) الخريت : الدليل الحاذق بالدلالة.

سَلَوْتُهُـــم إلا ادّكــار مَـــعَــاهِــدٍ

لَهَا فِي اللَّيَالِي الغَابِرَات غَرَائِبُ

وَإِنَّ نَسِيمَ الرِّيحِ مِنْهُمْ يَشُوقُنِي

إِلَيْهِمْ وَتُصبِينِي البُرُوقُ اللَّوَاعِبُ

وَلَمْ أنْسَ، لاَ أَنْسَى الوَدَاعَ وَقَدْ جَرَتْ

دُمُوعٌ وَزُمَّتْ لِلْوَدَاعِ رَكَائِبُ

عَشِيَّةَ بَانُوا وَالقُلُوبُ جَوَامِدٌ

وَكَانَ عَقِيقٌ فِي النَّوَاظِرِ ذَائِبُ

وَقَفْنَا وَلاَ نَجْوَى سِوَى بَيْنَ أَعْيُنٍ

وَشَتْ بِالهَوَى مِنْهَا دُمُوعٌ سَوَاكِبُ

تُخَاطِبُ رَسْمَ الدَّارِ شَوْقًا وَمَا لَنَا

عَلَى القُرْبِ إِلاَّ مِنْ صَدَاهَا مُجَاوِبُ

مَضَوْا يُزْمِعُونَ السَّيْرَ إِلاَّ تَلَفُّتًا

كَمَا التَفَتَتْ بينَ الأرَاك الربارِبُ(3)

وَأَتْبَعْتُهُم طَرْفِي وَقَلْبِي وَمَا دَرَوْا

بِأَنِّي عَلَى آثَارِ هَذَيْنِ ذَاهِبُ

وَمَا رَاعَنِي إِلاَّ المَآقِي تَحَدَّرَتْ

بِهِنَّ قُلُوبٌ فِي الدُّمُوعِ ذَوَائِبُ

(3) والربارب ج الربرب وهو القطيع من الظباء، ومن البقر الوحشي والإنسي.

وَقَدْ طُوِيَتْ شَمْسُ الأَصِيلِ بِأُفقِهَا

كَمَا نُشِرَتْ لِلَّيْلِ مِنْهَا نَوَائِبُ

وَسِرْنَا وَتَرْجِيعُ الحُدَاةِ يَحُثُّنَا

كَمَا رَجَّعَ الإِنْجِيل فِي الصُّبْحِ رَاهِبُ

نَمِيلُ عَلَى الأَكْوَارِ سُهْدًا كَأَنَّنَا

نَشَاوى مُدَامٍ أَنْحَلَتْهَا الحقَائِبُ

أَقُولُ لِصَحْبِــي وَالضَّعَائِنُ تَرْتَمِي

وَقَدْ أَخَذَتْ مِناَ السُّرَى وَالنَّجَائِبُ

وَقَدْ ظَمِئَتْ مِنَّا المَطِيُّ وَأَظْلَمَتْ

دُجَى خَفِيَتْ فِيهَا عَلَيْنَا المَذَاهِبُ

رِدُوا لَيْسَ يَرْوِينَا الغَمَامُ وَهَذِهِ

دُمُوعِيَ لاَ يَظْمَا بِهَا بَعْدُ شَارِبُ!

وَإِنْ يَكُ بِالشُّهْبِ اهْتِدَاءٌ فَهَذِهِ

بِصَدْرِيَ شُهبٌ لِلْغَرَامِ ثَوَاقِبُ

رَعَى اللَّهُ عَهْدًا ضَمَّهُ أُفْقُ تُونِسٍ

وَمَعْهَدَ أُنْسٍ لَمْ تَرُعْهُ النَّوَائِبُ

وَجَادَتْ عَلَيْهِ الغَانِيَاتُ بِمَا حَوَتْ

مِنَ الظَّلْمِ لاَ مَا تَحْتَوِيهِ السَّحَائِبُ(4)

وَرَوَّض مِنْهَا كُلَّ قَطْرٍ بِأَغْصُنِ الـ

قُدُودِ اللَّوَاتِي لَمْ تُثِرْهَا الأَهَاضِبُ

---

(4) الظلم: ماء الأسنان وبريقها.

بلادٌ بها عَقَّ الشَّبَابُ تَمَائِمي
وَلاَ مَس فِيهَا التّرْبَ مِنِّي التَّرَائِبُ
يُذَكِّرُنِي عَهْدَ الرِّضَا فِي جَنَابِــهَا
أَمَانٍ تَقَضَّتْ لِي بِهَا وَمَآرِبُ
فَأَصبُو وَلَكِنْ أَيْنَ مِنِّي مَزَارُهَا؟
وَأَبْكِي وَإِنْ لَمْ تُغْنِ عَنِّي السَّحَائِبُ
وَيُقْلِقُنِي شَوْقٌ تَضَرَّم بِالحَشَا
فَتحْرِقُنِي لَوْلاَ الدُّمُوعُ لَوَاهِبُ
أَبِيتُ تُنَاجِينِي الهُمُومُ كَأَنَّنِي
صَدِيقٌ عَفَــا فِي الحُبِّ وَهْيَ تُعَاتِبُ
وَإِنْ قُمْتُ غَنَّتْنِي قِيَانٌ أَدَاهِمٌ
لَهَا بَيْنَ أَقْدَامِ الكُمَاةِ مَلاَعِبُ
وَقَدْ أَمْتَطِى فِكْرِي لَدَى اللَّيْلِ مَرْكَبًا
بِذِكْرِ الَّذِي تُحْدَى إِلَيْهِ الرَّكَائِبُ
وَأَعْشُو إِلَى مَدْحِ الخَلِيفَةِ فَارِسٍ
فَتَنْجَابُ عَنِّي لِلخطوبِ غَيَاهِبُ
إِمَامُ هُدًى ضَاعَتْ شُمُوسُ اهْتِدَائِهِ
فَبَانَــتْ لَنَا مِنْ بَيْنِهِــنَّ المَذَاهِــبُ
تَرَقْرَقَ مَاءُ البِشْرِ فِي صَفَحَاتِهِ
وَأَيْنَعَ مِنْهُ المَجْدُ فَالمَحْــلُ عَاشِــبُ

وَأَوْسَــعَ أَبْنَــاءِ الزَّمَــانِ نَوَالُــهُ
فَلَيْـسَ سِــوَى مِمَّنْ يُنَوِّلُ كَاسِبُ
خَلاَئِــقُ يَحْكِيهَــا الرِّيَـاضُ بَدَائِعًا
فَتُعْــزَى لَــهُ إِنْ حَقَّقَ القَوْلَ نَاسِبُ
جَــرَى الجُــودُ أَنْهَارًا - بِكَفَّيْهِ - عَذْبَـةً
ومَا تِلْكَ فِي الرَّاحَاتِ مِنْهَا مَشَارِبُ
وَسَــارَ عَلَــى الآفَاقِ طِيبُ ثَنَائِـهِ
فَمَا المِسْكُ لَوْلاَ عَرْفُهُ المُتَطَايِــبُ؟
وَأَشْرَقَــت الدُّنْيَــا بِنُــورِ جَبِينِـهِ
فَمَــا المِسْكُ لَوْلاَ عَرْفُهُ المُتَطَايِبُ؟
وَأَشْرَقَــت الدُّنْيَــا بِنُــورِ جَبِينِــهِ
فَمَا الشَّمْسُ إِلاَّ إِنْ بَدَا مِنْهُ حَاجِبُ!
مَنَاقِـبُ تَحْكِي الشُّهْبَ ضَوْءًا وَرِفْعَةً
فَيَسْرِي بِهَا فِي مَهْمَـهِ الخَطْبِ رَاكِبُ
فَفِكْـرٌ إِذَا مَــا أَظْلَــمَ الخَطْبُ نَيِّرٌ
وَفَهْـــمٌ إِذَا مَا أَشْكَلَ العِلْمُ ثَاقِبُ
وَهِمَّــةُ مَنْ لَــمْ يَجْعَلِ الإِرْثَ وَحْدَهُ
طَرِيقَ العُلَى حَتَّى اسْتَتَمَّتْ مَنَاصِبُ
تَزَاحَــمَ تِيجَــانُ المُلُــوكِ بِبَابِــهِ
كَمَــا ازْدَحَمَتْ بِالدَّارِعِينَ المَوَاكِبُ

وَتَفْخَرُ مِنْ مَلْكٍ أَغَرَّ مُهَذَّبٍ

ثَقِيل المَرَاقِي عِنْدَهُ والمـنـاصِب

جَبَرْتَ عِمَادَ الدِّينِ بَعْدَ انْصِدَاعِهِ

عَلَى حِينِ لَمْ يَجْبِرْ لَهُ الصَّدْعَ شَاعِبُ

وَمِلْتَ عَنِ الدُّنْيَا إِلَى الدِّينِ رَاغِبًا

عَلَى رَغْبَةٍ مِنْهَا فَنِعْمَ المَرَاغِبُ

وَشَيَّدْتَ فَخْرًا فِي ذُؤَابَةِ مَعْشَرٍ

نَمَتْكَ إِلَى العَلْيَاءِ مِنْهُمْ عَصَائِبُ

وَمَهَّدْتَ رُكْنَ المُلْكِ مِنْكَ بِعَزْمَةٍ

تَذُبُّ بِهَا عَنْــهُ الحُمَاةُ الضَّوَارِبُ

وَدَوَّخت أَرْضَ الغَرْبِ حَتَّى تَسَابَقَتْ

لِأَمْرِكَ طَوْعًا عُجْمُــهُ وَالأَعَــارِبُ

فَأَوْطَأْتَهُمْ فَوْقَ السِّمَاكَيْنِ مَنْزِلاً

فَلَيْسَ لَهُمْ إِلاَّ هُنَــاكَ مَرَاتِـبُ

وَلَمَّا طَغَى بِالشَّرْقِ كُلُّ مُكَــذِّبٍ

عَصِيٍّ تُنَاجِيــهِ الأَمَــانِي الكَـوَاذِبُ

وَيَخْلُو عَلَى بُعْدِ الدِّيَارِ بِنَفْسِهِ

فَتَعْصِيهِ مِنْ طَعْنِ العِدَا مَا يُطَالِبُ

بَدَأْتَهُمْ بِالقَوْلِ لَوْ أَنَّ سَعْيَهُمْ

حَمِيدٌ لَمَــا سَــاءَتْ لَدَيْهِمْ عَوَاقِبُ

وَلَكِنْ أَبَوْا إِلاَّ جِمَاحًا وَمَا دَرَوْا
بِأَنَّكَ حِزْبُ اللَّهِ، وَاللَّـهُ غَالِبُ!
وَلَجُّوا عَلَى ظَنٍّ بِأَنَّ حُصُونَهُمْ
مُمَنَّعَـةٌ لَوْ أَنَّ غَيْرَكَ طَالِبُ
فَسُمْتَهُمُ بِالرُّعْبِ قَبْلَ نِزَالِهِمْ
فَفُلَّـتْ جُمُوعٌ مِنْهُمُ وَمَضَارِبُ
وَأَرْسَلْتَهُمْ مِنْ آلِ أَعْوَجَ غُلَّبٍ
عَلَيْهَا مِنَ الأَبْطَالِ شُوسٌ أَغَالِبُ
مِنَ القَوْمِ مَا غَيْرُ القَنَا فِي طَرِيقِهِمْ
أَنِيسٌ وَلاَ غَيْرُ المُهَنَّدِ صَاحِبُ
إِذَا أَظْلَمَتْ جُنحَ النَّهَارِ دُرُوعُهُمْ
أَضَاءَتْ وُجُوهٌ مِنْهُمُ وَمَنَاقِبُ
وَإِنْ ظَلَّ فِي لَيْلِ الكِفَاحِ دَلِيلُهُمْ
هَدَتْهُمْ مِنَ العَزْمِ الصَّمِيمِ كَوَاكِبُ
بِأَيْدِيهِمُ سمرُ الرِّمَاحِ كَمَا عَلَى
عَوَاتِقِهِمْ بِيضُ السُّيُوفِ القَوَاضِبُ
فَذَاكَ أَصَمُّ يَبْلُغُ الطَّعْنَ لِلْعِدَى
وَهَذَا سَمِيعٌ إِنْ تَنَاجَى الكَتَائِبُ!
غَمَائِمُ لِلْعَافِينَ، تهتن صَيِّبٌ
وَفِي عَرَصَاتِ المَارِقِينَ مَصَائِبُ

فَفِي الحَرْب اَسَادٌ وَفِي السِلْمِ سَادَةٌ
وَيَوْم النَّدَى وَالمَكْرُمَاتِ سَحَائِبُ
نَدَبْتَهُـــمُ لِلَّـــهِ ثُـــمَّ بَعَثْتَهُـــمْ
تُقَامُ عَلَى الأَعْدَاءِ مِنْهُم نَوَادِبُ
وَسِرْتَ فَلَوْلاَ أَنَّ أَمْرَكَ وَازِعٌ
لَسَارَتْ جِبَالٌ عِنْدَهَا وَأَهَاضِبُ
وَرِيعُوا فَلَوْلاَ طَوْدُ حِلْمِكَ قَدْ رَسَا
لَزُعْزِعَ مِنْ ذَاكَ الأَشَمِّ جَوَانِبُ
بِجَيْشٍ يَغَصُّ الأُفْقُ مِنْهُ بِمَرْكَبٍ
وَيَعْجِزُ عَنْ حَصْرِ الكَتِيبَةِ حَاسِبُ
يُبَاحُ حِمَى الأَفْلاَكِ عِنْدَ فَرِيقِهِمْ
وتَنْهَبُ إِنْ أَوْمَى إِلَى الشُّهب نَاهِبُ
أَثَرْتَ بِهِمْ فَوْقَ الأَعَادِي مَصَائِبًا
مِنَ النَّقْعِ جَدْوَاهَا السِّهَامُ الصَّوَائِبُ
وَجُسْتَ عَلَى رَغْمٍ خِلاَلَ دِيَارِهِمْ
تُعَطِّرُ بِالأَرْدَانِ مِنْكَ مَسَاحِبُ
فَلَوْلاَ اعْتِصَامٌ كَانَ مِنْهُمْ بِطَاعَةٍ
لَأَغْرَقَهُـمْ طُوفَانُـكَ المُتَرَاكِـبُ
وَلَمَّا انْتَضَى جَبَّارُ تُونِسَ عَزْمَةً
وَرَامَ فِرَارًا لَوْ نَجَـا مِنْكَ هَـارِبُ

بَعَثْتُ بِهَا غِرْبَانَ زَجْرٍ يَحُثُّهَا

لِتَفْرِيقِ شَمْلٍ مِنْ أَعَادِيكَ نَاعِبُ

وَمُلِّكْتَهَا شَرْقًا وَغَرْبًا كَأَنَّمَا

لِأَمْرِكَ مِنْ جَارِي المَقَادِيرِ صَاحِبُ

وَلَوْلاَ خُطُوبٌ كُنْتَ حَاسِمَ دَائِهَـا

لَقَدْ عَلِمُوا كَيْفَ الغَرِيمُ المُطَالِبُ

أَمَوْلاَيَ طَابَ القَوْلُ لِي فَأَطَلْتُهُ

وَمَا طَيِّبُ الأَقْوَالِ إِلاَّ الأَطَايِبُ!

وَمَا كَانَ لِي نَظْمُ القَرِيضِ بِضَاعَةً

وَلَكِنْ دَعَانِي نَحْوَ مَدْحِكَ جَاذِبُ

فَجِئْتُ بِهَا حَسْنَاءَ تَلْتَمِسُ الرِّضَا

وَإِنْ رَغِمَ الوَاشُونَ مِنْهَا وَشَاغَبُوا

فَعَفْوًا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ فَلَيْسَ لِي

يَدَانِ بِسخْطٍ مِنْكَ وَالصَّبْرُ عَازِبُ

أُسَاقُ مَدَى الأَيَّامِ فِي القَيْدِ مُفْعَمٌ

وَجِسْمٌ عَلِيلٌ بَعْدَ ذَلِكَ شَاحِبُ

وَقَدْ وَضَحَتْ لِلْحِلْمِ فِي كُلِّ طَيِّعٍ

وَعَاصٍ شَرُودٍ عَنْكَ طُرْقٌ لَوَاحِبُ

وَأَرْضَعْتَهُمْ ثَدْيَ الأَمَانِي وَكَمْ بَغَوْا

وَأَوْرَدْتَهُمْ صَفْوَ الأَمَانِي وَحَارَبُوا

أَبَى اللَّه إِلاَّ أَنْ يَكُونَ لَكَ العُلاَ
تُنِيلُ الوَرَى عَفْوًا فَتُعْفَى المَعَايِبُ
وَإِنْ أَثْبَتَ الأَعْدَاءُ أَنِّيَ مُذْنِبٌ
فَصَفْحُكَ يَا مَوْلاَيَ لِلذَّنْبِ سَالِبُ
وَهَبْهُمْ رَمَوْنِي بِالَّتِي لَسْتُ أَهْلَهَا
أَلَيْسَ انْتِسَابِي وَاضِحٌ مُتَنَاسِبُ؟
أَبَعْدَ انْتِزَاحِي عَنْ بِلاَدِي تَحُثُّنِي
إِلَى بَابِكَ الأَعْلَى مَطِيٌّ شَوَازِبُ[1]
وَغَرَّاء مِنْ نَسْلِ الجَدِيلِ وَشَدْقَمٍ[2]
لَهَا فِي الرِّيَاحِ العَاصِفَاتِ مَنَاسِبُ
يُجَاذِبُ عِطْفَيهَا المِرَاحُ فَتَنْثَنِي
كَمَا التَفَتَتْ فِي الرَّوْضِ حَسْنَاءُ كَاعِبُ
وَتَكْبُرُ قَدْرًا أَنْ يَمِيلَ بِمِثْلِهَا
لِغَيْرِكَ قَصْدًا أَوْ تَعِنُّ مَطَالِبُ
رَقَمْتُ بِهَا فِي صَفْحَةِ البِيدِ أَسْطُرًا
كَمَا زَانَ رَقْمًــا فِي الصَّحِيفَةِ كَاتِبُ
وَجُبْتُ بِهَا غَوْرَ الفَلاَةِ وَنَجْدَهَا
وَلَيْسَ سِوَى مِنْ ذَنْبِــيهَا مَا أُصَاحِبُ؟

(1) شوازب: ج شازب: وهو الضامر.
(2) الجديل وشدقم فحلان مشهوران للنعمان بن المنذر.

كَأَنِّــي لَفْــظٌ وَالبِــلاَدُ تُجِيبُنِــــي
خَوَاطِرُ مِنْهَا لِلْمَعَانِي صَوَائِبُ
نَظُـــنُّ بِــأَنَّ الشَّـــرْقَ عَنْ حَمْلِ كَتْمِهِ
يَضِيقُ فَتَطْوِي سِرَّهُنَّ المَغَارِبُ
إِلَى أَنْ حَطَطْتُ الرَّحْلَ فِي سَرْحَةِ العُلاَ
لَدَى بَابِكَ الأَعْلَى كَمَا حَطَّ آيِبُ
وَأَصْدَرْتَنِــي عَــنْ وِرْدِ نُعْمَاكَ نَاهِلاً
وَقَدْ أَثْقَلَتْ ظَهْرِي لَدَيْكَ المَوَاهِبُ
فَكَيْــفَ أُوَلِّــــي شَطْرَ غَيْرِكَ وِجْهَةً
أُؤَمِّلُ مِنْهَا نُجْعَةً أَوْ أُرَاقِبُ
وَمَـــــا خَلَصَتْ إِلاَّ لِبَابِكَ هِجْرَتِي
وَلَمْ تَصْفُ لِي مِمَّنْ سِوَاكَ المَشَارِبُ
وَإِنِّـــي عَلَـى عِلْــمٍ بِأَنْ لاَ مُمَلَّكٌ
سِوَاكَ عَلَى الدُّنْيَا وَلاَ عَنْكَ ذَاهِبُ
وَلَكِــنْ عَــوَادٍ إِنْ عَدَتْنِي عَنِ الرِّضَا
زَمَانًا فَإِنِّي اليَوْمَ مِنْهُنَّ تَائِبُ
سَأَنْــزَعُ عَمَّــا أَنْتَ - وَاللَّهِ - سَاخِطٌ
فَأَمْرُكَ مَحْتُومٌ عَلَى الخَلْقِ وَاجِبُ
وَأَسْطُــو عَلَــــى الأَيَّامِ مِنْكَ بِنَوْبَةٍ
كَمَا افْتَرَسَتْنِي بَيْنَهُنَّ النَّوَائِبُ!
وَتُوسِعُنِـــي رُحْمَـــاكَ أَفْضَلَ نَعْمَةٍ
تَرِيشُ بِهَا عَظْمِي وَتَتْرَى المَكَاسِبُ
فَمَا فِي اللَّيَالِي مِنْ ذَمِيمٍ - وَلَوْ أَتَى -
إِذَا حُمِدَتْ بَعْدَ المَبَادِي العَوَاقِبُ

المصدر: نثير الجمان : ص 299 ـ 310 منها خمسة أبيات في «التعريف» ص 69 ـ 70 (ط. لبنان) وص 67 (ط. الطنجي).

صحا الشوق

من قصيدة أنشدها سنة 765 في ختان ولد محمد الخامس سلطان غرناطة:

(الطويل)

صَحَـا الشَّوْقُ لَوْلاَ عَبْرَةٌ وَنَحِيبُ ... وَذِكْــرَى تُجِـدُّ الوَجْدَ حِينَ تَثُوبُ
وَقَلْــبٌ أَبَــى إِلاَّ الوَفَــاءَ بِعَهْدِهِ ... وَإِنْ نَزَحَــتْ دَارٌ وَبَــانَ حَبِيــبُ
واللَّه مِنِّــي بَعْــدَ حَادِثَةِ النَّوَى ... فُــؤَادٌ لِتِذْكَــارِ العُهُــودِ طَـــرُوبُ
يُؤَرِّقُـــهُ طَيْــفُ الخَيَــالِ إِذَا سَرَى ... وَتُذْكِــي حَشَــاهُ نَفْحَــةٌ وَهُبُوبُ
خَلِيلَيَّ إِلاَّ تُسْعِــدَا فَدَعَا الأَسَــى ... فَإِنِّي لِمَــا يَدْعُــو الأَسَى لَمُجِيبُ
أَلِمَّا عَلَى الأَطْلاَلِ يَقْضِ حُقُوقَهَا ... مِنَ الدَّمْعِ فَيَّاضُ الشُّؤُونِ سَكُوبُ
وَلاَ تَعْــذِلاني فِي البُكَـاءِ فَإِنَّهَا ... حُشَاشَةُ نَفْسِي فِــي الدُّمُوعِ تَذُوبُ

ومنها في تقدُّم ولده للإعذار من غَير نُكول :

فَيَمَّمَ مِنْهُ الحَفْلَ لاَ مُتَقَاعِسٌ ... لِخَطْــبٍ وَلاَ نِكْسُ اللِّقَاءِ هَــيُوبُ
وَرَاحَ كَمَا رَاحَ الحُسَامُ مِنَ الوَغَى ... تَــرُوقُ حِـلاَهُ وَالفِرَنْـدُ[1] خَضِيبُ
شَوَاهِدُ أَهْــدَتْهُــنَّ مِنْـكَ شَمَائِلُ ... وَخُلْقٌ بِصَفْـوِ المَجْـدِ مِنْكَ مَشُوبُ

(1) الفرند: السيف .

ومنها في الثّناء على ولديه:

هُمَا النَّيِّرَانِ الطَّالِعَانِ عَلَى الهُدَى ... بِآيَاتِ فَتْحٍ شَأْنُهُنَّ عَجِيبُ

شِهَابَانِ فِي الهَيْجَا غَمَامَانِ فِي النَّدَى ... تَسُحُّ المَعَالِي مِنْهُمَا وَتَصُوبُ

يَدَانِ لِبَسْطِ المَكْرُمَاتِ نَمَاهُمَا ... إِلَى المَجْدِ فَيَّاضُ اليَدَيْنِ وَهُوبُ

المصدر: التّعريف: ص 88 ـ 89

3 ـ أسرفن في هجري

قصيدة أنشدها ليلة المولد النّبوي الشّريف سنة 762 هـ للسّلطان أبي سالم المريني.

(الطويل)

أَسْرَفْنَ فِي هَجْرِي وَفِي تَعْذِيبِي ... وَأَطَلْنَ مَوْقِفَ عَبْرَتِي وَنَحِيبِي

وَأَبَيْنَ يَوْمَ البَيْنِ وَقْفَةَ سَاعَةٍ ... لِوَدَاعِ مَشْغُوفِ الفُؤَادِ كَئِيبِ

لِلَّهِ عَهْدُ الظَّاعِنِينَ وَغَادَرُوا ... قَلْبِي رَهِينَ صَبَابَةٍ وَوَجِيبِ

غَرَبَتْ رَكَائِبُهُمْ وَدَمْعِي سَافِحٌ ... فَشَرِقْتُ بَعْدَهُمُ بِمَاءِ غُرُوبِ[1]

يَا نَاقِعًا بِالعَتْبِ غُلَّةَ شَوْقِهِمْ ... رُحْمَاكَ فِي عَذْلِي وَفِي تَأْنِيبِي

يَسْتَعْذِبُ الصَّبُّ المَلاَمَ وَإِنَّنِي ... مَاءُ المَلاَمِ لَدَيَّ غَيْرُ شَرُوبِ

مَا هَاجَنِي طَرَبٌ وَلاَ اعْتَادَ الجَوَى ... لَوْلاَ تَذَكُّرُ مَنْزِلٍ وَحَبِيبِ

أَهْفُو إِلَى الأَطْلاَلِ كَانَتْ مَطْلَعًا ... لِلْبَدْرِ مِنْهُمْ أَوْ كِنَاسَ رَبِيبِ[2]

عَبِثَتْ بِهَا أَيْدِي البِلَى وَتَرَدَّدَتْ ... فِي عِطْفِهَا لِلدَّهْرِ أَيُّ خُطُوبِ

تَبْلَى مَعَاهِدُهَا وَإِنَّ عُهُودَهَا ... لِيُجِدُّهَا وَصْفِي وَحُسْنُ نَسِيبِي

---

(1) الغروب: الدموع حين تخرج من العين .

(2) الربيب: ولد الظبي .

وَإِذَا الدِّيَــــارُ تَعَرَّضَـــتْ لِمُتَيَّـمٍ هَزَّتْــهُ ذِكْرَاهَـــا إِلَى التَّشْبِيـــبِ
إِيــهٍ عَـــنِ الصَّبْـــرِ الجَمِيلِ فَإِنَّهُ أَلْـــوَى[3] بِدَيْـــنِ فُـــؤَادِيَ المَنْهُوبِ
لَمْ أَنْسَهَـــا وَالدَّهْـــرُ يَثْنِي صَرْفَـهُ وَيَغُـــضُّ طَرْفَـــيْ حَاسِـــدٍ وَرَقِيبِ
وَالـــدَّارُ مُونِقَـــةٌ مَحَاسِنُهَـــا بِمَـــا لَبِسَـــتْ مِـــنَ الأَيَّـــامِ كُلَّ قَشِيبِ
يَـــا سَائِـــقَ الأَظْعَانِ يَعْتَسِفُ الفَلاَ وَيُوَاصِـــلُ الإِسْـــآدَ[4] بِالتَّأْوِيبِ[5]
مُتَهَافِتًـــا عَـــنْ رَحْلِ كُلِّ مُذَلَّـــلِ نَشْـــوَانَ مِـــنْ أَيْنٍ وَمَسِّ لُغُوبِ[6]
تَتَجَاذَبُ النَّفَحَاتُ فَضْلَ رِدَائِهِ فِـــي مُلْتَقَاهَـــا مِنْ صَبًا وَجَنُوبِ
إِنْ هَامَ مِنْ ظَمَإِ الصَّبَابَةِ صَحْبُهُ نَهَلُـــوا بِمَوْرِدِ دَمْعِـــهِ المَسْكُـــوبِ
أَوْ تَعْتَرِض مَسْرَاهُمُ سُدُفُ الدُّجَى صَدَعُـــوا الدُّجَى بِغَرَامِهِ المَشْبُوبِ
فِـــي كُـــلِّ شِعْـــبٍ مُنْيَةٌ مِنْ دُونِهَا هَجْـــرُ الأَمَانِي أَوْ لِقَاءُ شَعُوبِ[7]
هَلاَّ عَطَفَـــتْ صُدُورَهُنَّ إِلَى الَّتِي فِيهَـــا لُبَـــانَـــةُ أَعْيُـــنٍ وَقُلُـــوبِ
فَتَـــؤُمَّ مِـــنْ أَكْنَـــافِ يَثْرِبَ مَأْمَنًا يَكْفِيـــكَ مَـــا تَخْشَـــاهُ مِنْ تَثْرِيبِ
حَيْـــثُ النُّبُـــوَّةُ آيُهَـــا مَجْلُـــوَّةٌ تَتْلُـــو مِـــنَ الآثَـــارِ كُلَّ غَرِيـــبِ
سِـــرٌّ عَجِـــيبٌ لَمْ يُحَجِّبْـــهُ الثَّرَى مَـــا كَـــانَ سِـــرُّ اللَّهِ بِالمَحْجُوبِ

ومنها بعد تعديد معجزاته صلى الله عليه وسلّم :

يَـــا سَيِّـــدَ الرُّسلِ الكِرَامِ ضَرَاعَـــةً تَقْضِي مُنًى نَفْسِي وَتُذْهِبُ حُوبِي[8]

(3) ألوى: مطل .
(4) الإسآد: سير الليل كله.
(5) التأويب: سير النهار.
(6) اللغوب: التعب.
(7) شعوب: الموت .
(8) الحوب: الذنب

عَافَــتْ ذُنُوبِي عَــنْ جِنَابِكَ وَالْمُنَى فِيهَــا تُعَلِّلُنِــي بِكُــلِّ كَــذُوبِ
لاَ كَالأُلَــى صَـرَفُوا العَزَائِمَ لِلتُّقَى فَاسْتَأْثَــرُوا مِنْهَا بِخَيْرِ نَصِيبِ
لَمْ يُخْلِصُوا لِلَّهِ حَتَّــى فَرَّقُوا فِي اللَّــهِ بَيْــنَ مَضَاجِعٍ وَجُنُوبِ
هَبْ لِــي شَفَاعَتَكَ الَّتِي أَرْجُو بِهَا صَفْحًــا جَمِيلاً عَنْ قَبِيحِ ذُنُوبِي
إِنَّ النَّجَاةَ وَإِنْ أُتِيحَتْ لاِمْرِىءٍ فَبِفَضْلِ جَاهِــكَ لَيْــسَ بِالتَّسْبِيبِ
إِنِّــي دَعَوْتُــكَ وَاثِقًــا بِإِجَابَتِــي يَــا خَيْــرَ مَدْعُــوٍّ وَخَيْــرَ مُجِيبِ
قَصَّرْتُ فِي مَدْحِــي فَإِنْ يَكُ طَيِّبًا فَبِمَــا لِذِكْرِكَ مِنْ أَرِيجِ الطِّيبِ
مَاذَا عَسَى يَبْغِي الْمُطِيلُ وَقَدْ حَوَى فِــي مَدْحِــكَ القُرْآنُ كُلَّ مُطِيبِ
يَــا هَــلْ تُبَلِّغُنِي اللَّيَالِي زَوْرَةً تُدْنِــي إِلَــيَّ الفَــوْزَ بِالْمَرْغُــوبِ
أَمْحُو خَطِيئَــاتِي بِإِخْلاَصِــي بِهَا وَأَحُطُّ أَوْزَارِي وَإِصْــرَ ذُنُوبِــي
فِــي فِتْيَــةٍ هَجَـرُوا الْمُنَى وَتَعَوَّدُوا إِنْضَــاءَ كُــلِّ نَجِيبَــةٍ وَنَجِيبِ
يَطْـوِي صَحَائِفَ لَيْلِهِمْ فَوْقَ الفَلاَ مَا شِئْتَ مِنْ خَبَبٍ وَمِنْ تَقْرِيبِ
إِنْ رَنَّمَ الحَادِي بِذِكْرِكَ رَدَّدُوا أَنْفَــاسَ مُشْتَــاقٍ إِلَيْكَ طَـرُوبِ
أَوْ غَــرَّدَ الرَّكْــبُ الخَلِــيُّ بِطِيبَــةٍ حَنُّوا لِمَغْنَاهَــا حَنِــينَ النِّيــبِ
وَرِثُوا اعْتِسَــافَ البِيــدِ عَنْ آبَائِهِمْ إِرْثَ الخِلاَفَــةِ فِي بَنِي يَعْقُــوبِ
الطَّاعِنُــونَ الخَيْــلَ وَهْيَ عَوَابِسٌ يَغْشَى مُثَارُ النَّقْعِ كُــلَّ سَبِيــبِ[9]
وَالوَاهِبُــونَ المُقْرَبَــاتِ صَوَافِنًــا مِــنْ كُــلِّ خَوَّارِ العِنَانِ لَعُـوبِ[10]
وَالْمَانِعُــونَ الجَــارَ حَتَّى عِرْضَهُ فِي مُنْتَــدَى الأَعْــدَاءِ غَيْرُ مَعِيــبِ
تُخْشَــى بَوَادِرُهُمْ وَيُرْجَى حِلْمُهُمْ وَالعِــزُّ شِيمَــةُ مُرْتَجًــى وَمَهِيبِ

---

(9) السبيب: شعر عرف الفرس.

(10) خوار العنان: لين العطف.

وَمِنْهَا :

سَائِلْ بِهِ طَامِي العُبَابِ وَقَدْ سَرَى تزْجِيهِ رِيحُ العَزْمِ ذَاتُ هُبُوبِ
تَهْدِيهِ شُهْبُ أَسِنَّةٍ وَعَزَائِمٍ يَصْدَعْنَ لَيْلَ الحَادِثِ المَرْهُوبِ
حَتَّى انْجَلَتْ ظُلَمُ الضَّلَالِ بِسَعْيِهِ وَسَطَا الهُدَى بِفَرِيقِهَا المَغْلُوبِ
يَا ابْنَ الأُلَى شَادُوا الخِلَافَةَ بِالتُّقَى واستَأْثَرُوكَ بِتَاجِهَا المَغْصُوبِ
جَمَعُوا بِحِفْظِ الدِّينِ آيَ مَنَاقِبٍ كَرُمُوا بِهَا فِي مَشْهَدٍ وَمَغِيبِ
لِلَّهِ مَجْدُكَ طَارِفًا أَوْ تَالِدًا فَلَقَدْ شَهِدْنَا مِنْهُ كُلَّ عَجِيبِ
كَمْ رَهْبَةٍ أَوْ رَغْبَةٍ لَكَ وَالعُلَا تُقْتَادُ بِالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ
لَا زِلْتَ مَسْرُورًا بِأَشْرَفِ دَوْلَةٍ يَبْدُو الهُدَى مِنْ أُفْقِهَا المَرْقُوبِ
تُحْيِي المَعَالِي غَادِيًا أَوْ رَائِحًا وَجَدِيدُ سَعْدِكَ ضَامِنُ المَطْلُوبِ

المصدر : التعريف: ص 70 ـ 74 ، والإحاطة في أخبار غرناطة: انظر مؤلفات ابن خلدون: ص 307 ـ 310.

4 ـ هذي الدّيار

قال يصف الأطلال من قصيدة طويلة ضاعت:

(الكامل)

هَذِي الدِّيَارُ فَحَيِّهِنَّ صَبَاحَا وَقِفِ المَطَايَا بَيْنَهُنَّ طِلَاحَا[1]
لَا تَسْأَلِ الأَطْلَالَ إِنْ لَمْ تَرْوِهَا عَبَرَاتُ عَيْنِكَ وَاكِفًا مُمْتَاحَا
فَلَقَدْ أَخَذْنَ جُفُونَكَ مَوْثِقًا أَنْ لَا يُرَيْنَ مَعَ البِعَادِ شِحَاحَا
إِيهٍ عَنِ الحَيِّ الجَمِيعِ وَرُبَّمَا طَرِبَ الفُؤَادُ لِذِكْرِهِمْ فَارْتَاحَا
وَمَنَازِلٍ لِلظَّاعِنِينَ اسْتَعْجَمَتْ حُزْنًا وَكَانَتْ بِالسُّرُورِ فِصَاحَا

المصدر: التّعريف: ص 133.

(1) الطلاح: ج طلح، الناقة الضامرة المجهدة.

5 ـ قدحت يد الأشواق

من قصيدة خاطب بها أبا سالم المريني يصف فيها الزّرافة وقد وصلت هديّة من ملك السّودان:

(الكامل)

قَدَحَتْ يَدُ الأَشْوَاقِ مِنْ زَندِي ... وَهَفَتْ بِقَلْبِي زَفْرَةُ الوَجْدِ
وَنَبَذْتُ سُلْوَانِي عَلَى ثِقَةٍ ... بِالقُرْبِ فَاسْتَبْدَلْتُ بِالبُعْدِ
وَلَرُبَّ وَصْلٍ كُنْتُ آمُلُهُ ... فَاعْتَضْتُ مِنْهُ بِمُؤْلِمِ الصَّدِّ
لاَ عَهْدَ عِنْدَ الصَّبْرِ أَطْلُبُهُ ... إِنَّ الغَرَامَ أَضَاعَ مِنْ عَهْدِي
يَلْحَى العَذُولُ فَمَا أُعَنِّفُهُ ... وَأَقُولُ ضَلَّ فَأَبْتَغِي رُشْدِي
وَأُعَارِضُ النُّفَحَاتِ أَسْأَلُهَا ... بَرْدَ الجَوَى فَتَزِيدُ فِي الوَقْدِ
يَهْدِي الغَرَامُ إِلَى مَسَالِكِهَا ... لِتَعَلُّلِي بِضَعِيفِ مَا تُهْدِي
يَا سَائِقَ الأَظْعَانِ مُعْتَسِفًا ... طَيَّ الفَلاَةِ لِطِيَّةِ الوَجْدِ
أَرِحِ الرِّكَابَ فَفِي الصَّبَا نَبَأٌ ... يُغْنِي عنَ المُسْتَنَّةِ الجُرْدِ[1]
وَسَلِ الرُّبُوعَ بِرَامَةٍ[2] خَبَرًا ... عَنْ سَاكِنِي نَجْدٍ وَعَنْ نَجْدِ
مَالِي تُلاَمُ عَلَى الهَوَى خُلُقِي ... وَهْيَ الَّتِي تَأْبَى سِوَى الحَمْدِ
لأَبَيْتُ إِلاَّ الرُّشْدَ مُذْ وَضَحَتْ ... بِالمُسْتَعِينِ مَعَالِمُ الرُّشْدِ
نِعْمَ الخَلِيفَةُ فِي هُدًى وَتُقًى ... وَبِنَاءِ عِزٍّ شَامِخِ الطَّوْدِ
نَجْلُ السَّرَاةِ الغُرِّ شَأْنُهُمُ ... كَسْبُ العُلَى بِمَوَاهِبِ الوُجْدِ

ومنها في ذكر الخلوص إليه وما ارتكبه فيه :

(1) المستنة الجرد: الذاهبة على وجهها وقصيرة الشعر.
(2) رامة: مكان في طريق البصرة إلى مكّة.

لِلَّــــهِ مِنِّـــــي إِذْ تُـــــأَوِّبُنِـــى ذِكْـــرَاهُ وَهْـــوَ بِشَاهِـــقٍ فَـــرْدِ
شَهْـــمٌ يَفُـــلُّ بَوَاتِـــرًا قُضُبًـــا وَجُمُـــوعَ أَقْيَـــالٍ أُولِـــي أَيْـــدِ
أَورَيْـــتُ زَنْـــدَ العَـــزْمِ فِي طَلَبِي وَقَضَيْـــتُ حَقَّ المَجْدِ مِنْ قَصْدِي
وَوَرَدْتُ عَـــنْ ظَمَـــإٍ مَنَاهِلَـــهُ فَرَوِيـــتُ مِـــنْ عِـــزٍّ وَمِنْ رِفْدِ
هِـــيَ جَنَّـــةُ المَـــأْوَى لِمَنْ كَلِفَتْ آمَالُـــهُ بِمَطَالِـــبِ المَجْـــدِ
لَـــوْ لَـــمْ أَعُلَّ بِـــوِرْدِ كَوْثَرِهَـــا مَا قُلْـــتُ هَـــذِي جَنَّـــةُ الخُلْدِ
مَـــنْ مُبْلِـــغٌ قَوْمِـــي وَدُونَهُـــم قُـــذُفُ النَّوَى وَتَنُوفَـــةُ البُعْدِ(3)
أَنِّـــي أَنِفْـــتُ عَلَى رَجَائِـــهِـــمُ وَمَلَكْـــتُ عِـــزَّ جَمِيعِهِمْ وَحْـدِي

* * *

وَرَقِيمَـــةِ الأَعْطَـــافِ حَالِيَـــةٍ مُوشِيَّـــةٍ بِوَشَـــائِـــعِ البُـــرْدِ
وَحْشِيَّـــةِ الأَنْسَـــابِ مَـــا أَنِسَـــتْ فِـــي مُوحِـــشِ البَيْـــدَاءِ بِالقَوْدِ
تَسْمُـــو بِجِيـــدٍ بَالِـــغٍ صعـــدًا شَـــرَفَ الصُّـــرُوحِ بِغَيْرِ مَا جَهْـدِ
طَالَـــتْ رُؤُوسَ الشَّامِخَـــاتِ بِهِ وَلَرُبَّمَـــا قَصُـــرَتْ عَـــنِ الوَهْـدِ
قَطَعَـــتْ إِلَيْـــكَ تَنَائِفًـــا وَصَلَـــتْ إِسْآدَهَـــا بِالنَّـــصِّ وَالوَخْـــدِ
تَخْـــدِي عَلَـــى اسْتِصْعَابِهَـــا ذُلُـــلاً وَتَبِيـــتُ طَـــوْعَ القِـــنِّ وَالقِـــدِّ(4)
بِسُعُـــودِكَ الـــلاَّئِي ضَمَـــنَّ لَنَا طُـــولَ الحَيَـــاةِ بِعِيشَـــةٍ رَغْـدِ
جَاءَتْـــكَ فِـــي وَفْـــدِ الأَحَابِشِ لاَ يَرْجُـــونَ غَيْـــرَكَ مُكْـــرِمَ الوَفْـدِ
وَافَـــوْكَ أَنْضَـــاءً تُقَلِّبُهُـــمْ أَيْـــدِي السُّـــرى بِالغَـــوْرِ وَالنَّجْدِ
كَالطَّيْـــفِ يَسْتَقْـــرِي مَضَاجِعَـــهُ أَوْ كَالحُسَـــامِ يُسَـــلُّ مِنْ غِمْـدِ

(3) التنُوفة: القفر من الأرض.

(4) تخدي: تسرع، القن: العبد، القدّ: سير من جلد غير مدبوغ.

يُثْنُونَ بِالحُسْنَى الَّتِي سَبَقَتْ مِنْ غَيْرِ إِنْكَارٍ وَلاَ جَحْدِ
وَيَرَوْنَ لَحْظَكَ مِنْ وِفَادَتِهِمْ فَخْرًا عَلَى الأَتْرَاكِ وَالهِنْدِ
يَا مُسْتَعِينًا جَلَّ فِي شَرَفٍ عَنْ رُتْبَةِ المَنْصُورِ وَالمَهْدِي
جَازَاكَ رَبُّكَ عَنْ خَلِيقَتِهِ خَيْرَ الجَزَاءِ فَنِعْمَ مَا يُسْدِي
وَبَقِيتَ لِلدُّنْيَا وَسَاكِنِهَا فِي عِزَّةٍ أَبَدًا وَفِي سَعْدِ

المصدر : التّعريف: ص 74 ـ 75 والإحاطة، انظر: مؤلّفات ابن خلدون: ص 310 ـ 312.

6 ـ ضحكت وجوه الدّهر بعد عبوس

قصيدة خاطب بها أبا العبّاس أحمد الحفصي حينما أبلّ من مرض أصابه:

(الكامل)

ضَحِكَتْ وُجُوهُ الدَّهْرِ بَعْدَ عبُوسِ وَتَجَلَّلَتْنَا رَحْمَةٌ مِنْ بُوسِ
وَتَوَضَّحَتْ غُرَرُ البَشَائِرِ بَعْدَمَا انْبَهَمَتْ فَأَطْلَعَهَا حُدَاةُ العِيسِ
صَدَعُوا بِهَا لَيْلَ الهُمُومِ كَأَنَّمَا صَدَعُوا الظَّلاَمِ بِجَذْوَةِ المَقْبُوسِ
فَكَأَنَّهُمْ بَثُّوا حَيَاةً فِي الوَرَى نُشِرَتْ لَهَا الآمَالُ مِنْ مَرْمُوسِ
قَرَّتْ عُيُونُ الخَلْقِ مِنْهَا بِالَّتِي أَضْفَتْ مِنَ النَّعْمَاءِ خَيْرَ لَبُوسِ
فَكَأَنَّ قَوْمِي نَادَمَتْهُمْ قَرْقَفٌ شَرِبُوا النَّعِيمَ لَهَا بِغَيْرِ كُؤُوسِ
يَتَمَايَلُونَ مِنَ المَسَرَّةِ وَالرِّضَى وَيُقَابِلُونَ أَهِلَّةً بِشُمُوسِ
مِنْ رَاكِبٍ وَافَى يُحَيِّي رَاكِبًا وَجَلِيسِ أُنْسٍ قَادَهُ لِجَلِيسِ
وَمُشَفَّعٍ لِلَّهِ يُؤْنَسُ عِنْدَهُ أَثَرُ الهُدَى فِي المَعْهَدِ المَأْنُوسِ
يَعْتَدُّ مِنْهَا رَحْمَةً قُدُسِيَّةً فَيَبُوءُ لِلرَّحْمَنِ بِالتَّقْدِيسِ
طَبٌّ بِإِخْلاَصِ الدُّعَاءِ وَإِنَّهُ يُشْفِي مِنَ الدَّاءِ العَيَاءِ وَيُوسِي

يَا ابْــنَ الخَلاَئِفِ وَالَّذِينَ بِنُورِهِمْ ... نُهِجَــتْ سَبِيلُ الحَقِّ بَعْدَ دُرُوسِ
وَالنَّاصِــرُ الدِّينَ القَوِيم بِعَزْمَــةٍ ... طَرْدُ اسْتِقَامَتِهَــا بِغَيْــرِ عكُوسِ
هَجَــرَ المُنَى فِيهَــا وَلَذَّاتِ المُنَى ... فِي لَذَّةِ التَّهْجِيـــرِ وَالتَّغْلِيــسِ[1]
حَاطَ الرَّعِيَّــةَ بِالسِّيَاسَةِ فَانْضَوَتْ ... مِنْــهُ لِأَكْــرَمِ مَالِــكٍ وَسَؤُوسِ
أَسَدٌ يُحَامِــي عَنْ حِمَى أَشْبَالِهِ ... حَتَّى ضَــوَوا مِنْهُ لِأَمْنَعِ خِيسِ[2]
قَسَمًا بِمَوْشِيِّ البِطَاحِ وَقَدْ غَدَتْ ... تَخْتَــالُ زَهْوًا فِي ثِيَــابِ عَرُوسِ
وَالمَاثِلاَتِ مِــنَ الحَنَايَــا جُثَّمًــا ... يُخْبِرْنَ عَنْ طَسْمٍ وَفَلِّ جَدِيسِ[3]
خُــوصٌ مُضَمَّرَةُ البُطُونِ كَأَنَّهَا ... أَنْضَــاءُ رَكْبٍ فِي الفَلاَةِ حَبِيسِ[4]
وَخَــزَ البِلَى مِنْهَا الغَوَارِبَ وَالذُّرَى ... فَلَفَتْــنَ خَزْرًا بِالعُيُونِ الشُّــوسِ[5]
لَبَقَــاكَ حِــرْزٌ لِلْأَنَــامِ وَعِصْمَةٌ ... وَحَيَــاةُ أَرْوَاحٍ لَنَــا وَنُفُــوسِ
وَلَأَنْــتَ كَافِــلُ دِينِنَــا بِحِمَايَــةٍ ... لَــوْلاَكَ ضُيِّــعَ عَهْدُهَــا وَتُنُوسِي
اللَّــهُ أَعْطَــاكَ الَّتِي لاَ فَوْقَهَــا ... وَحَبَــاكَ حَظًّــا لَيْسَ بِالمَوْكُوسِ[6]
تَعْنُــو القُلُــوبُ إِلَيْكَ قَبْلَ وُجُوهِنَا ... سِيَّــانَ مِــنْ رَأْسٍ وَمِــنْ مَرْؤُوسِ
فَإِذَا أَقَمْــتَ فَإِنَّ رُعْبَــكَ رَاحِــلٌ ... يُحْمِــي عَلَى الأَعْدَاءِ كُلَّ وَطِيسِ

---

(1) التهجير إلى الصلاة: التبكير والمبادرة إليها.

والتغليس: السير إلى صلاة الصبح وقت الغلس وهو ظلمة آخر الليل.

(2) الخيس: موضع الأسد.

(3) طسم وجديس: حيان من العرب البائدة، كان مسكنهما البحرين، واليمامة. وقد أوقع حسّان بن تبّع بقبيلة جديس، وإلى ذلك ينظر ابن خلدون.

(4) خوص: شهباء

انضاء: ج نضو: هزيل.

(5) الغوارب: جمع غارب، وهو مقدم سنام البعير.

ذرى: جمع ذروة، وهي أعلى سنام البعير. يعني أنّ البلى قد عمّها.

والشوس: النظر بمؤخر العين غيظا وغضبا.

(6) الموكوس: المنقوس .

وَإِذَا رَحَلْـتَ فَلِلسَّعَـادَةِ آيَـةٌ ... تَقْتَادُهَـا فِـي مَوْكِـبٍ وَخَمِيس
وَإِذَا الأدِلَّـةُ فِي الكَمَـالِ تَطَابَقَتْ ... جَـاءَتْ بِمَسْمُـوعٍ لَهَا وَمَقِيـسِ
فَانْعَـمْ بِمُلْكِـكَ دَوْلَـةً عَادِيَّـةً ... تُشْقِي الأعَادِيَ بِالعَذَابِ البِيسِ[7]
وَإِلَيْكَهَـا مِنِّـي عَلَـى خَجَلٍ بِهَا ... عَـذْرَاءَ قَدْ حَلِيَـتْ بِكُلِّ نَفِيـسِ
عُـذْرًا فَقَدْ طُمِـسَ الشَّبَابُ وَنُورُهُ ... وَأَضَـاءَ صُبْحُ الشَّيْبِ عِنْدَ طُمُوسِ
لَوْلاَ عِنَايَتُـكَ الَّتِـي أَوْلَيْتَنِـي ... مَا كُنْـتُ أُعْنَى بَعْدَهَـا بِطُرُوسِ
وَاللَّـهِ مَـا أَبْقَتْ مُمَارَسَـةُ النَّـوَى ... مِنِّـي سِوَى مَرَسٍ أَحَمَّ دَرِيسِ[8]
أَنْحَى الزَّمَانُ عَلَيَّ فِي الأدَبِ الَّذِي ... دَارَسْتُـهُ بِمَجَامِـعٍ وَدُرُوسِ
فَسَطَـا عَلَـى وَفْرِي وَرَوَّعَ مَأْمَنِي ... وَاجْتَـثَّ مِـنْ دَوْحِ النَّشَاطِ غُرُوسِي
وَرِضَـاكَ رَحْمَتِـيَ الَّتِي أَعْتَدُّهَا ... تُحْـيِي مُنَى نَفْسِي وَتُذْهِبُ بُوسِي

المصدر: التّعريف: ص 241 ـ 244.

7 ـ أطوي على الزّفرات قلبا

وقال يخاطب عمر بن عبد الله مدبر ملك المغرب[9]:

(الكامل)

يَـا سَيِّـدَ الفُضَـلاَءِ دَعْوَةَ مُشْفِقٍ ... نَـادَى لِشَكْـوَى البَثِّ خَيْرَ سَمِيعِ
مَـا لِـي وَلِلْإِقْصَاءِ بَعْدَ تَعِلَّـهِ ... بِالقُـرْبِ كُنْـتُ لَهَا أَجَـلَّ شَفِيعِ
وَأَرَى اللَّيَالِـي رَنَّقَـتْ لِي صَافِيًـا ... مِنْهَـا فَأَصْبَحَ فِي الأجَاجِ شُرُوعِي
وَلَقَـدْ خَلَصْـتُ إِلَيْكَ بِالقُرْبِ الَّتِي ... لَيْـسَ الزَّمَـانُ لِشَمْلِهَـا بِصَدُوعِ

---

(7) عادية: نسبة إلى عاد الأمة المعروفة. ويريد أنّها طويلة الأمد.

(8) المرس (بفتح الميم والراء): الحبل. والأحمّ: الأسود. والدريس: الخلق.

(9) كان وزيرا للسلطان ابي الحسن، أخباره في تاريخ ابن خلدون: ج 7، ص 319 ـ 322.

وَوَثِقْتُ مِنْكَ بِأَيِّ وَعْدٍ صَادِقٍ … إِنِّي الْمَصُونُ وَأَنْتَ غَيْرُ مُضِيعِ
وَسَمَا بِنَفْسِي لِلْخَلِيفَةِ طَاعَةً … دُونَ الأَنَامِ هَوَاكَ قَبْلَ نُزُوعِ
حَتَّى انْتَحَانِي الكَاشِحُونَ بِسَعْيِهِمْ … فَصَدَدْتَهُمْ عَنِّي وَكُنْتَ مَنِيعِي
رَغِمَتْ أُنُوفُهُمُ بِنُجْحِ وَسَائِلِي … وَتَقَطَّعَتْ أَنْفَاسُهُمْ بِصَنِيعِي
وَبَغَوْا بِمَا نَقَمُوا عَلَيَّ خَلاَئِقِي … حَسَدًا فَرَامُونِي بِكُلِّ شَنِيعِ
لاَ تُطْمِعَنْهُمْ بِبَذْلٍ فِي الَّتِي … قَدْ صُنْتُهَا عَنْهُمْ بِفَضْلِ قُنُوعِي
أَنَّى أُضَامُ وَفِي يَدِي القَلَمُ الَّذِي … مَا كَانَ طَيِّعُهُ لَهُمْ بِمُطِيعِ
وَلِيَ الخَصَائِصُ لَيْسَ تَأْبَى رُتْبَةً … حَسْبِي بِعِلْمِي ذَاكَ مِنْ تَفْرِيعِي
قَسَمًا بِمَجْدِكَ وَهْوَ خَيْرُ أَلِيَّةٍ … أَعْتَدُّهَا لِفُؤَادِيَ المَصْدُوعِ
إِنِّي لَتَصْطَحِبُ الهُمُومُ بِمَضْجَعِي … فَتَحُولُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ هُجُوعِي
عَطْفًا عَلَيَّ بِوَحْدَتِي عَنْ مَعْشَرٍ … نَفَثَ الإِبَاءَ صُدُودُهُم فِي رُوعِي
أَغْدُو إِذَا بَاكَرْتُهُمْ مُتَجَلِّدًا … وَأَرُوحُ أَعْثُرُ فِي فُضُولِ دُمُوعِي
حَيْرَانَ أُوجِسُ عِنْدَ نَفْسِي خِيفَةً … فَيُسَرُّ فِي الأَوْهَامِ كُلُّ مَرُوعِ
أَطْوِي عَلَى الزَّفَرَاتِ قَلْبًا آدَهُ … حَمْلُ الهُمُومِ تَجُولُ بَيْنَ ضُلُوعِي
وَلَقَدْ أَقُولُ لِصَرْفِ دَهْرٍ رَابَنِي … بِحَوَادِثٍ جَاءَتْ عَلَى تَنْوِيعِ
مَهْلاً عَلَيْكَ فَلَيْسَ خَطْبُكَ ضَائِرِي … فَلَقَدْ لَبِسْتُ لَهُ أَجَنَّ دُرُوعِ
إِنِّي ظَفِرْتُ بِعِصْمَةٍ مِنْ أَوْحَدٍ … بَذَّ الجَمِيعَ بِفَضْلِهِ المَجْمُوعِ

المصدر: الإحاطة في أخبار غرناطة ونفح الطيب: انظر مؤلفات ابن خلدون: ص 312 ـ 313.

8. هنيئا بصوم

وقال يخاطب الوزير عمر بن عبد الله مستجيرا بصديقه مسعود بن رحو بن ماساي:

(الطويل)

هَنِيئًا بِصَوْمٍ لاَ عَدَاهُ قَبُولُ ... وَبُشْرَى بِعِيدٍ أَنْتَ فِيهِ مُنِيلُ
وَهُنِّئْتَهَا مِنْ عِزَّةٍ وَسَعَادَةٍ ... تَتَابَعُ أَعْوَامٌ بِهَا وَفُصُولُ
سَقَى اللَّهُ دَهْراً أَنْتَ إِنْسَانُ عَيْنِهِ ... وَلاَ مَسَّ رَبْعاً فِي حِمَاكَ مُحُولُ
فَعَصْرُكَ مَا بَيْنَ اللَّيَالِي مَوَاسِمٌ ... لَهَا غُرَرٌ وَضَّاحَةٌ وَحُجُولُ
وَجَانِبُكَ الْمَأْمُولُ لِلْجُودِ مَشْرَعٌ ... يَحُومُ عَلَيْهِ عَالِمٌ وَجَهُولُ
عَسَاكَ وَإِنْ ضَنَّ الزَّمَانُ مُنَوِّلِي ... فَرَسْمُ الأَمَانِي مِنْ سِوَاكَ مُحِيلُ
أَجِرْنِي وَلَيْسَ الدَّهْرُ لِي بِمُسَالِمٍ ... إِذَا لَمْ يَكُنْ لِي فِي ذَرَاكَ مَقِيلُ
وَأَوْلِنِيَ الْحُسْنَى بِمَا أَنَا آمِلٌ ... فَمِثْلُكَ يُولِي رَاجِيًا وَيُنِيلُ
وَوَاللَّهِ مَا رُمْتُ التَّرَحُّلَ عَنْ قِلًى ... وَلاَ سَخْطَةٍ لِلْعَيْشِ فَهْوَ جَزِيلُ
وَلاَ رَغْبَةً عَنْ هَذِهِ الدَّارِ إِنَّهَا ... لَظِلٌّ عَلَى هَذَا الأَنَامِ ظَلِيلُ
وَلَكِنْ نَأَى بِالشَّعْبِ عَنِّي حَبَائِبٌ ... دَعَاهُنَّ خَطْبٌ لِلْفِرَاقِ طَوِيلُ
يَهِيجُ بِهِنَّ الوَجْدُ أَنِّيَ نَازِحٌ ... وَأَنَّ فُؤَادِي حَيْثُ هُنَّ حُلُولُ
عَزِيزٌ عَلَيْهِنَّ الَّذِي قَدْ لَقِيتُهُ ... وَأَنَّ اغْتِرَابِي فِي البِلاَدِ يَطُولُ
تَوَارَتْ بِأَنْبَائِي الْبِقَاعُ كَأَنَّنِي ... تُخُطِّفْتُ أَوْ غَالَتْ رِكَابِيَ غُولُ
ذَكَرْتُكِ يَا مَغْنَى الأَحِبَّةِ وَالهَوَى ... فَطَارَتْ بِقَلْبِي أَنَّةٌ وَعَوِيلُ
وَحَيَّيْتُ عَنْ شَوْقٍ رُبَاكَ كَأَنَّمَا ... يُمَثَّلُ لِي نُؤْيٌ بِهَا وَطُلُولُ
أَأَحْبَابَنَا وَالعَهْدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ... كَرِيمٌ، وَمَا عَهْدُ الكَرِيمِ يَحُولُ
إِذَا أَنَا لَمْ تُرْضِ الحُمُولَ مَدَامِعِي ... فَلاَ قَرَّبَتْنِي لِلِّقَاءِ حُمُولُ

إلامَ مُقَامِـي حَيْـثُ لَمْ تردِ العُلاَ ... مـرَادي ولَمْ تُعْطِ القيَادَ ذَلُولُ؟
أُجَاذِبُ فَضْـلَ العُمْرِ يوْماً ولَيْلَةً ... وَسَـاءَ صَبَـاحٌ بيْنَهَا وأَصِيلُ
وَيَذْهَبُ بـي ما بيْنَ يأْسٍ ومَطْمَعٍ ... زَمَـانٌ بنَيْلِ المعْلَـواتِ بَخِيلُ
تُعَلِّلُني منْـهُ أَمَـانٍ خَـوَادِعٌ ... ويُؤيِسُنِـي لَيَّـانُ منْهُ مَطُولُ
أَمَا لِلَّيَـالِي لاَ تَـرُدُّ خُطُوبَهَا ... فَفِـي كَبِـدِي منْ وَقْعِهِنَّ فُلُولُ
يُرَوِّعُنِـي مِنْ صَرْفِهَـا كُلُّ حَادِثٍ ... تَكَـادُ لَهُ صُمُّ الجِبَالِ تَزُولُ
أُدَارِي علَى الرُّغْـمِ العِدَى لاَ لِرِيبَـةٍ ... يُصَانِـعُ وَاشٍ خَوْفَهَـا وعَـذُولُ
وَأَغْـدُو بِأَشْجَانِـي عَلِيلاً كَأَنَّمَا ... تَجُـودُ بِنَفْسِـي زَفْـرَةٌ وَغَلِيلُ
وَإِنِّي وإِنْ أَصْبَحْتُ فِي دَارِ غُرْبَةٍ ... تُحِيـلُ اللَّيَالِـي سَلْوَتِـي وتُزِيلُ
وَصَدَّتْنِي الأَيَّامُ عَنْ خَيْرِ مَنْزِلٍ ... عَهِـدْتُ بِـهِ أَنْ لاَ يُضَامَ نَزِيلُ
لأَعْلَمُ أَنَّ الخَيْرَ وَالشَّرَّ يَنْتَهِي ... مَدَاهُ وَأَنَّ اللَّـهَ سَـوْفَ يُدِيلُ
وَأَنِّي عَزِيزٌ بِابْنِ مَاسَايَ مُكْثِرٌ ... وإِنْ هَـانَ أَنْصَارٌ وبَانَ خَلِيلُ

المصدر: نفح الطّيب: انظر مؤلفات ابن خلدون ص 313 ـ 315. وفي "التعريف" ص 77 ـ 79 (ط. الطنجي) وص 80 ـ 82 (ط. بيروت).

9 ـ هل غير بابك للغريب مومل

قصيدة خاطب بها السّلطان الحفصي أبا العبّاس أحمد مادحا إيّاه مستعطفا بهديّة كتابه "المقدّمة" إليه:

(الكامل)

هَـلْ غَيْرُ بَابِكَ لِلْغَرِيبِ مُؤَمِّـلُ ... أَوْ عَـنْ جَنَابِـكَ لِلأَمَانِي مَعْدِلُ
هِـيَ هِمَّةٌ بَعَثَتْ إِلَيْكَ عَلَى النَّـوَى ... عَزْمًـا كَمَا شَحَذَ الحُسَامَ الصَّيْقَلُ
مُتَبَـوَّأُ الدُّنْيَا وَمُنْتَجَـعُ المُنَـى ... وَالغَيْـثُ حَيْـثُ العَارِضُ المُتَهَلِّلُ

حَيْثُ القُصُورُ الزَّاهِرَاتُ مُنِيفَةٌ تُعْنَى بِهَا زُهْرُ النُّجُومِ وَتَحْفِلُ
حَيْثُ الخِيَامُ البِيضُ يُرْفَعُ لِلعُلاَ وَالَمكْرُمَاتِ طِرَافُهَا الُمتَهَدِّلُ[1]
حَيْثُ الحِمَى لِلعِزِّ فِي سَاحَاتِهِ ظِلٌّ أَفَاءَتْهُ الوَشِيجُ الذُّبَّلُ[2]
حَيْثُ الكِرَامُ يَنُوبُ عَنْ نَارِ القِرَى عَرْفُ الكِبَاءِ بِحَيِّهِمْ وَالمَنْدَلُ[3]
حَيْثُ الرِّمَاحُ يَكَادُ يُورِقُ عُودُهَا مِمَّا تُعَلُّ مِنَ الدِّمَاءِ وَتُنْهَلُ
حَيْثُ الجِيَادُ أَمَلَّهُنَّ بَنُو الوَغَى مِمَّا أَطَالُوا فِي الُمغَارِ وَأَوْغَلُوا
حَيْثُ الوُجُوهُ الغُرُّ قَنَّعَهَا الحَيَا وَالبِشْرُ فِي صَفَحَاتِهَا يَتَهَلَّلُ
حَيْثُ الُملُوكُ الصِّيدُ وَالنَّفَرُ الأُلَى عَزَّ الجِوَارُ لَدَيْهِمُ وَالمَنْزِلُ
مِنْ شِيعَةِ المَهْدِيِّ بَلْ مِنْ شِيعَةِ التَّـ وْحِيدِ[4] جَاءَ بِهِ الكِتَابُ يُفَصِّلُ
بَلْ شِيعَةِ الرَّحْمَنِ أَلْقَى حُبَّهُم فِي خَلْقِهِ فَسَمَوا بِذَاكَ وَفُضِّلُوا
شَادُوا عَلَى التَّقْوَى مَبَانِيَ عِزِّهِمْ لِلَّهِ مَا شَادُوا بِذَاكَ وَأَثَّلُوا
قَوْمٌ أَبُو حَفْصٍ[5] أَبٌ لَهُمُ وَمَا أَدْرَاكَ! وَالفَارُوقُ[6] جَدٌّ أَوَّلُ
نَسَبٌ كَمَا اطَّرَدَتْ أَنَابِيبُ القَنَا[7] وَأَتَى عَلَى تَقْوِيمِهِنَّ مُعَدِّلُ
سَامٍ عَلَى هَامِ الزَّمَانِ كَأَنَّهُ لِلْفَخْرِ تَاجٌ بِالبُدُورِ مُكَلَّلُ
فَضَلَ الأَنَامَ حَدِيثُهُمْ وَقَدِيمُهُمْ وَلَأَنْتَ إِنْ فَضَلُوا أَعَزُّ وَأَفْضَلُ
وَبَنَوْا عَلَى قُلَلِ النُّجُومِ وَوَطَّدُوا وَبِنَاؤُكَ العَالِي أَشَدُّ وَأَطْوَلُ

---

(1) الطِّراف من الخباء: نواحيه.

(2) الوشيج: أصلب القنا والذبل، جمع ذابل، وهو القنا الدّقيق القصير.

(3) الكباء: المتبخَّر به كالمندل.

(4) يريد مهدي الموحّدين، وهو محمد بن تومرت، مؤسس الدولة الموحديّة بالمغرب.

(5) عمر بن عبد الله الصنهاجي من أوائل أصحاب ابن تومرت المهدي منشئ الدولة الموحديّة وكان وزيرا لعبد المؤمن بن علي وإليه تنسب الدولة الحفصيّة.

(6) عمر بن الخطاب.

(7) أنبوب القنا: كعب الرّمح.

* * *

وَلَقَـدْ أَقُـولُ لِخَائِضٍ بَحْـرِ الفَـلاَ وَاللَّيْـلُ مُزْبِـدُّ الجَوَانِـبِ أَلْيَلُ
مَـاضٍ عَلَى غَوْلِ الدُّجَـى لاَ يَتَّقِي تِيهًـا وَذَابِلُـهُ ذُبَالٌ مُشْعَـلُ(8)
مُتَقَلِّـبٍ فَـوْقَ الرِّحَـالِ كَأَنَّـهُ طَيْـفٌ بِأَطْـرَافِ المِهَـادِ مُوَكَّلُ
يَبْغِي مَنَالَ الفَوْزِ مِنْ طُرُقِ الغِنَى وَيَـرُودُ مُخْصِبَهَا الَّذِي لاَ يُمْحِلُ
أَرِحِ الرِّكَـابَ فَقَدْ ظَفِرتَ بِوَاهِبٍ يُعْطِـي عَطَـاءَ المُنْعِمِينَ فَيُجْزِلُ
لِلَّـهِ مِـنْ خُلُقٍ كَرِيـمٍ فِي النَّدَى كَالـرَّوْضِ حَيَّاهُ نَدِيٌّ مُخْضِـلُ
هَـذَا أَمِيـرُ المُؤْمِنِـينَ إِمَامُنَا فِي الدِّيـنِ وَالدُّنْيَـا إِلَيْهِ المَوْئِلُ
هَذَا أَبُـو العَبَّـاسِ خَيْـرُ خَلِيفَةٍ شَهِـدَتْ لَـهُ الشِّيَمُ الَّتِي لاَ تُجْهَلُ
مُسْتَنْصِـرٌ بِاللَّهِ فِي قَهْـرِ العِدَى وَعَلَـى إِعَانَـةِ رَبِّـهِ مُتَوَكِّـلُ
سَبَـقَ المُلُـوكَ إِلَى العُلاَ مُتَمَهِّلاً لِلَّـهِ مِنْـكَ السَّابِـقُ المُتَمَهِّلُ
فَلأَنْـتَ أَعْلَى المَالِكِينَ وَإِنْ غَدَوْا يَتَسَابَقُـونَ إِلَى العَـلاَءِ وَأَكْمَلُ
قَايِـسْ قَدِيمًـا مِنْكُـمُ بِقَدِيمِهِمْ فَالأَمْـرُ فِيهِ وَاضِـحٌ لاَ يُجْهَلُ
دَانُـوا لِقَوْمِكُـمُ بِأَقْـوَمِ طَاعَةٍ هِـيَ عُرْوَةُ الدِّينِ الَّتِي لاَ تُفْصَلُ
سَائِـلْ تِلِمْسَانًـا بِهَـا وَزَنَاتَةً وَمَرِينَ قَبْلَهُـمُ كَمَـا قَدْ يُنْقَلُ
وَاسْـأَلْ بِأَنْدَلُـسٍ مَدَائِنَ مُلْكِهَـا تُخْبِرْكَ حِينَ اسْتَيْأَسُوا وَاسْتَوْهَلُوا
وَاسْـأَلْ بِذَا مَرَّاكُشًـا وَقُصُورَهَا وَلَقَدْ تُجِيبُ رُسُومُهَا مَنْ يَسْأَلُ

* * *

يَأَيُّهَـا المَلِـكُ الَّذِى فِي نَعْتِـهِ مِـلْءُ القُلُوبِ وَفَـوْقَ مَا يُتَمَثَّـلُ
لِلَّـهِ مِنْـكَ مُؤَيَّـدٌ، عَزَمَاتُـهُ تَمْضِي كَمَا يَمْضِي القَضَاءُ المُرْسَلُ

(8) الذابل: الرمح الدّقيق. الذُّبال: ج ذبالة الفتيلة.

جِئْتَ الزَّمَانَ بِحَيْثُ أَعْضَلَ خَطْبُهُ ... فَافْتَـرَّ عَنْهُ وَهْوَ أَكْلَحُ أَعْصَلُ[9]
وَالشَّمْـلُ مِـنْ أَبْنَائِـهِ مُتَصَدِّعٌ ... وَحِمَـى خِلاَفَتِـهِ مُضَاعٌ مُهْمَلُ
وَالخَلْـقُ قَدْ صَرَفُوا إِلَيْكَ قُلُوبَهُمْ ... وَرَجَـوْا صَلاَحَ الحَالِ مِنْكَ وَأَمَّلُوا
فَعَجِلْتَهُ لَمَّـا انْتُدِبْـتَ لِأَمْـرِهِ ... بِالبَـأْسِ وَالعَـزْمِ الَّذِي لاَ يُمْهِـلُ
ذَلَّلْـتَ مِنْـهُ جَامِحًـا لاَ يَنْثَنِي ... سَهَّلْـتَ وَعْـرًا كَـادَ لاَ يَتَسَهَّلُ
وَأَلَنْـتَ مِنْ شَرَسِ العُتَاةِ وَذُتَّهُمْ ... عَنْ ذَلِـكَ الحَرَمِ الَّذِي قَدْ حَلَّلُوا
كَانَـتْ لِصَوْلَـةَ صَوْلَـةٌ وَلِقَوْمِهِ ... يَعْدُو ذُوَيْبُ بِهَا وَتَسْطُو المَعْقِلُ[10]
وَمُهَلْهِـلٌ تُسْدِي وَتُلْحِمُ فِي الَّتِي ... مَا أَحْكَمُـوهَا بَعْدُ فَهْـيَ مُهَلْهَلُ
عَجِـبَ الأَنَامُ لِشَأْنِهِمْ بَادُونَ قَدْ ... قَذَفَتْ بِحَيِّهِـمُ المَطِـيُّ الذُّلَّلُ
رَفَعُوا القِبَابَ عَلَى العِمَادِ وَعِنْدَهَا ... الجُرْدُ السَّلاَهِبُ وَالرِّمَاحُ العُسَّلُ[11]
فِي كُلِّ ظَامِي التُّرْبِ مُتَّقِدِ الحَصَى ... تَهْـوِي لِلُجَّتِـهِ الظِّمَـاءُ فَتَنْهَلُ
جِنٌّ شَرَابُهُم السَّـرَابُ وَرِزْقُهُـمْ ... رُمْـحٌ يَـرُوحُ بِهِ الكَمِيُّ وَمُنْصُلُ
حَيٌّ حُلُولٌ بِالعَـرَاءِ وَدُونَهُـمْ ... قُذُفُ النَّوَى إِنْ يَظْعَنُوا أَوْ يُقْبِلُوا[12]
كَانُوا يَرُوعُونَ المُلُوكَ بِمَـا بَدَوْا ... وَغَـدَتْ تُرَفِّهُ بِالنَّعِيـمِ وَتُخْضَـلُ
فَبَدَوْتَ لاَ تَلْـوِي عَلَـى دَعَـةٍ وَلاَ ... تَأْوِي إِلَـى ظُلَلِ القُصُورِ تُهَدَّلُ
طَـوْرًا يُصَافِحُـكَ الهَجِيرُ وَتَارَةً ... فِيهِ بِخَفَّـاقِ البُنُـودِ تُظَلَّـلُ
وَإِذَا تُعَاطِـي ضُمَّـرًا يَوْمَ الوَغَى ... كَأْسَ النَّجِيعِ فَبِالصَّهِيلِ تُعَلَّـلُ

(9) الكلوح: تكشر في عبوس. وأعصل: معوج شديد ملتو.

(10) المراد بصولة صولة بن خالد بن حمزة أمير أولاد أبي الليل. وذويبٌ: هو ابن عمه أحمد بن حمزة والمعقل فريق من العرب من أحلافهم. ومهلهلٌ: هم بنو مهلهل بن قاسم أنظارهم.

(11) السلاهب، جمع سلهب: وهو الطويل العظيم من الخيل.

رمح عاسل: لدن مضطرب، والجمع عسّل.

(12) قذف (بضمتين): بعيدة. والنوى، والنيّة: الوجه ينويه المسافر من قرب أو بعد. وهي مؤنثة.

مُخْشَوْشِنًــا فِــي العِـزِّ مُعْتَمِلاً لَهُ   فِــي مِثْلِ هَذَا يَحْسُنُ المُسْتَعْمَلُ
تَفْــرِي حَشَا البَيْدَاءِ لاَ يَسْرِي بِهَا   رَكْــبٌ وَلاَ يَهْــوِي إِلَيْهَا جَحْفَلُ
وَتَجُرُّ أَذْيَــالَ الكَتَائِــبِ فَوْقَهَا   تَخْتَالُ فِي السُّمْرِ الطِّوَالِ وَتَرْفُلُ
تَرْمِيهِمُ مِنْهَــا بِكُــلِّ مُدَجَّـــجٍ   شَاكِــي السِّلاَحِ إِذَا اسْتَعَارَ الأَعْزَلُ
وَبِكُلِّ أَسْمَــرَ غُصْنُــهُ مُتَأَوِّدٌ   وَبِكُــلِّ أَبْيَــضَ شَطُّــهُ مُتَهَدِّلُ
حَتَّــى تَفَــرَّقَ ذَلِكَ الجَمْعُ الأُلَى   عَصَفَــتْ بِهِمْ رِيحُ الجِلاَدِ فَزُلْزِلُوا
ثُمَّ اسْتَمَلْتَهُـــمُ بِأَنْعُمِــكَ الَّتِــي   خَضَعُــوا لِعِزِّكَ بَعْدَهَا وَتَذَلَّلُوا
وَنَزَعْــتَ مِنْ أَهْــلِ الجَرِيــدِ غَوَايَةً   كَانَــتْ بِهِــمْ أَبَدًا تَجِدُّ وَتَهْزِلُ
خَرَّبْــتَ مِــنْ بُنْيَانِهَــا مَا شَيَّدُوا   وَقَطَعْتَ مِــنْ أَسْبَابِهَا مَا أَصَّلُــوا
وَنَظَمْــتَ مِــن أَمْصَــارِهِ وَثُغُورِهِ   لِلْمُلْــكِ عِقْــدًا بِالفُتُــوحِ يُفَصَّلُ
فَسَــدَدْتَ مُطَّلَعَ النِّفَاقِ وَأَنْتَ لاَ   تَنْبُــو ظُبَــاكَ وَلاَ العَزِيمَةُ تَنْكُلُ
بِشَكِيمَــةٍ مَرْهُوبَـــةٍ وَسِيَاسَــةٍ   تَجْــرِي كَمَا يَجْرِي فُرَاتٌ سَلْسَلُ
عَــذُبَ الزَّمَــانُ لَهَا وَلَذَّ مَذَاقُهُ   مِنْ بَعْــدِ مَا قَدْ مَرَّ مِنْهُ الحَنْظَـلُ
فَضَــوَى الأَنَامُ لِعِزِّ أَرْوَعَ مَالِكٍ   سَهْـلِ الخَلِيقَــةِ مَاجِدٌ مُتَفَضِّـلُ
وَتَطَابَقَتْ فِيكَ القُلُوبُ عَلَى الرِّضَى   سِيَّــانَ مِنْهَــا الطِّفْـلُ وَالمُتَكَهِّلُ
يَــا مَالِكًــا وَسِــعَ الزَّمَـانَ وَأَهْلَهُ   دَعَــةً وَأَمْنًــا فَوْقَ مَا قَدْ أَمَّلُــوا
فَالأَرْضُ لاَ يُخْشَى بِهَا غُولٌ وَلاَ   يَعْــدُو بِسَاحَتِهَا الهِزَبْــرُ المُشْبِلُ
وَالسَّفْــرُ يَجْتَابُــونَ كُلَّ تَنُوفَــةٍ   سِرْبَ القَطَا مَا رَاعَهُنَّ الأَجْـدَلُ(13)
سُبْحَــانَ مَنْ بِعُلاَكَ قَدْ أَحْيَا المُنَى   وَأَعَادَ حَلْيَ الجِيـــدِ وَهْوَ مُعَطَّلُ

(13) التنوفة: القفر من الأرض لا ماء فيه. الأجدل: الصقر.

سُبْحَانَ مَنْ بِهُدَاكَ أَوْضَحَ لِلْوَرَى قَصْـــدَ السَّبِيـــلِ فَأَبْصَرَ الْمُتَأَمِّلُ
فَكَأَنَّمَـــا الدُّنْيَـــا عَرُوسٌ تُجْتَلَى فَتَمِيـــسُ فِـــي حُلَلِ الجَمَالِ وَتَرْفُلُ
وَكَأَنَّ مُطْبَقَـــةَ البِـــلَادِ بِعَدْلِـــهِ عَادَتْ فَسِيحًـــا لَيْسَ فِيهِ مَجْهَلُ
وَكَـــأَنَّ أَنْوَارَ الكَوَاكِبِ ضُوعِفَتْ مِنْ نُـــورِ غُرَّتِهِ الَّتِي هِيَ أَجْمَلُ
وَكَأَنَّمَا رُفِـــعَ الحِجَـــابُ لِنَاظِرٍ فَـــرَأَى الحَقِيقَةَ فِي الَّذِي يَتَخَيَّـــلُ

وَمِنْهَا فِي العُذْرِ عَنْ مَدْحِهِ :

مَـــوْلَايَ غَاضَـــتْ فِكْرَتِي وَتَبَلَّدَتْ مِنِّـــي الطِّبَـــاعُ فَكُلُّ شَـــيْءٍ مُشْكِلُ
تَسْمُـــو إِلَى دَرَكِ الحَقَائِقِ هِمَّتِي فَأُصَـــدُّ عَـــنْ إِدْرَاكِهِـــنَّ وَأُعْـــزَلُ
وَأَجِـــدُّ لَيْلِي فِي امْتِرَاءِ قَرِيحَتِي وَتَعُـــودُ غَـــوْرًا بَيْنَمَا تَسْتَرْسِلُ(14)
فَأَبِيـــتُ يَعْتَلِـــجُ الكَـــلَامُ بِخَاطِرِي وَالنَّظْـــمُ يَشْـــرُدُ وَالقَوَافِـــي تُجْفِلُ
مِـــنْ بَعْـــدِ حَوْلٍ أَنْتَقِيهِ وَلَمْ يَكُنْ فِـــي الشِّعْـــرِ حَوْلِـــيٌّ يُعَابُ وَيُهْمَلُ
فَأَصُـــونُهُ عَنْ أَهْلِـــهِ مُتَوَارِيًـــا أَنْ لَا يَضُمَّهُـــمُ وَشِعْرِيَ مَحْفِلُ
وَهْـــيَ البِضَاعَةُ فِي القَبُـــولِ نَفَاقُـــهَا سِيَّـــانِ فِيهَـــا الفَحْلُ وَالْمُتَطَفِّـــلُ
وَبَنَـــاتُ فِكْـــرِي إِنْ أَتَتْكَ كَلِيلَةً مَرْهَاءَ تَخْطِرُ فِي القُصُورِ وَتَخْطِلُ(15)
فَلَهَـــا الفَخَـــارُ إِذَا مَنَحْتَ قَبُولَهَا وَأَنَـــا عَلَـــى ذَاكَ البَلِيـــغُ المِقْـــوَلُ

(14) امتراء القريحة: استدرارها. يشير إلى ما عرف عن زهير بن أبي سلمى الشاعر، من أنّه عمل سبع قصائد في سبع سنين، فكانت تسمى حوليات زهير، لأنّه كان يحوك القصيدة في سنة.
(15) مرهاء: غير مكتحلة العينين.

ومنها في ذكر الكتاب المؤلّف لخزانته وهو كتاب "العبر" :

وَإِلَيْكَ مِنْ سِيَرِ الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ ... عِبَرًا يَدِينُ بِفَضْلِهَا مَنْ يَعْدِلُ
صُحُفًا تُتَرْجِمُ عَنْ أَحَادِيث الأُلَى ... غَبَرُوا فَتُجْمِلُ عَنْهُمُ وَتُفَصِّلُ
تُبْدِي التَّبَابِعُ وَالعَمَالِقُ سِرَّهَا ... وَثَمُودُ قَبْلَهُمُ وَعَادُ الأُوَّلُ
وَالقَائِمُونَ بِمِلَّةِ الإِسْلاَمِ مِنْ ... مُضَرٍ وَبَرْبَرِهِمْ إِذَا مَا حُصِّلُوا
لَخَّصْتُ كُتْبَ الأَوَّلِينَ لِجَمْعِهَا ... وَأَتَيْتُ أَوَّلَهَا بِمَا قَدْ أَغْفَلُوا
وَأَلَنْتُ حُوشِيَّ الكَلاَمِ كَأَنَّمَا ... شُرُدُ اللُّغَاتِ بِهَا لِنُطْقِيَ ذُلَّلُ
أَهْدَيْتُ مِنْهُ إِلَى عُلاَكَ جَوَاهِرًا ... مَكْنُونَةً وَكَوَاكِبًا لاَ تَأْفُلُ
وَجَعَلْتُهُ لِصِوَانِ مُلْكِكَ مَفْخَرًا ... يَبْأَى النَّدِيُّ بِهِ وَيَزْهُو المَحْفِلُ(16)
وَاللَّهِ مَا أَسْرَفْتُ فِيمَا قُلْتُهُ ... شَيْئًا وَلاَ الإِسْرَافُ مِمَّا يَجْمُلُ
وَلَأَنْتَ أَرْسَخُ فِي المَعَارِفِ رُتْبَةً ... مِنْ أَنْ يُمَوَّهَ عِنْدَهُ مُتَطَفِّلُ
فَمِلاَكُ كُلِّ فَضِيلَةٍ وَحَقِيقَةٍ ... بِيَدَيْكَ تَعْرِفُ وَضْعَهَا إِنْ بَدَّلُوا
وَالحَقُّ عِنْدَكَ فِي الأُمُورِ مُقَدَّمٌ ... أَبَدًا فَمَاذَا يَدَّعِيهِ المُبْطِلُ
وَاللَّهُ أَعْطَاكَ الَّتِي لاَ فَوْقَهَا ... فَاحْكُمْ بِمَا تَرْضَى فَأَنْتَ الأَعْدَلُ
أَبْقَاكَ رَبُّكَ لِلعِبَادِ تَرُبُّهُم ... فَاللَّهُ يَخْلُقُهُمْ وَرَعْيُكَ يَكْفُلُ

المصدر : التّعريف: ص 233 ـ 240 والإحاطة: (انظر مؤلفات ابن خلدون: ص 315).

---

(16) يبأى: يفخر.

8 ـ لا تضعني

قصيدة أنشدها بمصر للأمير الجوباني الطنبغا بركة بن عبد الله زين الدين، كان يحب العلماء، وله مآثر خيرية بمكة والحرم. قتل سنة 872 هـ.

(الخفيف)

سَيِّدِي وَالظُّنُونُ فِيكَ جَمِيلَه ... وَأَيَادِيكَ بِالأَمَانِي كَفِيلَه
لاَ تَحُلْ عَنْ جَمِيلِ رَأْيِكَ إِنِّي ... مَالِيَ اليَوْمَ غَيْرُ رَأْيِكَ حِيلَه
وَاصْطَنِعْنِي كَمَا اصْطَنَعْتَ بِإِسْدَا ... ءِ يَدٍ مِنْ شَفَاعَةٍ أَوْ وَسِيلَه
لاَ تُضِعْنِي فَلَسْتُ مِنْكَ مُضِيعًا ... ذِمَّةَ الحُبِّ، وَالأَيَادِي الجَمِيلَه
وَأَجِرْنِي فَالخَطْبُ عَضَّ بِنَابَيْـ ... ـهِ وَأَجْرَى إِلَى حِمَايَ خُيُولَه
وَلَوَ أَنِّي دَعَا بِنَصْرِيَ دَاعٍ ... كُنْتَ لِي خَيْرَ مَعْشَرٍ وَفَصِيلَه
أَنَّه أَمْرِي إِلَى الَّذِي جَعَلَ اللَّـ ... ـهُ أُمُورَ الدُّنْيَا لَهُ مَكْفُولَه
وَأَرَاهُ فِي مُلْكِهِ الآيَةَ الكُبْـ ... ـرَى فَوَلاَّهُ ثُمَّ كَانَ مُدِيلَه
أَشْهَدَتْهُ عِنَايَةُ اللَّهِ فِي التَّمْـ ... ـحِيصِ أَنْ كَانَ عَوْنَهُ وَمُنِيلَه
العَزِيزُ السُّلْطَانُ وَالمَلِكُ الظَّا ... هِرُ فَخْرُ الدُّنْيَا وَعِزُّ القَبِيلَه
وَمُجِيرُ الإِسْلاَمِ مِنْ كُلِّ خَطْبٍ ... كَادَ زِلْزَالُ بَأْسِهِ أَنْ يُزِيلَه
وَمُدِيلُ العَدُوِّ بِالطَّعْنَةِ النَّجْلاَ ... ءِ تُفَرِّي مَاذِيَّهُ وَنُصُولَه(1)
وَشَكُورٌ لأَنْعُمِ اللَّهِ يُفْنِي ... فِي رِضَاهُ غُدُوَّهُ وَأَصِيلَه
وَتَلَطَّفْ فِي وَصْفِ حَالِي وَشَكْوَى ... خَلَّتِي يَا صَفِيَّهُ وَخَلِيلَه(2)

(1) الطعنة النجلاء: الواسعة العريضة. تفري : تشقّ. الماذي (بالمعجمة): كل سلاح من حديد. النصول جمع نصل، وهو حديدة السهم.

(2) الخلّة: (بالفتح): الحاجة، والفقر.

قُلْ لَــــهُ وَالْمَقَالُ يَكْرُمُ مِــنْ مِثْــ لِكَ فِي مَحْفِلِ العُلاَ أَنْ يَقُولَه

يَا خَوَنْـــدَ المُلُوكِ يَــا مُعَــدِّلَ الدَّ هْــرِ إِذَا عَدَّلَ الزَّمَانُ فُصُولَه

لاَ تُقَصِّرْ فِي جَبْرِ كَسْرِي فَمَا زِلْتُ أُرَجِّيــكَ لِلأَيَــادِي الطَّوِيلَــــه

أَنَـــا جَــــــارٌ لَكُمْ مَنَعْتُمْ حِمَاهُ وَنَهَجْتُـــمْ إِلَى المَعَالِـــي سَبِيلَــه

وَغَرِيبٌ أَنَسْتُمُوهُ عَلَى الوَحْـــ شَةِ وَالحُــزْنِ بِالرِّضَى وَالسُّهُولَـه

وَجَمَعْتُـــمْ مِنْ شَمْلِهِ فَقَضَى اللَّـــ هُ فِرَاقًــا وَمَــا قَضَــى مَأْمُولَــه

غَالَهُ الدَّهْـــرُ فِي البَنِينِ وَفِي الأَهْـ لِ وَمَــا كَــانَ ظَنُّــهُ أَنْ يَغُولَه

وَرَمَتْـــهُ النَّوَى فَقِيدًا قَدْ اجْتَـــا حَتْ عَلَيْــهِ فُــرُوعَــهُ وَأُصُولَــه

فَجَذَبْتُـــمْ بِضَبْعِـــــهِ وَأَنَلْتُــــمْ كُــلَّ مَا شَاءَتِ العُلاَ أَنْ تُنِيلَــه(3)

وَرَفَعْتُمْ مِنْ قَدْرِهِ قَبْلَ أَنْ يَشْــ ـكُو إِلَيْكُــمْ عَيَــاءَهُ وَخُمُولَــــه

وَفَرَضْتُـــمْ لَــهُ حَقِيقَـــــةَ وُدٍّ حَــاشَ لِلَّـــهِ أَنْ تُرَى مُسْتَحِيلَه

هِمَّـــةٌ مَا عَرَفْتُهَــــا لِسِوَاكُمْ وَأَنَـــا مَنْ خَبَرْتُ دَهْــرِي وَجِيلَه

وَالعِــــدَى نَمَّقُـــوا أَحَادِيثَ إِفْكٍ كُلُّهَــا فِــي طَرَائِـــقَ مَعْلُولَه

رَوَّجُــوا فِــي شَأْنِي غَرَائِبَ زُورٍ نَصَبُـوهَــا لِأَمْرِهِـــمْ أُحْبُولَــه

وَرَمَــوْا بِالَّذِي أَرَادُوا مِنَ البُهْـــ ـتَــانِ ظَنّــا بِأَنَّهَــا مَقْبُولَــه

زَعَمُـــوا أَنَّنِي أَتَيْـــتُ مِنْ الأَقْوَا لِ مَا لاَ يُظَــنُّ بِي أَنْ أَقُولَــه

كَيْــفَ لِي أَغْمِطُ الحُقُــوقَ وَأَنَّى شُكْرُ نَعْمَاكُــمُ عَلَيَّ الجَزِيلَـــه؟

كَيْفَ لِي أُنْكِرُ الأَيَادِي الَّتِي تَعْرِ فُهَــا الشَّمْــسُ وَالظِّلاَلُ الظَّلِيلَـــه؟

إِنْ يَكُنْ ذَا فَقَــدْ بَرِئْــتُ مِـــنَ الـــلَّـــهِ تَعَالَى وَخُنْــتُ جَهْرًا رَسُولَــه

---

(3) الضبع: العضد.

طَوَّقُونَا أَمْرَ الكِتَابِ فَكَانَتْ   لِقِدَاحِ الظُّنُونِ فِينَا مُجِيلَه
لاَ. وَرَبِّ الكِتَابِ أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى قَلْبِ مَنْ وَعَى تَنْزِيلَه
مَا رَضِينَا بِذَاكَ فِعْلاً ولاَجِئْنَاهُ طَوْعًا وَلاَ اقْتَفَيْنَا دَلِيلَه
إِنَّمَا سَامَنَا الكِتَابَ ظَلُومٌ   لاَ يُرَجَّى دِفَاعُهُ بِالحِيلَه
سَخَطٌ نَاجِزٌ وَحِلْمٌ بَطِيءٌ   وَسِلاَحٌ لِلْوَخْزِ فِينَا صَقِيلَه
وَدَعُونِي وَلَسْتُ مِنْ مَنْصِبِ الحُكْمِ ولاَ سَاحِبًا لَدَيْهِم ذُيُولَه
غَيْرَ أَنِّي وشَى بِذِكْرِيَ وَاشٍ   يَتَقَصَّى أَوْتَارَهُ وَذُحُولَه[4]
فَكَتَبْنَا مُعَوِّلِينَ عَلَى حِلْـ   ـمِكَ تَمْحُو الإِصَارَ عَنَّا الثَّقِيلَه
مَا أَشَرْنَا بِهِ لِزَيْدٍ وَلاَ عَمْـ   ـرٍو وَلاَ عَيَّنُوا لَنَا تَفْصِيلَه
إِنَّمَا يَذْكُرُونَ عَمَّنْ وَفِيمَنْ   مُبْهَمَاتٍ أَحْكَامُهَا مَنْقُولَه
وَيَظُنُّونَ أَنَّ ذَاكَ عَلَى مَا   أَضْمَرُوا مِنْ شَنَاعَةٍ أَوْ رَذِيلَه
وَهْوَ ظَنٌّ عَنِ الصَّوَابِ بَعِيدٌ   وَظَلاَمٌ لَمْ يُحْسِنُوا تَأْوِيلَه
وَجَنَابُ السُّلْطَانِ نَزَّهَهُ اللَّـ   ـهُ عَنِ العَابِ بِالهُدَى وَالفَضِيلَه[5]
وَأَجَلُّ المُلُوكِ قَدْرًا صَفُوحٌ   يَرْتَجِي ذَنْبَ دَهْرِهِ لِيُنِيلَه
فَاقْبَلُوا العُذْرَ إِنَّنَا اليَوْمَ نَرْجُو   بِحَيَاةِ السُّلْطَانِ مِنْكُم قَبُولَه
وَأَعِينُوا عَلَى الزَّمَانِ غَرِيبًا   يَشْتَكِي جَدْبَ عَيْشِهِ وَمُحُولَه
جَارُكُمْ ضَيْفُكُمْ نَزِيلُ حِمَاكُمْ   لاَ يُضِيعُ الكَرِيمُ يَوْمًا نَزِيلَه
جَدِّدُوا عِنْدَهُ رُسُومَ رِضَاكُمْ   فَرُسُومُ الكِرَامِ غَيْرُ مُحِيلَه
دَارِكُوهُ بِرَحْمَةٍ فَلَقَدْ أَمْـ   ـسَتْ عُقُودُ اصْطِبَارِهُ مَحْلُولَه

---

(4) الذحولة: ج نحل: العداوة، والوقر: العداوة أيضا.

(5) العاب: العيب.

وَانْحَلُـــوهُ جَبْـــراً فَلَيْـــس يُرَجِّي غَيْـــرَ إِحْسَانِكُـــمْ لِهَذِي النَّحِيلَه

يَا حَمِيـدَ الآثَارِ فِي الدَّهْرِ يَـا أَلطُنُبْغَـــا يَا رَوْضَ العُلاَ وَمَقِيلَه

كَيْـفَ بِالخَانِقَاه ينقـلُ عَنِّـي لاَ لِذَنْـبٍ أَوْ جُنْحَـةٍ مَنْقُولَه

بَلْ تَقَلَّدْتُهَــا شَغُــوراً بِمَرْسُو مٍ شَرِيـــفٍ وَخِلْعَـــةٍ مَسْدُولَه

وَلَقَـدْ كُنْـتُ آمِـلاً لِسِوَاهَا وَسِوَاهَـــا بِوَعْـدِهِ أَنْ يُنِيلَـــه

وَتَوَثَّقَـــتُ لِلزَّمَـــانِ عَلَيْهَـــا بِعُقُـــودٍ مَا خِلْتُهَا مَحْلُولَـــــه

أَبْلِغَـنْ قِصَّتِي فَمِثْلُكَ مَنْ يَقْـ صِدُ فِعْلَ الحُسْنَى بِمَنْ يَنْتَمِي لَه

وَاغْنَمُـــوا مِنْ مَثُوبَتِي وَدُعَائِـي قُرْبَـــةً عِنْـــدَ رَبِّكُمْ مَقْبُولَـــه

وَاصْحَـبِ العِزَّ ظَافِراً بِالأَمَانِي وَاتْـــرُكْ العُصْبَـةَ العِدَى مَفْلُولَه

وَاعْتَمِـلْ فِي سَعَادَةِ المَلِكِ الظَّا هِـــرِ أَن تَمْحُو الأَذَى وَتُزِيلَـــه

وَتُعِيدَ الدُّنْيَـــا لِأَحْسَنِ شَمْـلٍ حِـــينَ تُضْحِي بِسَعْدِهِ مَشْمُولَه

وَاطْلُبِ النَّصْرَ مِنْ سَعَادَتِهِ يَصْـ حَبْـكَ دَأْبًا فِي الظَّعْنِ وَالحَيْلُولَه

وَارْتَقِـبْ مَـــا يُحِلُّـــهُ بِالأَعَادِي فِـــي جُمَادَى أَوْ زِدْ عَلَيْهِ قَلِيلَه

وَخُـــذُوهُ فَـــأْلاً بِحُسْـــنِ قَبُولٍ صَـــدَّقَ اللَّهُ فِي الزَّمَـــانِ مَقُولَه

فَلَقَدْ كَانَ يَحْسُنُ الفَالُ عِنْدَ المُصْـ طَفَـــى دَائِمًـــا وَيَرْضَـــى جَمِيلَه

المصدر: التعريف:ص 331 ـ 335.

11 ـ مولدية

قصيدة مولدية أُنشدها لسلطان غرناطة محمد الخامس:

(الطويل)

أَبَـى الطَّيْـفُ أَنْ يَعْتَادَ إِلاَّ تَوَهُّمًا ... فَمَـنْ لِي بِأَنْ أَلْقَى الخَيَالَ المُسَلِّمَا
وَقَدْ كُنْـتُ أَسْتَهْدِيـهِ لَوْ كَانَ نَافِعِي ... وَأَسْتَمْطِـرُ الأَجْفَانَ لَوْ تَنْقَعُ الظَّمَا
وَلَكِـنْ خَيَـالٌ كَـاذِبٌ وَطَمَاعَـةٌ ... تُعَلِّـلُ قَلْبًـا بِالأَمَانِـي مُتَيَّمَـا
أَيَـا صَاحِبَـيْ نَجْوَايَ وَالحُبُّ لَوْعَةٌ ... تُبِيـحُ بِشَكْوَاهَـا الضَّمِيـرَ المُكَتَّمَا
خُذَا لِفُؤَادِي العَهْدَ مِنْ نَفَسِ الصَّبَا ... وَظَبْيِ النَّقَا وَالبَانِ مِنْ أَجْرَعِ الحِمَى[1]
أَلاَ صَنَـعَ الشَّوْقُ الَّذِي هُوَ صَانِعٌ ... فَحُبِّي مُقِيـمٌ أَقْصَرَ الشَّوْقُ أَوْ سَمَـا
وَإِنِّـي لَيَدْعُونِـي السُّلُـوُّ تَعَلُّلاً ... وَتَنْهَانِـيَ الأَشْجَـانُ أَنْ أَتَقَدَّمَـا
لِمَـنْ دِمَنٌ أَقْفَـرْنَ إِلاَّ هَوَاتِفًا[2] ... تُـرَدِّدُ فِـي أَطْلاَلِهِـنَّ التَّرَنُّمَـا
عَرَفْـتُ بِهَاسِيمَـا الهَوَى وَتَنَكَّرَتْ ... فَعُجْـتُ عَلَـى آيَاتِهَـا مُتَوَسِّمَـا
وَذُو الشَّوْقِ يَعْتَـادُ الرُّبُوعَ دَوَارِسًا ... وَيَعْـرِفُ آثَـارَ الدِّيَـارِ تَوَهُّمًا
تَأَوَّبَنِـي وَاللَّيْـلُ بَيْنِـي وَبَيْنَـهُ ... وَمِيـضٌ بِأَطْـرَافِ الثَّنَايَا تَضَرَّمَا
أَجَـدَّ لِـيَ العَهْـدَ القَدِيـمَ كَأَنَّهُ ... أَشَـارَ بِتِذْكَـارِ العُهُـودِ فَأَفْهَمَا
عَجِبْـتُ لِمُرْتَـاعِ الجَوَانِحِ خَافِقٍ ... بَكَيْـتُ لَهُ خَلْـفَ الدُّجَى وَتَبَسَّمَا
وَبِـتُّ أُرَوِّيـهِ كُـؤُوسَ مَدَامِعِـي ... وَبَـاتَ يُعَاطِينِي الحَدِيـثَ عَنِ الحِمَى
وَصَافَحْتُهُ عَنْ رَسْمِ دَارٍ بِذِي الغَضَى[3] ... لَبِسْـتُ بِهَـا ثَوْبَ الشَّبِيبَةِ مُعْلَمَـا

---

(1) النقا: الكثيب من الرمل.
الأجرع: الأرض الرملة السهلة المستوية .
(2) الهواتف: يعنى الحمائم .
(3) الغضى: شجر صلب الخشب .

لَعَهْـدِي بِهَا تُدْنِــي الظِّبَاء أَوَانِسًا وَتُطْلِــعُ فِي آفَاقِهَــا الغِيد أَنْجُما

أَحِنُّ إِلَيْهَــا حَيْثُ سَارَ بِيَ الهَوَى وَأَنْجَــدَ رَحْلِي فِي البِلاَدِ وأَتْهَمَا[4]

المصدر: التّعريف: ص 89 ـ 90.

12 ـ مولدية ثانية

قصيدة مولدية أنشدها لسلطان غرناطة محمد الخامس أبا عبد اللهِ بن الحجاج لأول قدومه ليلة الميلاد عام 764:

(البسيط)

حَيِّ المَعَاهِـدَ كَانَتْ قَبْلُ تُحْيِينِي بِوَاكِفِ الدَّمْـعِ يرْوِيهَــا وَيُظْمِينِــي

إِنَّ الأُلَــى نَزَحَتْ دَارِي وَدَارُهُمُ تَحَمَّلُــوا القَلْبَ فِي آثَارِهِمْ دُونِــي

وَقَفْتُ أَنْشُــدُ صَبْرًا ضَاعَ بَعْدَهُمُ فِيهِمْ وَأَسْــأَلُ رَسْمًــا لاَ يُنَاجِينِــي

أُمَثِّــلُ الرَّبْــعَ مِنْ شَــوْقٍ فَأَلْثِمُهُ وَكَيْــفَ وَالفِكْــرُ يُدْنِيــهِ وَيُقْصِينِي

وَيَنْهَبُ الوَجْــدُ مِنِّي كُــلَّ لُؤْلُؤَةٍ مَا زَالَ قَلْبِــي عَلَيْهَــا غَيْرَ مَأْمُونِ

سَقَــتْ جُفُونِي مَغَانِي الرَّبْعِ بَعْدَهُمُ فَالدَّمْعُ وَقْــفٌ عَلَى أَطْلاَلِهِ الجُونِ[1]

قَدْ كَانَ لِلْقَلْبِ عَنْ دَاعِي الهَوَى شُغُلٌ لَوْ أَنَّ قَلْبِــي إِلَى السُّلْوَانِ يَدْعُونِي

أَحْبَابَنَــا هَلْ لِعَهْدِ الوَصْلِ مُدَّكَــرٌ مِنْكُــمْ وَهَلْ نَسْمَةٌ عَنْكُمْ تُحَيِّينِي

مَالِــي وَلِلطَّيْــفِ لاَ يَعْتَــادُ زَائِرُهُ وَلِلنَّسِيــمِ عَلِيــلاً لاَ يُدَاوِينِــي

يَــا أَهْــلَ نَجْدٍ وَمَا نَجْدٌ وَسَاكِنُهَا حُسْنًا سِوَى جَنَّــةِ الفِرْدَوْسِ وَالعِينِ[2]

أَعِنْدَكُــمْ أَنَّنِــي مَــا مَرَّ ذِكْرُكُمُ إِلاَّ انْثَنَيتُ كَــأَنَّ الــرَّاحَ تَثْنِينِي

---

(4) أتهم وأنجد: دخل تهامة ونجداً

(1) الجون: السّود.

(2) العين: ج عيناء: الواسعة العين من النّساء.

أصْبُو إلَى البَرْقِ مِنْ أنْحَاءِ أرْضِكُمُ شَوْقًا وَلَوْلاَكُمْ مَا كَانَ يُصْبِينِي
يَا نَازِحًا وَالمُنَى تُدْنِيهِ مِنْ خَلَدِي حَتَّى لَأَحْسَبُهُ قُرْبًا يُنَاجِينِي
أسْلَى هَوَاكَ فُؤَادِي عَنْ سِوَاكَ وَمَا سِوَاكَ يَوْمًا بِحَالٍ عَنْكَ يُسْلِينِي
تَرَى اللَّيَالِيَ أنْسَتْكَ ادِّكَارِيَ يَا مَنْ لَمْ تَكُنْ ذِكْرَهُ الأيَّامُ تُنْسِينِي

وَمِنْهَا:

أبَعْدَ مَرِّ الثَّلاَثِينَ الَّتِي ذَهَبَتْ أُولِي الشَّبَابِ بِإحْسَانِي وَتَحْسِينِي
أضَعْتُ فِيهَا نَفِيسًا مَا وردت بِهِ إلاَّ سَرَابَ غُرُورٍ لاَ يُرَوِّينِي
وَاحَسْرَتِي مِنْ أمَانٍ كُلُّهَا خُدَعُ تَرِيشُ غَيِّي وَمَرُّ الدَّهْرِ يَبْرِينِي

ومنها في وصف الإيوان الذي بناه لجلوسه بين قصوره والمصنع يعني القصر:

يَا مَصْنَعًا شَيَّدَتْ مِنْهُ السُّعُود حِمًى لاَ يَطْرُقُ الدَّهْرُ مَبْنَاهُ بِتَوْهِينِ
صَرْحٌ يحَارُ لَدَيْهِ الطَّرْفُ مُفْتَتَنًا فِيمَا يَرُوقُكَ مِنْ شَكْلٍ وَتَلْوِينِ
بُعْدًا لإِيوَانِ كِسْرَى إنَّ مَشْوَرَكَ(3) السـ ـامِي لأَعْظَمُ مِنْ تِلْكَ الأوَاوِينِ
وَدَعْ دِمَشْقَ وَمَغْنَاهَا فَقَصْرُكَ ذَا "أشْهَى إلَى القَلْبِ مِنْ أبْوَابِ جَيْرُونِ"(4)

ومنها في التعريض بالوزير عمر بن عبد الله وما عامله به من الوحشة:

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّيَ الصَّحْبَ الأُلَى تَرَكُوا وُدِّي وَضَاعَ حِمَاهُمْ إذْ أضَاعُونِي
أنِّي أوَيْتُ مِنَ العَلْيَا إلَى حَرَمٍ كَادَتْ مَغَانِيهِ بِالبُشْرَى تُحَيِّينِي

(3) هو المكان الذي يجلس فيه السلطان للحكم.

(4) هو الإيوان الذي كان بمدائن كسرى. وللبحتري فيه القصيدة السينية المشهورة.

المشور في الاصطلاح المغربي والأندلسي: المكان الذي يجلس فيه السلطان فمن دونه من الحكام للحكم. ولا تزال الكلمة مستعملة في هذا المعنى بالمغرب. وجيرون: موضع من منتزهات دمشق أكثر الشعراء من ذكره.

وَأَنَّنِـــي ظَاعِنًـــا لَمْ أَلْقَ بَعْدَهُـــمِ دَهْرًا أُشَاكِي وَلاَ خَصْمًا يُشَاكِينِي
لاَ كَالَّتِي أَخْفَرَتْ عَهْدِي لَيَالِيَ إِذْ أُقَلِّبُ الطَّرفَ بَيْنَ الخَوْفِ وَالهُونِ

* * *

سَقْيًا وَرَعْيًا لِأَيَّامِي الَّتِي ظَفِرَتْ يَدَايَ مِنْهَـــا بِحَظٍّ غَيْرِ مَغْبُونِ
أَرْتَادُ مِنْهَا مَلِيًّـــا لاَ يُمَاطِلُنِي وَعْدًا وَأَرْجُو كَرِيمًـــا لاَ يُعَنِّينِـــي

وَمِنْهَا:

وَهَاكَ مِنْهَـــا قَوَافٍ طَيُّـهَـــاحِكَمٌ مِثْلَ الأَزَاهِـــرِ فِي طَيِّ الرَّيَاحِينِ
تَلُوحُ إِنْ جُلِيَـتْ دُرًا وَإِنْ تُلِيَتْ تُثْنِـــي عَلَيْـــكَ بِأَنْفَاسِ البَسَاتِينِ
عَانَيْتُ مِنْهَا بِجُهْدِي كُلَّ شَـــارِدَةٍ لَوْلاَ سُعُودُكَ مَا كَادَتْ تُوَاتِينِي
يُمَانِعُ الفِكْرَ عَنْهَا مَا تُقَسِّمُهُ مِنْ كُلِّ حُزْنٍ بِطَيِّ الصَّدْرِ مَكْنُونِ
لَكِنْ بِسَعْدِكَ ذَلَّتْ لِي شَوَارِدُهَا فَرُضْتُ مِنْهَـــا بِتَحْبِيرٍ وَتَزْيِينِ
بَقِّيتَ دَهْرَكَ فِي أَمْنٍ وَفِي دَعَةٍ وَدَامَ مُلْكُكَ فِي نَصْرٍ وَتَمْكِينِ

المصدر: التّعريف: ص 85 ـ 88 والإحاطة: انظر مؤلفات ابن خلدون ص 315 ـ 317.

1 ـ في أنّ الملك والدّولة العامة إنّما يحصلان بالقبيل والعصبيّة

وذلك أنّا قرّرنا في الفصل الأوّل أنّ المغالبة والممانعة إنّما تكون بالعصبيّة لما فيها من النّعرة والتّذامر واستماتة كلّ واحد منهم دون صاحبه. ثمّ إنّ الملك منصب شريف ملذوذ يشتمل على جميع الخيرات الدّنيويّة والشّهوات البدنيّة والملاذّ النّفسانيّة فيقع فيه التّنافس غالبا وقلّ أن يسلّمه أحد لصاحبه إلاّ إذا غلب عليه، فتقع المنازعة وتفضي إلى الحرب والقتال والمغالبة وشيء منها لا يقع إلاّ بالعصبيّة كما ذكرناه آنفا وهذا الأمر بعيد عن أفهام الجمهور بالجملة ومتناسون له لأنهم نسوا عهد تمهيد الدّولة منذ أوّلها وطال أمد مرباهم في الحضارة وتعاقبهم فيها جيلا بعد جيل فلا يعرفون ما فعل اللّه أوّل الدّولة إنما يدركون أصحاب الدّولة وقد استحكمت صبغتهم ووقع التّسليم لهم والاستغناء عن العصبيّة في تمهيد أمرهم ولا يعرفون كيف كان الأمر من أوّله وما لقي أولهم من المتاعب دونه وخصوصا أهل الأندلس في نسيان هذه العصبيّة وأثرها لطول الأمد واستغنائهم في الغالب عن قوّة العصبيّة بما تلاشى وطنهم وخلا من العصائب واللّه قادر على ما يشاء وهو بكلّ شيء عليم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

المصدر: المقدّمة: ص 170 (ط: دار الجيل اللبنانية).

2 ـ في العمران البشري على الجملة وفيه مقدّمات

الأولى في أنّ الاجتماع الإنسانيّ ضروريّ ويعبّر الحكماء عن هذا بقولهم الإنسان مدنيّ بالطبع أي لا بدّ له من الاجتماع الذي هو المدينة في اصطلاحهم وهو معنى العمران وبيانه أنّ اللّه سبحانه خلق الإنسان وركّبه على صورة لا يصحّ حياتها وبقاؤها إلا بالغذاء وهداه إلى التماسه بفطرته وبما ركّب فيه من القدرة على تحصيله إلا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء غير موفية له بمادّة حياته منه ولو فرضنا منه أقلّ ما يمكن فرضُه وهو قوت يوم من الحنطة مثلا، فلا يحصل إلا بعلاج كثير من الطّحن والعجن والطّبخ وكلّ واحد من هذه الأعمال الثلاثة يحتاج الى مواعين وآلات لا تتمّ إلا بصناعات متعدّدة من حدّاد ونجّار وفاخوريّ وهب أنّه يأكله حبّا من غير علاج فهو أيضا يحتاج في تحصيله أيضا حبّا إلى أعمال أخرى أكثر من هذه من الزّراعة والحصاد والدّراس الذي يخرج الحبّ من غلاف السّنبل ويحتاج كلّ واحد من هذه آلات متعدّدة وصنائع كثيرة أكثر من الأولى بكثير ويستحيل أن تفي بذلك كلّه أو ببعضه قدرة الواحد فلا بدّ من اجتماع القدر الكثيرة من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم فيحصل بالتّعاون قدر الكفاية من الحاجة لأكثر منهم بأضعاف وكذلك يحتاج كلّ واحد منهم أيضا في الدّفاع عن نفسه إلى الاستعانة بأبناء جنسه لأنّ اللّه سبحانه لمّا ركّب الطّباع في الحيوانات كلّها وقسم القدر بينها جعل حظوظ كثير من الحيوانات العجم من القدرة أكمل من حظّ الإنسان فقدرة الفرس مثلا أعظم بكثير من قدرة الإنسان وكذا قدرة الحمار والثّور وقدرة الأسد والفيل أضعاف من قدرته. ولمّا كان العدوان طبيعيّا في الحيوان جعل لكل واحد منها عضوا يختصّ بمدافعته ما يصل إليه من عادية غيره وجعل للإنسان عوضا من ذلك كله الفكر واليد فاليد مهيّأة للصّنائع بخدمة الفكر والصّنائع تحصّل له الآلات الّتي تنوب له عن الجوارح المعدّة في سائر الحيوانات للدّفاع مثل الرّماح التي تنوب عن القرون النّاطحة والسّيوف

النّائبة عن المخالب الجارحة والتّراس النائبة عن البشرات الجاسية إلى غير ذلك وغيره ممّا ذكره جالينوس في كتاب منافع الأعضاء فالواحد من البشر لا تقاوم قدرته قدرة واحد من الحيوانات العجم سيّما المفترسة فهو عاجز عن مدافعتها وحده بالجملة ولا تفي قدرته أيضا باستعمال الآلات المعدّة لها فلا بدّ في ذلك كلّه من التّعاون عليه بأبناء جنسه وما لم يكن هذا التّعاون فلا يحصل له قوت ولا غذاء ولا تتمّ حياته لما ركّبه اللّه تعالى عليه من الحاجة الى الغذاء في حياته ولا يحصل له أيضا دفاع عن نفسه لفقدان السّلاح فيكون فريسة للحيوانات ويعاجله الهلاك عن مدى حياته ويبطل نوع البشر. وإذا كان التّعاون حصل له القوت للغذاء والسّلاح للمدافعة وتمّت حكمة اللّه في بقائه وحفظ نوعه فإذن هذا الاجتماع ضروريّ للنّوع الإنسانيّ وإلاّ لم يكمل وجودهم وما أراده الله من اعتمار العالم بهم واستخلافه إيّاهم وهذا هو معنى العمران الذي جعلناه موضوعا لهذا العلم. وفي هذا نوع إثباتٍ للموضوع في فنّه الذي هو موضوع له، وهذا وإن لم يكن واجبا على صاحب الفنّ لما تقرّر في الصّناعة المنطقية أنه ليس على صاحب علم إثبات الموضوع في ذلك العلم فليس أيضا من الممنوعات عندهم فيكون إثباته من التبرّعات واللّه الموفّق بفضله. ثمّ إنّ هذا الاجتماع إذا حصل للبشر كما قرّرناه وتمّ عمران العالم بهم فلا بدّ من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانيّة من العدوان والظّلم وليست السّلاح التي جعلت دافعة لعدوان الحيوانات العجم عنهم كافية في دفع العدوان عنهم لأنّها موجودة لجميعهم. فلا بدّ من شيء آخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض ولا يكون من غيرهم لقصور جميع الحيوانات عن مداركهم وإلهاماتهم فيكون ذلك الوازع واحدا منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل أحد إلى غيره بعدوان وهذا هو معنى الملك. وقد تبيّن لك بهذا أنّ للإنسان خاصّة طبيعيّة ولا بدّ لهم منها وقد يوجد في بعض الحيوانات العجم على ما ذكره الحكماء كما في النّحل والجراد لما استقرىء فيها من الحكم والانقياد والاتّباع لرئيس من أشخاصها متميّز عنهم في خلقه وجثمانه إلاّ أنّ ذلك موجود لغير الإنسان بمقتضى الفطرة والهداية لا بمقتضى الفكرة والسّياسة أعطى كلّ شيء

خلقه ثمّ هدى وتزيد الفلاسفة على هذا البرهان حيث يحاولون إثبات النبوّة بالدّليل العقلي وأنّها خاصّة طبيعيّة للإنسان فيقرّرون هذا البرهان إلى غاية وأنه لا بدّ للبشر من الحكم الوازع ثم يقولون بعد ذلك وذلك الحكم يكون بشرع مفروض من عند اللّه يأتي به واحد من البشر وأنّه لا بدّ أن يكون متميّزا عنهم بما يودع الله فيه من خواصّ هدايته ليقع التّسليم له والقبول منه حتى يتمّ الحكم فيهم وعليهم من غير إنكار ولا تزيّف وهذه القضيّة للحكماء غير برهانيّة كما تراه إذ الوجود وحياة البشر قد تتمّ من دون ذلك بما يفرضه الحاكم لنفسه أو بالعصبيّة التي يقتدر بها على قهرهم وحملهم على جادّته فأهل الكتاب والمتّبعون للأنبياء قليلون بالنّسبة إلى المجوس الذين ليس لهم كتاب فإنّهم أكثر أهل العالم ومع ذلك فقد كانت لهم الدّول والآثار فضلا عن الحياة وكذلك هي لهم لهذا العهد في الأقاليم المنحرفة في الشّمال والجنوب بخلاف حياة البشر فوضى دون وازع لهم البتّة فإنّه يمتنع وبهذا يتبيّن لك غلطهم في وجوب النبوّات وأنّه ليس بعقليّ وإنما مدركه الشّرع كما هو مذهب السّلف من الأمّة واللّه وليّ التّوفيق والهداية.

المصدر: الفصل الأوّل من الكتاب الأوّل من المقدّمة.

محمّد النّفزاوي

(ت بعد 813)

أبو عبد الله محمّد بن محمد بن عمر النّفزاوي القاضي مؤلف كتاب «تنوير البقاع في أسرار الجماع» و«الرّوض العاطر في نزهة الخاطر». ألف هذا الكتاب بطلب من محمد بن عوانه الزواوي الجزائري وزير أبي فارس عبد العزيز الحفصي. طبع «الرّوض العاطر» طبعات عديدة بتونس والمغرب وترجم الى لغات أروبية عديدة ،طبع أخيرا عن دار الرّيس بلندن سنة 1990

1 ـ قصة تأليف كتاب «الرّوض العاطر»

وبعد فهذا كتاب جليل ألّفته بعد كتابي الصغير المسمّى (تنويع الوقاع في أسرار الجماع). وذلك أنّه اطلع عليه وزير مولانا عبد العزيز صاحب تونس المحروسة باللّه، وهو الوزير الأعظم، وكان شاعره ونديمه ومؤنسه وكاتم سرّه . وكان لبيبا حاذقا فطنا، وكان اسمه محمد عوانة الزواوي وأصله من زواوة ونشأته بالجزائر،

تعرف بمولاي السلطان عبد العزيز الحفصي يوم فتحه الجزائر فارتحل معه الى تونس، وجعله وزيره الأعظم، فلما وقع هذا الكتاب المذكور بيده أرسل الي أن أجتمع به، وصار يؤكّد غاية التّأكيد للاجتماع بي فأتيته سريعا فاكرمني غاية الإكرام.

فلمّا كان بعد ثلاثة أيّام اجتمع بي وأخرج لي الكتاب المذكور وقال لي:

هذا تأليفك؟ فخجلت منه! فقال لي: لا تخجل فإنّ جميع ما قلته حق ولا مروّغ لأحد عمّا قلته، وأنت واحد في جماعة، ولست أول من ألّف في هذا العلم، وهو والله ممّا يحتاج الى معرفته. ولا يجهله ويهزأ به إلاّ جاهل أحمق قليل الدّراية. ولكن بقيت لنا فيه مسائل! فقلت: وما هي؟ فقال:

نريد منك أن تزيد فيه رسائل ـ أي زيادات ـ فتجعل فيه الأدوية التي اقتصرت عليها، وتكمل الحكايات من غير اختصار، وتجعل أسباب الجماع وأسباب امتناعه. وتجعل فيه أدوية [للقوة الجنسية] وما يزيل [رائحة النساء] بحيث يكون كاملا غير مختصر من شيء فان ألفته نلت المراد. فقلت له:

كل ما ذكرت ليس بصعب إن شاء اللّه فشرعت عند ذلك بتأليفه مستعينا باللّه ومصلّيا على سيّدنا محمّد صلّى اللّه عليه وسلّم تسليما. وسمّيته: الروض العاطر في نزهة الخاطر والله الموفّق للصّواب. ولا ربّ غيره ولا خير الا خيره. نسأله التوفيق والهداية لأقوم طريق. ولا حول ولا قوّة الاّ باللّه العليّ العظيم.

ورتّبته على واحد وعشرين بابا، ليسهل على الطّالب قراءته والحاجة التي يطلبها. وجعلت لكلّ باب ما يليق به من منافع وأدوية وحكايات ومكائد، وإنّي أردت لهذا الكتاب أن يحيّر العرب والعجم. فإذا قرأه العرب سرح بهم عنوانه الى خلاف مضمونه. واذا خطر للأعاجم أن يترجموه ضلوا في حدائقه ورياضه وبساتينه. حتى اذا وقع في أيدي المتعاجمين في شكله الأعجمي فغروا أفواههم من الدهش.

المصدر : الروض العاطر : ص 87 ـ 88

2 ـ قصة زواج مسيلمة الكذّاب وسجاح الكاهنة

حُكِي والله أعلم أنّ مسيلمة بن قيس الكذّاب لعنه الله ادّعى النبوّة على عهد رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ هو وجماعة من العرب فأهلكهم الله جميعا، وكان مسيلمة [قد] عارض القرآن كذبا وزورا. فالسّورة التي كان ينزل بها جبريل على النّبيّ يأتي بها المنافقون اليه، فيقول: وأنا أيضا أتاني جبريل بسورة مثلها. فكان ممّا عارض به سورة الفيل فقال لعنة الله عليه :

«الفيل وما أدراك ما الفيل. له ذنب وذيل وخرطوم طويل. ان هذا من خلق ربّنا الجليل».

ومما عارض به أيضا سورة الكوثر:

«إنّا أعطيناك الجماهر، فاختر لنفسك وبادر، واحذر من أن تكاثر، ولا تطع كل ساحر». وفعل ذلك في سورتين كذبا وزورا.

وكان ممّا يعارض به أيضا اذا سمع النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ وضع يده على رأس أقرع فنبت شعره. وتفل في بئر فكثر ماؤه. ووضع يده على رأس صبي فقال : عش قرنا فعاش ذلك الصبي مائة عام.

فكان قوم مسيلمة اذا شاهدوا ذلك يأتون الى مسيلمة ويقولون له: ألا ترى

ما فعل محمد! فيقول لهم: أنا أفعل لكم أكثر من ذلك فكان عدوّ اللّه اذا وضع يده على رأس من كان شعره قليلا يرجع أقرع في حينه. واذا تفل في بئر كان ماؤه قليلا نضب ماؤه. أو كان حلوا رجع ماؤه مرًا بإذن اللّه. واذا تفل في عين أرمد كفّ بصره لحينه.

وإذا وضع يده على رأس صبيّ وقال (له): عش قرنا مات في وقته!

وكانت على عهده امرأة من بني تميم يقال هلا سجاح التّميميّة ادعت النّبوّة وسمعت به وسمع بها. وكان في عسكر عظيم من بني تميم. فقالت لقومها: النبوّة لا تتّفق بين اثنين، إمّا أن يكون هو نبيّ وأتبعه أنا وقومي. وإمّا أن أكون أنا ويتبعني هو وقومه! وذلك بعد وفاة النّبيّ ـ صلّى اللهّ عليه وسلّم ـ فأرسلت اليه كتابا تقول فيه: «أما بعد فان النّبوّة لا تتّفق بين اثنين في زمن واحد. ولكن نجتمع ونتناظر في ملإ من قومي وقومك، ونتدارس ما أنزل الله علينا فالذي على الحق تتبعه». ثم ختمته وأعطته للرسول وقالت له: سر بهذا الكتاب لليمامة ومكّنه لمسيلمة بن قيس وأنا أسير بإثرك في الجيوش، فسار ذلك الرّسول فلمّا كان بعد يوم وليلة ركبت مع قومها وسارت في أثره. فلمّا وصل الرّسول الى مسيلمة سلّم عليه وناوله الكتاب ففكّه وقرأه وفهم ما فيه فحار في أمره، وجعل يستشير قومه واحدا بعد واحد، فلم ير فيهم ولا في رأيهم ما يشفي الغليل. فبينما هو كذلك حائر في أمره اذ قدم اليه شيخ كبير من بين النّاس وقال: يا مسيلمة طب نفسا وقرّ عينا فأنا أشير عليك مشورة الوالد على ولده!

قال : تكلّم فما عهدناك الاّ ناصحا. فقال له:

اذا كان صبيحة غد، اضرب خارج بلادك قبّة من الدّيباج الملوّن، وافرشها بأنواع الحرير، وانضحها نضحا عجيبا بأنواع المياه المسكّة، مثل: الورد، والزّهر، والنّسرين، والقرنفل، والبنفسج وغيره فاذا فعلت ذلك فأدخل تحت المباخر المذهّبة بأنواع الطّيب مثل: عود الأقمار، والعنبر الخام، والعود الرّطب، والمسك، وغير ذلك من أنواع الطّيب. [واسدل] أطناب القبّة حتّى لا يخرج منها

شيء من ذلك البخور. وارسل لها واجتمع بها في تلك القبّة أنت وهي لا غير. فاذا اجتمعت بها وشمّت تلك الرّائحة وارتخى منها كلّ عضو، وتبقى مدهوشة فاذا رأيتها في تلك الحالة راودها على نفسها فإنّها تطيعك فاذا [نجحت...] نجوت من شرّها وشرّ قومها. فقال مسيلمة: أحسنت واللّه نعم المشورة هذه. ثم إنّه فعل لها جميع ما قاله ذلك الشّيخ، فلمّا قدمت عليه أمرها بالدّخول الى القبّة فدخلت واختلى بها، وطاب حديثهما، فكان مسيلمة يحدّثها وهي داهشة باهتة، فلمّا رآها على تلك الحالة علم أنها اشتهت [أن يغازلها].... فعند ذلك ارتقى عليها وقضى منها حاجته. فقالت : اخطبني من عند قومي اذا أنا خرجت. ثم إنّها انصرفت والتقت بقومها فقالوا لها: ما الذي رأيت منه يا نبيّة اللّه؟ فقالت لهم: وجدته على الحقّ فاتّبعته فخطبها من قومها فأعطوها له. وطلبوا منه المهر فقال لهم (مسيلمة) تترك عليكم صلاة العصر!؟ فكان بنو تميم لا يصلون العصر الى زماننا هذا ويقولون: مهر نبيّتنا ونحن أحقّ به من غيرنا. ولم يدع النبوّة من النّساء غيرها وفي ذلك يقول القائل منهم:

أضحت نبيّتنا أنثى نطوف بها وأصبحت أنبياء النّاس ذكرانا

فأمّا مسيلمة فهلك على عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قتله زيد بن الخطاب وقيل وحشيّ واللّه أعلم أنه وحشي وفي ذلك يقول: قتلت خير النّاس في الجاهلية حمزة بن عبد المطلب، وقتلت شرّ النّاس في الاسلام مسيلمة. وأرجو اللّه أن يغفر لي هذا بهذا. أي أنّه لمّا كان في الجاهلية قتل حمزة رضي اللّه عنه، ولمّا دخل الاسلام قتل مسيلمة. وأما سجاح التميمية فإنّها تابت للّه سبحانه وتزوّجها رجل من الصّحابة رضوان اللّه عليهم أجمعين.

المصدر : الرّوض العاطر: 90ـ 92

محمّد الأبّي

(ت 828)

أبو عبد اللّه محمّد بن خلفة بن عمر الوشتاتي الأبّي، من أنجب تلامذة ابن عرفة، تكوّن في مختلف الفنون ثم اضطلع بتدريس تفسير القرآن والحديث والفقه لطلبة تونس وتولّى قضاء الوطن القبلي سنة 808. من تآليفه:

- تفسير للقرآن الكريم عن شيخه ابن عرفة : 8 أجزاء نشر منه جزآن تحقيق حسن المناعي. نشر مركز البحوث بالكلية الزيتونية 1407 / 1986.

- إكمال، إكمال المعلم في شرح صحيح مسلم: مطبوع في 8 أجزاء اقتبسنا منه نتفا تهمّ الحياة الفكرية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية بتونس نشرناها في كتابنا «في الحضارة العربية التونسية» نشر دار المعارف، سوسة 1988

- شرح لمدوّنة سحنون.

- كتاب المقاصد الحسان في معرفة ما يلزم الانسان.

1 ـ يمينا

خاطب شيخه ابن عرفة معلّقا على أبيات تائية ثلاثة قالها:

(الطويل)

يمينًا بمن أولاك أرفعَ رُتْبَةٍ
وزانَ بك الدُّنْيَا بأكملِ زينَةِ
لَمَجْلِسُكَ الأعلى كَفِيلٌ بكلِّها
على حسن ما عنها المجالِسُ ولّت
فأبقَاكَ من رقَّاكَ لِلخَلْق رحمةً
وللدِّين سيفًا قاطعا كلَّ بِدْعَةٍ

المصدر: في الحضارة العربية التونسية : ص 100 عن إكمال الإكمال : ج 4، ص 345 ـ 347

2 ـ تخميس

قال مخمّسا ابياتا لشيخه ابن عرفة:

(المتقارب)

علمتُ العلومَ وعلّمْتُهَا ونلتُ الرّيَاسةَ بلْ حُزْتُها
فَهَاكَ سنِينِيَ عَدّدْتُهَا "بلغتُ الثّمَانِينَ بل جُزْتُها
فهان على النَّفْسِ صعبُ الحِمَام"

فلم تُبْقِ لي في الورى رَغْبَةً ولا في العلى والنهى بغية
وكيف أرَجِّيهِمَا لحظةً "وآحادُ عصري مَضَوْا جُمْلَةً
وعادُوا خَيَالاً كَطَيْفِ المنام"

ونــادى الــرَّدَى ومالي مُغِيــث وحَــثَّ المَطِيَّــةَ كُــلَّ الحَثِيث
وإِنِّــي لــرَاجٍ وحُبِّي أثيــث "وأرجــو بِهِ نَيْلَ صَدْرِ الحَديــث
بحبِّ اللِّقَاءِ وكُرْهِ المُقَام"

فيــا رَبِّ حقِّــقْ رَجَــاءَ الذَّلِيل لِيَحْظَــى بِدَارِكَ عَمَّــا قَلِيــل
فيُمْسِــى رجائــي بِمَوْتِي كَفِيل "وكانــت حياتِــي بلُطْــفٍ جَميل
لسبق دعاء أبي في المقام"

المصدر : البستان: ص 198، تاريخ الدولتين: ص 120 ـ 121 (وهنا نسب التخميس للرملي)

3 ـ أيا طالبيّ العلم

قال يمدح شيخه ابن عرفة :

(الطويل)

أَيَا طَالِبِــيَّ العِلْمَ يَبْغُونَ حِفْظَه هَلُمُّــوا فَــإِنَّ العِلْمَ هَانَتْ سَبِيلُهُ
فَهَــذَا هُدِيتُمْ لِلصَّوَابِ ابنُ عَرْفَــة أَتَاكُــمْ بِوَضْعٍ لَمْ يُشَاهَــدْ مَثِيلُــهُ
فَدُونَكُــمُ مُغْــنٍ عَنْ الكُتْبِ كُلِّهَــا وَإِنْ قَــلَّ حَجْمًــا وَالعيان دَلِيلُهُ
وَحَــلَّ مِنَ التَّحْقِيــقِ أَرْفَعَ رُتْبَــةٍ وَهَــذَّبَ مَبْنَــاهُ فَصَحَّــتْ نُقُولُهُ
وَأَحْكَــمَ مِنْ كُـلِّ الحَقَائِقِ رَسْمَهَــا فَلاَ خَلَــلٌ يُخْشَــى لَدَيْــهِ حُلُولُه
وَرَدَّ مِــنَ التَّخْرِيــجِ وَالنَّقْلِ وَاهِيًا وأَوْرَدَ تَنْبِيهًــا يَحِــقُّ قَبُولُــهُ
كَذَا فَلْيَكُنْ وَضْعُ التَّآلِيفِ أَوْ يُدَعْ ولاَ غَــرْوَ ذَاكَ العِلْمُ هَذَا قَلِيلُهُ
فَإِنْ جَاءَ فَرْضًا مَنْ يُرِيدُ اعْتِرَاضَهُ فَــدَعْ أَمْــرَهُ إِنَّ التَعَسُّــفَ قِيلُهُ
وَمَالنَّــاسُ إلاَّ مُضْعِــفٌ وَمُكَابِرٌ فَــذَاكَ مُقَرِّرٌ لاَ خَيْــرَ جَهْلُــه

المصدر: البستان : ص 199 وعنوان الأريب: ج 1، ص 114 ـ 115 بنقص ثلاثة أبيات.

أحمد الشمّاع

(ت 133 ت 833)

أبو العباس أحمد بن محمد الشمّاع الهنتاتي أبو المؤرخ، وكان يمدح بشعره السلطان الحفصي أبا فارس عبد العزيز. تولّى الخطابة بجامع القصبة والنظارة على القضاة والعدول كما تولّى قضاء المحلّة. له رسالة «مطالع التمام ومنجاة الخواص والعوام في ردّ القول بإباحة غرم ذوي الإجرام»

حثّ على الجهاد

قدّم المؤرخ محمد الشماع ابن الشاعر هذه الأبيات بقوله: وقد نظم الوالد ـ رحمه الله ـ قصيدة على حرف الدال عددها تسعة وخمسون بيتا في الحثّ على الجهاد قدّمها لمولانا المرحوم [1]:

(الطويل)

أوّلها:

تروحُ ليالي النَّصْر فينا وتغتدي ... بِحُرْمـــة ذي الجاهِ العظيمِ المجّد
وأشرفِ خلقِ اللَّهِ أصلاً ومَحْتدا ... وخيـــر نبيء ضمّه الحشـــر والنّدي
وأشـــرفِ مبعـــوثٍ وأكـــرمِ مُرْسَلٍ ... وأفضــــل آت بالهـــدى والمهنّـــد
فَشُدَّ مطايا العزم واقصد محمّدا ... نبيّـــك يا عبدَ العزيـــز بن أحـــمد
حَبــاك إلهُ العــرش سَعْداً مجدَّدا ... ونصـــرا علـــى مـــرّ الزّمان المجدَّد

إلى أن يقول فيها:

وأسألك اللّهمَّ ذا الطَّوْلِ آيةً ... من النَّصر يستولي على كلّ معتد
تَخُصُّ بها عَبْدَ العزيز ونجلَه ... وأعوانَهم في الحقّ من كلّ مهتد
بحرمة كهفِ العزّ والمصطفى الذي ... رفعتَ بُناه فوق كلِّ مشيّد
محمدٍ المحمودِ في كلّ مشهد ... وأصحابِه من راكعين وسُجَّد
عليه سلامُ الله ما دامت الدّنى ... وما ذُكِرَ الرَّحْمَانُ في كلّ مسجدِ

المصدر: الأدلّة البيّنة: ط 1 ، ص 147 ، 148،. ط 2 : ص 117 ـ 118.

---

(1) هو السلطان أبو فارس عبد العزيز انظر الترجمة رقم 160.

2 ـ مدح أبي فارس

قال من قصيدة في 76 بيتا يمدح الخليفة أبا فارس عبد العزيز:

(الوافر)

أيــا ذاك الإمــامُ ومــنْ إليـه ... تنــاهَى العِزُّ والشَّرَفُ الخَطِيــرُ
ومــن عَظُمــت وقائعُــه وجلّت ... صنائعُــه فتــمَّ بــه الســُّرورُ
علــى آساس مجــدك في البرايــا ... وجَــدِّك والتّقى نُصِــبَ السَّريـر
شــددتَ الملكَ بالتّقــوى فتمت ... خِصَــالُ المَجْدِ وانتظمَ النّفيـر
وشيّــدتَ المنابــرَ إذ بناهــا ... بَنُــو حَفْــصٍ فعزّ لك النّظيرُ
عُزِزْت بنُصْــرَةٍ عند الأعـادي ... ظَفِــرْت وحُــزتَ واللّهُ النَّصيرُ
عقــدتَ العزمَ في ترك الخطايـا ... فمثْلُــكَ لا يُجَــارُ ولا يَجُورُ
وأشْهَــدْتَ العبيد بذاك طُــرّاً ... فلــم يَضْرُرْكَ حاسِــد أو كفورُ
فــوفً بما عقــدتَ ولا تماطل ... فمــا تــدري متى يأتي السّفير
ولا تتبــعْ هوَى من لا يبالــي ... بما يؤذيــك فالمولــى غيــورُ
فقد وضــحَ السّبيــلُ لمن أراد ... وإنّ الحــقَّ مركبُــه يسيــرُ
وإنّ الحــقّ لا يُعتــاض عنــه ... ولا معْــه مثيــلٌ أو نفيــــرُ
حــدودُ اللّــه كافيــةٌ لزجــر ... ومــن قد قال: لا تكفــي، كفـورُ

المصدر: الأدلّة البيّنة: ط 1، ص 145 ـ 146.، ط 2 : ص 115 ـ 116

أبو القاسم بن ناجي

(ت 839)

أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التَّنُّوخي القيرواني مذيّل «معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان» وشارح رسالة ابن أبي زيد القيرواني والتهذيب للبراذعي ومختصر ابن الجلاّب. ولد بالقيروان ودرس ثم انتقل الى تونس وأخذ عن علمائها. تولّى خطابة جامع الزيتونة بالقيروان والقضاء والخطابة بجزيرة جربة ومدن عديدة بإفريقية.

1 ـ الشيخ محمد الرمّاح

قال شيخنا أبو عبد الله محمّد بن شبل الرّياحي الدّعيجي: قال لي الشّيخ أبو عبد الله محمّد الرّمّاح: لمّا كنت أقرأ بتونس قلّ ما بيدي، حتى كنت أمشي في الأزقّة برسم أن أرى ورق بقل ملقى على باب دار فأرفعه، فإذا وجدت شيئا منه أقف حتّى يتباعد من يكون هناك من المارّين وآخذه، وأعمله في محفظتي خفية من النّاس، وآتي إلى المدرسة، وأغسله في بيتي، خفية من الطّلبة، وأطبخه وأفوّحه حتى يظنّ الطّلبة المجاورون أنه لحم طبختـه فبقيت على هذا مدّة هو أكثر قوتي حتى اصفرّ لوني وتغيّر حالي، فكلّم الطّلبة الشّيخ أن يعيّن لهم واحدا يقرؤون عليه دول الميعاد فقال: انظروا فذكرت عنده، فقال: اقرأوا عليه، فصاروا يقرؤون عليّ دولهم، فنذكر لهم ما نعرفه من الأقوال. فكثر تعلّمهم واجتهادهم بسبب ذلك، فإذا سمع الشّيخ في نقلهم قولا غريبا أو مسألة غريبة يقول: من ذكر هذا؟ فنعزوه لناقله، فاستغرب نقلي وحفظي، وعلم أنّ كثرة سكوتي فيما مضى ليس هو على جهل.

فقال لي بوّاب المدرسة يوما: حاجتي بمفتاح البيت، فأعطيته له[1]وخرجت لقضاء حاجتي. واعتقادي أنه يكنس لي البيت لأنّا ألفنا منه ذلك، فلمّا قضيت حاجتي ورجعت أعطاني المفتاح فحللت البيت ودخلت، وإذا في وسط البيت ثوب وجبّة ملف[2] معلّقان في مسمار، وحرام[3] وعمامة في مسمار آخر، وكسوة أخرى مثل ذلك سواء، وقنطار سميذ ونصف قنطار فحما، أو العكس، ولحم مقطّع، ونصف لحم[4] معلّق، وعليها دراهم، وغير ذلك من حوائج البيت. فقلت: أظنّ هذا البيت ليس هو بيتي فخرجت منه وأخذت أعدّ البيوت فتحقّقت أنّه هو فقلت للبوّاب: ما هذا ؟ فقال لي: يقول لك الشّيخ: كنت أولا جاهلا بك وبحالك

---

(1) عامية: الأصل: أعطيته له.

(2) من أرفع أنواع الأنسجة الصوفية.

(3) الحرام والاحرام: الرداء وأصله ما يلبس في الإحرام بالحج أو العمرة.

(4) يعني : نصف شاة .

فلا سبيل أن تتشوّش من شيء لا من طعام ولا من غيره. فمن ذلك اليوم يا ولدي فتح اللّه عليّ بالدنيا إلى الآن.

وتمادى على تعلّم العلم وتعليمه حتى رجع الى القيروان مدرّسها ومفتيّها.

.... وقال أبو عبد الله محمد بن شبل: لما طالت حياة الشّيخ الرّمّاح وكثرت طلبته جدا أمر طلبته الكبار أن يعملوا المواعيد[5]، فامتثلوا أمره في ذلك فكان الشّيخ أبو الحسن علي العبيدلي يعمل ميعادا بكرة بزاويته المعروفة إلى الآن يقرىء فيه التّفسير والحديث والفروع، وكذلك موسى بن عيسى المناري، وأبو محمد عبد الله الحجاجي وأبو عبد الله محمد القلال. وأمر جماعة آخرين يجلسون في غير ذلك الوقت لإقراء النّحو والفرائض والحساب وغير ذلك، فكان في القيروان في زمانه بميعاده ستّة عشر ميعادا، على صفة ما ذكر. وكان المدرّسون الأوّلون يحضرون عند الشّيخ بزاويته بعد صلاة الجمعة وجلوسه للفتوى، ويذكر كلّ إنسان منهم ما أشكل عليه في ميعاده في تلك الجمعة[6] من معارضة مسألة بمسألة ليطلب الفرق بينهما ونحو ذلك، ويتكلّمون حتى يزول ما التبس على كلّ واحد منهم.

المصدر: معالم الإيمان: ج 4، ص 109 ـ 113

---

(5) المواعيد : ج ميعاد، يريد انه أذن لهم ان يجعلوا مجالس يقومون هم بالتعليم فيها.

(6) يعني بكلمة الجمعة : الأسبوع .

محمّد بن الشمّاع

(ت بعد 861)

أبو عبد اللّه محمّد بن أحمد بن محمّد الشمّاع اشتهر بكتابة "الادلّـــــة البيّـــنة النّورانية على مفاخر الدّولة الحفصية" في تاريخ بني حفص. ليس لنا أخبار عن حياته ولا عن تآليفه. يتّضح من تآليفه المذكور ميله لقطف ثمار الأدب.

الخليفة الحفصي ابو فارس عبد العزيز

في ذكر بعض صفاته الحميدة وبعض سيرته.

كان - رحمه الله - شجاعا حازما تقيّا معتقدا للصالحين من أول نشأته، موقّرا للعلماء مثبتا، ورعا، كثير الصّدقة فطنا، ذكيّا فصيحا محبّا للخير وأهله. فمن فضائله: - رحمه الله - عموم صدقته وصلته لأهل الحرمين الشريفين، ولعلماء المشرق، وصلاحه يوجّه لهم بذلك صحبة المركب الحجازي عند طلوعه على الدّوام والاستمرار.

ومن فضائله ما وظّف لأهل الاندلس من الطّعام وغيره، يوجّه لهم ذلك في كل عام اعانة لهم على عدوّ الدّين ومالهم عليه من ممارستهم مع الكفّار.

ومن حسناته خزانة الكتب المشتملة على أمّهات الدّواوين أخرجها من قصره، وجعل لها مقصورة بموضع بمجنبة الهلال من جامع الزّيتونة الاعظم. وأوقفها على طلبة العلم ينتفعون بها بالنّظر والنّسخ بشرط ألاّ يخرج منها شيء من المجنبة، خشية ضياعها. وجعل لها قومة يقومون بها في نفضها، ومناولتها للطّلبة، وردّها لمكانها بعد الفراغ منها. ووقّف لها وقتا محدودا كلّ يوم. وأوقف عليها وقفا مؤبّدا تصرف فائدته للقومة بها يكفيهم وتصرف بقيّتها في ضرورة الكتب.

ومن فضائله ملازمته لقراءة العلم بمجلسه سفرا وحضرا وتواضعه وجلوسه على الحصير حين قراءته للحديث النّبويّ.

شاهدت ذلك منه - رحمه الله - أيام حضوري مع الوالد. وكانت تصدر منه - حين القراءة - نكت تدلّ على جودة فهمه، وقوّة ذهنه. وكان هو الذي يستدعي الوالد في كثير الأوقات للقراءة، ولا سيما حين يرد عليه من يرد من فحول العلماء من الأندلس والمغرب، وكان مولعا بتمييز الرّجال، وكان يعترف للوالد بأنه حاز قصب السّبق.

ومن حسناته - رحمه الله - قطعه للقبالة التي كانت خارج باب البحر وبناؤه في موضعها موضعا الصلاة ولتدريس العلم وقراءة القرآن وسكنى الطلبة، وأوقف عليها وقفا مؤبدا، يكفيها وجعل فيها سماطا جاريا للمقيمين بها، والواردين عليها، فعمرت بذلك بسببه واستمرت عمارتها الى الآن.

ومن حسناته - رحمه الله - أن مهدت السبل وعمرت البلاد وأمنت العباد، وكان - رحمه الله - مقتصرا في ملبسه، متحريا في مطعمه ومشربه.

المصدر: الأدلّة البيّنة: ص 113 ـ 115 (ط 2).

أبو المواهب

(882 ـ 820)

محمد بن أحمد بن الحاج بن رغدان التّونسي المشهور بالمشرق بأبي المواهب، تكنية بعنوان ديوانه: "مواهب المعارف". أديب متصوّف وشاعر. ولد بتونس ونشأ بها فحفظ القرآن وأخذ مختلف العلوم على أيدى علمائها ثم رحل إلى مصر وصار فيها من أقطاب التّصوّف له مؤلفات عديدة منها:

ـ قوانين حكم الاشراق إلى كافة الصّوفية في جميع الآفاق.

ـ شرح الحكم العطائية.

ـ ديوان شعر.

ـ فرح الاسماع برخص السّماع: طبع بتونس بتحقيق محمد الشريف الرحموني، الدار العربية للكتاب، 1985.

ـ كتاب الأذكياء في أخبار الأولياء.

ـ بغية السّؤال عن مراتب أهل الكمال.

ـ سلاح الوفائية بثغر الاسكندرية.

ـ 1 ـ القانون السادس قانون المحبة

قال اللّه تعالى:" يحبهم ويحبونه" (نفحة) نظرت عين العناية لعبد سبقت له عواطف الحنان من الحنان، فدخل حضرة الامتنان بالأمان. (لمحة) لوامع حضرة السَّنَى، برقت بالأسماء الحسنى. فهل رأيت ذلك الجمال، وهل همت بالوجد بين الرجال. (نفحة) حقيقة المحبة نار تحرق الاكباد، ولوعة تنمو وتزداد.

(المنسرح)

وفي فؤاد المحبّ نارُ جوى　　　أحرُّ نارِ الجحيم أبردُها

(لمحة) يا من نظر حسن الغيد بحيها والبطاح. فغدا مفتونا بدلال تلك الملاح.

(المجتث)

جمال ليلى تجلّى　　　فاشهد وطبْ وتملاّ

(نفحة) حقيقة المحبة كتمان سر المحبوب، فيما تجلى على المحب من مشاهدة الغيوب.

(الكامل)

بالسرّ إن باحوا تَبَاح دماؤُهم　　　وكذا دماءُ البائحين تُباح

(لمحة) سرت نسمة المحبوب للمحب فطار فرحا وشوقا، فكيف به لو رأى جماله عيانا كان يموت حقا.

يا نَسْمَةً قَدْ سَرَتْ سِرّاً لَنَا سَحَراً　　　من الحبيب لنا قد أنعشت نَفَساً

كَيْفَ العقيقُ وأبياتٌ بذي سَلَمٍ　　　وَكَيْفَ خَلَّفْتَ ذَاكَ المَنْزِلَ القُدُسَا؟

(البسيط)

(نفحة) حقيقة المحبّة خلاص جوهر الرّوح من الأعراض، وفناء النفس من الحظوظ والأغراض.

(البسيط)

هم العريبُ بنجد مذ عرفتُهُم   لم يبق لي معهم مالٌ ولا نَشَبُ

(لمحة) إن شئت أن تلتذّ بلمحة شهود العيان، فتذلّل لمحبوبك في كل الأماكن والأزمان.

(الطويل)

تذلَّلْ لمن تهوى لتَكْسِبَ عِزَّةٍ   فكم عزّةٌ قد نالها المرءُ بالذّلّ

(نفحة) أعظم المحبة ما يسكّن القلب أول وهلة، وتنزعج منه جميع الخواطر بلا مهلة.

(الطويل)

أتاني هواها قبل أن أعرفَ الهوى   فصادف قلبا فارغا فتمكّنا

(لمحة) المحبّ من لا يغيره عذل الرّقيب، بل يزيده ذلك حبّاً في الحبيب.

(الطويل)

أحبُّك يا شمسَ الزّمَان وبدرَه   وإن لامني فيك السّهى والفراقدُ

(نفحة) المحبّة الحقيقية جذبة اضطرارية، غير اختيارية عند المحققين من الصوفية.

(الطويل)

وأصرف طَرْفي نحو غيركَ عامدا   على أنَّهُ بالرَّغْم نحوك راجع

(لمحة) سوق الشّوق، به تطيب المحبّة والذّوق. لهذا ترى الأشباح، تابعة للأرواح.

(الطويل)

وما زال بي شوقي اليك يقودُني يذلّل منّي كلُّ ممتنِع صَعْب
إذا كان قلبي سائرا بزمامه فكيف لجسمي بالمقام بلا قلب؟

(نفحة) اذا قوي على المحب الشوق استعرت فيه النيران، فترادفت عليه الهموم والأحزان. فاستمع قصص أخبارهم، عن أحبارهم.

(الكامل)

قُصُّوا عليَّ حديثَ من قَتَلَ الهوى إنّ التأسّي رَوْحُ كُلِّ حزين

(لمحة) روح المحبّ المشوق، كالغصن المشوق. كلّما مرت به نسمة لطيفة، أوجبت له حركة ظريفة.

(البسيط)

أهتزُّ عند تمنّي وصلها طَرَبًا وربّ أمنيةٍ أحلى من الظَّفَر

(نفحة) المحبّ أبدا يخاف فوات الوصال، وينشد لسان حاله قول من قال.

(الطويل)

وكم فرصة فاتت فأصبحت نادما تعَضُّ عليها الكفُّ أو تقرع السِّنّا

(لمحة) سمع المحب في ليلة شبه صوت محبوبة في المنام، فنهض وبادر للقيام. فإذا هو من الهيام، وغلبة الأوهام.

(الكامل)

من لم يبت والبينُ يقرعُ قلبَه لم يدرِ كيف تفتّت الأكباد

(نفحة) تفاوتت أحوال أهل الغرام، وتباينت في الحال والمقام. فالمريد صحا بعد سكره وانطوى في نشره. والمراد كلما صحا ازداد سكرا. فلذلك طاب عَرفه نشرا.

(البسيط)

صحا المريدون منها بعد ما سكروا   وللمرادين سكرٌ عندها باقي

(لمحة) اذا تراءى جمال المحبوب، من عالم الغيوب. زاد الهيام، وامتنع الكلام. إلاّ عند الشّكوى، من ألم البلوى.

(الكامل)

الحبّ مـــــا منـع الكلامَ الألسنـا   وألذُّ شكوى عاشقٍ ما أعلنا

(نفحة) حضر المحبّ مع المحبوب في المقام، فسكر سكر الهوى والمدام. فلا عجب إن غاب، واستمع وطاب.

(الكامل)

سكران سكرَ هوى وسكرَ مُدَامة   أنَّى يُفيق فتى به سكْران؟

(لمحة) دخل المحبّ ليلة حمى الحبيب، عند غفلة الواشي والرقيب. فالتذّ بسماع الخطاب، في حضرة الأحباب.

(البسيط)

يا ليلة بالحِمَى ما كان أطيبَها   من طِيبِها رقصت من تحتنا النُّجُب

(نفحة) اذا سمح الحبيب بالوصال، وآنس محبه بشهود الجمال، فذلك إذن له بالخطاب، يا من رفع له الحجاب.

(الطويل)

وعند اجتماعي بالحبيب أبثُّه   أحاديثَ لا تطوى عليها الصحائفُ

(لمحة) من لم يحصل له من المحبة، ذرة او حبة، فقد حجب من النّعيم بالياس، وليس في شيء من الناس.

(الطويل)

وما النّاس الا العاشقون ذوو الهوى   ولا خيرَ فيمن لا يحبُّ ويعشَقُ

(نفحة) تالله لا يطيق الكتمان، من قلبه بالمحبة ملآن.

(الطويل)

ومَنْ قَلْبُه مَع غَيْرِهِ كيف حَالُهُ   ومن سِرُّه في جفنه كيف يَكْتِمِ؟

(لمحة) صاحب مقام الصبر دون التصبر في المحبة ملوم، فاذا عوقب بهجر فليس بمظلوم.

(الكامل)

الصّبرُ يُحْمَدُ في المواطن كلِّها   إلا علَيــــك فَإِنَّــه مذمـــــــومُ

(نفحة) قلب المحبّ لا يرعوي عن المحبوب، واذا قال غير ذلك فهو كذوب.

(الوافر)

ألستَ وعدتَني يا قلـبُ أنّـي   إذا ما تُبْتُ عن لَيْلَى تَتُوبُ؟

فما أنا تائبٌ عن حبِّ ليلـى   فمـالَكَ كُلَّمَا ذُكِرَتْ تَـذُوبُ؟

(لمحة) من لم يفن ويمت في هوى الحبيب، لم يحصل في وصله على أوفر نصيب.

(البسيط)

فلا ينالُ حياةَ القُرْب عاشقُنا   إلا اذا صار في أعداد قتلانا

(نفحة) علامة المحبّة قيام المحبّ بأوامر محبوبه، واستحلاء ما مرّ من شؤونه وخطوبه.

(الكامل)

تعصِـي الإلَـهَ وأنـت تُظْهِرُ حبَّــه   هذا لعمـري فــي القيــاس بديــعُ

لو كــان حبُّــك صادقــا لأطعتَــه   إن المحــبَّ لمــن يحــبُّ مطيــعُ

(لمحة) حال المحبّ الصادق ينتقل ويترقّى، حين يكون بذلك من غيره أرقى.

(الوافر)

أراك تــزيد في عينــي جمــالا وأعشــق كلَّ يوم منك حـــالا
تزيـــد مَلاَحَـــةً وأزيـــد حبّــا وحالـــي فيك ينتقــل انتقــالا

(نفحة) قلب المحبّ عن محبوبه لا ينقلب بانقلاب الحبيب، وهذا هو الشّأن وضدّه الأمر العجيب.

(الكامل)

وأقول للقلــب الــذي لا ينتهــي عـــن حبّكـم أبدا ولا يتجنّــب
قد كدت أنــك لا تسميك الــورى قلْبــا لكونــك عنــه لا تتقلّــب
ولــو استطعــتُ تركتُــه وأدرتُــه عنكـــم ولكن ما لقلبـــي لولـــب

(لمحة) غلبة نار الجوى، هاجت بالهوى، فأحرقت روح المحبّ فذابت، وتدفقت من آماقه وسالت.

(الطويل)

وليس الذي يجري من العين ماؤهــا ولكنّهــا روحــي تــذوب فتقطـــر!

المصدر: كتاب قوانين حكم الإشراق: ص 2 ـ 25 .

محمّد الرّصّاع

(ت 894)

أبو عبد الله محمد بن قاسم الأنصارى الرّصاع، ولد بتلمسان وقرأ بها ثم واصل تعلّمه بتونس حيث استقر، وتولّى التّدريس والقضاء والامامة والخطابة والافتاء والتأليف. من مؤلفاته:

- الفهرست.
- شرح حدود ابن عرفة.
- تحفة الأخيار في فضل الصّلاة على النّبيّ المختار.
- تذكرة المحبّين في أسماء سيّد المرسلين.
- شرح وصيّة الظريف.
- الجمع والتّقريب في ترتيب آي مغني اللّبيب لابن هشام.
- اختصار فتح الباري في شرح صحيح البخارى.

1 ـ المولد النبوي الشّريف

من آداب المحبّ لهذا النّبيّ الشّريف أن يكون معظّما ليلة ميلاده واليوم الذي أظهر اللّه فيه العاقب لأنبيائه وهي اللّيلة الثّانية عشرة من ربيع الأول على الصّحيح ومن مذهب الجمهور. فينبغي لكلّ شائق ومحبّ أن يظهر السّرور والبشارة في تلك اللّيلة وصبيحتها ويمتّع أهله وأولاده بما أمكن اللّه لحصول بركتها ويدخل السّرور عليهم ويعلّمهم أنّه إنّما فعل ذلك محبّة لتلك اللّيلة وسرورا بها واعتناء بفضلها، ويبيّن لهم أنّها أشرف اللّيالي عند اللّه لأنّها ولد فيها رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، ويذكر لهم صفة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم وجماله وحسنه وكماله وفضائله وشمائله وكلامه وفصاحته وكرمه وجوده وخلقه وعفوه وصفحه ومعجزاته وآياته وكلّ ما يحبّبه في قلوبهم، ويعظّمه ويحفّظهم القصائد التي في مدحه والثّناء عليه، وهذا عندي وعند كلّ محبّ من حسن الرّأي والنّظر لأنّ تعليم لشيء في الصّغر كالنّقش في الحجر سيما والصّغير مولع بالإعجابات، ومعجزاته صلّى اللّه عليه وسلّم من أعجب العجائب.

وينبغي لك أن تزيّن الأولاد في ذلك اليوم بأحسن زينتهم وتدخل السّرور بما أمكن على معلّميهم، وتزيّن المكاتب بما تجوز به الزّينة شرعا وتحيي ذكره صلّى اللّه عليه وسلّم بما يحسن من الأقوال والأمداح سمعا، وتغيّر المناكر في ذلك اليوم وتظهر على الإسلام والإيمان وتبذل الجهد في رحمة أمّته عليه الصّلاة والسّلام بالصّدقة والاحسان، وتذكّر العامة بمحامد صفاته ومعجزاته وتسرد لهم ما أكرمه به مولاه وما خصّه به من آياته، وتتجمّل ذلك اليوم بما أمكن من اللّباس الحسن المأذون فيه ممّا أذن به الصّادق الأمين وتعتقد أنّه عيد أعاده اللّه على العالمين لبروز حبيبه فيه سيّد المرسلين...

وما أنكر من أنكر ما يقع في هذا الزّمان من الاجتماع في المكاتب بالاطفال إلا خيفة المناكر واختلاط النساء والرّجال، فاذا أمكن من ذلك فلا شكّ في حسن ما يفعل من الاجتماع وذكر محاسنه والصّلاة عليه صلّى اللّه عليه وسلّم في

سائر البقاع. وتحرم آلات اللّهو عند الاجتماع في هذه اللّيلة ولا يجوز تعظيم نبيّ اللّه إلاّ بما يرضيه ويرضي اللّه سبحانه بما يفعل في تلك الأيام من الأطعمة فإنّ ذلك أسلم من فساد النيّات ومن حضور الاجتماعات.

المصدر: تذكرة المحبّين في أسماء سيّد المرسلين وحبيب ربّ العالمين: مخطوط بدار الكتب الوطنية بتونس رقم 13348: ص 29 ب ـ 30 أ ـ 30 ب. وفي النّص الأصلي اخطاء عديدة صوبناها.

2 ـ أسماء المصطفى

إنّي لمّا رأيت من نفسي الاشتغال بما لا يغني من المسائل ولم أحصّل مع كثرة تعبها (على) طائل جعلت وسيلة بيني وبين سيّد الأولين والآخرين وقائد الغرّ المحجّلين ما نرجو به الرّضى والسّول، وبلوغ المأمول، في الدّنيا والدّين، وقد ألهمني اللّه منّة منه وفضلا الى شرح بعض أسماء المصطفى وما وقع من ذلك في كتاب "الشّفا"(1) وقد كنت قبل ذلك أنظرها وأتفهّمها وأتوسّل إلى اللّه في الشّدائد ببركتها.

ثم تقوّى عندي الحبّ في فهم معناها فعرض لي في هذا الوقت أن أطلب من اللّه تعالى ما نعدّه في الحياة والمعاد، وما نتّخذه عند حبيب اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم من المحبّة ونذكر حبّه في قلوب العباد، وما نرجو به من المولى العفو والغفران، وإن كنت كثير السّيئات قليل الزاد، فأردت أن أشرح أسماءه التي في كتاب "الشفا" وأذكر اشتقاقها ومعناها وأذيّل عليها ما يليق بمدلولها وما تشير اليه بفحواها، وما يصحّ للمريد أن يتخلّق به من أسماء المصطفى وما ينتهي إليه مقام الكمّل من أهل الصّدق والوفاء، وأذكر بيان كلّ اسم رأيته فيه مع ما أضيف إلى ذلك بعد كمال ما في الكتاب وشرح ما لحقته فيه من فحوى الخطاب.

المصدر: تذكرة المحبين: المصدر المذكور في النص السابق: ص 1 ب ـ 2 أ.

---

(1) للقاضي عياض.

أحمد الخلوف

(829 ـ 899)

شهاب الدّين أبو العباس أحمد بن محمّد بن عبد اللّه الحميري الخلوف الفاسي الأصل القسنطيني المولد التونسي القرار، تفوّق في الشّعر والنّثر الفنّي، كان يمدح خلفاء بني حفص وتفرّغ في آخر حياته للمديح النّبوي بقصائد طويلة منها ما يفوق 550 بيتا.

ولد بقسنطينة ثم ارتحل صغيرا مع والده الى بيت المقدس وأقام هنالك يافعا وشابا وتكون خاصة في الأدب ثمّ رجع الى تونس في حوالي الثلاثين من عمره واختصّ بالبلاط الحفصي ينظم القصائد الطوال في أبي عمرو عثمان وابنه ولي العهد محمد المسعود باللّه واشتغل كاتبا لهذا الأخير. يتّسم شعره بالغنائية وتقليب المعنى وطول النّفس. من تآليفه:

ـ ديوان في المدح في جزأين: جزء في مدح بني حفص منشور سابقا بلبنان ثم نشر بتونس وجزء في المديح النّبوي لم ينشر.

ـ مواهب البديع في علم البديع.

ـ جامع الأقوال في صيغ الأقوال.

ـ تحليل الميزان لتصحيح الاوزان.

ـ نظم المغني لابن هشام.

ـ نظم تلخيص القزويني في البلاغة.

1 ـ في شكلها اندرج الزمان

قال يمدح الخليفة أبا عمر وعثمان (ت 893 هـ) :

(الكامل)

أَذَوَابِــلٌ أَمْ قَامَــةٌ هَيْــفَــــاءُ
وَمَنَـاصِــلٌ أَمْ مُقْلَــةٌ وَطْفَـاءُ

وَخَمَــائِــلٌ مُخْضَــرَّةٌ أَمْ سَالِـفٌ
وَغَزَالَــةٌ هَاتِيــكَ أَمْ أَضْــوَاءُ

وَهِــلاَلُ أُفْــقٍ طَالِــعٌ أَمْ وَاضِحٌ
وَزُلاَلُ رِيــقٍ ذَاكَ أَمْ صَهْبَــاءُ

وَأَسَــاوِدٌ أَمْ تِلْــكَ سُــودُ ذَوَائِبٍ
وَغَزَالَــةٌ هَاتِيــكَ أَمْ أَسْمَــاءُ

خُــودٌ صَوَارِمُهَــا الجُفُونُ وَمُعْجِــزٌ
فِــي جَفْنِهَــا، إِنَّ الجُفُــونَ ظُبَاءُ

فِـي شَكْلِهَا انْدَرَجَ الزَّمَانُ، فَثَغْرُهَا
مَــعَ شَعْرِهَــا. الإِصْبَاحُ وَالإِمْسَاءُ

رَاضَعْتُهَــا ثَــدْيَ الوِصَالِ وَبَيْنَنَا
بِجَنَــى الحَدِيــثِ حَدِيقَــةٌ غَنَّـاءُ

فِي رَوْضَةٍ أَضْحَى النَّسِيمُ لِسَانَهَا
يَصِــفُ الَّــذِي أَهْدَتْ لَهُ الأَنْوَاءُ

حَيْــثُ الحِمَــى فَلَكٌ تَمُوجُ بُرُوجُهُ
وَالــزَّهْــرُ زُهْــرٌ وَالرِّيَاضُ سَمَاءُ

وَالطَّـــلُّ فِي الأَوْرَاقِ يُثْبِتُ مَا غَدَتْ
بِاللَّحْــنِ تُعْرِبُــهُ لَـــهُ الوَرْقَـاءُ

وَالأَيْـكُ تَخْفِـضُ لِلنَّسِيمِ رُؤُوسَهَا
أَدَبًـــا وَتَرْفَـــعُ سُجْفَهَـــا الظَّلْمَاءُ

وَالأُفْـــقُ أَشْـرَقَ نُـــورُهُ فَكَأَنَّمَا
غَشَّـــاهُ مِـــنْ وَجْـــهِ المَلِيكِ سَنَاءُ

مَلِــكٌ رَأَيْــتُ الشُّهــبَ ثُمَّ رَأَيْتُهُ
فَوَجَـــدْتُـــهُ جِسْمًـــا وَهُمْ أَسْمَاءُ

غَيْــثٌ يَجُــودُ لآلِ حَفْصٍ فَخْرُهُ
فَيَـــدَاهُ أَرْضٌ سَمْحَـــــةٌ وَسَمَاءُ

عَمَّـــتْ مَوَاهِبُـــهُ فَمِنْهَا لِلصَّدِيــ
قِ غِنًـــى وَمِنْهَـــا لِلعَـــدُوِّ عَنَاءُ

مَلِــكٌ لِمَـــا مَلَكَـتْ يَدَاهُ مُفَرِّقٌ
يُرْضِيـكَ مِنْــهُ الأَخْـــذُ وَالإِعْطَاءُ

وَلِـــيَ الأُمُـــورَ بِعِـزَّةٍ فَسَدَادُهَا
مِـــنْ حَزْمِـــهِ الإِحْكَامُ وَالإِمْضَاءُ

فَثَنَـــى العَــدُو إِلَيْـــهِ حكم لِوَائِهِ
فَعَـــلاَهُ فِيـــهِ الصَّعْـــدَةُ السَّمْرَاءُ

مَـــلأَ العُيُـــونَ فَمَا بِهِنَّ غَضَاضَةٌ
وَشَفَـــى الصـــدورَ فَمَـــا بِهِنَّ أَذَاءُ

يَا خَائِفًا مِنْ حَادِثِ الدَّهْرِ الَّذِي
مِنْ شَأْنِهِ الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ
لاَ تَرْهَبَنَّ دُجَى الحَنَادِسِ بَعْدَمَا
مَدَّتْ بَيَارِقَ عَدْلِهِ الأَضْوَاءُ
مَوْلاَيَ يَا عُثْمَانُ عِشْ مُتَرَقِّياً
أَدَمُ الهِلاَلِ لأَخْمَصَيْكِ حِذَاءُ
لِلَّهِ أَنْتَ صَلاَحُ أَمْرٍ فَاسِدٍ
وَضِيَاءُ خَطْبٍ قَدْ عَلاَهُ دُجَاءُ
لَمْ أَدْرِ إِذْ لَمْ تَنْسَنِي وَذَكَرْتَنِي
بِمَوَاهِبٍ سَارَتْ بِهَا الأَنْوَاءُ
أَيُّ اليَدَيْنِ أَجَلُّ عِنْدِي نِعْمَةً
ذِكْرَاكَ إِيَّايَ أَمِ الإِغْنَاءُ
فَاللَّهُ يُولِيكَ الَّذِي لَمْ يُولَهُ
بَشَرٌ وَلَمْ يَبْلُغْ رَجَاهُ مَدَاءُ
وَبَقِيتَ لِلْمُدَّاحِ يَا مَوْلاَيَ مَا
رَقَصَ القَضِيبُ وَغَنَّتِ الوَرْقَاءُ

المصدر: الديوان: ص 71 ـ 73.

2 ـ تهنئة بعيد الفطر

قال يهنّىء بعيد الفطر السلطان أبا عمرو عثمان الحفصي:

(البسيط)

تَبَسَّـــمَ النَّورُ عَنْ مَغْسُولِ لَمْيَاء
لَمَّا رأى الرَّوْضَ يَجْلُو وَجْـهَ حَسْنَاءِ
وَغَرَّدَ الطَّيْرُ فَوْقَ العُودِ مِنْ طَرَبٍ
إِذْ مَالَتِ القُضْبُ تَحْكِي رَقْصَ هَيْفَاءِ
وَكَلَّـلَ الطَّـلُ أَفْوَاهَ الأَقَاحِ فَقُلْ
يَـا حَبَّـذَا شَنَـــبٌ فِي ثَغْرِ لَمْيَاءِ
وَحَـرَّكَ الآسُ آذَانَـــا لِيُسْمِعَهَـا
لَحْـنَ الفَصِيحَيْـــنِ شُحْرُورٍ ووَرْقَاءِ
وَأَرْضَـعَ البَـانُ فِي أَجْيَادِ دَوْحَتِهِ
ضَـرْعَ النَّمِيرَيْـــنِ، أَنْهَارٍ وأَنْدَاءِ
وَأَظْهَـرَ الـوَرْدُ خَدًّا طَالَمَا كَتَبَتْ
أَيْـــدِي الكَمَـــامِ عَلَيْهَا بَابَ إِخْفَاءِ
كَأَنَّـــهُ كَـــأْسُ يَاقُـوتٍ عَلَى فَنَنٍ
مِـــنَ الزُّمُـــرُّدِ يَجْلُو تِبْرَ صَهْبَاءِ
وَنَبَّهَـــتْ أَعْيُنَ النِّسْرِينِ مِنْ سِنَةٍ
إِذْ نَـــاحَـــتِ الوُرْقُ فِي أَفْنَانِ إِلْغَاءِ
كَأَصْحُـنٍ مِنْ لُجَيْنٍ أُشْحِنَتْ ذَهَبًا
لِتَصْطَفِينَـــا بِبَيْضَـــاءٍ وَصَـفْـرَاءِ

وَصَـــوَّرَتْ شَجَـرَاتُ اليَاسَمِينِ لَنَا

بِـرُوجَ أُفْـــقٍ أَقَلَّــتْ شُهْبَ إِصْغَاءِ

أَوْ لُجَّــةً بِلُجَيْـنِ المَوْجِ تُرْقَمُ أَوْ

قِبَـــابَ بَشْـــمٍ عَلاَهَا دُرُّ حَصْبَاءِ[1]

أَوْ مَـــرْطَ خَـــزٍّ بِبِلُّوْرٍ تَرَصَّعَ أَوْ

شُبَّـــاكَ دُرٍّ عَلَـــى غَضْرَاءِ خَضْرَاءِ

كَـأَنَّ مَا اخْضَرَّ مِنْ مُبْيَضِّ ظَاهِرِهَا

تَأْثِيـــرُ عَـضٍّ بَدَا فِي خَدِّ عَذْرَاءِ

وَحَـدَّقَ النَّرْجَـسُ المَبْهُـوت نَاظِره

لِيَحْــرُسَ الـــوَرْدَ مِنْ أَلْحَاظِ عَيْنَاءِ

كَـكُوبِ دُرٍّ تَغَشَّــاهُ النُّضَارُ عَلَى

قُضْـبِ الزَّبَرْجَدِ، يُبْدِي لَحْظَ شَهْلاَءِ

وَلِلقَرنْفُـــلِ رَاحَـــاتٌ مُخَضَّبَـــةٌ

عَلَـــى مَعَاصِمَ خُضْرٍ فِتْنَةِ الرَّائِي

كَأَنْجُمٍ مِنْ عَقِيقٍ فِي ذُرَى فَلَكٍ

مِـــنَ الزُّجَاجِ أَرَتْ أَشْطَانَ لَأْلاَءِ

وَقَدْ جَرَى النُّهْرُ فِي أُخْدُودِهِ عَجِلاً

كَمَـا جَرَى النَّوْمُ فِي أَجْفَانِ وَطْفَاءِ

(1) البشم: حجر كريم يشبه الزبرجد، لكنه أصفى منه.

كَأَنَّمَـا النُّـورُ مَنْشُوراً بِصَفْحَتِهِ
جَوَاهِـرَ نُظِّمَـتْ فِي جِيدِ غَيْدَاءِ
يَنْسَـابُ كَالفَجْرِ فِي مَجْرَى غَيَاهِبِهِ
وَيَلْتَـوِي كَالْتِـوَا رَقْشَـاءِ رَقْطَاءِ
وَقَـامَ لِلصُّبْحِ فِي الآفَاقِ مُنْتَصِرٌ
بِآيَـةِ النُّـورِ يَمْحُـو آيَ ظَلْمَاءِ
فَظَلَّ يَنْعَى الدُّجَى فِي لَيْلِ مُحْتَطِبٍ
بِحُلَّـةٍ مِـنْ سَـوَادِ الرِّيشِ دَكْنَاءِ
كَرَاهِـبٍ فِـي أَعَالِي الدَّيرِ مُجْتَهِدٍ
بِقَـرْعِ نَاقُوسِـهِ فِي جُنْحِ دَهْمَاءِ
كَأَنَّمَـا صَوْتُـهُ إِذْ نَاحَ صَوْتُ شَجٍ
مُتَيَّـمٍ لِفِـرَاقِ الأَهْـلِ بَكَّـاءِ
أَحْنَـتْ لِتَغْرِيـدِهِ أَهْدَابُ مُقْلَتِهِ
فَخِلْتُـهُ أُذُنَـا تُصْغِـي لِأَنْبَاءِ
وَالجَـوُّ شَمَّرَ أَفْرَاسَ الرِّيَاحِ، فَمَا
أَجْـرَى سَوَابِقَهَـا فِـي حَلْبَةِ المَاءِ
وَزَاجِـرُ الرَّعْدِ يَحْـدُو نُجْبَ سَارِيَةٍ
بِسَـوْطِ بَرْقٍ إِلَى فَيْحَاءَ زَهْرَاءِ
وَالغُـدْرُ جَعَّدَهَا كَفُّ النَّسِيمِ كَمَا
تَجَعَّـدَتْ عِكَـنٌ فِي عِطْفِ وَطْفَاءِ

وَنَشْــــرُ طَيِّ الرُّبَى يَرْوِي التَّضَوعَ عَنْ

مَوْلَايَ عُثْمَان فِي أَنْحَاءِ أَرْجَـــــاءِ

مَـــوْلًى غَدَتْ تَحْذِفُ الأَمْوَالَ رَاحَتُهُ

حَذْفَ الإِضَافَـةِ تَنْوِينًـــا بِأَسْمَـاءِ

رَاعَـى النَّظِيرَ وَقَدْ جَازَ السُّهَى بِخُطًى

تُقْصِـي السِّمَـاكَ وَلَمْ تَعْبَأْ بِعَوَّاءِ

وَطَابَـــقَ الوَصْفَ فِيهِ كُلَّ مَنْقَبَةٍ

بِبَـثِّ مَكْرُمَـةٍ أَوْ حَسْـمِ بَلْوَاءِ

قُـلْ لِلَّـذِي قَـاسَ بِالأَنْوَاءِ نَائِلَهُ

أَخْطَـأْتَ إِذْ قِسْـتَ طُوفَانًا بِأَنْوَاءِ

قَـدْ تَوَّجَتْـهُ مَعَالِيـهِ بِتَـاجِ هُدًى

وَمَنْطَقَتْـهُ يَـدُ العَلْيَـا بِجَـوْزَاءِ

وَدَبَّجَـتْ رَاحَـةُ الحُسْنَـى لَهُ حُلَلاً

أَبْـهَى وَأَبْهَرَ مِنْ تَدْبِيجِ صَنْعَاءِ

يَسْمُـو بِكَـفٍّ عَلَى الرَّاجِينَ حَانِيَةٍ

جُـودًا، وَطَرْفٍ عَلَى العَلْيَاءِ رَنَّاءِ

بِـهِ اسْتَقَـرَّتْ هِضَابُ المُلْكِ وَاتَّسَعَتْ

أَفْنَانُـهُ فِـي رُبَـى عِزٍّ وَعَلْيَاءِ

ذُو الجُودِ وَالبَأْسِ فِي يَوْمَيْ نَدًى وَرَدًى

كَالغَيْـمِ يَهْمِـي بِضَـرَّاءٍ وَسَرَّاءِ

سَهْلُ السَّمَاحِ أَسِيلٌ فِي حَمَاسَتِهِ
كَالعُودِ يَجْمَعُ بَيْنَ النَّــــارِ وَالمَــاءِ
فِي كَفِّهِ قَلَمٌ، فَصلُ الخِطَابِ غَدَا
مُبَرَّأً مِنْ خَنَـــا غَـــيٍّ وَفَحْشَاءِ
يُلْقِي عَلَى الطِّرْسِ أَشْيَــاءً مُغَيَّبَةً
كَأَنَّـــهُ قَــدْ تَلَقَّاهَـــــا بِإِيحَــاءِ
يَمُصُّ رِيقَــةَ ثَغْــرِ النُّونِ مِنْ ظَمَإٍ
كَأَنَّمَـــا هُـــوَ مَــــوْسُومٌ بِحَلْوَاءِ
إِنْ جَـــادَ أَغْنَى بِجُودٍ غَيْرِ مُمْتَنِعٍ
أَوْ قَـــالَ أَبْـــدَى مَقَالاً غَيْرَ خَطَّاءِ
طَابَتْ بِفَحْوَاهُ أَفْوَاهُ الرُّوَاةِ، فَمَا
عَـرْفُ القَرَنْفُلِ أَوْ عَرْفُ الخُزَامَاءِ؟
مُرَفَّـــعٌ عَـــنْ شَبِيـــهٍ فِي خَلاَئِقِهِ
إِذْ عَنْـــهُ قَدْ عَقِمَتْ أَرْحَامُ حَوَّاءِ
إِذَا انْتَضَـــى سَيْفَهُ وَالنَّقْعُ مُرْتَكِمٌ
فَالصُّبْـــحُ يَطْلَعُ فِي دَيْجُورِ لَيْلاَءِ
وَإِنْ دَجَــى لَيْلُ خَطْبِ الحَادِثَاتِ وَلَمْ
تَبْــدُ بِآفَاقِـــهِ أَضْـــوَاءُ لأْلاَءِ
أَضَـــاءَهُ بِشِهَـــابٍ مِـــنْ عَزِيمَتِهِ
وَوَاضِـــحٍ مِـنْ سَدِيدِ الرَّأْيِ وَضَّاءِ

مُظَفَّـــرٌ بِحُسَـــامٍ فِي الوَغَى دَلِقٍ[2]
مُؤَيَّـــدٌ بِيَـــدٍ فِـــي السِّلْمِ بَيْضَاءِ
يَـرَى صَلِيـــلَ الظُّبَى وَالخَيْلُ صَاهِلَةٌ
أَشْهَـى وأَطْيَبَ مِنْ عُودٍ وَمِنْ نَاءِ[3]
ثَبْـتُ الجَنَـانِ إِذَا هَبَّتْ رِيَاحُ وَغَى
يُـذْرِي الكُمَـــاةَ بِأَهْـوَالٍ وَأَهْوَاءِ
كَـأَنَّ أَسْيَافَــهُ فِــي النَّقْعِ إِذْ لَمَعَتْ
أَشِعَّـــةُ البَـرْقِ فِـي أَكْنَافِ وَطْفَاءِ
إِنِ انْتَضَتْهَـــا أَكُـفُّ الضَّارِبِينَ بِهَا
تَظُنُّهَـــا خُلُجَـــا سَابَـــتْ بِبَطْحَاءِ
قَوَاضِـــبٌ خَطَبَـــتْ بِالنَّصْرِ أَلْسُنُهَا
عَلَـــى مَنَابِـــرِ أَعْنَـاقٍ وَأَعْضَاءِ
بِيضٌ بِأَيْدِي وُلَاةِ الصِّدْقِ قَدْ حَصَدَتْ
زَرْعَ الغِوَايَـــةِ مِـــنْ هَامَاتِ أَعْدَاءِ
طَلْـــقُ الجَبِـــينِ نَدِيُّ الكَفِّ تَحْسَبُهُ
كَالزُّهْرِ فِي الأُفْقِ أَوْ كَالزَّهْرِ فِي المَاءِ
فَلَيْـــسَ يَنْفَـكُّ مِـــنْ جُـودٍ وَمِنْ أَمَلٍ
مُكَـــرَّرًا بَيْـــنَ إِصْبَاحٍ وَإِمْسَاءِ

---

(2) الدَّلق: السيف السلس الخروج من الغمد .

(3) الناء: يعني به الناي.

مِـــنْ مَعْشَرٍ أَوْقَدَ الرَّحْمَنُ نُورَهُمُ
فَكَيْــفَ يَطْمَـــعُ شَانِيهِـمْ بِإِطْفَاءِ
هُـــمُ هُـــمُ القَوْمُ شَدَّ اللَّهُ وَطْأَتَهُمْ
عَلَـــى العِـــدَاةِ بِبَتَّـــارٍ وَسَمْــرَاءِ
بِـــأَوَّلِ الأَمْـــرِ مِنْهُـــمْ أَوْ بِآخِرِهِمْ
بَرَاهُـــمُ اللَّـــهُ أَنْـــوَاراً لِظَلْمَـــاءِ
قَــوْمٌ إِلَـــى عُمَرَ الفَارُوقِ نِسْبَتُهُمْ
لِـــذَاكَ عَـــزُّوا بِأَلْقَابٍ وَأَسْمَاءِ[4]
شَـــرَوْا بِأَرْوَاحِهِـــمْ فِـــي اللَّهِ جَنَّتَهُ
فَاسْتَوْجَبُـــوا رِبْحَ إِخْلَاصٍ بِإِغْلَاءِ[5]
لاَ يَرْتَجُـــونَ سِوَى نَصْرِ الإِلَهِ وَلاَ
يَخْشَـــوْنَ إِنْ أَزْمَعُوا تَهْوِيلَ شَنَّاءِ
كَأَنَّهُـــمْ، وَعُيُـــونُ اللَّـــهِ تَكْلَؤُهُـــمْ
أَقْمَـــارُ دَاجِيَـــةٍ أَوْ صِيـــدُ هَيْجَاءِ
يَؤُمُّهُـــمْ فِـــي صَلاَةِ النَّصْرِ أَعْلَمُهُمْ
بِالفَتْـــحِ وَالنَّصْرِ فِي خَتْمٍ وَإِبْدَاءِ
هِــزَبْـــرُ حَــرْبٍ يَصُونُ المُلْكَ مُرْهَفُهُ
وَرُبَّ كَنْـــزٍ غَـــداً يُحْمَـــى بِرَقْشَاءِ

---

(4) يشير إلى ادعاء الحفصين الانتساب إلى عمر بن الخطاب، وسوف يكرر هذا الادعاء في أغلب مدائحه.

(5) في البيت تلميح إلى الآية: إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنّة (التوبة 111) .

يَــا مَالِكَــا أيِّــدَتْ تَصْوِيرَ مَنْطِقِهِ

عِنْــدَ القِيَــاسِ بَرَاهِيــنُ الأَدِلاَّءِ

رَفَعْــتُ جُمْلَةَ نَظْمٍ فِيكَ مَا انْخَفَضَتْ

بِحَــرْفِ مِيــمٍ وَلاَ دَالٍ وَلاَ حَاءِ[6]

فَلْتَهْــنَ بِالعِيدِ، عِيدِ الفِطْرِ إِذْ طَلَعَتْ

نُجُــومُ إِسْعَــادِهِ فِــي أُفُقٍ بِشْرَاءِ

هِــلاَلُ شَــوَّالِــهِ حَيَّاكَ مُبْتَسِماً

كَالــلاَّمِ لِلــدَّالِ أَوْ كَالنُّــونِ لِلرَّاءِ

فَاهْنَــأْ بِــهِ، وَبِأَضْعَافٍ تَعِيشُ بِهَا

فِــي طِيــبِ عَيْشٍ وَإِجْلاَلٍ وَنَعْمَاءِ

وَهَــاكَ عَذْرَاءَ نَظْمٍ قَدْ زَفَفْتُ بِهَا

لِخَيْــرِ بَعْــلٍ يُــرَى مِنْ خَيْرِ أَكْفَاءِ

جَلَّتْ عَنِ الوَصْفِ إِذْ جَلَّتْ صِنَاعَتُهَا

عَــنْ قُبْــحِ خَرْمٍ وَإِقْــوَاءٍ وَإِيــطَــاءِ[7]

---

(6) ميم ودال وحاء أي مدح، أي أنّ شعره ارتفع وتشرّف بمدحه.

(7) الخرم والقواء والايطاء، من عيوب الشعر. فالخرم هو حذف حرف من أول الابحر المبدوءة بأحد الأصول الثلاثة وهي فعولن ومفاعيلن ومفاعلتن المبدوءة بوتد مجموع. ويكون الخرم بحذف أول حرف من أول جزء من البيت، فتصبح "فعولن" مثلا عولن، وتنقل إلى "فعلن".

والإيطاء هو من عيوب القافية، ويتمثل في تكرار كلمة الروي لفظا ومعنى في أقل من سبعة أبيات على المشهور، وأفحشه ما كان في بيتين متواليتين وأما الاقواء فهو اختلاف روي البيت على روي سابقه أو لاحقه، كأن تكون القصيدة على حرف مضموم، فيؤتى به مكسورا.

إِنْ لَمْ تَكُنْ صَنْعَةُ الأَعْشَى فَصَانِعُهَا

يَرْوِي عَن ابن هلال شمــس لألاءِ[8]

يُنْسِيكَ ثَغْرُ أَقَاحِيهَا إِذَا ابْتَسَمَتْ

كَمْ مُقْلَةِ لِلشَّقِيقِ الغَضِّ رَمْدَاءِ

لاَ زِلْتَ كَالنَّجْمِ فِي سَعْدِ وَفِي شَرَفِ

تُنْشِي الجَمِيلَ وَتُنْسِي "حاتم الطائي"[9]

مَا رَقْرَقَ القَطْرُ فِي الأَغْصَانِ أَدْمُعَهُ

وَمَا رَنَا الـزَّهْـرُ عَنْ أَجْفَانِ وَطْفَاءِ

المصدر: الديوان . ص 78 ـ 85

3. تذكر الحبيب

(الكامل)

ذَكَــرَ الفُــؤَادُ حَبِيبَـــهُ فَـارْتَاحَا

وَأَهَاجَـــهُ نَــوْحُ الحَمَـــامِ فَنَاحَا

وَأَعَـارَهُ البَــرْقُ الخَفُوقُ طُرُوبَهُ

فَلِـذَاكَ طَـارَ وَمَا اسْتَعَارَ جَنَاحَا

وَأَمَـــدَّهُ صَـــوْبُ الغَمَـــامِ كَأَنَّـهُ

أَنْشَـا بِقَلْـبِ الخَـافِقَيْـنِ رِيَاحَا

---

(8) الاعشى، يريد به أعشى قيس، شاعر جاهلي ادرك الاسلام ولم يسلم. وكان يلقب بصناجة العرب لتمكنه من صنعة الشعر ولمتانة بنائه وجمال أسلوبه توفي سنة 629/7 وابن هلال لعله يريد به أبا هلال العسكري صاحب كتاب "الصناعتين".

(9) حاتم الطائي: يضرب به المثل في الكرم عند العرب، كان من أهل نجد ومن فرسان الجاهلية وشعرائها، أرخت وفاته في السنة الثامنة بعد مولد النبي، أي 578م.

وَأَضَلَّـــهُ هَدْيُ النُّجُـــومِ عَشِيَّةً

وَأَعَلَّـــهُ بُـــرْءُ النَّسِيـــمِ صَبَاحَـا

وَصَـــغَى لِتَغْرِيـــدِ الحَمَـــامِ فَهَاجَهُ

بَـــرْقٌ بِأَكْنَـــافِ الأُبَيْـــرِقِ لاَحَا

وَأَعَـــادَ مِـــنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ مَوْقِفًا

أَضْنَـــى الجُسُومَ وَأَنْعَشَ الأَرْوَاحَا

هَـــلاَّ نَهَـــاهُ نُهَاهُ عَنْ ذِكْرِ الهَوَى

فَأَرَاحَ مِـــنْ قَـــوْلِ العَذُولِ وَرَاحَا

يَـــا عَـــاذِلِـي، لاَ ذُقْتَ مَا أَنَا ذَائِقٌ

مِـــنْ حُـــزْنِ قَلْبٍ لاَزَمَ الأَتْرَاحَا

وَعَدَتْـــكَ أَشْجَـــانُ الهَوَى وَشُؤُونُهُ

وَعَـــدِمْـــتَ رُشْـــدًا بَعْـــدَهُ وَفَلاَحَا

أَتَظُـــنُّ أَنَّ العَـــذْلَ يَنْفَعُ مَنْ يَرَى

أَنْ لاَ يَـــرَى لِفَسَـــادِهِ إِصْلاَحَا

هَـــبْ أَنَّ عَذْلَـكَ مُؤْذِنٌ بِنَصِيحَةٍ

أَرَأَيْـــتَ صَبًّـــا يَأْلَـــفُ النُّصَّاحَا

فَـــدَعِ التَّعَتُّبَ وَاطَّرِحْ نُصْحِي فَمَا

كُلِّفْـــتَ لِـــي الإِسْعَـــادَ وَالإِفْلاَحَا

وَبِمُهْجَتِـــي تَغْرِيـــدُ قُمْـــرِيٍّ حَكَى

ثَكْـــلاَءَ أَيْقَظَـــتِ النِّيَـــامَ صِيَاحَـا

فِــي رَوْضَــةٍ حَاكَ الرَّبِيعُ لِخُودِهَا

حلـــلا وصـــاغ لهـــا الخليج وشاحا

وَأَعَارَهَـــا الاصبَـــاحُ بَهْجَتَهُ، كَذَا

تلقـــى بهـــا غِيـدَ الزُّهــور صِباحَا

قَـــدْ مِسْنَ قُضْبًا، وَابْتَهَجْنَ شَقَائِقًا

وسفـرن وردا وابتسمـــن أقاحــا

وَتَبَسَّمَـــتْ أَزْهَـــارُهَـــا لَمَّـــا جَرَى

دمـــع الغمام على البطاح وساحا

وَتَمَايَلَـــتْ أَغْصَـــانُهَـــا طَرَبًـــا كَمَا

مالـــت زنـــوجٌ قـــد سُقِـــينَ الرّاحا

المصدر: الديوان: ص 274 ـ 276.

4- على وجنتيها الورد

(الطويل)

عَلَى وَجْنَتَيْهَا الوَرْدُ إِنْ فُقِدَ الوَرْدُ

وَفِي ثَغْرِهَا الصَّهْبَاءُ مَازَجَهَا الشَّهْدُ

وَلَوْلاَ الهَوَى مَا حَلَّ أَحْمَدُ رِيقَهَا

وَمَنْ حَرَّمَ السَّلْسَالَ خَالَطَهُ النَّدُّ؟

وَلَمَّا سَقَتْنِيهِ حُدِدْتُ بِلَحْظِهَا

وَمَنْ يَشْرَب الصَّهْبَاءَ يَلْزَمْهُ الحَدُّ

وَأُقْسِمُ لَوْلاَ عَقْرَبُ الصُّدْغِ رَاعَنِي
لَمَا كَانَ لِي مِنْ لَثْمِ وَجْنَتِهَا بُدُّ
أَضَلَّتْ رَشَادِي فِي الهَوَى بِسُؤَالِهَا
أغَارُ عَلَيْهَا إِذْ تَحَمَّلَهَا الخَدُّ
تَثَنَّتْ فَحَارَ الفَهْمُ فِي وَصْفِ حُسْنِهَا
وَقَدْ يَتَثَنَّى الغُصْنُ لِأَنَّهُ فَرْدُ
وَمَا هِيَ إِلاَّ الشَّمْسُ أَنْكَرَ ضَوْءَهَا
وُشَاةٌ، إِذَا لاَحَتْ، لَهُمْ أَعْيُنٌ رُمْدُ
تَنَاسَبَتِ الأَفْعَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
عَلَى أَنَّهَا فِي الحُسْنِ لَيْسَ لَهَا نِدُّ
فَقَلْبِي وَقُرْطَاهَا وَصَبْرِي وَخِصْرُهَا
وَوَجْدِي وَرِدْفَاهَا وَدَمْعِيَ وَالعِقْدُ
جَحَدْتُ هَوَاهَا خِيفَةً مِنْ صُدُودِهَا
وَمَاذَا عَسَى يُغْنِي مُتَيَّمَهَا الجَحْدُ
وَمُذْ هَجَرَتْنِي وَاصَلَ السُّهْدُ مُقْلَتِي
فَنَوْمِي وَصُبْحِي لَيْسَ لِي بِهِمَا عَهْدُ
وَمَا قَطَعَ الطَّيْفُ الزِّيَارَةَ عَنْ قِلًى
وَلَكِنَّ جَفْنِـي لاَ يُفَارِقُـهُ السُّهْدُ
سُهَادِي بِهَا أَحْلَى لَدَيَّ مِنَ الكَرَى
وَأَوْقَـدُ مَا أَلْقَـاهُ فِـي حُبِّهَـا بَرْدُ

المصدر: *الدّيوان: ص 277 ـ 278.*

5 ـ رثاء ابنه محمد

(البسيط)

أَصَبْــتَ عَيْنَ المَهَا يَا مَوْتُ بِالرَّمَدِ
وَقَدْ أَهَضْتَ جَنَاحَ المَجْدِ، فَاتَّئِدِ

جَدَعْتَ مَارِنِيَ الأَقْنَى، وَعَنْ غَرَضٍ
رَمَيْتَ جَفْنِيَ بَعْدَ المَوْتِ بِالسَّهَدِ[1]

هَدَمْــتَ مَا شِيـدَ مِنْ رُكْنِ الفَخَارِ وَلَمْ
تَتْرُكْ لَهُ أَبَدًا بَادٍ إِلَى الأَبَدِ

نَاجَزْتَ فِي صَرْفِ آجَالٍ قَدِ اقْتَرَبَتْ
إِذْ لاَ تُسَلِّمُهَا إِلاَّ يَدًا بِيَدِ

كَمْ زِدْتَ فِي نَقْصِكَ العلْيَا جَوَى كَبِـدٍ
حَرَّى، فَيَالَيْتَ لَمْ تُنْقِصْ وَلَمْ تَزِدِ

وَكَمْ تَرَكْتَ رُبُوعًا لَيْسَ يَعْمُرُهَا
سِوَى الحِدَايَةِ وَالخُطَّافِ وَالصُّرَدِ[2]

وَكَمْ قَطَعْتَ غُصُونًا، غَيْرَةً، فَذَوَتْ
كَأَنَّكَ القَلْبُ مَجْبُولٌ عَلَى الحَسَدِ

وَكَمْ أَخَذْتَ حَلِيفًا لِلسَّخَاءِ، وَكَمْ
تَرَكْتَ زَنْدَ النَّدَى كَفًّا بِلاَ عَضُدِ

---

(1) المارن: طرف الأنف.

(2) الحداية، طائر من الجوارح، وهي عامية، فصيحها الحدأة. والصرد طائر ضخم الرأس.

وَكَمْ تَرَكْتَ أَبًا يَبْكِي عَلَى وَلَدٍ
أَذَقْتَهُ طَعْمَ ثُكْلِ الأُمِّ لِلْوَلَدِ
وَكَمْ لُحُودِ قُبُورٍ قَدْ نَثَرْتَ بِهَا
أَعْضَاءَ حُسْنٍ كَمِثْلِ الجَوْهَرِ النَّضِدِ
وَكَمْ تَوَسَّدْتَهَا رَأْسًا بِلاَ عُنُقٍ
كَمَا ارْتَدَيْتَ بِهَا ثَوْبًا بِلاَ جَسَدِ
وَكَمْ تَرَكْتَ أَمِينًا غَيْرَ مُؤْتَمَنٍ
كَمَا تَرَكْتَ عِمَادًا غَيْرَ مُعْتَمَدِ
وَكَمْ تَرَقَّيْتَ مَرْقًى عَزَّ مَدْرَكُهُ
وَكَمْ تَخَلَّلْتَ حَتَّى غَابَةِ الأُسُدِ
يَا مُرْتَدٍ بِالشَّبَابِ الغَضِّ، مُنْتَشِيًا
مِنْ كَأْسِهِ، هَلْ أَحَبَّ السُّكْرَ ذُو رَشَدِ
لاَ تَغْتَرِرْ بِشَبَابٍ أَنْتَ تَهْدِمُهُ
إِنَّ المَنِيَّةَ لاَ تُبْقِي عَلَى أَحَدِ
وَيَا أَخَا الشَّيْبِ لِمْ لاَ تَنْهَ نَفْسَكَ عَنْ
مَا قَدْ جَنَتْ مِنْ فَسَادٍ جَلَّ عَنْ عَدَدِ
هَبِ الشَّبَابَ لَهُ عُذْرٌ بِصَاحِبِهِ
مَا عُذْرُ أَشْيَبَ فِي العِصْيَانِ مُنْفَرِدِ؟
لاَ تَحْسَبَنَّ سُرُورًا دَائِمًا أَبَدًا
مَنْ سَرَّهُ اليَوْمَ وَافَاهُ اكْتِئَابُ غَدِ

وَالعُمْرُ مَيْدَان سَبْقٍ وَالحِمَامُ مَدًى

وَكُلُّ جَارٍ سَيَلْقَى غَايَةَ الأَمَــدِ

يَا لَيْلَة بِاعْتِلاَجِ البَرْقِ قَدْ عَلِقَتْ

جَوزَاؤُهَا كَاعْتِلاَقِ القَلْــبِ بِالكَبِــدِ

أَبْدَيْتِ مِثْلَ الَّذِي أَدْبَــرْت مِنْ قَلَقٍ

وَلَمْ يَكُنْ بِالَّذِي أَكْمَنْتِ مِنْ كَمَـــدِ

وَكَمْ تَصَبَّرْتُ حَتَّى لاَتَ مُصْطَبَرٍ

فَالآنَ أَجْهُدُ حَتَّى لاَتَ مُجْتَهَــدِ

عِنْدِي شَوَائِبُ حُزْنٍ لَوْ رَمَيْتُ بِهَا

عِنْدَ التَّفَجُّعِ هَامَ الغَيْــث لَمْ يَجُدِ

وَحَسْـــرَةٌ جَــادَهَا دَمْعِي فَأَوْقَدَهَا

وَلَوْ عَدَتْ بِجَوَاهَا النَّجْمَ لَمْ يَقِــدِ

عُمْرِي لَقَدْ غَالَنَا الرُّزْء الَّذِي طَرَقَتْ

بِهِ اللَّيَالِي، وَجَلَّ الخَطْبُ عَنْ جَلَدِ

هِـــيَ المَقَـــادِيرُ فَاقْبَلْ مَا حَبَتْكَ بِهِ

مِنْ آجِلٍ نَضِـــــرٍ أَوْ عَاجِلٍ نَكِـــدِ

فَلِـــلأُمُـــورِ مَوَاقِيـــتٌ مُقَـــــدَّرَةٌ

مَا بَيْنَ مُنْعَكِسٍ مِنْهَا وَمُطَّرِدِ

إِنْ لَجَّ شَوْقِي فَلاَ بِـدع لِذِي عَجَبٍ

أَوْ قَلَّ صَبْرِي فَلاَ لَوْم لِذِي نَكَدِ

عَيْــنٌ مُسَهَّــدَةُ الأَجْفَــانِ أَرَّقَهَـا

نَأْيُ الحَبِيبِ، وَقَلْبٌ نَاحِلُ الجَسَدِ

لَهفِي! وهَلْ نَافعِي لَهَفِي عَلَى وَلَدٍ

إِذَا لَجَأْتُ لِصبر فِيهِ لَمْ أجِدِ

لَهفِي! وَهَلْ نَافعِي لَهْفِي عَلَى قَمَرٍ

رَمَاهُ بِالخَسْفِ نَحْسُ الطَّالِعِ النَّكِدِ

لَهفِــي ولَهـفَ بَنِي الأَيَّامِ قَاطِبَة

عَلَى محمد إِذْ وَلَّى وَلَـمْ يَعُـدِ

وَكُلّ عَيْنٍ بِمَاءِ الدَّمْعِ فِي غَرَقٍ

وَكُلُّ قَلْبٍ بِنَارِ الشَّوْقِ مُتَّقِدِ

لاَ أَعْتَبُ الزَّمَنَ المُودِي بِسَيِّدِهِ

يَكْفِيهِ مَا حَلَّ فِي أَحْشَاهُ مِنْ كَمَدِ

وَكَمْ طَلَبْتُ اللَّيَالِي أَنْ تُغَيِّبَهُ

عَنِ المَنَايَا، فَلَمْ تَفْعَلْ وَلَمْ تَكدِ

آهٍ لِعَطْفِ بَيَانٍ فِيهِ ذِي نَسَقٍ

قَدْ نَازَعَ القرب فِيهِ عَامِلُ البعدِ

بُنَيَّ لَيْتَكَ لَمْ تُخْلَقْ لِوَرْيٍ بِلًى

يَا لَيْتَنِي لَمْ أُسَمْ بِالصَّبْرِ عَنْ شَهَدِ

وَلَيتَ بَدْرَكَ لَمْ يَطْلُعْ عَلَى أفُقٍ

وَلَيْتَ شَمْسكَ لَمْ تُشْرِقْ عَلَى بَلَدِ

مَا كَانَ أَقْصَرَ سَاعَاتٍ بِكَ ارْتُصِدَتْ
فَلَيْتَنِي كُنْتُ مَوْقُوفًا عَلَى الرَّصَدِ
سَقَى الحَيا قَبْرَكَ الزَّاكِي وَوَاصَلَهُ
سَحَابُ عَفْوٍ وَغُفْرَانٍ مَدَى الأَبَدِ
وَصَبَّرَ اللَّهُ قَلْبَ الوَالِدَيْنِ عَلَى
مَنْ حَرَّكَ الوَجْدُ فِيهِ سَاكِنَ الجَلَدِ

المصدر: الديوان: ص 250 ـ 254

6 ـ ورود وخدود

(الوافر)

أَرَانَـــا الــوَرْدَ فِـي حُمْرِ الخُدُودِ
وَقَـــدْ حَمَلَتْـــهُ بَانَــاتُ القُـدُودِ
وَلاَحَ الجُلَّنَـــارُ بِـــوَجْـنَـتَـيْـــهِ
فَبَشَّــرَنَـــا بِرُمَّـــانِ النُّهُـــودِ
وَقَـــوَّسَ حَاجِبًـــا فَرَمَـــى سِهَامًا
تَشُـــقُّ قُلُوبَنَـــا قَبْـــلَ الجُلُــودِ
يَمِينًـــا بِالقَـــوَامِ إِذَا تَثَـنَّـــى
وَبِـــالدُّعْـــجِ المُكَحَّـــلَـــةِ الرَّقُــودِ
لَئِـــنْ قَطَـــعَ المُهَنَّـــدُ دُونَ غِمْدٍ
فَسَيْــفُ اللَّحْظِ أَقْطَعُ فِي الغُمُودِ
وَإِنْ نُسِـــبَ الجَبِـــينُ إِلَى هِلاَلٍ
فَقَـدْ نُسِـبَ العِـذَارُ إِلَـى زَرُودِ!

غَـــزَالٌ نَافِـــرٌ إِنْ رُمْـــتَ أُنْسًا
وَكَيْـــفَ الأُنْـــسُ لِلظَّبْيِ الشَّرُودِ

لَـــهُ فِـــي لَحْظِـــهِ آيَـــاتُ سِحْرٍ
تُـــرِيـــكَ الظَّـــبْـــيَ يَلْعَبُ بِالأُسُـــودِ

رَآهُ الغُصْـــنُ ثُمَّ سَهَـــا، فَلَمْ لاَ
أَتَـــى مِـــنْ بَعْدِ ذَلِكَ بِالسُّجُودِ

ضَلُـلْـتُ بِلَيْـــلِ طُرَّتِـــهِ، وَلَكِـنْ
هُدِيـــتُ بِصُبْـــحِ طَالِعِهِ السَّعِيدِ

شَنِيـــبُ الثَّغْـــرِ مَعْسُـــولُ الثَّنَايَا
كَحِيـــلُ الطَّـــرْفِ وَرْدِيُّ الخُدُودِ

يُدِيـــرُ الـــرَّاحَ بِالكَاسَـــاتِ كَيْمَا
يُرِيـــكَ الشَّمْـــسَ فِي بُرْجِ السُّعُودِ

خَطَبْنَـــا بِكْرَهَـــا فِي وَقْتِ أُنْسٍ
فَهَـــلْ لَـــكَ أَنْ تَكُـــونَ مِنَ الشُّهُودِ

المصدر: الديوان: ص 288 ـ 289.

7 ـ أضرم الدمع في الحشاشة نارا

(الخفيف)

أَضْرَمَ الدَّمْعُ فِي الحُشَاشَةِ نَارَا
حِينَ قَالُوا شَطَّ الحَبِيبُ وَسَارَا

سَارَ عَنِّي، وَلَمْ أَجِدْ لِيَ صَبْرًا
كَيْفَ حَالِي! وَلَمْ أَجِدْ لِي اصطِبَارَا

طَيَّـرَ العَقْـلَ ثُـمَّ قَصَّ جَنَاحِي
وَقَصَــا مَنْــزِلاً وَشَــطَّ مَــزَارَا
وَيْــحَ قَلْبِــي، وَوَيْــحَ كُلِّ مُحِبٍّ
فَقَــدَ العَيْــنَ فَاقْـتَـفَـى الآثَــارَا
يَرْقُــبُ النَّــجْمَ فِي الظَّلاَمِ وَمَهْمَا
لَمَــعَ البَرْقُ فِي الغَمَامِ اسْتَطَارَا
وَإِذَا نَــاحَ فِــي الغُصُونِ حَمَامٌ
مَــزَّقَ القَـلْـبَ ثُـمَّ شَـقَّ الإِزَارَا
وَإِذَا زَارَ لِلأَحَبَّــةِ طَيْــفٌ
نَكَّــسَ الــرَّأْسَ ذِلَّــةً وَصَغَــارَا
لاَزَمَ السُّهْــدَ وَالأَسَــى فَلِهَــذَا
عَلَّــمَ النَّــوْحَ وَالبُكَــا الأَطْيَــارَا
فَقَــدَ الصَّــبْـرَ وَالسُّلُوَّ فَأَضْحَى
يُظْهِــرُ الحُــبَّ لَوْعَةً وَاسْتِعَارَا
وَكَسَــا جِسْمَــهُ السَّقَامُ، فَأَمْسَى
سُهْــدُ عَيْنَيْــهِ لِلْجُفُــونِ شِعَــارَا
يَــا لَقَوْمِــي! أَمَــا مَعِــينٌ مُعِينٌ
غَيْــرَ دَمْــعٍ أَفَاضَ مِنْهُ البِحَارَا
أَوْ شَقِيــقٌ يَــرِقُّ لِي، أَوْ رَفِيقٌ
يَحْفَــظُ الجَــارَ أَوْ يُرَاعِي الجِوَارَا

أَوْ صَدِيـــقٌ صَدُوقُ وَعْدٍ، يُبَارِي

نَقْــضَ عَهْــدِي وَيَكْتُمُ الأَسْرَارَا

أَوْ سَمِيرٌ يُصْغِي إِلَى شَرْحِ حَالِي

فَحَدِيثِـــي لَيُطْــرِبُ السُّمَّـــارَا

كَــانَ مَــا كَــانَ يَا فُؤَادِي فَدَعْهُ

فَالَّـــذِي كُنْتُ أَخْتَشِي مِنْهُ صَارَا

قُضِيَ الأَمْرُ، فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ،

فَلَـــكُ الوَصْـــلِ بِالقَطِيعَــةِ دَارَا

آهِ مِـــنْ فُرْقَــةٍ وَفَيْــضِ جُفُونٍ

صَيَّـــرَ الطَّــرْفَ وَالفُؤَادَ حَيَارَى

مَـــنْ نَصِيــرِي وَلَيْسَ غَيْرُ فُؤَادٍ

مَــاتَ شَوْقًــا وَمَــا دَرَى الانْتِصَارَا

وَيْـــحَ أَهْلِ الهَوَى يُرَوْنَ سُكَارَى

بِهَــوَاهِــمْ، وَمَــا هُـــمُ بِسُكَارَى

صَيَّـــرُوا الـــذُّلَّ شِرْعَـــةً لِأُنَاسٍ

أَنِفُــوا الذُّلَّ فِي الهَوَى وَالصَّــغَارَا

يَـــا قُسَــاةَ القُلُـــوبِ، رِفْقًا بِقَلْبٍ

لَـــمْ يَكُـــنْ قَطُّ يَأْلَفُ الأَحْجَارَا

قَــدْ نَسِيتُـــمْ عُهُــودَنَــا، وَفُؤَادِي

لَـــمْ يَـــزِدْهُ البِعَــــادُ إِلاَّ ادِّكَـارَا

كَـــمْ جُفُـــونٍ كَسَوْتُمُوهَـــا سُهَـادًا
وَقُلُـــوبٍ سَلَبْتُمُـــوهَـــا القَـــرَارَا
كُـــلَّ يَـــوْمٍ يَسُومُنِـــي الحُـــبُّ حَتْفًا
بِنَـــوًى شَـــبَّ فِـــي الأَضَالِعِ نَارًا
وَإِذَا مَـــا الظَّـــلَامُ جَـــنَّ رَمَانِـــي
سَهْـــمُ وَجْـــدٍ يُهَـــيِّـــجُ الافْكَارَا
طَالَ لَيْلِي، وَلَمْ يَلُحْ وَجْهُ صُبْحِي
يَـــا تُـــرَى هَـــلْ أَرَى الظَّلَامَ يُوَارَى
لَـــوْ يَكُـــونُ الصَّبَاحُ حَيًّا يُرَجَّى
لَـــمْ تَـــرَ الـــزُّهْرَ فِي السَّمَاءِ حَيَارَى!

المصدر: الديوان: ص 299 ـ 301.

8 ـ مدح أبي عمرو عثمان الحفصي
(الكامل)

حَسَـــرَ اللِّثَامَ عَنِ المُحَيَّا الأَزْهَـــرِ
فَأَبَانَ عَنْ فَلَقِ الصَّبَـــاحِ المُسْفِرِ
وَرَنَـــا بِأَحْـــوَرِ لَحْظِهِ لَمَّا انْثَنَى
فَرَأَيْتُ أَبْيَضَ يُنْتَضَى مِنْ أَسْمَرِ
وَاخْضَـــرَّ آسُ عِـــذَارِ وَرْدَةِ خَدِّهِ
فَحَمَـــاهُ سَالِفُـــهُ بِعَقْـــرَبِ عَنْبَـــرِ

وَرَوَى "مُبَـــرِّدُ" رِيـــقِ مَبْسَمِــــهِ لَنَا
عِقْدَ الجَوَاهِرِ عَنْ صِحَاحِ "الجَوْهَرِي"
قَمَــرٌ أَبَانَـــتْ وجْنَتَــاهُ شَقَائِقًــا
نُعْمَانُهَـــا بِالمَنْـــعِ أَصْبَـــحَ مُنْــذِرِي
أَصْــلُ المَلاَحَـــةِ فِيـــهِ فَرْعٌ أَسْحَمٌ
قَامَــــتْ أَدِلَّـــتُـــهُ بِفَـــرْقٍ نَـيِّـــر
يَهْتَـــزُّ مِـــنْ مَــرَحِ الشَّبَابِ قَوَامُهُ
كَالغُصْـــنِ صُوفِحَ بِالنَّسِيمِ السَّحَرِي
فِـــي أُفْـــقِ وجْنَتِهِ المُنِيرَةِ كَوْكَبٌ
نَـــادَى بِهَـــا العُشَّـــاقَ يَا لِلمُشْتَرِي
وَبِثَغْـــرِهِ شَهْـــدٌ يُنَـــادِي عَوْفُهُ
يَـــا أَيُّـــهَا الحَلَوِيُّ يَا ابْنَ السُّكَّرِي
مَـــا زِلْـــتُ أَطْلُبُ قُرْبَهُ حَتَّى دَنَا
وَالصَّـــدُّ مِــنْ شِـيَـــمِ الظِّبَاءِ النُّـفَّرِ
فَحَلَلْـــتُ جَـنَّـــةَ وَصْلِهِ، فَأَبَاحَنِي
رِضْـــوَانُ مَبْسَمِـــهِ شَـرَابَ الكَوْثَرِ
وَرَشَفْـــتُ رِيقَتَــهُ فَشَبَّ بِمُهْجَتِي
لَهَبُ الجَوَى مِنْ رَشْفِ مَاءِ السُّكَّرِ
حَيْــثُ الصَّبَاحُ أَبَانَ صَارِمَ نُورِهِ
فَمَحَـــا بِــهِ آيَ الظَّــــلاَمِ الأَعْكَرِ

وَامْتَــدَّ مِضْمَــارُ الربَى لما انْبَرَتْ
تَجْرِي بِهَا خَيْلُ النَّسِيمِ الأَعْطَرِ
وَشَـدَتْ عَلَى العِيدَانِ وَرْقَاءُ الحِمَى
بِلُحُونِ "مَعْبَدَ" مِنْ حِصَارِ العكبَرِي
وَافْتَــرَّ ثَغْــرُ الأُقْحُوَانَــةِ ضَاحِكًا
لَمَّا بَــكَى جَفْنُ الغَمَامِ المُمْطِرِ
فَالغَيْــمُ بَيْــنَ تَقَشُّــعٍ وَتَرَاكُمٍ
وَالشَّمْــسُ بَيْــنَ تَبَــرُّجٍ وَتَسَتُّرِ
وَالــرَّوْضُ بَيْــنَ مُعَصْفَــرٍ وَمُوَرَّدٍ
وَالأُفْــقُ بَيْــنَ مُمَسَّــكٍ وَمُعَنْبَرِ
وَالــدَّوْحُ بَيْــنَ مُتَــوَّجٍ وَمُشَنَّف
وَالغُصْــنُ بَيْــنَ مُوَشَّحٍ وَمُؤَزَّر
وَالنَّهْــرُ بَيْــنَ مُــزَرَّدٍ وَمُدَرَّعٍ
وَالزَّهْــرُ بَيْــنَ مُدَرْهَــمٍ وَمُدَنَّر
فِــي رَوْضَــةٍ لَوْلاَ شَذَا أَنْوَارِهَا
قُلْنَــا لآَلٌ فِــي بِسَاطٍ أَخْضَرِ
حَصْبَاؤُهَــا مِــنْ جَوْهَرٍ وَنَسِيمُهَا
مِــنْ عَنْبَــرٍ وَمِيَاهُهَــا مِــنْ سُكَّرِ
وَطُيُورُهَــا مَــدَّتْ أَكُــفَّ دُعَائِهَا
بِبَقَــا "أَبِــي عَمْرُو" المَــلِيكِ الأَكْبَرِ

مَــوْلاَيَ "عثمَــانَ" الَّــذِي إنْعَامُــهُ
أَزْرَى بِسَيْــلِ الشَّــاهِقِ المُتَحَدِّرِ
ملــكٌ لَـــهُ هِمَـــمٌ تَرَفَّعَ قَدْرُهَا
عَــنْ هِمَّةِ "النُّعْمَــانِ" وَالإِسْكَنْدَرِ
مُسْتَظْهِـــرٌ بِظَهِيــرَةٍ مِـنْ فِكْرَةٍ
تُمْضِـــي الأُمُورَ بِمُظْهَرٍ وَبِمُضْمَرِ
فَـــإِذَا اسْتَنَــارَ بِرَأْيِــهِ مُتَحَيِّرٌ
أَهْــدَاهُ لِلإِرْشَــادِ بَعْــدَ تَحَيُّرِ
فَهْــمٌ أَدَقُّ مِــنَ النَّسِيمِ وَفِطْنَةٌ
رَدَّتْ أَقَاصِــي الغَيْــبِ رَدَّ المُبْصِرِ
مُسْتَكْثِـــرٌ فِــي كُلِّ يَوْمٍ سُؤْدَدًا
وَمُشَــارِفُ الإِقْــلاَلِ مَنْ لَمْ يُكْثِرِ
سَفَــرَتْ لَنَــا آثَــارُ دَوْلَةِ مُلْكِهِ
عَــنْ وَجْــهِ بَــدْرٍ بِالكَمَـالِ مُنَوَّرِ
ذُو هِمَّـــةٍ رُفِعَــتْ بِإِسْمٍ ظَاهِرٍ
نُصِبَـتْ لَهَا العَلْيَا بِفِعْلٍ مُضْمَرِ
غَيْــثٌ نُرَجِّيــهِ وَيُــرْهَبُ بَأْسُــهُ
وَلَــرُبَّ غَيْــثٍ بِالصَّــوَاعِقِ مُمْطِرِ
فَــإِذَا العَــدُوُّ طَغَــى سقاه عَلْقَمًــا
وَإِذَا الوَلِــيُّ دَعَــا، حَبَــاهُ بِسُكَّرِ

يَا مَنْ يُقَصِّرُ إِذْ يَرُومُ لَحَاقَهُ
هَلْ نِسْبَـةُ الأَعْـرَاضِ مِثْلِ الجَوْهَرِ
مَنْ ذَا يُضَاهِي البَدْرَ حَالَ تَمَامِهِ
أَوْ مَـنْ يَقُولُ الذِّئْبُ مِثْلُ القَسْوَرِ
شَرُفَتْ مَعَانِيهِ فَلَيْسَ لِوَصْفِهَا
حَـدٌّ فَيُعْرِبـهُ لِسَـانُ المُخْبِـرِ
مِنْ مَعْشَرٍ كَرُمَتْ عَشَائِرُهُمْ لِذَا
حَازُوا العُلاَ، أَكْرِمْ بِهِمْ مِنْ مَعْشَرِ
كَرُمَتْ أُصُولُ فَخَارِهِمْ شَرَفًا وَقَدْ
طَابَـتْ فُرُوعُهُـمُ لِطِيـبِ العُنْصُرِ
عَزَمَاتُهُمْ بِيضُ الصَّوَارِمِ إِنْ دَجَا
خَطْـبٌ وَأَيْدِيهِـمْ غِمَـارُ الأَبْحُـرِ
قَدْ صَحَّحُوا فِي الحَرْبِ سُمْرَ رِمَاحِهِمْ
فَـإِذَا انْبَـرَت لِلْحَرْبِ لَمْ تَتَكَسَّرِ
الطَّاعِنِـينَ النَّحْـرَ وَهْـوَ مُمَنَّعٌ
وَالضَّارِبِـينَ الهَـامَ تَحْتَ العِثْيَرِ
وَالسَّائِسِيـنَ المُـلْكَ، لاَ آرَاؤُهُمْ
تُخْطِـي وَلاَ مَيْسُورُهُـمْ بِمُعَسَّرِ
لَوْ لَـمْ يَخَافُـوا تِيـهَ سَـارٍ نَحْوَهُمْ
وَهَبُـوا النُّجُومَ مَعَ الصَّبَاحِ النَّـيِّرِ

فَبِأَيِّ جُـــودٍ لَمْ تَفِـــضْ أَيْدِيهِم

أَمْ أَيُّ جَبَّـــارٍ بِهِـــمْ لَـــمْ يُقْهَـــرِ

حُزْتُـــمْ بَنِـــي الفَارُوقِ فِي عَلْيَائِكُمْ

شِيَمَـــا كَرُمْـــنَ، وَأَنْعُمَـــا لَمْ تُكْفَرِ

فَلْيَهْنِكُـــمْ فِي الدَّهْرِ أَنَّ جِيَادَكُمْ

سَبَقَـــتْ إِلَى أَمَدِ العُلَى وَالمَفْخَرِ

وَلْيَكْفِكُـــمْ مَجْـــداً بِـــأَنَّ لِبَيْتِكُمْ

شَرَفَـــا يَفُـــوقُ سَنَـــاهُ نُورَ النَّيِّرِ

يَا ابْنَ المُلُوكِ الشَّائِدِينَ حِمَى الهُدَى

بِذَوَابِـــلٍ سُمْـــرٍ وَبِيـــضٍ بُتَّرِ

قَدْ أُعْطِيَتْ تَرْشِيشُ مِنْكَ نِهَايَةَ الـ

حـظِّ المُقَـــوَّمِ وَالنَّصِيـبِ الأَوْفَرِ

وَأَعَـــدْتَ فِينَـــا سِيـــرَةً عُمَرِيَّـــةً

أَضْحَـــتْ تَتِيهُ عَلَى جَمِيعِ الأَعْصُرِ

عَلِـــقَ الرَّجَا بِحِبَالِ جُودِكَ إِذْ غَدَا

كَهْـــفَ المُقِـــلِّ وَعُـــدَّةَ المُتَحَيِّرِ

مَـــا بَعْـــدَ دِيمَتِـــكَ الرَّوِيَّةِ دِيمَةٌ

يَشْكُـــو لَهَـــا ظَمَـــأً لِسَانُ المُقْتِرِ

لِلَّـــهِ كَـــمْ لَـــكَ مِـــنْ يَـــدٍ مَأْثُورَةٍ

عِنْـــدِي وَكَمْ لَكَ مِنْ نَدًى مُسْتَغْزَرِ

فَاسْلَـــمْ أَمِيـــرَ المُـــؤْمِنِينَ مُسَرْبَلاً

سِرْبَـــالَ مَنْصُـــورِ اليَدَيْـــنِ مُظَفَّرِ

المصدر: الديوان: ص 104 ـ 109.

9. مصارع العشاق

(الكامل)

مَــنْ لَــمْ تَرُعْــهُ صَوَارِمُ الأَحْدَاقِ
لَمْ يَــدْرِ كَيْــفَ مَصَــارِعُ العُشَّاقِ

إِنْ لَمْ تَرُعْكَ وَلَمْ تُشَاهِدْهَا، فَسَلْ
بَــرْقَ الحِـمَى عَــنْ قَلْبِيَ الخَفَّاقِ

وَاصْــغِ لِتَغْرِيــدِ الحَمَــامِ وَشَدْوِهِ
يُنْبِئْــكَ عَــنْ وَجْدِي وَعَنْ أَشْوَاقِي

فَبِسُحْــبِ دَمْعِي وَالتِهَابِ جَوَانِحِي
أُنْــذِرْتُ بِــالإِغْــرَاقِ وَالإِحْــرَاقِ

وَبِسُهْــدِ جَفْنِي وَادِّبَابِ حُشَاشَتِي
أُرْسِــلْتُ لِلعُشَّــاقِ بِالأَشْــوَاقِ

فَالحُــبُّ دِينِــي وَالتَّــوَلُّهُ شِرْعَتِي
وَالوَجْــدُ عَهْــدِي وَالهَوَى مِيثَاقِي

وَالشَّــوْقُ طَبْعِي وَالصَّبَابَةُ شِيمَتِي
وَالتَّــوْقُ وَصْفِــي وَالجَوَى أَخْلَاقِي

أَمُخَلِّفًــا جَسَــدِي وَسَالِبَ مُهْجَتِي
مَــاذَا يَضُــرُّكَ لَوْ سَلَبْتَ البَاقِي

إِنِّــي وَإِنْ أَخْفَــرْتُ ذِمَّــةَ مُهْجَتِي
لَــمْ أَرْضَ أَخْفَــرُ ذِمَّــةَ المِيثَاقِ

فَعَـــلاَمَ خَلَّفْـتَ الفُـؤَادَ مُرَوَّعًـا

مَـا بَيْـنَ إِخْـلاَفٍ إِلَى إِخْلاَقِ

هَبْنِـي أَسَأْتُ فَكُنْ بِعَبْدِكَ مُحْسِنًا

وَاشْفِـقْ عَلَـى المُهَّجَاتِ وَالأَرْمَاقِ

أَوَ لَـمْ تَـرِقَّ لِرِقِّ عَبْدٍ عِزُّهُ

أَنْ لَـمْ تَسُمْـهُ بِذِلَّةِ الإِعْتَاقِ؟

دَنِــفٌ إِذَا ذُكِرَ الوِصَالُ تَمَزَّقَتْ

أَحْشَـاهُ قَبْـلَ تَمَـزُّقِ الأَطْوَاقِ

يَبْكِـي لُيَيْـــلاَتٍ تَقَضَّتْ بِالهَنَا

مَا بَيْـــنَ تَقْبِيــلٍ وَطِيبِ عِنَاقِ

حَيْـثُ الغُصُونُ تَمَايَلَــتْ أَفْنَانُهَا

وَالتَفَّــتِ الأَوْرَاقُ بِــالأَوْرَاقِ

يَـا رَاحِـلاً عَنِّي وَسَاكِنَ مُهْجَتِي

هَــلاَّ أَقَمْــتَ لَنَــا بِقَدْرِ فُوَاقِ

وَرَحِمْـتَ إِشْفَاقِــي عَلَيْكَ حَنَانَةً

إن الحَنَانَــةَ شِيمَــةُ الإِشْفَاقِ

وَمَنَنْــتَ لِـي بِالقُرْبِ مِنْكَ تَكَرُّمًا

فَاللَّـــهُ حَـبَّ مَكَــارِمِ الأَخْلاَقِ

يَكْفِيــكَ مِنِّــي أَنْ أَبِيــتَ مُعَذَّبًا

قَلِقَ الفُــؤَادِ مُسَهَّــدَ الأَحْدَاق

أَرْعَـى النُّجُومَ وَهُنَّ أَفْصَحُ مُخْبِرٍ

عمَّا أُقَاسِي فِي الدُّجَى وأُلاَقِــي

وَأُرَاقِــبُ الجَـوْزَاءَ أَسْأَلُ قُطْبَهَا

عَـنْ ثَالِثِ القَمَرَيْنِ فِي الإِشْرَاقِ

وَأُرَاسِــلُ الغَيْــثَ الهَتُونَ وَبَرْقَهُ

بِلَظَــى حَشَــايَ، ومَدْمَعِي الرَّقْرَاقِ

وَأُطَــارِحُ القُمْــرِيَّ فِــي تَغْرِيدِهِ

بِنَــوَى يَرَاعِي أَوْ بِهَوْلِ سِبَاقِي

وَأُسَائِــلُ الأَظْعَــانَ وَالرُّكْبَانَ عَنْ

بَــدْرِي المُضَلَّلِ فِي دُجَى الآفَاقِ

فَعَسَــى بَشِيــرٌ بِاللِّقَــا، وَلَعَلَّ مَنْ

عَقَــدَ الأُمُــور يَمُنُّ بِالإِطْلاَقِ

أَمُعَنِّفِــي زَعْمًــا بِأَنَّــكَ نَاصِحٌ

اكْفُــفْ فَإِنَّــكَ رَأْسُ كُلِّ نِفَاقِ

وَدَعِ التَّعَنُّــفَ وَاطَّرِحْ نُصْحِي فَمَا

كُلِّفْــتَ إِسْعَافِــي وَلاَ إِرْفَاقِــي

فَلَنَــا الَّذِي أَوْضَحْتُ مِنْهَاجَ الهَوَى

لِـذَوِي نُفُــوسٍ بِــالغَــرَامِ رِقَــاقِ

فَلْيُبْلِـغِ الأَحْبَـابُ عَنِّي أَنَّنِـي

فَانٍ عَلَى دِيـنِ المَحَبَّـةِ بَـاقِ

لاَ أَنْثَنِـي عَنْ حُبٍّ مَنْ لَمْ يَثْنِهِ

عِنْـدَ الـوَدَاعِ تَذَلُّـل الأَشْوَاقِ

لَوْ كُنْـتَ شَاهِدَنَا وَقَدْ حَكَمَ الهَوَى

بِفِرَاقِنَـا لَجَزِعْـتَ مِنْ إِشْفَاقِ

وبكيـتَ مشتاقـا بكـى لبكائـه

جَفْـنُ الغَمَـامِ بِدَمْعِهِ الرَّقْرَاقِ

وَهِـيَ الفـؤاد وطـار عقلي عندما

جَـرَت الأُمُورُ عَلَى خِلاَفِ وِفَاقِ

فجـرت من الأجفـان حُمْرُ مدامع

حَازَتْ بِسَفْـحِ الخَدِّ فَضْلَ سِبَاقِ

فبكـى وقـال: أذاك دمـع أمْ دَمٌ

وَلَـرُبَّ دَمْـعٍ كَالدِّمَـا مُهْرَاقِ

فأجبتـه والدّمـع يُظْهِـره على

مَـا فِي الحَشَا مِنْ شِدَّةِ الإِحْرَاقِ

لا تحسبنّ الدّمـع فـاضَ وإنّما

قَلْبِـي أُذِيبَ فَسَالَ مِنْ آمَـاقِي

يا أمّـة الأشواق هل من مسعف

يُرْجَـى لِـدَفْعِ حَوَادِثِ الأَشْوَاقِ

أَمْ هَلْ لِنَــارِ تَلَهُّفِــي مِنْ مُطْفِــيءٍ
أَمْ هَلْ لِفَيْــضِ مَدَامِعِــي مِنْ وَاقِ
أَمْ هَــلْ لِأَوَّلِ لَوْعَتِــي مِنْ آخـرٍ
أَمْ هَــلْ لِذَاهِبِ مُهْجَتِي مِنْ بَاقِ
أَمْ هَلْ لِكَسْرِ حُشَاشَتِي مِنْ جَابِرٍ
أَمْ هَــلْ لِــدَاءِ صَبَابَتِــي مِنْ رَاقِ
أَمْ هَــلْ لِعَهْــدِ المُلْتَقَى مِنْ مَوْعِدٍ
فَلَقَــدْ وَهَى جَسَــدِي وَشُدَّ وَثَاقِي
آهٍ، وَمَــا آهٍ بِنَافِعَــةٍ وَقَــدْ
أَزِفَ الفِــرَاقُ وَلَاتَ حِينَ تَلَاقِ
لَــوْ كَانَ يَعْلَمُ خَازِنُ النِّيرَانِ مَا
تَحْــتَ الفِرَاقِ مِنَ العَذَابِ البَاقِي
لَأَذَاقَ حِــزْبَ الكُفْــرِ زَقُّومَ النَّوَى
وَإِنْ اسْتَغَــاثَ سَقَاهُ كَأْسَ فِرَاقِ

المصدر: الديوان: ص 323 ـ 327.

10 ـ دعوة إلى الشراب

(البسيط)

قُمْ زَوِّجِ ابْنَ غَمَامٍ بِنْتَ زَرْجُونٍ
وَاجْعَلْ شُهُودَكَ مِنْ وَرْدٍ وَنِسْرِينِ[1]
فَخَاطِبُ الطَّيْرِ نَادَى فِي مَنَابِرِهِ
هُبُّوا إِلَى الرَّاحِ مَا بَيْنَ الرَّيَاحِينِ

---

(1) الزرجون: واحدها زرجونة، قضبان الكروم .

وَالرِّيحُ مَدَّ عَلَى الأَغْصَانِ إِذْ نُصِبَتْ
ذَيْلاً فَأَعْرَبَ عَنْ مَدٍّ وَعَنْ لِينِ
وَالرَّوْضُ زَفَّ عَرُوسَ الزَّهْرِ فِي حُلَلٍ
قَدْ أَبْرَزَتْ بَيْنَ تَدْبِيجٍ وَتَلْوِينِ
وَالطَّلُّ يَكْتُبُ فِي طِرْسِ الرِّيَاضِ فَهَلْ
أَبْصَرْتَ خَطًّا بِلاَ حَدْسٍ وَتَخْمِينِ
وَعَارِضُ الظِلِّ فِي خَدِّ الغَدِيرِ حَكَى
مِسْكًا تَنَاثَرَ فِي أَوْرَاقِ مَـرْسِيـنِ[1]
فَاسْتَجْلِ بِكْرَ مُدَامٍ زَانَهَا حَبَبٌ
كَلُؤْلُؤٍ مِنْ نَفِيسِ الدُّرِّ مَكْنُـــــــونِ
مَعْ غَادَةٍ لَوْ بَدَا كَافُورُ مَبْسَمِهَا
لِلشَّمْسِ لاَحْتَجَبَتْ فِي عَنْبَرِ الجُونِ[2]

المصدر: الديوان: ص 392

11 ـ هزوا القدود

قال يمدح أبا عمرو عثمان السلطان الحفصي:

(الكامل)

(1) المرسين: نبات طيب الرائحة .

(2) الجون: الأسود.

هَــزُّوا القــدُودَ وأرهفُوا الأجْفَانَا

أوَمَــا رَأيْــتَ البَـــانَ وَالغِزْلاَنَا

واستَبْدَلُــوا بَـدَلَ السِّهَامِ لَوَاحِظًا

لَمَّــا انْتَضَوْا عِوَضَ الظُّبَى أجْفَانَا

وَثَنَــوْا مَعَاطِفَهُمْ وَقَدْ لاَحُوا فَهَلْ

أبْصَـرْتَ أقْمَـــارًا عَلَتْ أغْصَانَا

وَجَلَــوْا بُرُوقَ مَبَاسِمٍ مَا أوْمَضَتْ

إلاَّ وَأمْطَــرَ مَدْمَعِي[1] العِقْيَانَا

غِيــدٌ نَفَــرْنَ وَقَــدْ أمَتُّ تَوَلُّهِي

فَأعَدْنَهُ حَيًّــا كَمَــا قَــدْ كَانَــا

وَبِمُهْجَتِــي مِنْهُــنَّ خَــودٌ خَدُّهَــا

قَــدْ شَاكَــلَ النُّعْمَانَ وَالسَّوسَانَا

حَرَسَـــتْ بِأسْوَدِ شَعْرِهَا أعْطَافَهَا

وَكَــــذَا الأسَاوِدُ تَحْرِسُ الكُثْبَانَا

وَلَــوَتْ عَقَارِبَ صُدْغِهَا فِي خَدِّهَا

فَحَمَـــتْ بِمُنْذِرِ[2] آسِهَا النُّعْمَانَا

وَجَلَـتْ مَعَاطِفُهَا النُّهُودَ وَلَمْ أكُن

شَاهَــدْتُ بَانًــا أثْمَــرَ الرُّمَّانَــا

---

(1) في المخطوط: مدمعي وفي الديوان: دمعي.

(2) في المخطوط: بمنوّر

نَادَيْــتُ مَبْسِمَهَــا المُنَضَّــدَ دُرُّه

يَا جَوْهَــرًا كَيْفَ اغْتَدَيْتَ جُمَانَــا

وَدَعَــوْتُ بُلْبُلَ خَالِ وَرْدِ خُدُودِهَــا

يَــا عَنْبَــرًا مَــنْ قَدْ حَمَى مَرْجَانَا

يَا مُدَّعِــي كِتْمَانَ وَاضِحِ خَــدِّهَا

أَمَــعَ المَدَامِــعِ تَدَّعِــي الكِتْمَانَا

وَتَــرُومُ تَشْهَــدُ كَائِنَاتِ جَمَالِهَــا

أَبِغَيْــرِ عَيْــنٍ تَشْهَــدُ الأَكْوَانَا

لاَ تُنْكِــرَنَّ فَإِنَّ قَلْبَــكَ لَمْ يَــزَلْ

كَلِفًــا بِــذَاكَ البَــانِ لَمَّــا بَانَــا

يَا صَاحِبَــيَّ قِفَــا بِتُونِس بُرهَــةً

كَــيْ تُنْعِشَــا الأَرْوَاحَ وَالأَبْــدَانَا

وَاسْتَنْشِــدَا عَنْ سِرْبِــهِ وَكِنَاسِهِ[3]

إِنْ خِلْتُمَــا الرُّكْبَــانَ وَالأَظْعَانَا

فَبِأَيْمَــنِ الشَّاطِــيِّ مِنْ غَرْبِيِّهَــا

ظَبْــيٌ سَبَــا الآسَــادَ وَالغِــزْلاَنَا

شَاكِــي السِّلاَحِ أَقَلُّ مِنْ أَعْطَافِهِ

رمْحًــا وَسَــلَّ مِــنَ اللَّحَاظِ سِنَانَا

---

(3) المخطوط: سربها وألباسها.

بَدْرٌ تَحَيَّـرَ فِيـــهِ مَنْ رَامَ الهُدَى

وَإِذَا اهْتَــدَى فَتَخَالُــهُ الحَيْرَانَــا

كَالشَّمْسِ وَجْهًا وَالقَضِيبِ مَعَاطِفًا

وَالزَّهْــــرِ ثَغْــرًا وَالمَهَى إِنْسَانَا

تَجْلُـــو عَوَارِضُـــهُ لَكَ العَلَمَيْنِ إِذْ

يُبْــدِي لِعَيْنِــكَ خَــدُّه نعْمَــانَا

فَبِثَغْــرِهِ شِمْــتُ "العُذَيْبَ" وَ"بَارِقًا"

وَبِقَــدِّهِ خِلْــتُ النَّقَــا وَالبَــانَــا

فَتَنَــتْ مَحَاسِنُـــهُ فُــؤَادَ مُحِبِّــهِ

أَوَ لَيْـــسَ فَاتِــكُ لَحْظِهِ فَتَّانَا

رَشَـــأٌ رَشِيقُ القَدِّ مَعْسُولُ اللَّمَى

فَضَــحَ الرُّبَـــى وَالحُورَ وَالوِلْدَانَا

فِــي نَارِ وجْنَتِهِ الجِنَانُ تَزَخْرَفَتْ

مُــذْ صَــارَ خَــازِنُ عَدْنِهَا رِضْوَانَا

رَامَــتْ نُجُــومُ الأُفْقِ تَحْكِي خَدَّهُ

فَلِــذَاكَ أَكْسَـــبَ بَدْرَهَـــا النُّقْصَانَا

وَالــرَّوْضُ أَهْــدَى الأُقْحُوَانَ لِثَغْرِهِ

فَحَمَــــتْ سَوَاسِنُ قده[4] الأَغْصَانَا

---

(4) المخطوط: مؤانس قدّها.

أَتْلُــو بِــهِ سُــوَرَ الشُّجُونِ وَلَيْتَهَا

عَنْ "نَافِــعٍ" تَــرْوِي لَنَا الأَشْجَانَا

دَبَّ العِــذَارُ بِوِجْنَتَيْــهِ، فَمَنْ رأَى

فِــي النَّـــارِ وَرْدًا أَنْبَتَ الرَّيْحَانَا؟

يَــا مَنْ حَكَتْ سُمْرَ القَنَا أَعْطَافُهُ

وَحَكَتْ فَوَاتِرُ[5] طَرْفِهِ الخُرْصَـــانَا

مَــا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ طَرْفَكَ سَاحِرٌ

حَتَّـــى تَقَلَّـــبَ حَبْلُـــه ثُعْبَانَـــا

قسَمًــا وَلَـــوْلاَ أن رِيقَكَ قَرْقَفٌ

مَــا مِسْتَ يَا غُصْنَ النَّقَا نَشْوَانَا

أَسْكَنْــتُ حُبَّكَ فِي فُؤَادِي وَالحَشَا

فَعَمَــرْتَ مِنِّـــي القَلْبَ وَالأَجْفَانَا

وَأَنَــرْتَ مِصْبَاحَ الهُدَى فِي غَيْهَبِي

حَتَّـــى أَقَمْـــتَ لِعَاذِلِي البُرْهَانَا

حَيْــثُ الــرِّيَاضُ أَذَاعَ من رِيَّاهُ ما

وَشَّـــى الجُيُـــوبَ وَعَطَّرَ الأَرْدَانَا

وَالقُضْبُ مَاسَت فِي الغَلاَئِلِ عِنْدَمَا

صَـــاغَتْ أَزَاهِرُهَـــا لَهَـــا تِيجَانَـــا

(5) المخطوط: بواتر.

وَالطَّيْرُ أَعْرَبَ لَحْنَهَا(6) فِي عُودِهِ

لِيُعَلِّمَ الإِيقَاعَ وَالأَلْحَانَا

وَالصُّبْحُ أَظْهَرَ آيَةً يَمْحُو بِهَا

صِبْغَ الظَّلَامِ فَخِلْتُهُ السُّلْطَانَا

مَوْلَايَ "عُثْمَانُ" الَّذِي بِيَمِينِهِ

"نُوحُ" النَّدَى أَجْرَى لَنَا الطُّوفَانَا

مَوْلًى إِذَا مِلْنَا لِبَثِّ صِفَاتِهِ

كَيْ نَسْتَمِدَّ الرُّوحَ وَالرَّيْحَانَا

أَمْلَى عَلَيْنَا مَجْدُهُ، فَإِذَا انْتَهَى

هِمْنَا، فَلَمْ نَدْرِ الَّذِي أَمْلَانَا

عَلَمٌ إِذَا مَا قُلْتَ أَقْرَانَا الغِنَى

فَلَقَدْ تَقُولُ بِعِلْمِهِ أَقْرَانَا

لَوْ عَايَنَ "الطَّائِيُّ" وَ"مَالِكُ" شَخْصَهُ

قَالَا: نَعَمْ! هَذَا الَّذِي أَغْنَانَا

فَهُوَ الفَرِيدُ نَدًى وَعِلْمًا، قَدْ رَوَى

غُرَرَ النَّوَالِ وَقَرَّرَ التِّبْيَانَا

سَحَّابُ ذَيْلِ سَخًى وَذَيْلِ سَحَابَةٍ

تَلْقَاهُ أَنَّى زُرْتَهُ "سَحْبَانَا"

---

(6) المخطوط: لحنه .

وَتَــرى الوَفَــاءَ مُفَرَّقًــا وَمُجَمَّعًا

يَحْتَــلُّ مِنْــهُ مُهْجَــةً وَلِسَانًــا

نَفَــتِ التَوهُّــمَ عَنْــهُ حِـدَّةُ ذِهْنِهِ

فَاسْتَرْغَــمَ الآنَــافَ وَالأَذْقَانَــا

حَــازَ الكَمَــالَ وَلَــوْ بِأَيْسَرِهِ حَبَا

بَــدْرَ الدُّجَى لَمْ يَخْتَشِ النُّقْصَانَا

مُتَهَلِّــلٌ طَلْــــقٌ إِذَا وَعَدَ الغِنَى

بِالبِشْــرِ أَتْبَــعَ بِــرَّهُ الإِحْسَانَا

كَالغَيْــمِ مَــا سطعتْ لوَامِعُ بَرْقِهِ

إِلاّ وَأَهْــدَتْ غَيْثَــهُ الهَتَّانَــا

سَحَّــتْ سَحَــائِبُ جُــودِ كَفَّيْهِ فَلَمْ

يَجْنَــحْ إِلَــى غَرْبٍ وَلاَ أَشْطَانَا

ذُو رُتْبَــةٍ رَجَحَــتْ بِعَيُّوقِ العُلَى

مِــنْ قَبْلِ أَنْ تَسْتَرْصِدَ المِيزَانَا

وَمَكَانَــةٍ فَــوْقَ السِّمَــاكِ مَكِينَةٍ

لَــمْ تُبْــقِ لِلرَّاقِينَ بَعْدُ مَكَانَا

شَــرَفٌ إِلَيْــهِ وَبَيْــتُ مُلْكٍ شَامِخٍ

بِعُــلَى الكَمَــالِ بَنَــى لَهُ إِيوَانَا

يقْظَـانُ أبْلَـجُ قَـدْ جَلاَ بِجَبِينِهِ

وَحُسَامِـهِ الظَّلْمَـاءَ والأضْـغَـانَـا

نِعْـمَ الرَّشَـاد إِذَا الدجنَّةَ أُطلعت[7]

سنـن[8] الـرشَـادِ وأوضـح البرهَانَـا[9]

أمَّـا نَـدَاهُ وَبَأْسـهُ فَكلاَهُمَا

قَـدْ أرْغَـمَ الأفْهَـامَ وَالأذْهَانَـا[10]

مَلِـكٌ تَشَامَـخَ ملكـه فَلِأجْلِ ذَا

أَضْحَـى المُلُـوكُ لِعِـزِّهِ عُبْدَانَـا

الجَاعِـلُ المَلِـكَ الذَّلِيـلَ مُعَزَّزًا

وَالتَّـارِكُ المَلِـكَ العَزِيـزَ مُهَانَـا

لاَ يَسْتَكِـنُّ الرعـبُ بَيْنَ ضُلُوعِهِ

وَاللَّيْـثُ لاَ يَتَـخَـوَّفُ السِّرْحَانَـا

ثَبْـتُ الجَنَـانِ، فَلاَ يَخَافُ، كَأَنَّمَا

جَعَـلَ المَخُـوفَ مِنَ المَخُـوفِ أمَانَـا

بَطَـلٌ إِذَا رَمَقَـتْ لَوَاحِظ سُمْرِه

خَـرَّتْ لَهَـا صُـمّ الكُلَـى عُمْيَانَـا

---

(7) المخطوط: أظلمت .

(8) المخطوط: سنّ .

(9) المخطوط: وأرشد الحيرانا .

(10) المخطوط: الآنافا والأذقانا.

كَـمْ لَيْـثِ غَـابٍ صَيَّرَتْهُ فَرِيسَةً
أَرْمَاحُـهُ كَـيْ تُقْـرِيَ العِقْبَانَـا
أعطتـهُ مُهْجَتَهَـا السهامُ نَوَاظِراً
وَأَرَتْـهُ أنفُسَهَـا الظُّبَـى أَجْفَانَـا
أَمُقَتِّـلَ الصَّيـدِ الكُمَـاةِ بِرُعْبِـهِ
لِمَـنْ ادَّخَـرْتَ السَّـيْفَ وَالمُرَّانَا
لَـمْ تَكْتَـسِ أَعْـدَاكَ إِذْ حَارَبْتَهُـمْ
ضَافِـي الدُّرُوعِ، بَلْ اكْتَسَوْا أَكْفَانَا
غَـادَرْتَ أَوْجُهَهُـمْ بِحَيْـثُ لَقِيتَهُمْ
أَقْفَـاهُـمُ[11] وَعُيُـونَهُـمْ أَذْقَانَـا
يَـا مُنْكِـراً دَعْوَى خِلاَفَتِهِ ارْتَجِعْ
فَلَقَـدْ أَتَيْـتَ الـزُّورَ وَالبُهْتَانَـا
لاَ تُنْكِـرَنَّ فَـإِنَّ قَائِـمَ سَيْفِـهِ
أَبْدَى الدَّلِيـلَ وَأَظْهَـرَ البُرْهَانَا
أَفْضَـتْ إِلَيْهِ خِلاَفَـةُ "الفَـارُوقِ" إِذْ
سَمَّتْـهُ أَلْسِنَةُ الرِّضَى "عُثْمَانَا"
مَلِـكٌ بِـهِ رَوْضُ الخِلاَفَةِ قَدْ زَهَا
إِذْ هَـزَّ مِـنْ أَقْلاَمِـهِ الأَفْنَانَا

(11) المخطوط: قفاهم.

بَيْنَــا يَهُــزُّ بِهَا الغُصُونَ لِمُجْتَلٍ

إِذْ هَــزَّ لِلجَانِــي بِهَا الخُرْصَانَا

وَكَــأَنَّ مَنْطِقَــهُ بِصَفْحَةِ طِرْسِهِ

زَهْــرٌ بِــرَوْضٍ نَقَّــطَ الغُدْرَانَا

مِنْ مَعْشَرٍ هُمْ فِي النَّدَى سُحُبٌ وَإِنْ

جَــنَّ الوَغَــى فَتَرَاهُــمُ شُهْبَانَــا

جَعَلُــوا السُّــرُوجَ أَرَائِكًا لِنِزَالِهِمْ

وَالسُّمْــرَ قُضْبًا وَالظُّبى خِلْجَانَا

وَالنَّبْــلَ نُــوراً وَالحِمَــامَ مَطَاعِمًا

وَالنَّقْــعَ رَوْضًــا وَالعِدَى ضِيفَانَا

صِيــدٌ إِذَا غَابَــتْ جُفُونُ سُيُوفِهِمْ

جَعَلُــــوا الطُّلَى لِسُيُوفِهِمْ أَجْفَانَا

قَــوْمٌ حَــوَتْ أَنْسَابُهُمْ "عمر" الذِي

دَحَــــضَ النِّفَاقَ وَأَظْهَرَ الإِيمَانَا

نَسَــبٌ نَدِينُ بِحُبِّ فَارُوقِيِّهِ الـــ

ــــمَوْلَى وَنطردُ بِاسمِهِ الشَّيْطَانَا

شَرَفًــا بَنِي الفَارُوقِ أَنَّ لَكُمْ سَنًى

قَــدْ نَــوَّرَ الآفَــاقَ وَالأَكْوَانَا

وَلْيَهْنِكُـمْ فِي الدَّهْـرِ أَنَّ ثَنَاءَكُـمْ

سَـرَّ القُلُـوبَ وَشَنَّـفَ الآذَانَـا

وَلْيَكْفِكُـمْ فَخْـرًا يُمَجِّـدُ شَـأْوُهُ

قَـدْ أَعْجَـزَ الأَمْثَـالَ وَالأَقْرَانَا

يَـا شَائِـدَ البَيْتِ الَّذِي بَانِي عُلاَ

هُ عَلَـى التُّقَى قَدْ أَسَّسَ البُنْيَانَا

قَدْ شِـدْتَ أَرْكَانَ النَّدَى فَحَجِيجُهُ

لَزِمُـوا الطَّـوَافَ وَقَبَّلُوا الأَرْكَانَا

لَوْ تَعْقِـلُ الشَّجَـرُ الَّتِي قَابَلْتَهَا

أَلْقَـتْ إِجَابَتَهَـا لَـكَ الأَغْصَانَا

أَرِجَ الطَّرِيـقُ فَمَا مَرَرْتَ بِمَوْضِـعٍ

إِلاَّ أَقَمْـتَ بِـهِ الشَّـذَا أَزْمَانَا

طَوَّقْـتَنِـي بِالجُـودِ مِنْكَ فَأَعْرَبَتْ

وَرْقَـا امْتِدَاحِـي فِيكُمُ الأَلْحَانَا

فَانْعَمْ بِشَهْـرِ الصَّـوْمِ عَيْنًا إِنَّـهُ

شَهْـرٌ تَنَـالُ بِصَوْمِـهِ القُرْبَانَا

نِعَمًـا مِـنَ اللَّهِ ارْتَضَاكَ لِنَيْلِهَا

وَاللَّـهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَا الرِّضْوَانَا

فَاسْعَـدْ بِمَغْفِرَةِ الإِلَهِ فَلَمْ يَـزَلْ

يَمْحُـو الذُّنُـوبَ وَيَمْنَـحُ الغُفْرَانَا

المصدر: الديوان: ص 136 ـ 144.

12 ـ غيث على محمد ابنه

(البسيط)

هَـلاَّ تَرَى الغَيْثَ قَدْ فَاضَتْ مَآقِيهِ
عَلَى "محمّد" إِذْ غَاضَتْ أَيَادِيهِ

نَعَى "مُحَمد" نَاعِيهِ، فَيَا أَسَفِي
قَدْ قَدَّ قَلْبَ المُعَنَّى نعيُ نَاعِيهِ

لَهْفِي! وَهَلْ نَافِعِي لَهفِي عَلَى وَلَدٍ
بَاتَ الغَمَامُ عَلَى الآفَاقِ يَبْكِيهِ

لَهْفِي عَلَى ذَلِكَ المَوْلُودِ حِينَ قَضَى
مِنَ الحمَامِ عَلَيْهِ حُكْمُ قَاضِيهِ

تُرَى دَرَى الدَّهْرُ مِقْدَارَ الذِي فَقَدَتْ
مِنْ نُورِ طَلْعَتِهِ أَبْصَارُ رَائِيهِ؟

وَهَلْ ثَنَى الدَّهْرُ غَرْبًا مِنْ مَحَاسِنِهِ
فَكَانَ كَوْكَبَ شَرْقٍ فِي لَيَالِيهِ

لاَ أَعْتِبُ الزمنَ المُودِي بِسَيِّدِهِ
يَكْفِيهِ مَا قَدْ تَوَلَّى مِنْهُ، يَكْفِيهِ

بُنَيَّ لَيْتَكَ لَمْ تطلعْ عَلَى أُفُقٍ
وَلَيتَ بَدْرَكَ لَمْ تُشْرِقْ دَيَاجِيهِ

سقى ضريحك رضوانٌ، ولا برحت
سَحَائِبُ العَفْوِ وَالغُفْرَانِ تَسْقِيهِ

نعـم السّحائب يَسْـقِـي وبلُ صيّبهـا

نِعْمَ الضَّرِيحُ، وَنِعْمَ البَدْرُ ثَاوِيـهِ

كان الزّمــــان له عرسًا بدولتـــه

فَأَحْسَنَ اللَّهُ للدَّهْرِ العَــزَا فِيـــهِ

وصبّـــــر اللّه قلب الوالدين علـى

مَنْ طَاوَعَ الحُزْنَ فِيهِ دَمْعُ عَاصِيهِ

المصدر: الديوان: ص 254 ـ 255.

أبو الفتح بن عبد السّلام

(977_ 901)

أبو الفتح محمد بن محمد بن عبد السّلام بن أحمد الربعي الخرّوبي التّونسي. ولد بتونس وبها نشأ وتلقّى العلوم فبرع في الأدب والفقه حتى فاق أقرانه. هاجر إلى المشرق وعمره 34 سنة بسبب الأحداث السياسية التي عرفتها تونس خاصة اكتساح الإسبان للبلاد. كان يدرّس بدمشق وتولى فيها القضاء والإفتاء. نظم الشّعر في المدح والهجاء والوصف ورثاء المدن

1 ـ حنين إلى تونس

(الطويل)

سلوا البارق النجديَّ عن سُحب أجفاني — وعَمّا بقلبي من لَوَاعِجِ نيرانِ
ولا تسألوا غيرَ الصَّبا عن صبابتي — وشدَّةِ أشواق إليكمْ وأشجان
فما لي سواها من رسولٍ إليكمُ — سريعِ السُّرى في سَيْرِهِ ليس بالواني
فيا طالَ بالأسحارِ ما قد تكلفتْ — بإنعاشِ محزونٍ وإيقاظِ وسنانِ
وتنفيسِ كربٍ عن كئيبٍ متيَّمٍ — يحنُّ إلى أهلٍ ويصبو لأوطانِ
فللَّهِ ما أذكى شَذا نَسْمَةِ الصَّبا — صباحًا إذا مرّت على الرَّندِ والبانِ
وسارتْ مسيرَ الشمسِ وهْنًا فأصبحتْ — من الشرقِ نحو الغربِ تجري بحسبانِ
وقد وَقَفَتْ بالشامِ وِقْفَةَ حاملٍ — نوافجَ مسكٍ من ظباء خراسانِ
لترتاضَ في تلك الرياضِ هَنيئةً — وتزدادَ من أزهارها طيبَ أردانِ
وما غربتْ حتى تضاعفَ نشرُها — بواسطتَــــيْ رَوْحٍ هناكَ وريحــانِ
فكمْ نحوكمْ حمَّلتُها من رسالـــــة — مدَوَّنَةٍ في شرحِ حالي ووجداني
وناشدْتها باللّهِ إلاّ تفضَّلــــتْ — بتبْلِيغِ أحبابي السلامَ وجيراني
تحيّةَ مشتاقٍ إلى ذلــكَ الحمى — وسُكَّانِهِ والنّازحيــــنَ بأظعـانِ
سَقى اللّهُ هاتيك الديارَ وأهلَهـــا — سحائبَ تحكي صوبَ مدمعيَ القاني
وحَيَّا ربوعَ الحيِّ من خيرِ بلدة — تخيرها قِدْمًا أفاضـــــلُ يونانِ
هي الحضرةُ العليا مدينةُ تونسٍ — أنيسَةُ إنسانٍ رآها بإنسانِ
لها الفَخْرُ والفضلُ المبينُ بما حوَتْ — من الأنسِ والحُسْنِ المنوطِ بإحسانِ
لقد حلَّ منها آلُ حفصٍ ملوكها — مراتبَ تسمو فوق هامَةِ كيوانِ
وسادوا بها كلّ الملوكِ وشيَّدُوا — بها من مَبَانِي العِزِّ أفْخَرَ بنيانِ

وكان لهمْ فيهـا بهـــاءٌ وبهجــةٌ ... وحسنُ نظــامٍ لا يعــابُ بنقصانِ
وكان لهـم فيهـا عساكـرُ جَمَّةٌ ... تصولُ بأسيافٍ وتسطو بمُرَّانِ
جيوشٌ وفرسانٌ يضيقُ بها الفَضا ... ويحجِم عنها الفُرسُ من آلِ ساسانِ
وكانَ لأهليها المفاخِــرُ والعُــلا ... وكانَ بها حصنــا أمانٍ وإيمانِ
وكانَ على الدُّنيـا جمـالٌ بحسنها ... وحُسْنِ بنيهـا من ملـوكٍ وأعيانِ
وكانـــت لطـــلاّبِ المعــارفِ قِبْلَةٌ ... لما في حِماهــا من أئمّــةِ عرفانِ
وكانَ لأهلِ العلـــمِ فيهـا وجاهةٌ ... وجاهٌ وعزٌّ مجــدُهُ ليسَ بالفاني
وكان بواديهـــا المقـــدَّسِ فِتْيَةٌ ... تُقدّس باريهـــا بذكـــرٍ وقـرآنِ
ومن أدبـــاء النّظْمِ والنَّثْرِ معشرٌ ... تفوقُ بناديهــا بلاغــةَ سحبــانِ
وكانت على الأعداء في حومةِ الوغى ... تصـولُ بأبطالٍ، وتسطو بشجعانِ
وما برحَتْ فيها محاسنُ جَمَّةٌ ... وفي كلّ نـوعٍ أهلُ حذقٍ وإتقانِ
إلى أن رَمَتْهَــا الحادثاتُ بأسْهُمٍ ... وسلّتْ عليهـا سيفَ بغيٍ وعدوانِ
فما لبثت تلكَ المحاسنُ أن عفَتْ ... وأقفرَ ربعُ الأنـسِ من بعـد سكّانِ
وشُتِّتَ ذاكَ الشّملُ من بعد جَمْعِهِ ... كما انتثرتْ يومًـا قلائـدُ عقيـانِ
فأعظِمْ برُزْءٍ خـصَّ خيرَ مدينةٍ ... وخيرَ أناسٍ بين عُجْمٍ وعربانِ
لعمري لقد كـــادت عليها قلوبُنا ... تضرَّمُ من خطــبٍ عَراهـا بنيرانِ
وقد عمَّنـــا غمٌّ بعظـم مصابها ... وإن خَصّنـي منه المضرُّ بجثماني
وما بَقيتْ فيمـــا علمناهُ بلـدةٌ ... من الشرق إلاّ ألبستْ ثوبَ أحزانِ
فصبرًا أخي صبـرا على المحنةِ التّي ... رمتكَ بها الأقدار ما بين إخـوانِ
فما الدّهْرُ إلاّ هكَذا فاصطبرْ له: ... رزيّةُ مـالٍ أو تفـــرُّقُ خلاّنِ
أأحبابَنا إن فَرّق الدَّهْــرُ بيننا ... وطالَ مغيبي عنكُــمُ منذ أزمـانِ

فإني على حفظ الوداد وحقّكم مقيمٌ، وما هَجْرُ الأحبّةِ من شاني

وواللّهِ واللّهِ العظيمِ أليّةً على صدقها قامتْ شواهدُ برهانِ

لقد زاد وجدي واشتياقي إليكُمُ وبَرَّحَ بي طولُ البعادِ وأضناني

فلا تحسبوا أنّي تسلّيتُ بعدكُمْ بشيء منَ الدُّنيا وزُخْرُفها الفاني

ولا أنّني يومًا تناسيتُ عهدكمْ بحالٍ، ولا أنَّ التكاثرَ ألهاني

ولا راقني روضٌ، ولا هشَّ مسمعي لنغمةِ أطيارٍ ورنّةِ عيدانِ

ولا حلَّ في فكري سواكمْ بخلوةٍ ولا جلوةٍ ما بين حُورٍ وولدانِ

ولا اختلجتْ يومًا ضمائرُ مُهجتي لغيركم في سرِّ سرّيَ وإعلاني

ولو لم أسلِّ النفس بالقربِ واللقا لأدْرج جسْمي في مقاطع أكفاني

فما أنا في عَوْدِي إليكمْ بآيسٍ فما اليأسُ إلاّ من علامة كفرانِ

عليكم سلامُ اللّهِ في كلّ ساعةٍ تحيّةَ صبٍّ لا يدينُ بسلْوَانِ

مدى الدهرِ ما ناحتْ مطوَّقَةٌ وما تعاقب بين الخافقين الجَديدانِ

عنوان الأريب: ج 1، ص 119 ـ 121.

المصدر: نفح الطّيب: ج 5، ص 29 ـ 32، وأنشأها بدمشق وهو غريب عن الأوطان سنة 951 وقد احتلت جيوش الاسبان تونس،

المصادر والمراجع

حسب العناوين(*)

- **الإحاطة في أخبار غرناطة**: للسان الدين بن الخطيب، مجلدان، تحقيق محمد عبد الله عنان، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة 1973 ـ 1974.

- **الأدلّة البيّنة النورانيّة على مفاخر الدّولة الحفصية**: الطبعة الأولى تحقيق عثمان الكعاك، تونس 1936. والطبعة الثانية، تحقيق الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس 1984.

- **أزهار الافكار في جواهر الأحجار**: لاحمد بن يوسف التيفاشي. تحقيق د. محمد يوسف حسن ومحمد بسيوني خفاجي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1977.

- **برنامج الوادي آشي**: تحقيق محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1400 ـ 1980.

- **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، لأبي عبد الله محمد الشّريف المليتي، الجزائر، 1908/1326.

- **تاريخ الدولتين الموحّدية والحفصية** لأبي عبد الله محمد الزركشي تحقيق وتعليق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، ط 2، تونس 1966.

- **بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة** لجلال الدين السيوطي، جزآن، تحقيق محمد أبو الفاضل ابراهيم، مصر 1964 ـ 1965.

(*) للتّوسّع انظر القائمة البيليوغرافية في كتابنا "الحياة الادبية بتونس في العهد الحفصي

- **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق** لخالد البلوي، جزآن، تقديم وتحقيق الحسن السائح، المغرب د. ت.

- **تحفة العروس ونزهة 'لنفوس** لابي عبد اللّه محمد بن أحمد بن محمد بن أبي القاسم التجاني (النسبة غالطة فالكتاب لعبد اللّه التجاني)، مكتبة التراث الاسلامي، د. ت. كما أنّ النّصّ غير سليم فليرجع إلى الطبعة الأولى القاهرة 1301.

- **التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا لابن خلدون:**

. ط 1 تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، القاهرة 1951.

. ط 2: دار االكتاب اللبناني، بيروت ودار الكتاب المصري القاهرة، 1979.

- **الحلة السيراء** لابي عبد اللّه محمد بن الابّار القضاعي، ج 1، تحقيق. د. حسين مؤنس، القاهرة. ، 1963.

- **الحياة الأدبيّة بتونس في العهد الحفصي**: لأحمد الطويلي، تونس 1993.

- **الدراري السبع**: مجموعة من الموشحات الاندلسية نشر المكتبة العتيقة تونس ضمن مجموع، تونس 1349 (ص 268 - 279).

- **درّة الحجال في أسماء الرّجال** لابي العباس احمد بن القاضي، 3 أجزاء، دار التراث بالقاهرة والمكتبة العتيقة بتونس 1970/1390.

- **الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثّامنة** لأحمد بن حجر العسقلاني، 5 أجزاء، تحقيق محمد سعيد جاد الحق، القاهرة 1966.

- **ديوان ابن الأبّار**. نشر الدكتور عبد السّلام الهرّاس، الدّار التونسية للنشر، تونس 1985.

- **ديوان الادب التونسي**: الرئيس ابن ابي الحسين: فصل نشر بمجلة البدر التونسية. ج 4، مجلة 2، منتصف ربيع الثاني 1340، ص 225 ـ 236.

- **ديوان حازم القرطاجني**: تحقيق عثمان الكعاك، دار الثقافة، بيروت 1964.

- **ديوان ابن الخلوف**: ديوان شهاب الدين بن الخلوف، جمع وتحقيق د. هشام بوقمرة، الدار العربية للكتاب، تونس 1988.

- **رايات المبرّزين وغايات المميّزين** لابي الحسن علي بن موسى بن سعيد، تحقيق د. النعمان عبد المتعال القاضي، لجنة احياء التراث الاسلامي، القاهرة، 1973/1393.

- **رحلة التجاني**: تقديم حسن حسني عبد الوهاب، المطبعة الرسمية، تونس 1958/1377.

- **رحلة ابن رشيد**، انظر النشرة العلمية، وملء العيبة.

- **رحلة العبدري**: او الرحلة المغربية، تحقيق وتقديم محمد الفاسي، جامعة محمدّ الخامس، الرباط 1968.

- **رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة** لابي القاسم محمد الغرناطي، جزآن، مطبعة السعادة، مصر 1344.

- **الرّوض العاطر في نزهة الخاطر** لمحمد بن محمد النفزاوي، شهادات ومختارات. اعداد وتحقيق هاني الخير. منشورات مكتبة أسامة. دمشق 1983.

- **سرور النّفس بمدارك الحواسّ الخمس** لابي العباس أحمد بن يوسف التيفاشي، تهذيب ابن منظور تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1980/1400.

- **ابن سعيد المغربي**، لمحمد عبد الغني حسن، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة 1969.

- **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**: 14 جزءا، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، القاهرة 1963.

- **شرح حدودا ابن عرفة**، للرصّاع وعنوان الكتاب: الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق ابن عرفة الوافية، المطبعة التونسية، تونس 1350.

- **الشّهب اللاّمعة في السّياسة النّافعة** لابي القاسم بن رضوان المالقي، تحقيق د. علي سامي النشار، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1984.

- **الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية** لابي العبّاس احمد بن قنفذ القسنطيني، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس 1968.

- **فوات الوفيات** لمحمد بن شاكر الكتبي، جزآن طبعة بولاق، مصر 1299.

- **في الحضارة العربية التونسية** لاحمد الطويلي، دار المعارف سوسة، تونس 1988.

- **عنوان المرقصات والمطربات**: لابن سعيد المغربي، الجزائر 1949.

- **القدح المعلى** والعنوان هو: اختصار القدح المعلّى في التاريخ المحلّى لابي الحسن علي بن سعيد اختيار محمد بن عبد الله بن خليل، تحقيق ابراهيم الأبياري، القاهرة، 1959.

- **قصائد ومقطعات** صنعة أبي الحسن حازم القرطاجنّي، تقديم وتحقيق الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة، الدّار التونسية للنشر تونس 1972.

- **قوانين حكم الإشراق** لأبي المواهب دمشق 1966.

- **عنوان الأريب عمّن نشأ بالمملكة التونسية من عالم أديب**، لمحمد النيفر، ج 1، تونس 1951.

- **عنوان الدّراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لاحمد** الغبريني. تحقيق عادل نويهض، بيروت 1969..

- **مؤلفات ابن خلدون** لعبد الرحمان بدوي، الدّار العربية للكتاب، تونس 1979.

- **مجمل تاريخ الادب التونسي** لحسن حسني عبد الوهاب، مكتبة المنار، تونس 1968.

- **مختارات من الشعر العربي والاندلسي**، تحقيق وتقديم ابراهيم بن مراد، دار الغرب الاسلامي، 1986.

- **المرتبة العليا في تعبير الرؤيا**: لابن راشد القفصي، حقق في نطاق شهادة الكفاءة في البحث، لكلية الآداب والعلوم الانسانية بتونس تحت اشراف الدكتور محمد السويسي القسم الأوّل تحقيق حسناء التواتي والقسم الثّاني: حسين المديني.

- **معالم الايمان في معرفة اهل القيروان**: للدبّاغ وابن ناجي. 4 أجزاء. المكتبة العتيقة، تونس 1968 ـ 1991.

- **المقتطف من أزاهر الطرف** لابن سعيد الاندلسي، تقديم وتحقيق. د. سيد حنفي حسنين، الهيأة المصرية العامة للكتاب، 1984.

- **مقدمة ابن خلدون**: المطبعة الازهرية. القاهرة، 1348 ـ 1930.

- **مشارق انوار القلوب ومفاتح اسرار الغيوب** لابن الدباغ. تحقيق هـ. ريتر. دار صادر بيروت، 1959.

- **ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة** لابي عبد الله محمد الفهري السبتي. تقديم وتحقيق: د. محمد الحبيب بن الخوجة، ج 2 (تونس عند الورود) الدار التونسية للنشر، 1982/1402.

- **نفح الطّيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب** لشهاب الدين احمد المقري، 8 أجزاء، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1968.

-**نثير الجمان في شعر من نظمني واياه الزمان**: لابي الوليد اسماعيل بن الأحمر، كتاب نشر تحت عنوان"أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن "تحقيق وتقديم د. محمد رضوان الداية، بيروت 1976.

- **النشرة العلمية للكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين.** (مجلة) فصل ابو الفضل التجاني كما يصوره ابن رشيد في رحلته. السنة الاولى. العدد الاول، 1971.

- **الوافي بالوفيات** لصلاح الدين خليل الصفدي، دار النشر فراتر شتاينر بقبادن. اجراء مطبوعة وأخرى ما زالت مخطوطة بدار الكتب الوطنية بتونس ارقام 13320 ـ 13317 ـ 13319

- **وصف افريقية والمغرب والاندلس اواسط القرن الثامن للهجرة** مقتطف من كتاب "مسالك الابصار في ممالك الامصار" لشهاب الدين احمد العمري، نشر وتعليق حسن حسني عبد الوهاب، مطبعة النهضة، د.ت. وأعيد نشره بمجلة "كراسات تونس". ومنه فصلة صدرت سنة 1974 عن كلية الآداب والعلوم الانسانية بتونس.

الفهرس

المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية

2004

عاش في العهد الحفصي بتونس أدباء أثروا في الأدب العربي وترجمت آثار بعضهم إلى لغات أجنبية، وحصل عدد منهم على شهرة عالمية مثل التيفاشي صاحب «نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب» و «أزهار الأفكار في جواهر الأحجار»، وكلا الكتابين طبع وترجم إلى لغات عديدة، وكذلك القاضي النفزاوي صاحب «الروض العاطر في نزهة الخاطر»، وابن خلدون الذي جمعنا أشعاره في هذا الكتاب.

وهذه مدونة لواحد وخمسين شاعرا وأديبا حفلت بهم تونس في العهد الحفصي، وقد حاولنا أن نستقصي نصوصهم وأن نجمع شعرهم ونقدم نماذج من نثرهم إن كانت، وقد تميزوا غالبا برتبتهم العالية في البلاغة والبيان وترصيف الكلام، وجلهم أصيلو إفريقية، وبعضهم نزح إلى تونس من الأندلس في صدر الدولة الحفصية واختار الإقامة بالحاضرة طيلة سنوات كثيرة، واضطلع فيها بدور أدبي وعلمي نشيط، وتدل هذه النصوص على ما بلغته الحياة الأدبية في تونس الحفصية من ازدهار وتألق وإشعاع كبير صارت بها من أهم مراكز الأدب العربي مشرقا ومغربا.

مركز النشر الجامعي تونس 2004
ردمك 9973-37-169-0

الثمن : 18 دينارًا